عبد القادر الهواري

حروب القرن القادمة



ببلومانيا
للنشر والتوزيع

حروب القرن القادمة



書誌事項

❖ الكتاب: حروب القرن القادمة

❖ المؤلف: عبد القادر الهواري

❖ نوع العمل: دراسة

❖ الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة

❖ الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر

❖ رقم الإيداع : 6619 / 2019

❖ الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-95-3

❖ تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا

❖ الغلاف: ببلومانيا

❖ المدير العام: جمال سليمان

❖ العنوان: 27 شارع جمال الدين دويدار من عباس العقاد – مدينة نصر - القاهرة

38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة

❖ تليفاكس: 0020226061014

❖ محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415

❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

❖ الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع















سلام وصراعات وحروب الجيل 5، 6، 7، 8، 9

د. عبد القادر الهواري


ببليومانيا للنشر والتوزيع

مقدمة

إذا نظرنا إلى المستقبل ليس أمامنا إلا احتمالين رئيسيين سيحددان شكله، هما احتمال الحرب واحتمال السلام، لكنهما مثل الصراعات والتقدم لا يتوقفان. وما نقوم به سيناريوهات محكمة وصور مصنوعة عن المستقبل استندت إلى قراءة الماضي ومعالم الحاضر وتوقعات المستقبلات من شأنها إزالة غموض ما يحدث من تأثيرات بهدف استخلاص الأحكام العامة والاستنتاجات والتوصيات التي يمكن عبرها قراءة أحداث الألفية الثالثة.

وإذا ما أردنا فهم المفاجآت غير العادية التي قد يخبئها المستقبل، يتوجب علينا معرفة أساس ما كان منها في الماضي والحاضر ويساعد في الوعي بالإمكانيات الرائعة للتاريخ. فلا توجد أية مؤشرات دقيقة يمكن الاستناد عليها أو الوثوق بها يمكن أن تعطي المساحة الكافية من الوثوق بمستقبل بشري لا تشوبه الفوضى والصراعات والحروب التي تحركها تلك المحفزات المختلفة. هذه النظرة التشاؤمية إلى المستقبلات لم يتم اختزالها في رؤية قاصرة على مساحة جغرافية محدودة لمتغيرات النظام العالمي القائم, بحيث ألغينا معالم الأمل في التحولات الطيبة على مختلف المستويات الدولية، وإنما قمنا ببنائها على عدد من الأسس العلمية التي يمكن الاستناد عليها في استشراف المستقبل وقراءة ما بين سطور وهوامش الخارطة الجيوسياسية الدولية المستقبلية في هذا السياق.

وأبرز مواطن الأسباب والدوافع التي يمكن أن تتسبب في تلك الحروب والصراعات الداخلية والإقليمية، تلك العابرة للقارات والتي نؤكد على أنها ستكون الشرارة الأكبر لحروب وصراعات قد تتسبب في خسائر بشرية أكبر بكثير مما مر على البشرية في القرون الماضية، فهي نتيجة تراكم المعرفة والخبرة التاريخية في طرق الإبادة الجماعية وتوفر أدوات ووسائل القتل المتقدم واستثمار الأموال الطائلة في امتلاك تلك الأدوات والوسائل التكنولوجية المتطورة والحديثة. تلك المحفزات السياسية والاقتصادية والتقدم العلمي ونضوج المجتمعات الحديثة لا يمكن لها أن توقف التيار الجارف لحتمية الصراع والاستمرار والبقاء ودوافع الاحتلال والتوسع والسيطرة للقوى الكبرى.

مستقبل القوة ينتقل عبر طريقين، الأول من الغرب إلى الشرق، والثاني من الدولة إلى الجهات الفاعلة غير الرسمية. هذان ملمحان رئيسيان لانتقال القوة في القرن الـ 21. وستبدو الولايات المتحدة مسيطرة عسكريّاً لعقد أو اثنين، بينما يصبح العالم متعدد الأقطاب في مختلف مناحي الحياة، حيث توجد القوى الصينية والأمريكية والأوروبية وغيرها.

ثمة تحديات ضخمة تواجه العالم بفعل انتشار القوة في الجهات غير الرسمية مثل الإرهاب والمرتزقة والتغيرات المناخية والأوبئة وغيرها، والحل الأفضل هو تنظيم شبكات

للتعاون على مستوى العالم. وهذا يعني أنه علينا التفكير في القوة مع الآخرين وليس فقط عليهم. فالإشباع الحقيقي للأمم العظيمة لا ينبع من التغني بإنجازات على حساب الآخرين، وإنما يتحقق بالشروع في تخطيط مستقبل أفضل للبشرية. إننا ندعو قادة الدول التي يعتمد اقتصادها وفكر علمائها ومخترعيها ومفكريهاعلى صناعة السلاح والحروب وما يتسبب في القتل والفتك بالبشر واغتيال الكائنات الحية أن تتحول صناعاتها وعصب فكرها إلى اقتصاد المعرفة وخدمة الإنسان.

المائتا عام الماضية وما قبلها كانت البشرية فيها قليلة العدد نسبيّاً، فقيرة تعيش تحت رحمة قوى الطبيعة، بينما على مدى المائة عام القادمة ستكون البشرية كثيرة العدد غنية قادرة على التحكم في مختلف قوى الطبيعة، أي تصبح الأرض في طور الحضارة الكوكبية.

الفصل الأول

المجتمع الثالث وهيمنة العلم والتكنولوجيا

العالم حتى 2030

الكرة الأرضية كانت مجرد كوكب عادي، وفي الواقع لم تكن القرون الماضية جيدة جدًّا، وربما يمر الكوكب بأسوأ القرون اضطرابًا، ففي لحظة مفصلية ببدايات الواحد والعشرين جعلت مراجعة الأفكار في مثل هذه اللحظات ضرورية، ولكن بفاصل مائة سنة إلى الخلف، فيها الكثير من المتعة والإثارة والإفادة في المقارنة عن تصورات الناس وهم يودعون القرن التاسع عشر واستقبال العشرين.

وفي مطلع القرن العشرين راهن العلماء عليه باعتباره بداية عصر لتقدم لا نظير له، وبشّر المصلحون بظهور مجتمعات بدون طبقات، وذهب القيصر غليوم الثاني إلى اعتباره العصر الذهبي للشعب الألماني. المتفاءلون ذهبوا إلى حدوث كل هذا بشكل ثابت إلى الأحسن حتى تتحول الكرة الأرضية إلى جنة خضراء طيبة الثمرات باردة الشراب.

في عام 1894 عرض الكيميائي الفرنسي مارسيلين بيرثيلوت في محاضرة له عن أهمية الكيمياء عام 2000 صورة العالم على شكل خلاب بانتهاء عصر الزراعة التقليدي وتكوين الغذاء صناعيّاً والاستفادة من الطاقة من فرن باطن الأرض وتحرر الإنسان من الكفاح اليومي لتحصيل خبزه، وأما الحروب فستصبح موضة قديمة للذكرى لا يزيد.

وبعد خمس عشرة عاماً في عام 1899 توقعت داعية السلام النمساوية بيرتا فون سوتنر أن القرن العشرين لن يمضي إلى نهايته قبل أن يلقي المجتمع الإنساني من يده منجل الحرب وحصاد القتلى واعتبار مؤسسة الحرب غير شرعية. ولكن الكاتبة النمساوية ماتت في يونيو من عام 1914 قبل اندلاع الحرب الكوكبية الكبرى بخمس أسابيع فقط، وكان حجم الإجرام وكمية الدماء التي سالت الصورة المقلوبة للوقت الذهبي المبشر بالعقل والسلام الذي ساد الفترة ماقبل الحرب على النحو الذي عبر عنه الفيلسوف البريطاني (برتراند راسل) أن الحرب الكوكبية الأولى كانت زلزالاً للفكر السائد ولم تكن الحرب على البال والحسبان، خلافاً للحرب الثانية التي كانت متوقعة ونتيجة منطقية لمعاهدة فرساي.القرن العشرين كان متوقعاً له إذاً تدشين السلام وقهر الجوع ونشر المسرة في القلوب، فهل كان قرناً رحمانيّاً بحق أم قرناً دمويّاً؟

بقدر ما صاحب التفاؤل مطلع القرن العشرين بقدر ما كان دمويّاً، ففيه اشتعلت أعظم حربين شملت المعمورة كلها إلا قليلاً، وانتحر فيها في (مأساة) جماعية عشرات الملايين في رحلة مطبقة إلى الجنون الكامل.

وبقدر إغلاق ملف القرن العشرين بقدر تباين التوقعات للقرن الواحد والعشرين في موسيقى متنافرة وترنيمة نشاز؛ فالطيف ينزلق إلى حجم الكارثة البيئية أو يرتفع إلى جراحة الجينات والتحكم بمد عمر الإنسان بما يشتهيه المليونير العجوز.

مشكلة ثقب الأوزون من جهة ومشروع البنك الأمريكي الخلوي الذي يحافظ على الحياة في الخلية لفترة عشرة آلاف سنة يظهر التناقض في الوضع الإنساني، فبقدر زخم التدفق العلمي وانفجاريته وتسارعه، بقدر بروز وتضخم مشاكل تتطلب استنفاراً إنسانيّاً لحلها بعمل مشترك.

وإذا كان السرطان يقضي على صاحبه في النهاية؛ إذا لم يتدخل العلاج الثلاثي: الجراحي والكيمياوي والشعاعي أو حتى الجيني، فإن التخريب المستمر للبيئة من جهتين استنفاذ الموارد وجنون الاستهلاك سيعمل بنفس آلية السرطان؛ فيحدد شروط الحياة أو يقود العالم للمشكلات.

هل يعرض الانفجار السكاني وانتفاخ الكرة الأرضية بالبشر وصدمة المناخ كوكبنا للغرق والغوص في الفوضى والمجاعة ؟ أم أن أبحاث الجينات والزخم الإلكتروني سيحملان الأدوية الشافية والأغذية الوفيرة والنظام المحكم؟ هل سينتهي العالم على الشكل الذي توقعه السياسي الأمريكي (صامويل هنتنجتون في صدام مروع بين الحضارات؟ أم يتشكل العالم بنسيج إلكتروني موحد يحول الكرة الأرضية إلى قرية كبيرة موحدة يتصل البشر بعضهم ببعض بشكل سلمي ؟.

قبل 150 سنة حاول الفيلسوف الدنماركي سورين كيكيجارد تصور المستقبل فرأى أن المشكلة في رحم العلوم الطبيعية ولا مستقبل للأجيال القادمة ! والعصرنة والحداثة تحمل في أحشاءها الهول لا أكثر! وما سيحل بالجنس البشري هو من حجم كارثة لا يحيط التصور بحوافها!

أما الكاتب الفرنسي ي. م. سيوران المتوفي عام 1995 حاول أن يعدل من سوداوية الصورة ويرسمها في اتجاه آخر، أن التقدم الإنساني حاصل، ولكن بدون تحقيق تقدم فعلي، وكل خطوة ضئيلة في التقدم سنندم عليها فيما يقبل من أيام، وكل إنجازات الجنس البشري ستتوجه في النهاية ضدنا وإلى صدورنا!

يتشكل اليوم تيار قائم بذاته في تأسيس علوم للمستقبل (FUTUROLOGY) وعلى الرغم من اهتزاز تصور المستقبل وعدم يقينه؛ فإنه لم يفت في عضد الناس، وشكل لهم متعة خاصة بدءاً من عرافة دلفي في اليونان قديماً أو عرافو الجاهلية، على الشكل الذي نقلته لنا السيرة في قصة (شق وسطيح) فأما الأول فكان نصف إنسان بذراع وساق، وأما الثاني فلم يكن جسمه يحوي العظام هكذا تروي كتب التراث، وانتهاءاً بالمجموعات العلمية الجديدة.

علم المستقبل يحمل القدرة على التنبؤ، ومن مزايا العلم أو ما يجعلنا نسمي أمراً ما علماً خضوعه للتنبؤ؛ فهذان هما شرطا العلم على الأقل، والقرآن لم يدين العقل ولم يتهم العلم، ولكنه سحب الثقة من بعض الظن.

علم المستقبل إذاً ليس رجماً بالغيب؛ بل تحقيقاً للعلم، على شرط أن يمضي في تحقيق آلياته في قناة علمية علنية مكشوفة خاضعة لسنة الله في خلقه.

وموضوع دراسة المستقبل لم يعد نوادر للحكاية، بل تحول إلى دراسات ومعاهد ومعادلات رياضية وإحصائية؛ فمنذ مطلع التسعينات احتشدت مظاهرة ضخمة مرتين في ألمانيا مكونة من تسعمائة عالم وتقني في دراسات أطلق عليها دراسات دلفي تقليداً لمؤسسة دلفي للعرافة اليونانية قديماً، بالتعاون مع معهد فراون هوفر المختص بتقنية الأنظمة وأبحاث التجديد في مدينة كارلسروهه في الجنوب الألماني، تم درج مائة وثلاثون مشروعاً في ثماني حقول معرفية، حيث أظهر قسم تسجيل الأفكار تجميع لمادة علمية تقترب من أفلام الخيال العلمي فمن جعبة المستقبل سيظهر أشياء مثل:1. جهاز صغير يحمله كل واحد منا بحجم اليد هو جهاز يضم مجموعة من الأنظمة بنفس الوقت: تليفون دولي للكرة الأرضية يتكلم فيه المرء مع أطفاله وعائلته أينما كان..إلخ ونحن اليوم نراه.

2. مسابر موضوعة على الجلد تقيس بانتظام وبشكل ماسح دوري نظم القلب وطبيعة الدوران وإفراز السكر وحرقه وضغط الدم. كذلك النشاط الجنسي وقوته، ونشاط الغدة الدرقية..إلخ.

3. وجود أعضاء صناعية ليس من النوع الذي اعتدناه، بل مطور من خلال صناعة الجينات والاستنساخ، كأطراف تستجيب للنداء العصبي، وخرفان بدماء إنسانية ؛ فبعد النعجة دوللي جاءت النعجة الجديدة (بوللي) فالأخيرة أمكن استيلادها مع إدخال جينات بشرية إليها، بحيث يمكن مثلاً تصنيع الدم البشري فيها، الخروف خاروف حيواني، والدم دم إنساني، فكل خروف يذبح للأكل يؤخذ دمه لبنوك الدم ما يشبه شلالات دم متدفقة بغير نفاذ، أو قلوب بشرية من ثيران، أو صوانات آذان مستنبتة من ظهور جراذين، أو عروق دموية بكل المقاييس من الأبقار وهكذا، مصانع مرعبة حيوية لا حدود لمدها للمشافي وقاعات العمليات الجراحية.

4. الاعتماد على طاقة الشمس كطاقة نظيفة، أو إنشاء محطات تنظيف مثيرة باستخدام الهيدروجين لامتصاص غاز الفحم المنطلق إلى الغلاف الجوي، أو حتى ترقية ثقب الأوزون بإبرة واشعة كهربية وقماش من حقل كهرومغناطيسي.

كل هذا يمكنه في غمضة عين ان يعود بالحياة والحضارة 200 عام إلى الوراء وتقف كإنسان لم يتغير فيك شيء وكل ما حولك تغير، وان صح التعبير لم يعد محمود أبداً، فبسلاح سلاح من نوع غير مسبوق، لا يستهدف الأرواح وإنما الحضارة والكهرباء والتطور وكل ما عمل عليه علماء مئات السنين (القنبلة الكهرومغناطيسية) التي تجعل من الأسلحة النووية أسلحة تقليدية وهى الآن مصدر الخطر الأكبر للحضارة البشري.ففي أقل

من غمضة عين يمكن للقنبلة الكهرومغناطيسية أن تمحو كل شيء تكنولوجي وحضاري وإليكتروني يسقط كالطوبة. القنبلة الكهرومغناطيسية أو القنبلة الإليكترونية هى سلاح يهدف إلى تعطيل الأجهزة الإليكترونية من خلال النبضة المغناطيسية الكهربائية الكبرى (النبض الكهرومغناطيسي) التي يمكنها التداخل مع الأجهزة الكهربائية والإلكترونية ونظم تشغيلهم لإلحاق أضرار فيهم وإصابتهم بالتلف، بل وربما إعادة دولها إلى العصر الحجري، فعلى سبيل المثال إذا ما قامت كوريا الشمالية بتفجير قنبلة نووية صغيرة نسبيّاً (10 كيلو طن) بين 30 و300 ميل في الغلاف الجوي فيمكنها إرسال ما يكفي من القوة للإضرار بالإلكترونيات من الساحل إلى الساحل في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي فهى قادرة على شل الولايات المتحدة الأمريكية تماماً وبسرعة الضوء 299.00كيلو /ثانيه أي في أقل من غمضة عين قد تعود الولايات المتحدة الأمريكية إلى العصور الوسطى حضاريّاً. كل هذا وأكثر يشم منه المرء الرائحة، في تطوير جراحة الجينات، وعالم الاستنساخ، والزحف الإلكتروني، والنادي الديموقراطي في الإنترنت، وديكتاتورية الخبراء، وضمور الدولة القُطرية الى وظيفة موظف إداري تابع في المنطقة، وبروز شركات صغيرة جمة النشاط متقدة الفعالية مع الشركات العملاقة، إلى انقلاب نوعي في السياسة الدولية، وبروز الإنسان العالمي الثقافة مع بعض الثقافات المحلية الذي يتصل بالمعلومات، ويمكن أن تكون هذه وقائع فعلية في الثلاثة عقود من الألف الثالثة الميلادية. ونتيجة الطفرة في العالم أصبحت المعارف العلمية تتضاعف كل عشرة أعوام وتذهب أشد التقديرات تحفظاً إلى أن العلماء الذين يعيشون على الأرض يبلغون ثلاثة أرباع العلماء على مدى التاريخ الإنساني، وقد أصبح هذا جليّاً في المسافة الفاصلة بين نتائج البحوث واكتشاف تطبيقاتها العملية، وأصبح هناك ما يزيد على 30 مليون اختراع مسجلة، تزيد سنويّاً بمعدل مليون اختراع.

أما الذين يبتعدون عن الأديان السماوية والعلم - أصحاب دعاوى نهايات العالم والتاريخ - أذكرهم بأن ذئب وقع يوماً في مصيدة لأحد الصيادين فتألم للغاية، وحاول الفرار وتقطيع الحبال فأعيته، وبينما هو على هذه الحالة مر به ثعلب شارد، فنظر إليه وتأمله متعجباً من حالته السيئة وجروحه النازفة، فحدق فيه الذئب بنظرات ضارعة وعين حولاء ثم سأله: يقولون أن القيامة أصبحت قريبة فهل هذا الكلام صحيح؟ فرد الثعلب: لا أعرف شيئاً عن القيامة فهى مغيبة لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن الشيء الأكيد الذي أعرفه أن قيامتك اقتربت.

في هذه الأثناء لمح الثعلب الصياد يقترب بحذر حاملاً بندقية معمرة فصاح وقفز: أو ربما قيامتي معك فلأنجو بجلدي، وفر لا يلوي على شيء.

العالم من 2030 حتى 2050

يمكن القول أن مخاطر الحروب البيولوجية والكيميائية والنووية بدأت تتراجع لمصلحة حروب أخطر يتم الإعداد لها بسرية تامة داخل المصانع الحربية للدول الكبرى. إنها صدمة المستقبل التي تشكل مزيجاً من النانوتكنولوجي والأسلحة الليزيرية والفضائية والموجات الإشعاعية (تكنولوجيا القرن ال21) والإرهاب الحيوي حيث تطبيقات التكنولوجيا البيولوجية التي تنطوي على الكثير من الإيجابيات وكذلك السلبيات التي من أبرزها انتشار القرصنة البيولوجية. فالخبرة التقنية لا تضمن الاستخدام العقلاني للتكنولوجيا، فقد تتسبب هذه التهديدات في وقوع أخطاء حيوية bio-error أو الإرهاب الحيوي bio-terror، حيث إن البكتيريا المعدلة وراثيًّا أو الفيروسات الفتاكة قد تقع في أيدي الإرهابيين مما يتسبب في دمار شامل من الصعب تقدير مداه في الوقت الحالي. لذا لا بد أن يستعد العالم لهذه التطورات خلال العقود القادمة والتي قد تبدو مستبعدة في الوقت الحالي.

. ويمكن تحديد الملامح الكبرى للعالم خلال المدى الزمني القصير والمتوسط 2025 طبقًا لدراسة بريجنسكي في الآتي:

1. لن تكون الولايات المتحدة متمتعة بذات المكانة الدولية والتفرد بالزعامة خلال الفترة المشار لها نظرًا للتوزع الجيوسياسي الذي يصيب مؤشرات القوة المختلفة فإذا كان المدى الجغرافي للغرب قد تقلص (بفعل انكماش الظاهرة الاستعمارية) فإن تمدده الجيوسياسي والاقتصادي تواصل. وما يؤشر على توزع القوة هو تحويل مجموعة الثمانية إلى مجموعة العشرين أي أن المشاركين في صنع الاتجاهات الكبرى تزايدوا، وهو ما يجعل القدرة على الوصول لقرار دولي أكثر تعقيدًا. علاوة على أن إعادة توزيع القوة تسير بوتيرة أسرع مما عرفته النظم الدولية التاريخية. فخلال القرن الممتد من 1910-2010 تغير توزيع القوى خمس مرات، وسيؤدي ذلك إلى إعادة النظر في إجراءات التصويت في المنظمات الدولية مثل مجلس الأمن والبنك والصندوق الدوليين.

ودور الغرب (المكون من الولايات المتحدة وأوروبا) في النظام الدولي المفترض مرهون بسلوك الولايات المتحدة، لاسيما أنها تتمتع بقوة الجذب المعنوية والمادية.

2. إذا كانت الصين هي القوة الأكثر تسارعًا في الصعود فإنها لن تتمكن من تحمل أعباء القيادة قبل 2035 - بل ليست متعجله لهذا-، وهو ما يجعل بنية وتفاعلات النظام الدولي أقرب للنمط غير المستقر، ويعزز هذا بالتنافس في آسيا بين القوى المركزية وعلاقات العداء بينها (الهند والصين وباكستان) من ناحية و(اليابان والصين وكوريا) من ناحية أخرى، إضافة إلى عدم تماسك الاتحاد الأوروبي وتركه لأعباء الحفاظ على موقع

الغرب في النظام الدولي على كاهل الولايات المتحدة، لكني أري تحركه لأخذ دور بعيد عن الولايات المتحدة وسطوتها عليه.

3. لمواجهة كل ما سبق الولايات المتحدة ليس أمامها إلا أن تعمل على ترتيب أوضاعها الداخلية لتمكن من التفاعل الذكي مع التحديات الكثيرة وغير المسبوقة التي يشهدها المجتمع المحلي والدولي. ومن أهم التحديات التي تواجه الولايات المتحدة تتمثل في الديون (60% من الناتج المحلي)، والتفاوت الاجتماعي (1% يمتلكون 33,8% من الثروة القومية مقابل 50% من السكان يمتلكون 2,5% من الثروة القومية)، وفساد النزعة المادية، ونظام مالي قائم على المضاربة الجشعة، ونظام سياسي مستقطب، وجمهور أمريكي لا يعرف شيئًا عن العالم تقريباً (75% منهم لا يعرف مكان إيران على الخريطة)، وهو ما يسهّل للسياسيين التلاعب به كما حدث في فترة الرئيس بوش .

وفي المقابل عناصر قوة في أمريكا مثل قوة اقتصادية إجمالية، وطاقة إبداعية من مختلف دول العالم.

لكن التدخلات العسكرية الفجة بخاصة في العراق وأفغانستان ودعم داعش شوهة أمريكا، ناهيك عن فشلها في حل الصراع العربي-الإسرائيلي وتبنيها السياسات الإسرائيلية.

4. دور الجماهير وما تفعله وسائل الاتصال والمواصلات في الترابط بين الثقافات والأحداث يستوجب التنبه لتداعيات ذلك على المسرح الدولي. وهو ما جعل الوقائع وتداعياتها تأخذ طابع "قفز الضفادع" في انتقالها من مكان لآخر، ويكفي مراقبة تداعيات الثورات العربية وانتقالها من دولة لأخرى.

5. المنطقة الأكثر أهمية من الناحية الجيوسياسية خلال الفترة القادمة تتمحور حول أوراسيا.

6. انتهاء دور الحملات العسكرية المباشرة كنتيجة من نتائج الصحوة السياسية العالمية - دور الجماهير- التي جعلت التكلفة أكبر كثيرًا من المراحل السابقة.

7. الدول الصغرى تعاني من ضغوط القوى الإقليمية التي تجاورها مثل جورجيا (التي يزداد النهم الروسي نحوها في حالة تراجع الولايات المتحدة)، وأفغانستان التي يؤدي الانسحاب الأمريكي منها لتزايد احتمالات الحرب بين الهند وباكستان عليها، ذلك يعني أن النزاعات الإقليمية قد تشهد تزايدًا بخاصة في آسيا الشرقية والجنوبية.

8- وهناك مشكلة ما يسميه بريجنسكي المشاعات العالمية والتي قسمها إلى نمطين، هما:
الأول :المشاعات الاستراتيجية (البحار والفضاءات الإلكترونية والانتشار النووي.. إلخ).

الثاني :هو المشاعات البيئية (الموارد المائية والمناخ وتغيراته)، ويؤدي تراجع الولايات المتحدة إلى فتح المجال أمام صراعات بين الدول على هذه المشاعات.

والسيناريوهات الأكثر احتمالاً للمستقبل هى عدم استقرار العالم من نهاية 2010 إلى 2040,ثم تعود حدته من 2080 إلى بدايات القرن ال22. وتغير أوضاعه وموازين القوة فيه، لعدة أسباب سيكون على رأسها ظاهرة التغير المتصاعد فى المناخ المعروفة باسم "الإيكولوجية" والتى يجبر فيها الملايين من البشر مغادرة منازلهم بسبب ارتفاع مستوى سطح البحر والآثار البيئية الأخرى التى تترب عليها.

سيعانى من عدم استقرار جغرافى وسياسى يؤدى فى نهاية المطاف إلى تغير خريطة القوة فى العالم أجمع، متوقعة أن تصبح الصين أكبر اقتصاد فى العالم بدلاً من الولايات المتحدة، التى يزداد الفقر فيها و"نيجيريا" سوف تصبح قوة ,أما مصر وإيران فستستحوذان على منطقة الشرق الأوسط، حيث تصبح مصر قوى عظمى فى المنطقة إذا ما اعتمد اقتصادها على الزراعة والصناعة والتجارة والموانئ والمخازن البحرية والخدمات اللوجستية العالمية المختلفة, فى الوقت الذى يعانى فيه العالم من نقص الموارد فى الثروات الحيوانية بصفة خاصة.

الشركات العالمية سيكون مقرها فى عدد من الدول كمصر والمملكة العربية السعودية وإيران والجزائر وتونس والمغرب وتركيا، وستصدر الصين صواريخها إلى الولايات المتحدة وبقية دول العالم. وحتي عام 2040 إلى 2050 سيظهر جيل جديد من الناس متفوقين تكنولوجياً فى تلك الدول، ويمثلون مستقبل البشرية فى بقية القرن الحادى والعشرين.

وفى عام 2050 سيصل عدد سكان الأرض إلى 9 مليارات نسمة، 75٪ منهم يعيشون فى المدن، مقارنة ب50٪ من سكان العالم اليوم، وما يقارب 50٪ منهم يعيشون فى أفريقيا وهو ما يعنى أن جزءاً كبيراً من القوى العاملة فى العالم سوف يعيشون فى القارة السمراء . والفارق بين السكان في مختلف دول العالم سيكون أيضاً اجتماعياً، لأن العالم سوف يشهد عظمة فى الثورة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للسنوات القادمة، ولن تكون أكثر مساواة، حيث تتناقص فى الولايات المتحدة وتتوسع فى أماكن أخرى، وبلدان فقيرة فى أفريقيا وآسيا التى لا تزال فى المراحل الأولى من التطوير، وبالتالى تتغير خريطة الدخل فى تلك الدول فالأغنياء يدفعون ضرائب أعلى. سوف يكون للمرأة أغلبية كبيرة فى قوة العمل، وأنها تكون ممثلة بشكل اكبر فى مختلف المجالات خاصة السياسة.

تتمتع الصين بمكانة عالية كما كانت عليه فى القرن الـ19 ويزداد عدد الفقراء فى الولايات المتحدة، وتحصد الصين لقب الاقتصاد وأعظم قوة فى العالم، حيث تبلغ حصتها 20٪ من الناتج المحلى الإجمالى العالمى فى عام 2050، مقارنة مع 14٪ فى عام 2010، وحصة أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية من الناتج المحلى الإجمالى العالمى سوف

تنخفض من 40٪ فى عام 2010 إلى 20٪. وسوف تكون آسيا مسئولة عن نصف الناتج الاقتصادى العالمى.

وبما أن الولايات المتحدة تخشى الصين إلا أن هناك قارة كبيرة تحاول الدخول في منافسة الصين أيضاً وهى "افريقيا" خاصة مصر ونيجيريا اللتان قد تصبحا سوقاً متناميًا مع اقتصاد مزدهر ,وهذا بعد 2060الذي يمكن لمصر او نيجيريا أن تصبح إحداهما قوة عظمي والأخري قوة كبري, فى الوقت الذى تزدهر جلياً فيه اقتصاديات كبيرة فى الشرق العربي على رأسهم إيران والسعودية .أما اقتصاديات دول مثل الجزائر وفنزويلا وتركيا(إن لم تحدث مشكلات سياسية فيها) وإندونيسيا وبنجلاديش ستقفز لأكثر من 17 نقطة فى التصنيف العالمى للدول حسب حجم اقتصادها وسوف تنمو بسرعة كبيرة.

وفيما يتعلق بإسرائيل فوفقا للخبراء الاقتصاديين فى مجموعة HSBC العالمية فإن إسرائيل فى عام 2050 قد تكون فى الترتيب رقم 44 ضمن مجموعة أكبر اقتصاد فى العالم مقارنة بمركزها الـ 52. ولكني لا أعتقد ذلك لأن وجود دولة غير عربية في الإقليم- وبالتالي محتلة- لن تنعم بسلام. ويخطئ كثيراً كل من يظن أن معركة الدول العربية والإسلامية معركتهم وحدهم، ذلك أن الهدف الرئيسي هو السيطرة على العالم بأسره والتحكم بمصائر جميع شعوب العالم كبيرها وصغيرها.

العالم حتى بعد 2050

إذا ما أردنا فهم المفاجآت غير العادية، التي يخبئها المستقبل يتوجب علينا معرفة أساس ما كان منها في الماضى، ويساعد خاصة في الوعي بالإمكانيات الرائعة للتاريخ.فالنظام التجاري والمعلوماتي هو كلمة السر في صعود وانهيار الدول والممالك، وهو مرتبط أساساً بقيم الفردية والجماعية، وانتصار مفاهيم الحرية الإنسانية.

ويحدث تراكم لرأس المال في مدينة قلب تصبح مركزاً للرأسمالية، وتنظمها على أساس المنافسة، ووفقاً لقواعد الديمقراطية لذا هناك دوماً صلة بين السوق والديمقراطية والعنف، وحول هذا المركز «القلب» هناك وسط يتكون من المنافسين القدامى والجدد. وتشكل بقية العالم الطرف الخارجي المحكوم بالنظم الداخلية، والذي يبيع مواده الأولية، والأيدي العاملة للمركز القلب.

المدينة «القلب» هي من يتحكم إذن في معظم الأشياء تحديد السعر وتراكم الأرباح والتحكم في الأجور ونشر الجيش وتمويل المكتشفين والمخترعين وتطوير الفكر الذى يؤمن سلطتها، بالإضافة إلى السيطرة على الطاقة والاتصالات. والنموذج التجارى عَرف حتى اليوم تسعة أشكال من المدينة المركز أو القلب هى: بروج، البندقية، أنفرس، جنوى، أمستردام، لندن، بوسطن، نيويورك، لوس أنجلوس

ونتيجة لعدة تناقضات خطيرة كالطمع والديون وعدم المساواة والفجوات بين الأثرياء والفقراء وازدياد العنف..إلخ ستبزغ تقلبات جديدة جغرافية وسياسية واقتصادية وتكنولوجية وثقافية مع مركز قلب جديد ومهزومين جدد.

وبدلاً من المدن الأمريكية الرئيسية في العالم نرشح مدنًا أخرى في دول أخرى لتصير هى المدن المركزية، لندن أو طوكيو أو إحدى مدن الدول الإسكندنافية «ستوكهولم، هلسنكى، أوسلو»، شنغهاى، بومباى، أو دولة أستراليا، لكن انهيار المدينة المركز الحالية أو لوس انجلوس لن يحدث إلا بعد موجات ثلاث.

الموجة الأولى الإمبراطورية المفرطة: بعد الربع الثاني من القرن ال21، وتحت ضغط متطلبات السوق وبفضل وسائل تكنولوجية جديدة سوف يتحد العالم حول سوق بحجم الكوكب وبدون دول، وستبدأ الإمبراطورية الفائقة التي تفكك الخدمات العامة، والديمقراطية، ثم الدول، وحتى الأمم نفسها، لكن ستبقى أمريكا دولة كبرى، وستكون سلعها الاستهلاكية استمراراً موسعاً للسلع الجوالة، التي ميزت الشكل التاسع من المدينة «القلب» «الهاتف المحمول أبرز تجلياتها»، وستكون ثقافتها هجينة وقيمها فردية، وستخلق التنمية التجارية بحلول 2035 في كل مكان، حيث لا توجد به ديمقراطية ليبرالية، في دول الجنوب، طبقة متوسطة سوف تقضى على الديمقراطية، وتضع ديمقراطية برلمانية أو شعبية اجتماعية، وستعمم السوق ثم الديمقراطية على معظم

العالم بتدرج في فوضى أحادية الاتجاه. ستمس هذه الظاهرة مصر، وإندونيسيا، ونيجيريا، والكونغو، والصين، وإيران. إجراء انتخابات حرة لن يكفي لتشييد دائم لديمقراطيات السوق فلابد أن تكون هناك رغبة حقيقية من المواطنين في الحياة المشتركة.

تتعادل الديمقراطية والسوق، وينتظم النظام التجارى كتجمع لديمقراطيات السوق، ويصبح العالم متعدد المراكز مع قوة مهمة أو اثنتين في كل قارة، يصير هناك الأمم التسع الكبار: الولايات المتحدة والبرازيل والمكسيك والصين والهند ومصر وروسيا والاتحاد الأوروبي، وقد تنضم إلى هذه القائمة نيجيريا.

هذه الأمم التسع التي تصبح سيدة النظام متعدد المراكز تقيم حكومة غير رسمية للعالم، لكن لن يستمر هذا النظام طويلاً، ويحدث الصراع العنيف، وتنتصر السوق على الديمقراطية، وتزول السيادة عن دول المركز ذاتها.هذه الموجة التي تبلغ ذروتها نحو فترة 2050 وما تليها من خمس إلى عشر سنوات: اختراع أجهزة جوالة جديدة تدمج في الجسم، وتصبح وسيلة للتحكم والمراقبة، وتوضع أجهزة إلتقاط وتصوير مصغرة في كل الأماكن العامة والخاصة، وتقوم بمراقبة الذهاب والإياب، ومراقبة المسافرين والعاملين والمستهلكين، يعلم الكثيرين الكثير عن الأشياء وهو ما يؤدي إلى اختفاء أغلب الأسرار.

تضعف الدول، ويظهر في بعضها الحكم الديكتاتوري من جديد، وتصل الرأسمالية إلى منتهاها ويكون الاستهلاك الهدف الأعظم للبشرية وتكون صناعتا الترفيه والتأمين المسيطرتين على إدارة الوقت التجاري وتصبح السياسة عرضاً عفي عليه الزمان. لكن الفقر يستمر ويزداد البؤس. ونحو عام 2050 تكون الإمبراطورية الفائقة عالماً من عدم التوازن الشديد والتناقضات الكبيرة، وتنحسر قليلاً واقعة في شباكها الخاصة.

النزاع المتطرف هو الموجة الثانية من موجات المستقبلية : فالطموحات الإقليمية أول أسباب هذا النزاع: كل الدول تتملكها الرغبة في الوصول إلى نفس الثروات، وتتصادم هذه الطموحات فيما بينها وتنتشر أعمال القرصنة والجماعات المؤجرة، وترتفع انتقادات المتدينين ضد فسوق السوق وقيمها اللاأخلاقية، وقد تصبح الولايات المتحدة الأمريكية عُرضة للحكم الديني بعد2040، وتصبح الديمقراطية فيها مجرد واجهة، وتزداد من جهة أخرى الصراعات الدينية في العالم.

حروب الندرة المتعلقة بالمياه والبترول شكل آخر من أشكال النزاع المتطرف هى الحروب الحدودية من الشرق العربي إلى افريقيا، وتظهر كذلك حروب النفوذ وحروب بين قراصنة ومدنيين، ويحدث الصراع الفائق، حيث يصبح العالم ساحة صراع هائلة، لكن الخير، وسيرغب الجميع في السلام بشكل درامي كمأساوية تصور عن الصراعات والحروب. وفي عام 2050 يكون عالم الطيران قد حقق 16 مليار راكب للنقل الجوي ,وهو ما يسهم في انطلاق صناعة الطيران في تقصير الطرق الجوية، وخفض معدلات

استهلاك الوقود وخفض الانبعاثات الكربونية.وفي بداية النصف الثاني من القرن ثمة رغبة هائلة في الحياة ستولد من جديد، وتنبع حضارات جديدة قائمة على بقايا الأمم المستنزفة والإمبراطورية الفائقة، وسوف تستقر ديمقراطية عالمية تحد من سلطة السوق، تحاول كسب حروب أخرى أكثر إلحاحاً ضد جنون الإنسان، وضد الخلل المناخي وضد الأمراض القاتلة، واستغلال البؤس، وحينئذ ترتفع الموجة الثالثة للمستقبل، موجة الديمقراطية الفائقة أو الديمقراطية الاجتماعية. وهي الشكل الذي يخلص إليه القرن.

أقل القرون قتل وحروب

يعكس الرأي العام العالمي الشعور بتزايد الخطر في العالم، حيث كشفت إحدى الدراسات التي أجريت أن 60 % من الأمريكيين يرجحون وقوع حرب عالمية ثالثة، وكانت توقعات القرن الجديد قاتمة حتى قبل وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وما تلاها من أحداث دموية فقد أشار جيمس جي بلايت ووزير الدفاع الأمريكي الأسبق روبرت ماكنمارا أن عدد القتلى في الحروب قد يصل في المتوسط إلى 3 ملايين قتيل حول العالم سنوياً في القرن الحادي والعشرين.

ولكني أراه أمر مبالغ فيه بشكل كبير فحتى الآن لم نقترب من هذا الرقم في الواقع، فقد شهد العقد السابق عدداً أقل من قتلى الحروب من أي عقد آخر في القرن الماضي، بناء على بيانات جمعها باحث معهد السلام في أوسلو بيثاني لاسينا ونيلز بيتر جليديتش، حيث وصل متوسط عدد القتلى الناتج عن العنف المصاحب للحروب حول العالم في القرن الجديد إلى 55.000 في العام، أي أكثر من نصف العدد في التسعينيات (100.000 قتيل سنوياً)، وثلث عدد القتلى أثناء الحرب الباردة (180.000 سنوياً ما بين عامي 1950 إلى 1989)، وواحد على مائة من عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية. وإذا ما وضعنا في الإعتبار تزايد عدد السكان في العالم، والذي تضاعف أربع مرات تقريباً في القرن الماضي تكون نسبة انخفاض عدد القتلى أكثر حدة. وبعيدا عن كونها عصر فوضى القتل كانت الأعوام العشرين التالية لانتهاء الحرب الباردة فترة التقدم السريع نحو السلام.

انحسر الصراع المسلح إلى حد كبير بسبب تغير مفهوم الصراع المسلح من الأساس. فقد خفت الحروب التقليدية بين جيشين قوميين، لتنتهي بأبشع أنواع الدمار الشامل. ربما تكون حرب العصابات غير المتماثلة التي تدور حالياً صعبة وبغيضة، ولكنها لا تسفر عن شيء مثل حصار لينينجراد. لقد انتهت آخر حرب بين قوتين عظميين. وحتى الحروب الأهلية على الرغم من أنها شر مستمر فإنها أقل انتشاراً مما كانت في الماضي، حيث أنها انخفضت بمقدار الربع من عام 1990 إلى عام 2007.

إذا بدا العالم أكثر عنفاً مما كان عليه بالفعل، يرجع السبب إلى وجود مزيد من المعلومات عن الحروب – وليس مزيداً من الحروب في حد ذاتها. فقد أصبحت المعارك وجرائم الحروب التي كانت بعيدة في الماضي تعرض على شاشة التلفزيون والكمبيوتر وفي بعض الأحيان في وقتها الفعلي، وحولت كاميرات الهواتف الجوالة المواطنين إلى مراسلين في العديد من مناطق الحروب، كما تغيرت كذلك العادات المجتمعية المتعلقة بما يمكن فعله بهذه المعلومات. ويشير عالم النفس في جامعة هارفارد ستيفن بينكرالي انه بالتوازي مع انحسار السلوك العنيف تنحسر المواقف التي تتسامح مع العنف أو

تبجله، لذا نشاهد المجازر التي تحدث في الوقت الراهن – على الرغم من عدم شدتها وفقاً للمعايير التاريخية – على أنها إشارة إلى مدى تدني سلوكنا، وليس إلى رقي معاييرنا.

وإذا ما طرحنا تساؤلاً حول إذا ما كانت الولايات المتحدة تخوض حروباً تفوق أي وقت مضى، فإن الإجابة تكون بنعم ولا، فمن الواضح أن الولايات المتحدة تخوض حرباً منذ 9/11، مع استمرار الحرب في أفغانستان والتي تفوقت على حرب فيتنام في كونها أطول حرب في التاريخ الأمريكي وحربها الاستباقية في العراق التي أثبتت أنها أطول وأكثر دموية وتكلفة من أي توقعات' إضافة إلى تدخل الناتو في ليبيا وغارات الطائرات دون طيار في باكستان والصومال واليمن، ليس من الغريب أن حجم إنفاق الجيش الأمريكي ارتفع بنسبة تزيد على 80 % على مدار العقد الماضي، وبعد أن وصلت ميزانية العام الحالي إلى 675 مليار دولار، يزيد حجم الميزانية بنسبة 30 في المائة عما كانت عليه وقت نهاية الحرب الباردة.

والحروب في القرن ال21 أصغر نطاقاً وأقل تدميراً مقارنة بحروب القرنين الماضيين كمثال، فقد أسفرت عشرة أعوام من الحرب الأمريكية منذ عام 2001 عن مقتل 6.000 مجند أمريكي، مقارنة ب58.000 في فيتنام و300.000 في الحرب العالمية الثانية. من المؤكد أن كل خسارة في الأرواح في الحرب كبيرة، ولكن يجب النظر إليها في السياق.و في عام 2011 بلغ عدد الوفيات بين الأمريكيين بسبب السقوط من فوق الفراش عدد القتلى في الحروب الأمريكية مجتمعين.

من جانب آخر اندلعت الحرب في كل من العراق وأفغانستان على خلفية غلق القواعد وسحب القوات من جميع المناطق الأخرى في العالم، ويقابل الارتفاع المؤقت في أعداد القوات الأمريكية الموجودة في جنوب آسيا والشرق العربي من 18.000 إلى 212.000 منذ عام 2000 انسحابا دائما لنحو 40.000 جندي من أوروبا و34.000 من اليابان وكوريا الجنوبية و10.000 من أمريكا اللاتينية في الفترة ذاتها. وبعد عودت القوات الأمريكية من الحروب في العراق وافغانستان يكون عدد القوات الأمريكية المنتشرة حول العالم أقل من أي فترة مضت منذ الثلاثينيات. وكان الرئيس أوباما قال الحقيقة عندما أعلن أن مد الحرب بدأ في الانحسار. ولكني أري أن الأمريكان استبدلوا الحروب العسكرية أو المواجهة المباشرة بأنوع أخري كالوكالة والحرب المتماثلة..الخ.

وأثناء الحرب العالمية الثانية قصف الحلفاء مئات الآلاف من المدنيين في درسدن وطوكيو ليس على سبيل المصادفة ولكن في تكتيك حربي. وبالطبع قتلت ألمانيا مدنيين تقدر أعدادهم بالملايين. وعندما يتعرض المدنيون اليوم للضرر يهتم بشأنهم مزيد من البشر فعلى سبيل المثال ارتفع حجم الإنفاق على المساعدات الإنسانية التي تقدم للمشردين من 150 دولاراً للفرد في بداية التسعينيات إلى 300 دولار في عام 2006.

وزاد إجمالي المساعدات الإنسانية الدولية من ملياري دولار في 1990 إلى ستة مليارات دولار في 2000، و18 مليار دولار في 2008 (وفقاً لتصريحات الدول المانحة). بالنسبة لمن يوجدون في مرمى النيران أصبحت الحروب أكثر إنسانية مقارنة بالحروب في القرون السابقة.

ولكن تخبرنا المراجع الموثوقة حول الحفاظ على السلام في الحروب الأهلية (كتاب «في نهاية الحرب» لرونالد باريس، و«صناعة الحرب وإقامة السلام» لمايكل دويل ونيكولاس سامبانيس)، بالإضافة إلى التقارير المتميزة عن الصراع الصادرة عن البنك الدولي وبعثة كارنيجي لتجنب الصراعات المميتة، أن 90 % من القتلى في الحروب الحالية من المدنيين، بينما 10 % فقط من العسكريين، على عكس القرن الماضي.وهذا مؤشر قاتم على تحول الصراع المسلح في نهاية القرن العشرين على حد وصف عالم السياسة كاليفي هولستي.

إنه قاتم بالفعل، ولكنه لحسن الحظ ليس حقيقياً. بدأت الخرافة مع تقرير تنمية صادر عن الأمم المتحدة أساء قراءة العمل الذي قدمه الباحث السويدي كريستر ألستروم في عام 1991، وخلط دون قصد بين قتلى الحروب في مطلع القرن العشرين وعدد أكبر بكثير من القتلى والجرحى والمشردين في نهاية القرن العشرين. وتظهر دراسة أكثر دقة أجراها باحث السلام ويليام إيكارت في عام 1989 أن نسبة القتلى العسكريين مقارنة بنسبة القتلى المدنيين في الحروب ما زالت 50 : 50، كما كانت طوال قرون، مع أنها تختلف كثيراً من حرب إلى تلك التي تليها.

ولكن، هل ستزداد الحروب سوءاً في المستقبل؟ ربما لا فمن الممكن أن تقتل حرب شاملة بين باكستان والهند على سبيل المثال ملايين البشر، ولكن هذا ما يمكن أن يتسبب فيه سقوط كويكب – أو ربما على أهون تقدير – هبوب عواصف هائلة يتسبب بها تغير المناخ، ومع ذلك تشهد أغلب القوى الكبرى التي تدفع الحضارة صوب صراعات كارثية حالة انحسار.

من جانب آخر تجعل التغييرات التكنولوجية الحديثة الحروب أقل وحشية وليس أكثر، أصبحت الطائرات المسلحة دون طيار تهاجم أهدافاً كانت في الماضي تتطلب غزو من خلال آلاف القوات التي تحمل أسلحة ثقيلة يتشرد بسببها عدد هائل من المدنيين وتدمر الممتلكات في طريقها، كما أن تطور العلاج في ميدان المعركة جعل القتال أقل هلاكاً للمشاركين فيه.

وفي الجيش الأمريكي انخفضت فرص الوفاة نتيجة الإصابة في المعركة من 30 % في الحرب العالمية الثانية إلى 10 % في العراق وأفغانستان، على الرغم من أن هذا يعني

كذلك أن الولايات المتحدة تشهد حالياً نسبة كبيرة من المحاربين القدامى المصابين الذين يحتاجون إلى الدعم والرعاية.

كذلك لن تفرض علينا تحولات ميزان القوى العالمية مستقبلاً من الحروب الأبدية فزيادة تعدد الأقطاب في العالم أفضل ضمان للسلام من هيمنة قوة عظمى واحدة، هي تحديداً الولايات المتحدة. وتاريخ الجغرافيا السياسية الحديث يشير إلى أن القوة النسبية للولايات المتحدة والصراع العالمي خفتت على مدار العقد الثاني من القرن ال21 وبالمثل في العقد الأول من نفس القرن باستثناء العراق وأفغانستان وهما حربان غير متوازنتي الأطراف شنتهما قوة مهيمنة وليستا نتيجة لتحديات قوى جديدة صاعدة، وربما تكون أفضل سابقة للنظام العالمي الذي ينشأ حالياً هو اتفاقية أوروبا في القرن التاسع عشر، حيث تعاونت القوى العظمى على الحفاظ على السلام لمدة قرن كامل حتى تم انتهاكها وأريقت الدماء في الحرب العالمية الأولى.

هذا بالنسبة للولايات المتحدة فماذا عن الصين؟ التي تمثل أبرز قوة صاعدة في الفترة الراهنة ففي الواقع تُحدّث الصين قواتها المسلحة ووصلت إلى نسبة زيادة مكونة من رقمين في حجم إنفاقها العسكري الذي يفوق 100 مليار دولار في العام وبذلك تقع في المرتبة الثالثة ومقتربة من روسيا التي تأتي بعد الولايات المتحدة. وعلى الرغم من الفارق الكبير الذي يفصل بين روسيا والصين والولايات المتحدة، حيث تنفق وزارة الدفاع الأمريكية نحو 700 مليار دولار، تبتعد الصين وروسيا كثيراً عن القدرة على الوقوف على قدم المساواة مع الولايات المتحدة. وإذا رغبت في ذلك سوف يعرقل وقوع صراع عسكري (تحديداً مع أكبر مستهلك ومدين لها) من موقف الصين التجاري الدولي ويعرض رخاءها للخطر. ومنذ وفاة الرئيس ماو أصبحت الصين أكثر القوى العظمى سلاماً، وأمام المخاوف الأخيرة من وجود القوات البحرية الصينية القوية الجديدة في مياه دولية متنازع عليها، يجدر ذكر أن الجيش الصيني لم يطلق طلقة واحدة منذ 25 عاماً. ورغم ذلك إذا تفردت الصين بالعالم فلن تكون أقل من غيرها من الدول العظمى.

أخطر عشر مشكلات تواجه الأرض

قبل الدخول في أهم مشكلات القرن نستعير من الأنثروبولوجيا الإنقراضات التي طالت كوكبنا وسوف تطاله، وهى: الإنقراض الأول، الانقراض الأوردوفيشي حدث قبل ٤٥٠ مليون سنة تقريباً سببه تغيرات مناخية وتسبب في انقراض أكثر من ٦٠٪ من اللافقاريات البحرية. الإنقراض الثاني، الانقراض الديفوني المتأخر والذي حدث قبل ٣٥٠ مليون سنة تقريباً واستغرق حوالي ٢٥ مليون سنة ولهذا من غير الواضح ما هي أسبابه المباشرة. هذا الإنقراض اثر على الحياة البحرية بشكل خاص وسبب انقراض ٧٥٪ من الأنواع. الإنقراض الثالث، انقراض العصر البرمي الترياسي والذي حدث قبل ٢٥٠ مليون سنة ويعتبر أكبر حدث انقراض شهدته الحياة على كوكب الأرض إذ أنه تسبب في انقراض ٩٥٪ من الحياة البحرية وحوالي ٧٠٪ من الحياة الفقارية على اليابسة و٧٥٪ من الحشرات. الإنقراض الرابع، انقراض الترياسي-الجوراسي والذي حدث قبل ٢٠٠ مليون سنة تقريباً وتسبب في اختفاء ٢٠٪ من الكائنات البحرية والكثير الزواحف. الإنقراض الخامسن انقراض العصر الطباشيري-الثلاثي أو ما يعرف بحدث انقراض الديناصورات والذي حدث قبل ٦٥ مليون سنة تقريباً. وتسبب في انقراض أكثر من ٨٠٪ من الحياة على كوكب الأرض ونجى منه فقط بعض أنواع الطيور والثدييات الصغيرة. الإنقراض السادس، انقراض الهولوسين أو ما يسمى بالانقراض السادس وهو يحدث الآن بسبب التغيرات المناخية الناتجة عن النشاط البشري والطبيعي. تقدر نسبة الإنقراض ب١٧٥ ألف نوع حيوي في السنة وتشير التقديرات إلى انقراض حوالي ٢٠٪ من جميع الأحياء في حلول عام ٢٠٢٢، فالفيل معرض للانقراض في حلول عام ٢٠٢٠، والأسد الأفريقي معرض للانقراض في عام ٢٠٥٠ز ولكن يتم العمل الآن على ايجاد حلول لتأجيل هذا الإنقراض مثل مشاريع التقاط الكربون من الغلاف الجوي وتطوير وسائل طاقة متجددة وانشاء محميات طبيعية. وإذاء ذلك هل نسبة إدعائنا بأننا نمتلك مكانة امتيازية على الكوكب وأن الكائنات الحية الآخرى خُلقت لأجلنا وأن الطبيعة مسخرة لخدمتنا، ألا يعد هذا من أهم عوامل الجهل التي تسرع في وتيرة هذا الإنقراض ؟.

أما أهم عشر مشكلات يمكن ان تؤدي أو تساهم في تقليل أو انقراض البشر، فهى:

10- النمو السكاني المفرط: الاكتظاظ السكاني يلعب دوراً هاماً في تحديد الحالة الصحية لكوكبنا. ويعتقد بعض العلماء أن أغلب المشاكل التي يعاني منها البشر بسبب الاكتظاظ السكاني.

وقد تضاعف عدد سكان الأرض ثلاث مرات في آخر 60 سنة، فعدد السكان في 1950 كان يبلغ حوالي 2 بليون ونصف. والعلماء يعتقدون أنه بحلول 2030 سيتم بلوغ 9 بليون شخص أي في ال17 سنة القادمة الاكتظاظ السكاني سيؤثر بشكل قوي على

الموراد الطبيعية والتنوع البيولوجي ويزيد الصحة العامة تدهوراً، وحتي 2015 يتم استهلاك الموارد بنسبة 50% أعلى من المعدلات الطبيعية للإستهلاك. ويقول جيم ليب المدير العام لفريق WWF المهتم بالأبحاث الخاصة بالبيئة : نحن نعيش كما لو أن لدينا كوكب آخر في حوذتنا.. استهلاكنا للموارد الطبيعية يفوق نسب المعدلات الطبيعية للاستهلاك ب50% ، وهذا الرقم ينمو بسرعة، وبهذه الطريقة بحلول عام 2030 لن يكفي حاجتنا حتى كوكبين آخرين . حتى إنه انتقلت بعض الحركات تحت مسمي انقراض الجنس البشري الطوعي التي تنادي بإدخال جنسنا تدريجياً إلى الركاد عن طريق الرفض الجماعي للتناسل. طبعاً بغض النظر عن كون الفكرة جنونية، فبعض الحركات الأخرى على الأقل تدعو إلى إنجاب طفل واحد لكل أم، أو البحث عن كواكب آخرى للاستيطان به !

والمدهش في الأمر أن الوقت الذي مر على كتابة هذه السطور ولد فيه تقريباً 1,000 طفل ! بمعدل 3 أطفال لكل حرف كتبته! يمكنك الاطلاع على عداد " Real Time " لعدد السكان في العالم.

والسكان يتكثرون بسرعة منذ مطلع الثورة الصناعية وحتي اليوم، ومعدلات الأسيّة تضاعفت في أقل من 35 سنة. وواضح أن هذا يرتفع بحدة وأن مسار التاريخ مآله قد يفضي إلى انفجار سكاني إن لم نتحرك. وللحقيقة لا نستطيع أن نغفل التقدم العلمي والتكنولوجي فهناك استصلاح وزراعة وسكني الصحاري التي تمثل أغلب مساحة اليابسة والبناء على سطح الماء والتي قد تكون أقل كلفة من نظيرتها على اليابسة، بالإضافة إلى الهجرة للفضاء مع نهايات القرن والربع الثاني من القرن ال22، والتحول الديموغرافي والكوارث الطبيعية والحروب والصراعات.

إذاً بلوغ معدل مستوى الإنجاب في عام ٢٠١٠ معدل مستوى مجرد فإذا استبدل بالوفيات فسيستقر عدد سكان العالم عند حوالي ٧,٧ بليون في عام ٢٠٦٠.وإذا بلغ هذا المعدل في عام ٢٠٥٣ فإن عدد سكان العالم سيستقرعند حوالي ٢,١٠ بليون عام ٢٠٩٥. أما إذا لم يتم ذلك إلا في عام ٢٠٦٥ فمن الممكن أن يبلغ عدد سكان العالم في عام ٢١٠٠ حوالي ١٤,٢ بليون، في حين يصبح عدد السكان عام 2050 حوالي 10 مليار نسمة.

وعلي جانب آخر فان الزيادة السكانية ستكون خير على حضارات ودول، كما يمكن استخدام الزيادة في الهجرات بين الدول من الجنوب للشمال أو من الشرق للغرب، خاصة أن الدول النامية ستكون الأوفر في النمو. نحن مدينون لشعوب الشرق العربي التي تقدم لنا الطبيعة والطاقة النظيفة والأحفورية. كما أن السياحة ستواصل تزايدها لتصل إلى ما بين معدل10% إلى 25% سنوياً.

9- الانقراض: لقد قل احترام الإنسان مؤخراً للطبيعة بمخلوقاتها المختلفة، فظل اهتمامه الأكبر بالتكنولوجيا والتقدم، على حساب الطبيعة، قد ينكر البعض أهمية مشكلة مثل الانقراض بمختلف أنواعه ولكل الفصائل في الآونة الأخيرة ارتفعت نسب الانقراض في الحيوانات والنباتات على التوازي.

ولعل أغلب الأسباب في هذه المشكلة هي ظاهرة الاحتباس الحراري وما يعقبها من تغيرات مناخية مفاجئة وإحترار عالمي مما يؤدي ببعض الفصائل التي أصبحت نادرة إلى الهاوية. وبالعقل المادي المجرد زيادة معدلات الانقراض تتسبب في اختلال التوازن الطبيعي مما يؤثر سوءاً على حياة الإنسان.

8- الثروة السمكية والإفراط في صيد الأسماك: لن يكون هناك سمك في المحيطات بعد 50 سنة (مبالغة بالطبع)! كان هذا عنوان إحدى عناوين الدراسات البيئية المرتبطة بالثروة السمكية. يعتبر اللون الأزرق – المحيطات – هو المصدر الأكبر للطعام في العالم، فالأسماك هي مصدر البروتين الأساسي يومياً لأكثر من 1.2 بليون شخص، ويحذر العلماء من إنهيار قادم للثروة السمكية في أقل من 50 سنة. وكل هذا بسبب الإفراط في الصيد، فسفن الصيد تنشر سنوياً حوالي 1.4 بليون صنارة صيد وبعض السفن الكبيرة تصطاد بشباك يمكن أن تفتح لتصبح بحجم 4 ملاعب كرة قدم، التي قد تستوعب 13 طائرة ضخمة! هذه الشباك يمكنها استيعاب 500 طن من الأسماك، وبين هذه الشباك يمكن اصطياد مخلوقات بحرية ضخمة بكميات كثيرة.

وعادةً في سفن صيد الجمبري تلقى من 80% إلى 90% من المخلوقات البحرية الضخمة الميتة في البحر مرة أخرى! يقدر بأنه لكل كيلو جرام من الجمبري يتم إلقاء 9 كيلو من المخلوقات البحرية الضخمة الأخرى! تأمل في كل سمكة أو أكلة بحرية تأكلها.

7- إزالة الغابات : القضاء على رئتي الكوكب الأزرق!

إزالة الغابات هي عملية تدمير للغابات بهدف استخدام الأرض لأغراض أخري مثل البناء عليها. تم فقد حوالي 18 مليون فدان من الغابات في 2012 حسب تقدير منظمة الأغذية والزراعة، حوالي نصف الغابات الاستوائية تم إزالتها، الغابات فقدت حوالي 12% إلى 17% من مساهمتها في تخفيض انبعاثات الغازات الحرارية المسببة للاحترار العالمي – الاحتباس الحراري –! الغابات تلعب دوراً هاماً في الحفاظ على كوكب الأرض من خطر الاحتباس الحراري العالمي وفي المساهمة في دورة الماء، فهي تمتص الغازات الحرارية وانبعاثات الكربون وتقوم بإنتاج الأوكسيجين وبخار الماء ! 70% من الحيوانات والنباتات تعيش في الغابات، وطبعاً إزالة الغابات ازالة لمدنهم، ومصدر الأمان لهم من الانبعاثات الضارة الناتجة من شره الإنسان للوصول لمراده على حساب الطبيعة ! والتي ستؤثر في التنوع البيولوجي والتوازن البيئي الذي سيضر الإنسان بالطبع.

الغابات الجيدة، تمتص أكسيد الكربون والغازات الحرارية المتهمة الأولى في ظاهرة الاحتباس الحراري العالمي ومشكلة التقلب المناخي، بدون الأشجار سيزيد الأمر سوءاً ويصبح من الصعب جداً التحكم في مستويات الكربون والغازات الحرارية في غلاف الجوي! والأمر أسوأ من ذلك فالأشجار تكون مصدراً للكربون عندما تزال أو تحرق، حيث أن الغابات الاستوائية تحتوي أكثر من 220 جيجاطن من الكربون — والجيجا طن يساوي حوالي 1,000,000,000,000 كيلوجرام — وإزالة الغابات تمثل تقريباً 15% من انبعاثات الغازات الحرارية بحسب تقدير WWF كما أن الغابات تلعب دوراً مهم بالنسبة لدورة الماء، فهي تقوم بإطلاقه كبخار ماء، وبدون الغابات سيكون المناخ أكثر جفافاً. أيضاً الغابات تساهم في منع تآكل التربة، فهي تبقيها محمية ومتماسكة، أما بدون الغابات فالتربة معرضة بشكل أكبر للشمس وللتآكل، الذي يؤدي لجفاف الأرض وتآكلها ومن ثم مشاكل مثل الفيضانات أو التصحر، أيضاً يمكن إفساد الموارد المائية بوصول الطمي لها، مما سيؤثر على الصحة العامة بالتأكيد!

6- إدارة المخلفات والنفايات: بسبب الاستهلاك الجماهيري المفرط للمنتجات — الإسراف في الاستهلاك —، والاستخدام الخاطئ أحياناً لها، أصبحنا نملك أضخم قدر ممكن من القمامة والمخلفات، أعتقد أنه في مسابقة أنظف كوكب، لن نتأهل حتى للمسابقة، مكبات القمامة تتوسع وتنمو بسرعة مما يتسبب في تفاقم الأمور وتكتل المشاكل، وهذا بالتأكيد يسبب التدهور الصحي العام للبشر وللكوكب! فسوء تنظيم وإدارة وتدوير المخلفات والقمامة تتسبب في تلوث الماء والهواء بشكل أسوأ وأسوأ.. ويشترك البشر أيضاً بالإسراف في الاستهلاك مما يزيد نسبة القمامة في العالم.. أعتقد أن هذه قد تكون مشكلة غير خطرة حالياً، لكن بالتأكيد إن لم نهتم بها ونعالجها فستتراكم الأمور وسيصبح من الصعب معالجتها، لذلك علينا أن نتعلم كيف نوفر في الاستهلاك، ونستهلك ما نحتاجه فعلاً ونترك ما لا نحتاجه، وبالتأكيد كيف نتخلص من مخلفاتنا بالطريقة السليمة الصديقة بالبيئة التي لا تضرنا في المستقبل..

5- الحروب: أعتقد أنه من أخطر المشاكل التي تواجه البشرية هي البشرية نفسها ! نعم، فنحن نحارب بعضنا البعض — غالباً — لأسباب تافهة، عندما أنظر في أسباب الحروب فالأغلب سبب من 3، إما للموارد — الجشع —، وإما للاحتلال — الطمع —، وإما للانتقام — لعب عيال —.. ! إن الحروب هي من أكثر الأشياء استنزافاً للموارد البشرية والطبيعية، هناك ضحايا كثيرين في حروب إما مسلوبين الإرادة أو لأسباب الجشع والطمع، الفروق التي نحاول أن نخلقها لنفرق بها بين أنفسنا هي التي جعلتنا نخرج من إطار راية البشرية التي تجمعنا إلى رايات أخرى بمسميات وهمية مختلفة ! أعتقد أيضاً أننا نظلم الطبيعة، فما ذنب الطبيعة والمخلوقات الأخرى لكي تدفع ثمن خلافاتنا وكرهنا لبعضنا؟! وما

ذنب البشر الأبرياء الذي راحوا ضحايا خلافات تافهة ؟!! والحروب تتسبب في أضرار بيئية مثل إزالة الغابات وتدمير المواطن مما يؤدي إلى انقراض بعض الفصائل وتآكل التربة وتلوث الماء والهواء، غير استخدام الأسلحة الكيميائية والنووية التي تسبب في مشاكل بيئية وبشرية لا حصل لها وتهدد وجودنا جميعاً!

4- التلوث: أعتقد أن مشكلة التلوث من أكثر المشاكل التي تظهر الشيزوفرنيا بداخلنا! فنسمع عنها في المدارس والجامعات، ونقرأ عنها في الصحف والإنترنت، ونعلم خطورتها ومع ذلك لا نلقى لها بالاً ! بل ونكمل في مسيرة إفساد الأرض بتلويثها..! والتلوث أنواع، فهناك – كما درسنا في المدارس – تلوث سمعي، بصري، إشعاعي، مائي، هوائي. إن التلوث يتأثر بعاداتنا وثقافتنا، وطريقة تخلصنا من مخلفاتنا، ويؤثر في نظامنا الآيكولوجي – البيئي – والتوازن الطبيعي والصحة العامة لنا. والتلوث الهوائي هو أخطر أنواع التلوث تقريباً، وهو أكثرها، فحياتنا المدنية مبنية ومشيدة على حرق وقود أحفوري في التنقل والصناعة، وإطلاق مواد كيميائية ضارة بالبيئة بكميات ضخمة جداً، تسبب في التلوث الهوائي والاحتباس الحراري، عوادم السيارات والمصانع وغيرها التي تعمل بحرق الوقود الأحفوري مثل الفحم والغاز الطبيعي والبترول تنتج غازات ضارة مثل أكاسيد النيتروجين والكبريت والكربون المتسببة في الإحتباس الحراري والأمطار الحمضية وتلويث الهواء مما يسبب ارتفاع نسب الإصابة بأمراض مثل الربو والسرطان. وتلوث الماء أيضاً الناتج عن إلقاء المخلفات الصلبة والعضوية فيها أو تسرب البترول لها أو مخلفات السفن والمصانع ومخلفات الصرف الصحي والإستخدام الخاطئ للمصادر المائية المختلفة، مما يجعلها من أخطر الأمور على الإطلاق. والهواء الملوث قد يسبب أمراض كثيرة للبشر مثل الربو،و السرطان الرئوي، آلام الصدر والاحتقان، وما يدعوني أن أنظر له هو الطاقة الذكية-الخضراء- لكل مدينة ولو حتى كانت صغيرة وهو ما يوفر طاقة للمدن الكبري ويجعلها تقوم ببيع الفائض لها. وهذا وفق أهمية تنوع مصادرالطاقة وليس من الشمس والرياح والمد والجزر والنباتات العضوية فقط،في عالم ملئ بالمخاطر والصراعات. وما يدعوني للإشادة أن ثلاث شركات تستحوذ على 13 مليار يورو من عائدات الطاقة المتجدد التي تبلغ 40 مليار يورو عام 2010.ليس من المتوقع زيادة طاقة الكهرباء الولدة من المياه خاصة في أوروبا-باستثناء إفريقيا- فجميع دولها استنفذت هذه المصادر البالغة 6% من الطاقة النظيفة في العالم.

3- الماء والإنتاج الزراعي: صدق أو لا تصدق، هذا إنسان تجرد من كل ما يمس إنسانيته بصلة، لكي يعيش لقد سمى كوكب الأرض بالكوكب الأزرق، لأن أكثر من 70% من سطح الكوكب مغطى بالماء بجميع أشكاله لكن مع ذلك يقول العلماء بأنه لا يوجد غير 1% أو أقل من الماء صالح للشرب والاستخدام الآدمي فقط، والباقي متاح للسمك " ليس كله

نظراً لتلوثه " الماء له أهمية قصوى بالنسبة لنا، فأول ما ننظر له عندما نفكر في استيطان كوكب آخر أو القمر مثلاً، نبحث عن الماء فيه، فالماء يعني الحياة، وبدون الماء تفنى الحياة هل تعلم أنه يومياً يموت أكثر من 25,000 ألف إنسان بسبب الأمراض المتعلقة بتلوث الماء "1991"، يموت يومياً حوالي 1,000 طفل "2008" قد تكون مصادر المياه محدودة نظراً لأسباب كثيرة طبيعية وبشرية، فمشكلة مثل الاكتظاظ السكاني والنمو المفرط للسكان الذي تكلمنا عنها بالتأكيد هي عامل في وجود مشكلة محدودية المياه وعدم توفر مصادرها للإستخدام البشري ولكن مع ذلك تتبع الكتل البشرية المتمثلة في أفراد، ومؤسسات عادات خاطئة وكما نعلم فالنظام الإيكولوجي – البيئي – مرتبط ومتشابك، فأي خلل يؤدي إلى مشاكل وأعراض جانبية أخرى، لذلك تلوث الهواء والتربة والاحتباس الحراري واستهلاك الوقود الأحفوري كلها تعمل على تلوث المصادر المائية المختلفة

2- الطاقة: لقد تحول مجتمعنا مؤخراً إلى مدمن للمنتجات الأحفورية – النفطية – كالبترول والغاز الطبيعي والفحم، وزادت شراهتنا جداً فوصلت إلى حد الحروب والنزاعات من أجل الحصول على الوقود الأحفوري، خاصة وأن العالم فيه حتى 2014 حوالي 43 ألف بئر مع أن العالم كله يعلم مدي خطورة الاعتماد على الوقود الأحفوري بشكل أساسي، فيعتقد العلماء على أن طريقة إنتاجنا واستهلاكنا الخاطئ للطاقة هو السبب وراء باقي المشاكل التي نعاني منها والتي تهدد كوكبنا وحياتنا إن عوادم توليد الطاقة – كهربائية أو حركية في النقل – من الوقود الأحفوري يكون أكاسيد النيتروجين والكربون وغيرها من المواد المتسببة بظاهرة الاحتباس الحراري، وبالتالي مشكلة التقلب المناخي وارتفاع مستوى الماء والاحترار العالمي وقلة التنوع البيولوجي الناتج عن انقراض الفصائل والتلوث في الهواء والماء والتربة وتدهور الصحة العامة على الرغم من هذه الكلمات التي باتت حقيقة واقعية نعاني منها، إلا أن معدل استهلاك – الانجذاب إلى – الوقود الأحفوري تزيد بنسبة 3% سنوياً أيضاً يعتبر الوقود الأحفوري مصدر ومورد غير متجدد للطاقة، فهو سينضب بحلول عام 2050 كما يتوقع العلماء أي ستنتهي القضية بعد 38 عاماً، لكن هل سنتحمل وسيتحمل الكوكب معنا هذه ال38 سنة القادمة من التلوث والحروب والإدمان ؟

وبحلول عام ٢٠٣٠ سيكون على مستقبل يستهلك فيه ٣٥ تيراواط إنتاج كمية من النفط تزيد ١,٦مرة ،وكمية من الغاز الطبيعي تزيد ٣,٤ مرة، وكمية من الفحم تزيد حوالي ٥ مرات على ما أنتج في عام ١٩٨٠. وتعني هذه الزيادة في استهلاك الوقود المستخرج من الحفريات تشغيل معادل جديد لخط أنابيب ألاسكا كل عام إلى عام .وستتعين زيادة الطاقة النووية ٣٠ مرة على مستويات ١٩٨٠ ما يعادل إنشاء محطة طاقة نووية جديدة

تولد جيجاواط من الكهرباء كل يوم إلى أربعة أيام-وهذا المخطط الذي يدور حول ٣٥ تيراواط لا يزال أقل كثيرا عن استهلاك ٥٥ تيراواط في مستقبل يفترض أن مستويات الحاضر لاستهلاك الفرد الواحد من الطاقة في البلدان الصناعية ستتحقق في جميع البلدان.

ويحتاج العالم ١١,٢ تيراواط بحلول عام ٢٠٢٠ بينما يحتاج ٥,٢ بحلول عام ٢٠٣٠. وتتسبب المخططات العليا ٨١,٨ تيراواط بحلول ٢٠٢٥ و٢٤,٧ تيراواط بحلول ٢٠٢٠ و٣٥,٢ بحلول ٢٠٣٠. وتفاقم معضلات تلوث البيئة عرفناها منذ الحرب العالمية الثانية. وظهرت بعض المصادر النظيفة للطاقة والمتجددة التي انجذبت إليها بعض الدول المتقدمة والنامية بهدف ترك الوقود الأحفوري والتوجه للوقود المتجدد المتمثل في صور كثيرة مثل الطاقة الشمسية، وطاقة الرياح، والطاقة المائية، وطاقة المد والجزر، والطاقة الحرارية الأرضية Geothermal وغيرها الكثير من مظاهر الطاقة الدائمة والنظيفة التي تنتج الكهرباء بدون إزعاج وبدون تلوث ولكن في الوقت الراهن تعاني أغلب هذه الموارد من مشاكل فنية هندسية تجعل كفاءتها قليلة وسعرها عالي ويعتبرها البعض فاشلة، لكن العديد من الأوراق البحثية والبحوث العلمية تنشر يومياً لحل هذه المشاكل ومؤكد أنها ستكون مناسبة وذات كفاءة عالية وبأسعار معقولة قريباً يجب علينا أن نتعلم كيف نكتفي ونستغل ما تمدنا الطبيعة به بدون الإضرار بها، وهذا ليس اختيارياً فهو قرار مصيري وإجباري علينا أن نقبل به، أن نتحول للمصادر النظيفة والمتجددة وأن نتعلم كيف نقلع عن الوقود الأحفوري، وإلا سنشهد كوكبنا – بما يحتويه – ينهار ويُدمر.

1- ظاهرة الاحتباس الحراري والتقلب المناخي: يُتهم سكان كوكب الأرض بقضايا عديدة أخطرها قضية الاستهلاك والإنتاج الغير قانوني لموارد الطاقة الضارة بالبيئة والكوكب، فشركاء الجريمة هم الغازات الحرارية المتسببة بظاهرة الاحتباس الحراري التي تسبب مشكلة التقلب المناخي لقد زادت درجة حرارة كوكب الأرض حوالي 1.5 درجة فهرنهايت، ويُتوقع في الـ 100 سنة القادمة ازدياد درجة حرارة الكوكب من 2 إلى 1.5 درجة فهرنايت والتغيير البسيط والقليل في درجة الحرارة والمناخ، يؤثر بشكل كبير في النظام الآيكولوجي وفي الكوكب ويسبب مشاكل كارثية مثل التي تحدثنا عنها.. ترتفع درجة حرارة الأرض ويصحبها ارتفاع درجات حرارة الماء وزيادة حمضيتها، ذوبان الجليد، ارتفاع مستوى الماء، حدوث الأعاصير والدوامات البحرية والهوائية الكثيرة والقوية وانقراض الحيوانات والنباتات ستؤثر هذه المشكلة في حياتنا كثيراً وأكثر مما يعتقد ويُخيل للبعض، فستغير في نوعية الطعام الذي نأكله، فستنمو محاصيل وأنواع من النبات بنسبة كبيرة وستضمر نباتات أخرى، ستؤثر على أسعار الأطعمة وبالتالي زيادة الأسعار بشكل عام، تعدد المشاكل الصحية، إذن هذه المشكلة ترتبط بشدة بباقي

المشاكل تتأثر بهم وتؤثر فيهم.. ومن أخطرها على الإطلاق هذه خريطة تفاعلية مقدمة من ناشيونال جيوغرافيك لآثار الكربون عالمياً من هنا وهذه آلة حاسبة رائعة تمكنك من حساب كم الانبعاثات الكربونية وغازات الاحتباس الحراري منك ومن عائلتك من هنا معلومات قيمة عن الاحتباس الحراري وأسبابه والتقلب المناخي.

التوترات الديموغرافية

على مدار الفترة من 2020 الى 3000سصبح سكان العالم أكثر عدداً وأكثر تقدماً في العمر. وفي غضون الثلاثين عام، سيزداد سكان الكرة الأرضية بنحو ملياري نسمة، منهم ثلاثة أرباع مليار نسمة يتجاوزون الخامسة والستين . ويمكن أن يخلق ذلك مشكلات على جانبي الطيف الديموغرافي – في البلدان الشابة والبلدان الشائخة. وبعد عام2020 ، ولأول مرة على الإطلاق، سيكون عدد كبار السن الذين يتجاوزون الخامسة والستين أكبر من عدد الأطفال دون الخامسة. وسوف يتغير التوزيع الجغرافي أيضا – فالسكان صغار السن في مناطق مثل إفريقيا وجنوب آسيا سيشهدون زيادة حادة، بينما ترتفع الأعمار ويتقلص عدد السكان في أوروبا والصين واليابان .وفي احد العقود التالية لعام 2040، نتوقع أن تتفوق الهند على الصين وتتفوق نيجيريا على الولايات المتحدة من حيث تعداد السكان . وسوف تبدأ الشيخوخة العمرية في كل من الصين والهند فيما بعد 2030 بشكل ملحوظ.

وتشهد البلدان الشابة من الآن" تضخما في أعداد الشباب"، حيث نجد ما يقرب من ثلاثة مليارات نسمة – أي نصف سكان العالم – دون الخامسة والعشرين. ويمكن أن يتحول ذلك إلى نعمة أو نقمة، كسب ديموغرافي أو قنبلة موقوتة ديموغرافية.

فلا شك أن السكان الشباب أر خصبة للابتكار والديناميكية والإبداع . لكن كل شيء سيعتمد على توليد وظائف كافية لتلبية تطلعات الجيل الصاعد.

ويدعو هذا إلى تركيز موحد على تحسين التعليم – وخاصة آثار التغير التكنولوجي على توظيف العمالة، والتي يمكن أن تكون آثار هائلة . وبالنظر إلى التقدم، نجد أن عوامل مثل ثورة الإنترنت، وظهور الآلات الذكية، وتزايد المكون عالي

التقنية في المنتجات، كلها سيترك انعكاسات ضخمة على الوظائف وعلى كيفية أدائنا للأعمال. لكن الحكومات لم تبدأ التفكير في هذه المسألة على نحو استراتيجي أو استباقي بالقدر الكافي.

وبطبيعة الحال، سيكون لدى البلدان الشائخة مشكلات مختلفة . فسوف تواجه تباطؤاً في النمو في نفس الوقت الذي تحتاج فيه إلى رعاية الجيل المتقاعد – الجيل الذي ساهم في المجتمع ويتوقع، بمقتضى العقد الاجتماعي، أن تتاح له خدمات اجتماعية ملائمة وهو ينتقل إلى سنوات عمره الأخيرة . هذا أيضا يمكن أن ينشئ توترات.

وقد تساعد الهجرة من البلدان الشابة إلى البلدان الشائخة في تخفيف بعض الضغوط على الجانبين، لكنها قد تشعل التوترات أيضا – فهجرة العقول يمكن أن تضعف الإمكانات الإنتاجية في بلدانهم الأم، كما يتسبب تدفق أعداد كبيرة مفاجئة إلى البلدان الأخرى في تقوي التماسك الاجتماعي لدى البلدان المضيفة يشعل العصبية القومية .

نعم، الهجرة يمكن أن تساعد ولكنها يجب أن تدار بكفاءة. عدد سكان اليابان كمثال لدولة متقدمة عام 2011 ,130 مليون نسمة وسيهبط إلى ما يقارب 100 عام 2074. ونسبة البالغ أعمارهم 65 سنة أو أكثر تتجاوز 25% من مجموع السكان عام 2020 و30% عام 2030, وبعض الإحصائيات تشير إلى أن الهبوط السكاني سيصل ال100 مليون عام 2050 , وعدد من هم فوق 65% من السكان يمثلون 32% تقريبا أي أن اليابان ستصبح قوي عجوز. وهذا يعطي مؤشر إلى أن قوة اليابان الحالية لن تكون كما هي بحلول الفترة ما بعد 2035 أو 2040. وبالمثل فإن الدول الاسكندنافية سوف تشهد مشكلات اجتماعية واقتصادية إن لم تغير من واقعها الاجتماعي والاقتصادي ليتناسب مع مقتضيات العصر. وبحلول عام 2030، سنجد أن نصف سكان العالم تقريبا يعيشون في مناطق الإجهاد أو النقص المائي. ولا شك أن الشرائح الأكثر ضعفا هي التي ستكون الأكثر معاناة من اهتزازات المناخ. فعلى سبيل المثال، تشير بعض التقديرات إلى أن 21 %من الأرض المستخدمة في زراعة الذرة في إفريقيا جنوب الصحراء لن تصبح قادرة على دعم هذا المحصول مع ثلاثينات القرن الحالي . وسيترتب على ذلك انعكاسات شديدة الإرباك على أقوات وأرواح الأفارقة. الوقت لم يتأخر بعد لتحويل اتجاه التيار - حتى وإن كان البحر هائجا.

نحن ندعم نفس السلوك الذي يدمر كوكبنا، وعلى نطاق شاسع. فالدعم المباشر وخسائر الإيرادات الضريبية من الوقود الأحفوري كانا مسؤولين عن تآكل قيمة تصل إلى 4 تريليون دولار تقريبا في عام 2011وهو ما يقرب من مجموع
إجمالي الناتج المحلي لبلدان مثل إيطاليا أو روسيا !والأسوأ في كل هذا هو أن هذا الدعم يذهب في معظمه إلى الأثرياء نسبيا وليس الفقراء . ويمكن أن يكون تخفي الدعم وفر ضريبة ملائمة على الطاقة احتمالا رابحاً في كل الحالات بالنسبة للأفراد ولكوكب الأرض. وتمثل العوامل الديموغرافية والتدهور البيئي اتجاهين أساسيين على المدى الطويل — ويمثل تفاوت الدخل الاتجاه الثالث، وهي في الواقع قضية قديمة عادت إلى المقدمة من جديد , تبرز خلال الفترة من 2040 حتى 2070 بصفة خاصة لتطغي بشكل أكبر من 2080.

ونحن جميعا ندرك كل أن عدم المساواة في الدخ يتزايد في معظم البلدان. فهناك سبعة من كل عشرة أشخاص في عالم اليوم يعيشون في بلدان زادت فيها عدم المساواة على مدار الثلاثة عقود الماضية.وبعض الأرقام ذات الصلة تثير الدهشة الشديدة —فطبقا لمنظمة أوكسفام، أغنى 23 % شخص في العالم يمتلكون نفس مقدار الثروة التي يمتلكها نصف سكان العالم الأكثر الفقراء. وفي الولايات المتحدة، عاد عدم المساواة إلى ما كان عليه قبل" الكساد الكبير"، واستحوذ أغنى 1 %على 90 % من كل الدخل المكتسب

منذ عام 2009، بينما أصب أفقر 90 % من السكان أكثر فقر . وفي الهند، زادت الثروة الصافية لمجتمع

أصحاب المليارات بمقدار 12 ضِعف خلال 15 عام، وهو ما يكفي للتخلص من الفقر المطلق في ذلك البلد مرتين ,لكنه لن يحدث. إن عدم المساواة قادرة على تمزيق النسيج الثمين الذي يحافظ على تماسك المجتمع. في الماضي، كان خبراء الاقتصاد يقللون من أهمية عدم المساواة . وقد انصب تركيزهم على النمو الاقتصادي، على حجم الكعكة وليس توزيعها . واليوم، نحن أكثر دراية وادراك للضرر الذي ترتب على عدم المساواة. وبتعبير بسيط، يؤدي توزيع الدخل شديد الالتواء إلى الإضرار بوتيرة النمو واستمراريته على المدى الأطول . ويؤدي هذا إلى اقتصاد إقصائي، وأرض خراب من الإمكانات المهمَلة.

إن منع المرأة من المشاركة يقود إلى انخفاض مستويات المعيشة للجميع. وإذا شاركت النساء في القوى العاملة بنفس قدر مشاركة الرجال، يمكن أن يتحقق تحسن هائل في الدخل الفردي بواقع 27 % في الشرق العربي وشمال إفريقيا، و23 % في جنوب آسيا، و17 % في أمريكا اللاتينية، و15 % في شرق آسيا، و14 % في أوروبا وآسيا الوسطى . إننا ببساطة لا يسعنا إهدار تلك المكاسب.تمكين المرأة من المشاركة على قدم المساواة مع الرجل — يمكن أن تغير اللعبة

الاقتصادية العالمية . لذلك يجب علينا أن نترك للمرأة حرية النجاح في القرن الراهن والقرون التالية — لما فيه صالحنا وصالح البنات الصغيرات والبنين الصغار. إن العالم سيكون لهم — فلنعطهم إياه.

نمو الطبقات الوسطي الكبيرة في آسيا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا فيما بعد قد يزيد من عدد الأفراد الذين يعيشون بالمستويات الصناعية للاستهلاك من بليون إلى عشرة بلايين في الفترة من 2040 إلى 2065, فزيادة بمقدار عشرة أضعاف في مستوي التصنيع هى أمر محتمل, وهذا يشد ويضغط بنفس المقدار على الأنظمة الأيكولوجية. وأهم خصائص هذا القرن:

1- ثورة المعلومات، فقد احتاج الإنسان إلى 1750 عامًا لمضاعفة معارفه التكنولوجية، بعدها أخذت القفزات تتسارع، ففي 150 عامًا تضاعفت مرة أخرى علوم البشر، ثم مرة أخرى خلال خمسين عامًا، هذه الخبرة البشرية تضاعفت مرة خامسة بين عامي 1960 - 1980م، وقد قدرت موسوعة المستقبل أن المعلومات العلمية العامة تتضاعف كل 12 سنة، وأن المعلومات العامة تتضاعف كل سنتين ونصف السنة؛ مما يعنى أن ما كان يقتضي آلاف السنين من التطوُّر أصبح يتمُّ خلال عقد واحد، وربما أقل. وإذا كانت جوجل قد أبهرت العالم بابتكارها نظارتها التي يمكن لمرتديها الاتصال

بالإنترنت، فالجيش الأميركي يعمل على مشروع تكنولوجي أكثر تطورا عبارة عن عدسات تعمل على استقبال الصور من الأقمار الصناعية وطائرات التجسس وعرضها أمام عين الجنود في المعركة لجعلهم أكثر إدراكا لما يواجههم. كانت وزارة الدفاع الأميركية قد تعاقدت مع شركة "Innovega" لصنع عدسات يمكنها استقبال الصور من طائرات التجسس والأقمار الصناعية مباشرة إلى أعين مرتديها. وتعد الرؤية عبر العدسات "iOptiks"مماثلة لمشاهدة تليفزيون مقاس 240 بوصة من على بعد 10 أقدام، وفقا لما ذكره المدير التنفيذي لشركة "Innovega" ستيف ويلي لصحيفة "ديلي ميل" البريطانية. وذكرت الشركة أن الجنود يحتاجون لأن يكونوا على دراية بالوضع في ساحة القتال طوال الوقت، وفي نفس الوقت يحتاجون لكمية كبيرة من البيانات والصور والفيديو التي يتم جمعها من طائرات التجسس، الأقمار الصناعية أو الكاميرات الموجودة بالقرب منهم. كانت وكالة مشاريع أبحاث الدفاع المتقدمة"DARPA" ، الجناح العلمى للجيش الأميركي، قد مولت مشروعات سابقة لصنع أجهزة عرض محمولة للجنود لكن النسخ السابقة من الأجهزة كانت كبيرة. وصُنعت العدسات بمقياس نانومتري وبتقنية عالية جعلتها أقل حجما من الأجهزة السابقة كما أنها لا تحتاج إلى مصدر للطاقة ما يجعلها آمنة على العين. يُذكر أن "DARPA" أول من بدأ في التفكير في صنع عدسات رؤية تدمج بين الواقع والعالم الافتراضي كما أن لها الفضل في نشأة شبكة الإنترنت التي نعرفها.

2- التطور الكبير في مجال الاتصالات والتواصل بين المجتمع البشري؛ ولعلَّ انتشار "الإنترنت" خير مثال على ذلك، ففي حين احتاج "الراديو" إلى 38 عامًا للحصول على 50 مليون مستخدم لاستقبال برامجه، احتاج "التلفزيون" إلى 13 عامًا للوصول إلى العدد نفسه، فيما احتاج "تلفزيون الكابلات" إلى 10 أعوام، أما شبكة الإنترنت، فلم تحتج سوى 5 أعوام للوصول إلى ذلك العدد، وأقل من 10 أعوام للوصول إلى 500 مليون مستخدم، ويقدر عدد مستخدمي "الإنترنت" في العالم في نهاية العام 2008 بحوالي مليار وستمائة مليون مستخدم، يشكلون حوالي 24 بالمائة من سكان العالم، والعدد يتزايد بصورة كبيرة سنويًّا، أما المراسلة والتواصل بين الناس.ومستخدمي "الإنترنت" حول العالم يرسلون يوميًّا نحو 60 مليار رسالة بالبريد الإلكتروني حتى عام 2015. 3- سرعة التطور التقني في مختلف مجالات الحياة، ولا أدل على ذلك من تطور وسائل الاتصال الفردي والجماعي، وكذلك التطور الصناعي والتطور العسكري، وحتى في العلوم النظرية فهناك الكثير من النظريات تتغير وتتطور؛ حتى أصبح من الصعب على الفرد أن يتخصص في علم واحد كالطب أو الهندسة أو الزراعة، بل لا بد من التخصص الفرعي؛ ليستطيع مواكبة ما تقدمه البشرية في مجال تخصصه. 4- سهولة التواصل بين الناس

عمومًا؛ سواء على المستوى الفردي أو المؤسسي أو حتى الدولي؛ فكل إنسان يستطيع بسهولة الحصول على معلومات معينة - إلى حد ما - كما أنه يستطيع إيصال رسالته إلى العالم دون عَناء تكلُّف ماديّ أو معنوي، ودون الحاجة إلى إذن خاص أو موافقة من جهة محددة. 5- التبادل الحضاري بين البشر عمومًا، وتلك نتيجة طبيعية للتقدُّم في وسائل الاتصال والتواصل وسهولته؛ مما فرض على أصحاب القِيَم والمبادئ صعوبة المحافظة على القِيَم خاصةً إن لم تكن مبنية على أُسس صحيحة. 6- الاضطراب البشري والفوضى الأخلاقية، يقول د. "خوسيه مانويل برتولوتي" - وهو مسؤول في مجال الصحة النفسيَّة بمنظمة الصحة العالمية -: إن ما بين 20 مليونًا و60 مليون شخص يحاولون الانتحار سنويًّا"، وتقول إحصائية الأمم المتحدة: "وفي كل عام يموت 873 ألف إنسان بعمليات انتحار مختلفة؛ أي: أنه في كل 40 ثانية هناك شخص ينتحر في مكان ما من هذا العالم، كما أن هناك 450 مليون شخص يعانون من اضطرابات نفسيَّة وعصبيَّة"، وعلى الرغم من الوسائل المتطورة التي تبذل في سبيل معالجة هذا الداء، فإن نسبة الانتحار زادت 60 % خلال نصف القرن العشرين وهو ما يرجح زيادتها في القرن ال21. وفي إطار ما سبق, هل نتعاون كأسرة عالمية أم يقف كل منا في مواجهة الآخر

؟ هل نحن أصدقاء أم أعداء؟ لا بد لنا من مواجهة تهديدات مشتركة لا تفصل بينها حدود . فهل نواجه الشدائد معا، أم نبني المزيد من الحدود وخطوط ماجينة لتصب مجرد أدوات وهمية للحماية. ولذلك فإن طريقة التصدي واحدة, وهي تجديد الالتزام بالتعاون الدولي , بوضع المصلحة العالمية فوق المصلحة الذاتية, بروح العمل المشترك. وكما قال مارتن لوثر كينغ ذات مرة :" نحن محصورون في شبكة تبادلية لا مفر منها، مقيدون في رداء مصيري واحد . وأي شيء يؤثر في أحدنا بشكل مباشرة، يؤثر في جميعنا بشكل غير مباشر".

وقال كينز إن استطعنا الاستمرار على هذا النحو، سينجلي أي كابوس. وقد أثبت التاريخ أن كينز كان على حق . فقد صرف أسلافنا أشباح الماضي، وأورثونا عالما أفضل — وكان جيلنا المستفيد الأكبر. وقد وصلنا إلى ما نحن فيه لأن الجيل السابق أقام الأساس المطلوب. وجاء دورنا فهل نحن على مستوى التحدي؟ نعم إذا تحولنا من فرد واحد , صوت واحد إلى السياسة الاجتماعية التي تعكس فكرة (المساواة والعدل للجميع).

الفصل الثاني

الحروب التكنولوجية وتواطؤ المعلوماتية

المعارك الإلكترونية

تشير بعض الدراسات إلى أن نسبة مساهمة عنصر التكنولوجيا في العمليات الإنتاجية تقترب من 75% وترتفع النسبة في التكنولوجيا العسكرية. وقد مرت عملية تطور الحاسبات بخمس مراحل أو (أجيال): في الجيل الأول كانت الحاسبات تعتمد على مكونات ميكانيكية وكهربائية وكانت قدراتها الحاسبية محدودة، ورغم ذلك كان لها دور كبير في إدارة نيران المدفعية في الحرب العالمية الثانية، ومع ظهور الصمامات المفرغة ظهرت الحاسبات الإلكترونية فازدادت قدراتها الحسابية وتم تصنيعها في أحجام أصغر رغم ما بها من عيوب كالاستهلاك العالي من الكهرباء والحاجة لتبريد مكوناتها. وولد الجيل الثاني من الحاسبات بعد اختراع أشباه المواصلات (Semiconductors) لتحل محل الصمام الفرع، وانطوى التغيير على ميزات عملية في القدرات الحسابية واستهلاك الطاقة والحجم الأصغر. وفي الستينيات حدث تطور آخر تمثل في جمع عدد من الدوائر الإلكترونية في وحدات مجمعة تسمى الدوائر المتكاملة(IC) Integrated Circuits ، ثم ظهرت المعالجات الدقيقة وتنوع استخدامها في منتجات أخرى كالطائرات والصواريخ ومعدات الاتصال وأجهزة السيطرة على النيران في الدبابات... وغيرها.

وكان من نتائج ذلك أيضاً ظهور الحاسبات الدقيقة Microcomputers التي استخدمت مشغلاً دقيقاً وبدأ إنتاج الحاسبات الخاصة بأجهزة الرؤية الليلية والصواريخ الموجهة وأجهزة الملاحة والطيران وأجهزة تحديد المواقع فلكياً، وفي عام 1978م ظهرت الحاسبات الشخصية وتنافست الشركات في إنتاجها بقدرات حسابية وسرعات وإمكانات برمجة متفاوتة، ويمكن وصف الجيل الرابع من الحاسبات بأنه ذو سرعات وقدرات حسابية وتخزينية عالية، لكن السمة الأهم فيه هي ظهور لغات برمجة حديثة وقوية وحزم برامج جاهزة تيسر لغير المتخصصين استخدام الحاسبات.

أدى التطور الذي بدأ يتنامى في عدة اتجاهات إلى توسع استخدام الحاسبات في كل التطبيقات تقريباً، واعتمدت فكرة حاسبات الجيل الخامس على استخدام تكنولوجيا الذكاء الصناعي في بناء تطبيقات مثل نظم الخبرة للمساعدة في اتخاذ القرار وعمليات التشخيص الآلي في المستشفيات وصولاً إلى الإنسان الآلي، وأثمرت هذه التطورات ثورة الوسائط المتعددة Multi Media ، ثم ظهور البنوك الآلية والأسلحة الذكية والصواريخ الموجهة تلفزيونيا والصواريخ ذات المستشعرات الكهرومغنطيسية وغيرها، ومع نهاية عقد الثمانينيات اتجهت اليابان للتفكير في أجيال أخرى من الحاسبات باستخدام Neutral and Fuzzy Technologiesتكنولوجيا الخلايا العصبية والمنطق المبهم لإنتاج حاسبات الجيل السادس، وتقوم هذه التكنولوجيا بمحاكاة الجهاز العصبي للإنسان.

وتعد الحاسبات فائقة القدرة قمة تطور تكنولوجيا الحاسبات في نهاية القرن العشرين، وقد ظهرت استجابة للحاجة لقدرات حسابية فائقة لا تفي بها الأجيال التي ظهرت من الحاسبات العادية. ومن أهم تطبيقات هذه الأجهزة: مبادرة حرب النجوم الأمريكية، وعمليات حرب الخليج الثانية الخاصة بصواريخ سكود وصواريخ باتريوت، ونظم الصواريخ المضادة للصواريخ العابرة للقارات. ولتحقيق القدرة الحسابية الفائقة يستخدم مصمموها عددا من المعالجات الدقيقة تعمل بالتشغيل المتوازي أو المتعدد، حيث تعمل المعالجات في وقت واحد على مهمة واحدة يتم تقسيمها بينهم آليا. يتوقع أن يؤدي إلى إحلال الأساليب الرقمية محل الأساليب التناظرية في معظم المعدات الإلكترونية، وفوق ذلك فهي التكنولوجيا الأساسية في كل ما يتعلق بالحواسب الآلية، إذ أسهم استخدامها في تصغير حجم ووزن المعدات، مما سهل نقلها جواً، وإخفاءها، ورفع قدرتها على المناورة. وقد أصبح بالإمكان التعامل مع الخرائط رقمياً - كما في صواريخ كروز - وتبادل المعلومات بين القيادة والوحدات القتالية بشكل مستمر، وتلقي الصور من ميدان المعركة من صور الأقمار الاصطناعية أو الطائرات بدون طيار، حيث يتلقاها الحاسب العملاق فيقوم بعمليات فرز وتجنيب وتبويب ثم يوجهها إلى كل قائد ميداني فيما يخصه، وللتعامل مع هذا الكم الكبير من المعلومات وعمليات المعالجة المعقدة والمتعددة، هناك حاجة إلى حاسبات عسكرية ذات سرعات فائقة وذاكرة ضخمة جداً، وهذه الحاسبات العسكرية العملاقة ستكون أحد ظواهر القرن الحادي والعشرين، ولأجل التغلب على قيود اتفاقية حظر التجارب النووية طورت الدول المتقدمة حواسب قادرة على محاكاة التجارب النووية بشكل افتراضي، وهي حواسب تبلغ سرعتها أكثر من 100 ألف ضعف عن الحواسب الموجودة حالياً، ويطلق على مشروعها "المبادرة الاستراتيجية للحاسبات المتسارعة".

لذلك فإن الحرب الإلكترونية تكون السمة الغالبة إن لم تكن الرئيسة للحروب في القرن الواحد والعشرين. فالعالم أصبح يعتمد أكثر على الفضاء الإلكتروني لا سيما في البنى التحتية المعلوماتية العسكرية والمصرفية والحكومية إضافة إلى المؤسسات والشركات العامة والخاصة. ولا شك أنّ ازدياد الهجمات الإلكترونية والتي نشهد جزءًا بسيطا منها اليوم يرتبط أيضا بازدياد هذا الاعتماد على شبكات الكومبيوتر والإنترنت في البنية التحتية الوطنية الأساسية، وهو ما يعني إمكانية تطوّر الهجمات الإلكترونية اليوم لتصبح سلاحا حاسما في النزاعات بين الدول في المستقبل، علما أنّ أبعاد مفهوم الحرب الإلكترونية لا تزال غير مفهومة لدى شريحة واسعة من المراقبين وحتى العامة.

وقد اجتهد عدد من الخبراء من ضمن اختصاصاتهم في تقديم تعريف يحيط بمفهوم الحرب الإلكترونية، فعرّف كل من "ريتشارك كلارك" و"روبرت كناكي" الحرب إلكترونية

على أنها "أعمال تقوم بها دولة تحاول من خلالها اختراق الأجهزة والشبكات التابعة لدولة أخرى بهدف تحقيق أضرار بالغة أو تعطيلها.

فيما يعرّفها آخرون بأنها "مفهوم يشير إلى أي نزاع يحدث في الفضاء الإلكتروني ويكون له طابع دولي". ولأن مثل هذه التعريفات فضفاضة ولا تعبّر بدقّة عن فحوى الموضوع، يقترح آخرون أن يتم التركيز بدلا من ذلك على أنواع وأشكال النزاع التي تحصل في الفضاء الإلكتروني، ومنها:

أ- القرصنة الإلكترونية: أو التخريب الإلكتروني، وتقع في المستوى الأول من النزاع في الفضاء الإلكتروني، وتتضمن هذه العمليات القيام بتعديل أو تخريب أو إلغاء المحتوى. ومن أمثلته القيام بعمليات قرصنة المواقع الإلكترونية أو بتعطيل الحواسيب الخادمة أو ما يعرف باسم الملقّمات من خلال إغراقها بالبيانات.

ب- الجريمة الإلكترونية والتجسس الإلكتروني: ويقعان في المستوى الثاني والثالث وغالبا ما يستهدفان الشركات والمؤسسات وفي حالات نادرة بعض المؤسسات الحكومية.

ج- الإرهاب الإلكتروني: ويقع في المستوى الرابع من النزاع في الفضاء الإلكتروني. ويستخدم هذا المصطلح لوصف الهجمات غير الشرعية التي تنفّذها مجموعات أو فاعلون غير حكوميون ضد أجهزة الكمبيوتر والشبكات والمعلومات المخزّنة. ولا يمكن تعريف أي هجوم إلكتروني بأنه إرهاب إلكتروني إلا إذا انطوى على نتائج تؤدي إلى أذى مادّي للأشخاص أو الممتلكات والى خراب يترك قدرا كبيرا من الخوف.

د- الحرب الإلكترونية: وهي المستوى الأخطر للنزاع في الفضاء الإلكتروني، وتعتبر جزءا من الحرب المعلوماتية بمعناها الأوسع، وتهدف إلى التأثير على إرادة الطرف المستهدف السياسية وعلى قدرته في عملية صنع القرار، وكذلك التأثير فيما يتعلق بالقيادة العسكرية أو توجهات المدنيين في مسرح العمليات الإلكتروني.   وأوصل صاروخ "أر أس-20 دنيبر" الذي أطلقته قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسية في مقاطعة أورينبورغ في جنوب منطقة الأورال، أقماراً صناعية خصصت لغرض استشعار الأرض عن بعد، إلى مواقعها المدارية في الفضاء.

وحمل الصاروخ 33 قمرا صناعيا تتبع لمختلف الدول بينها قمر "تابليتسات أفرورا" المملوك لإحدى الشركات الخاصة الروسية.

وصُمّم صاروخ "أر أس-20 دنيبر" (أو "ساتان" /الشيطان/ بحسب مصطلحات حلف شمال الأطلسي) أصلاً لحمل رؤوس حربية إلى الأهداف المطلوب تدميرها، ولا يزال يعتبر أرهب صاروخ في العالم .

ويظل عدد كبير من صواريخ "الشيطان" في الخدمة في صفوف قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسية، فيما تحوّل عدد من الصواريخ التي سُحبت من الخدمة العسكرية

للاستخدام المدني. وقام المهندسون الروس والأوكرانيون بإعادة تأهيلها لحمل الأقمار الصناعية إلى مدارات يتراوح ارتفاعها بين 300 و900 كيلومتر في الفضاء. وكان إطلاق صاروخ "أر أس-20 بي" الذي حمل الأقمار الصناعية الـ33، اختباراً جديداً لقدرات صواريخ "الشيطان."

وقال قائد الفرقة 13 من قوات الصواريخ الاستراتيجية الروسية، العقيد يفجيني كونوفالينكوف، مخاطبا الجنود والضباط الذين أداروا عملية إطلاق الصاروخ إن هذه العملية أكدت متانة وأمانة صواريخ "أر أس-20."

ومن المتوقع أن تصبح الحرب الإلكترونية نموذجا تسعى إليه العديد من الجهات نظرا للخصائص العديدة التي تنطوي عليها، ومنها:

1- الحروب الإلكترونية هي حروب لا تناظرية: فالتكلفة المتدنية نسبيا للأدوات اللازمة لشن هكذا حروب يعني أنّه ليس هناك حاجة لدولة ما مثلا أن تقوم بتصنيع أسلحة مكلفة جدا كحاملات الطائرات والمقاتلات المتطورة لتفرض تهديدا خطيرا وحقيقيا على دولة مثل الولايات المتّحدة الأمريكية على سبيل المثال.

2- تمتّع المهاجم بأفضلية واضحة: في الحروب التكنولوجية يتمتع المهاجم بأفضلية واضحة وكبيرة على المدافع، فهذه الحروب تتميز بالسرعة والمرونة والمراوغة. وفي بيئة مماثلة يتمتّع بها المهاجم بأفضليّة، من الصعب جدا على عقليّة التحصّن لوحدها أن تنجح. فالتحصين بهذا المعنى سيجعل من هذا الطرف عرضة لمزيد من محاولات الاختراق وبالتالي المزيد من الضغط.

3- فشل نماذج "الردع" المعروفة يعد مفهوم الردع الذي تمّ تطبيقه بشكل أساسي في الحرب الباردة غير ذي جدوى في الحروب الإلكترونية. فالردع بالانتقام أو العقاب لا ينطبق على سبيل المثال على هذه الحروب. فعلى عكس الحروب التقليدية حيث ينطلق الصاروخ من أماكن يتم رصدها والرد عليها، فإنه من الصعوبة بمكان بل ومن المستحيل في كثير من الأحيان تحديد الهجمات الإلكترونية ذات الزخم العالي. بعض الحالات قد تتطلّب أشهرا لرصدها وهو ما يلغي مفعول الردع بالانتقام وكثير من الحالات لا يمكن تتبع مصدرها في المقابل، وحتى إذا تم تتبع مصدرها وتبين أنها تعود لفاعلين غير حكوميين، فإنه في هذه الحالة لن يكون لديهم أصول أو قواعد حتى يتم الرد عليها.

4- المخاطر تتعدى استهداف المواقع العسكرية: لا ينحصر إطار الحروب التكنولوجية باستهداف المواقع العسكرية، فهناك جهود متزايدة لاستهداف البنى التحتية المدنية والحسّاسة في البلدان المستهدفة، وهو أمر أصبح واقعيا في ظل القدرة على استهداف شبكات الكهرباء والطاقة وشبكات النقل والنظام المالي والمنشآت الحساسة النفطية أو المائية أو الصناعية بواسطة فيروس –كمثال- يمكنه إحداث أضرار مادّية حقيقية تؤدي

إلى انفجارات أو دمار هائل.

وفي ديسمبر 2009، أوردت الحكومة الكورية الجنوبية تقريرا عن تعرضها لهجوم نفّذه قراصنة كوريين شماليين بهدف سرقة خطط دفاعية سريّة تتضمن معلومات عن شكل التحرّك الكوري الجنوبي والأمريكي في حالة حصول حرب في شبه الجزيرة الكورية.

وفي يوليو 2010، أعلنت ألمانيا أنّها واجهت عمليات تجسس شديدة التعقيد لكل من الصين وروسيا كانت تستهدف القطاعات الصناعية والبنى التحتية الحساسة في البلاد ومن بينها شبكة الكهرباء التي تغذي الدولة.

ويجمع الخبراء على أنّ الهجوم الإلكتروني الذي استهدف استونيا في 2007، يكاد يكون الهجوم الإلكتروني الأول الذي يتم على هذا المستوى ويستخدم لتعطيل المواقع الإلكترونية الحكومية والتجارية والمصرفية والإعلامية مسببا خسائر بعشرات الملايين من الدولارات إضافة إلى شلل البلاد. وعلى الرغم من أنّ الشكوك كانت تحوم حول موسكو على اعتبار أن الهجوم جاء بعد فترة قصيرة من خلاف استوني-روسي كبير، إلا أنّ أحدا لم يستطع تحديد هوية الفاعل الحقيقي أو مصدر الهجوم الذي تم، وهي من المصاعب والمشاكل التي ترتبط بالحروب التكنولوجية. ومن أهم الأسلحة الحديثة القنبلة الكهرومغناطيسية،فهي من بين أهم وأخطر ما يهدد البشرية، لأنها من الأسلحة التي التى تهاجم الضحايا من مصدر مجهول يستحيل أو يصعب رصده مثل الأسلحة البيلوجية والكميائية.. والكهرومغناطيسية..وبالتحديد أسلحة موجات "الميكرو" عالية القدرة. في أقل من غمضة عين تستطيع "القنبلة الكهرومغناطيسية" أن تقذف بالحضارة والمدنية الحديثة مائتي عام إلى الوراء.

التدمير الرقمي

يعيش العالم اليوم مرحلة جديدة من التطور التكنولوجي امتزجت فيها نتائج ثورات ثلاث، هى :ثورة المعلومات، أي ذلك الكم الهائل من المعرفة في صورة تخصصات ولغات عديدة، الذي أمكن السيطرة عليه بواسطة تكنولوجيا المعلومات، وثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تكنولوجيا الاتصال الحديثة، وقوامها الأقمار الصناعية والألياف البصرية، وثورة الحواسيب الإلكترونية التي توغلت في مناحي الحياة كلها . وتمثل شبكة الإنترنت جوهر ذلك الامتزاج. وفيها يجرى تخزين المعلومات التي ترد من عدد هائل من شبكات المعلومات بشكل منظّم للغاية، ثم تنقلها بعد ذلك تقنيات الاتصال المتطوّرة، من أقمار صناعية وغيرها، إلى مئات الملايين من مستخدمي هذه الشبكة .وتجدر الإشارة إلى أن ثورة تكنولوجيا الاتصال سارت متوازية مع ثورة تكنولوجيا المعلومات، كما أن الخيرة جاءت محصلة لتفجّر المعلومات، وتضاعف الإنتاج المعرفي في مختلف المجالات والتخصصات . وأوجد ذلك الحاجة إلى ضرورة تحقيق أفضل سيطرة ممكنة على فيض المعلومات المتدفقة، وإتاحته للباحثين ومتخذي القرار في أسرع وقت وبأقل جهد، عن طريق استحداث أساليب تنظيمية جديدة تعتمد في الدرجة الأولى على الحاسوب، واستخدام التكنولوجيا الاتصالية لمساندة مؤسسات المعلومات، ونشر خدماتها وتطويرها عبر القارات .وهي ظاهرة فريدة، فزيادة المعلومات تدفع إلى المزيد من تطور تكنولوجيا المعلومات، الذي يقود بدوره إلى توالد المعلومات وتراكمها بصورة قياسية لا حدود لها . ومن ثم، فإنه لم يعد من الممكن الفصل بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، فقد جمع بينهما النظام الرقمي الذي تطوّرت إليه نظم الاتصال، وبهذا ترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات. تحتاج تقنيات المعلومات والاتصالات إلى توافر موارد رئيسية، هي تعليم متميز، وبنية تحتية ملائمة، ومنظومة من المؤسسات المستقرة . وبدون هذه الموارد الثلاثة سوف تزداد الفجوة المعلوماتية والرقمية بين الأغنياء والفقراء، والأخيرون، بطبيعة الحال، هم الأكثر تضرراً . ولم يعد خافياً أن استمرار وجود ما تعرف بالفجوة الرقمية على مستوى الدول سوف يصيب العالم بمشكلات كبيرة. ويلخص هؤلاء ما ينطوي عليه الموقف الراهن من سلبيات بقولهم: إن من بين أشد تلك الأخطار كلها خطر اللاوعي بطبيعة التحولات الجذرية العميقة، التي يعنيها انتقال المجتمع الدولي برمّته إلى عصر المعلومات . ثم يرد بعد ذلك الخطر الآخر المنبثق من الانضمام اللاواعي إلى شبكة معلومات واتصالات كونية لا تملك بعض الدول النامية القدرة على التعامل معها بكفاءة، وذلك بسبب النقص الذي تعانيه في كوادرها البشرية، ومهاراتها التنظيمية، وحصانتها الثقافية في وجه محاولات الاختراق الخارجي.. إلخ.

وسبب هذا الثراء اللامحدود في مصادر المعرفة بأشكالها ونوعياتها وتطبيقاتها كلها، فإن المؤسسات العسكرية والمدنية يجب ان تراجع المفاهيم التي سادت في مرحلة ما قبل هذه الثورة، وتعيد تقويمها.ثمة أهمية كبيرة للبحث المعمق في الظروف المستجدة بتأثير من الثورة

المعلوماتية والاتصالية الراهنة. فالحروب وما تخلفه من تدمير شامل، قد تستخدم فيه أحياناً الأسلحة النووية، ربما تلجأ إلى إحداث الخراب الواسع بواسطة الأسلحة المعلوماتية، بدلاً من الكلاسيكية المعروفة . ومثل هذا التحول إذا قدر له أن يحدث في الواقع، فسوف يكون انقلاباً ثورياً خطراً للغاية بكل المقاييس. وسوف يفرض التخطيط لهذه النوعية المتطورة من الحروب الدولية (حروب الدمار المعلوماتي، وتوصف بالحروب الرقمية أيضاً) التحول باتجاه تصميم منظومات مبتكرة من القواعد والآليات يمكن الاعتماد عليها في إدارة تلك الحروب، هجومية كانت أو دفاعية. ووفق ذلك، فإن حروب ما بعد الربع الثاني من القرن ال21 ستخاض بأسلحة تتسم بقدرات غير محدودة على إلحاق الأذى من دون أن تكون معلومة المصدر، وستبدو أقرب إلى حروب الأشباح إذا جاز التعبير، فهي تنطلق إلى تدمير أهدافها من قواعد غير منصوبة .كما أن في مقدور ترساناتها من الاسلحة (غير المرئية أو المعروفة بدقة) أن تفلت من خطر الضربات الاستباقية أو الإجهاضية الساعية إلى تدميرها، وهي لا تزال قابعة بعد في مكامنها.

وهي حروب مباغتة وذكية بصورة لا عهد للبشرية بها . وذلك ما يجعل من القدرة على مواجهتها لتوقي أخطارها المدمرة أمراً بالغ الصعوبة. وتقوم على أسس انتقائية خالصة في إثارتها وإدارتها، وكذلك في التخطيط لها، وذلك من منطلق أنها لا تستغرق وقتاً على الانطلاق . وأهم ما فيها هو عنصر المفاجأة. ومن دون ذلك تفقد تلك الحرب (المعلوماتية) واحداً من أهم مقومات فاعليتها التدميرية . كما تعتمد في التخطيط لها على محاولة إفقاد الخصم القدرة على التحسب المسبق لها بالسيناريوهات المضادة. ثمة ملاحظات يجب أن تُضاف إلى ما سبق، وهى:1- حروب المعلومات يمكن أن تلحق الدمار، خاصة بقطاعات حساسة للغاية، كقواعد البيانات الحيوية والمعلومات الاستراتيجية المتعلقة بالأمن القومي للدولة، وقد يستحيل إصلاحها إذا ما تم تعطيلها.

2- جهود التطوير غير المرئية (لنا) تجرى حالياً على قدم وساق داخل مختبرات الأبحاث المعنية بابتكار أسلحة الحرب المعلوماتية وتطويرها وتنويعها، وزيادة درجة مناعتها في وجه محاولات الهجوم المضاد عليها . وهذا التطوير في مختلف صوره وأشكاله وأبعاده، وبكل ما يحمل من خفايا أسرار يسعى إلى إيجاد منظومة شاملة ومتكاملة من الأسلحة المعلوماتية، بحيث يخدم كل منها سيناريو خاصاً به. وتلك السيناريوهات كلها سوف

تتوزع بين ما يمكن أن يكون ملائماً لطبيعة الحرب المعلوماتية المحدودة ، أو للحرب المعلوماتية الشاملة.

وذلك ما يتماثل مع ما كان يحدث في الماضي، أو لا يزال، عندما كان يجرى التخطيط للحروب النووية التكتيكية الصغيرة أو المحدودة، والحروب النووية الاستراتيجية، أو الشاملة . وبالطبع، فإن لكل واحد من هذه السيناريوهات أسسه ومتطلباته وتكلفته وآلياته وتبعاته، مثلما له مخاطره وإشكالياته.

3- من أبرز خصائص حروب الدمار المعلوماتي أن في إمكانها تخطي الروادع كافة، التي حالت حتى دون نشوب حروب الدمار الشامل بأسلحتها الراهنة . ومن الأسباب التي تساعد على ذلك، الصعوبة في رصد مؤشرات قرب وقوع الحرب المعلوماتية، أو في اعتراضها عند انطلاقها، وتوقع مداها وتحديده، أو حتى في التيقن ممن يقفون وراءها ويتحملون المسئولية عنها. ومن شأن تلك الصعوبات والمحاذير التي تكتنف الحرب المعلوماتية أكثر من غيرها من حروب الدمار الشامل المعروفة، أن تشل كثيراً قدرة الخصم على المواجهة . بل ربما تفقده القدرة على اتخاذ القرار الذي يتيح له إدارة مثل هذا الموقف المعقد والمفعم بالاحتمالات.

4- تكلفة حروب المعلومات هي بالمقارنة أقل نسبياً مما يتكلفه إنتاج أسلحة الدمار الشامل الأخرى، ووسائط نقلها لإيصالها إلى أهدافها عبر القارات وتطويرها وإخفائها . وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن الأسلحة المعلوماتية ليست كغيرها من الأسلحة التي تقوم على الإبادة الشاملة لكل مظاهر الحياة، إنسانية وغير إنسانية، إذ يتركز هدفها على محاولة تعطيل العقل الذي يفكر للمجتمع، وتدمير الشرايين التي تنبض بالحياة فيه.

تكنولوجيا الخفاء

تعد تكنولوجيا الإخفاء من أهم تطورات تكنولوجيا الحرب الحديثة وتوفر نظم الإخفاء وسائل بسيطة وعالية الاعتمادية للأفراد والمعدات ومع تضاؤل الفجوة الزمنية بين اكتشاف الهدف وضربه أصبحت تكنولوجيا الإخفاء تقوم بدور متميز في تقليل الخسائر البشرية والمادية على السواء، وقد تطور الإخفاء من الوسائل التقليدية (شباك تمويه - طلاء بلون معين -..) ليتخذ مسارات مختلفة، أهمها: الإخفاء الحراري باختزال حجم ودرجة إشعاع المصادر الساخنة، حيث لايمكن فنيا إلغاء البصمة الحرارية للمعدات، بينما يمكن تخفيض مستواها بحيث لا تبدو لمن يرصدها واضحة، وهناك أيضاً الإخفاء الراداري من خلال امتصاص وتشتيت الموجات الرادارية وإضعافها إلى مستوى قريب من مستوى الموجات المرتدة من البيئة المحيطة. أما الطلاء ببويات خاصة فيختلف عن الطلاء ببويات التمويه التقليدية في أن بعضها له قدرة عاكسة للأشعة تحت الحمراء، وبعضها يمتص الأشعة تحت الحمراء، ولذا يستخدم لدهان جميع المعدات العسكرية (طائرات - قطع بحرية - مركبات بأنواعها) فيقلل بصورة ملموسة تعرضها للقذائف الحساسة للأشعة تحت الحمراء. وهناك نوع ثالث له قدرة على امتصاص أشعة الرادار ويستخدم في دهان الطائرات والقطع البحرية وهو ما يعني فاعليته في الإخفاء الحراري والراداري معاً، وخلال حرب الخليج الثانية تم طلاء الدبابات الأمريكية بإحدى تلك البويات التي تعكس 85% من الأشعة الساقطة عليها، مما أدى لتخفيض حرارة سطحها ب15 درجة مئوية.

ومن أشكال الإخفاء المهمة تقليل البصمة الرادارية من خلال تصميم المعدة نفسه طبقاً لزوايا انسيابية معينة لكل أنواع المعدات، فمثلاً أمكن تقليل المقطع الراداري للدبابة من حوال 50م2 إلى 1،0م2، واستخدمت هذه التقنية بنجاح في الطائرة F117 الشبح. وتعتبر المقاتلة F-117 بمثابة المقاتلة الأولى التي تم تصميمها خصيصاً للاستفادة من المراقبة الرادارية المنخفضة. تتميز الطائرة ببصمة رادارية . لا تزيد عما هو بين 0.01 و0.001 من المتر المربع . مما يجعلها تظهر على شاشات الرادار أنها طائرة صغيرة، فقط عند دخولها لمدى 8 – 16 ميل، وللطائرة كرسي قاذف لمقعد الطيار وعدة أنظمة تساند أعمال الطائرة في الأحوال الجوية الليلية، وتحتوي حاوية للتسليح، موقعها في وسط الطائرة تحمل من الذخائر حتى 5000رطل، ولها 2000 رطل من الذخائر الموجهة بالليزر (MK-84) عالية الانفجار، وأيضاً قذائف .(GBU-27) لم يكتفي الصانعون بتلك التقنيات فحسب، لننظر إلى محركات الطائرة، ليس محركاً عادياً، إنه من تصميم جنرال إلكتريك التوربيني المروحي، بدون احتراق، صممت هذه المحركات بحيث تحوي فتحتي دخول الهواء، وليس كالمحركات الأخرى، نظام امتصاص، فتحات خاصة لدخول الهواء

بنفسه، لأنه في المحركات العادية تدخل الموجات الرادارية مع دخول الهواء إلى المحرك الذي يمتصه، أما في هذه الطائرة (F-117) فهناك فتحات خاصة لدخول الهواء لا يمكن للموجات الرادارية الدخول منها.تم صنع هذه الطائرة من الألومينيوم مع بعض التيتانيوم المستخدم في المحركات النفاثة، صنع السطح الخارجي لبدن الطائرة منفصلاً عن الهيكل الخارجي، بمعنى أن هيكل الطائرة صنع، وفوقه طبقة منفصلة هي السطح الخارجي، صممت كذلك بغرض تقليل البصمة الرادارية، وكما أسلفنا، تم تغطية سطح الطائرة بمادة ماصة لأشعة الرادار التي يتم تصنيعها آلياً، السبب هو تفادي تأثير المادة على العاملين وقد لعبت المراقبة الرادارية المنخفضة دوراً هاماً في عدة تصاميم لعدة طائرات من مختلف المصانع.

أما شباك التمويه متعددة الأغراض فهي نوعية حديثة مصنوعة من النايلون وذات تركيب بتروكيماوي يجعلها قادرة على أن تعكس الأشعة تحت الحمراء إلى جانب تشتيت الأشعة الرادارية أو امتصاصها. كما أصبح بالإمكان القتال على الجبهة وفي العمق معاً إلى جانب التغلب على العقبات الطبوغرافية من خلال تطويع عدد من التكنولوجيات التي يمكن من خلالها القتال عن بعد وتستخدم هذه النظم الذكية الحواسب متناهية الصغر التي يتم تخزين بيانات الهدف فيها وتوضع في رأس القذيفة. ومستشعرات باحثة عن الحرارة أو الموجات الكهرومغنطيسية التي تجذبها للهدف، وتعد صواريخ كروز أبرز تطبيقات هذا النظام.

ومن التطبيقات المهمة أيضاً لهذه الثورة الذكاء الصناعي، وهو أحد علوم الحاسبات في مجال تصميم أنظمة ذكية لها القدرة على تفهم الكلام والقيام بعمليات استنتاج واستدلال وحل مسائل، ويعتمد تصميمها على توافر قاعدة معلومات في مجال التخصص تبنى على أساس اختزان الخبرات ومحاكاتها، فهي تحاول محاكاة العنصر البشري بالكفاءة نفسها، ولكن بسرعة ودقة أكبر، ويمكن تحويل أي من النظم المساعدة في إتخاذ القرار إلى نظام ذكي بإضافة قاعدة معلومات تحسن أداءه، وقد تم إنتاج نماذج كثيرة للنظم الذكية - تم استخدامها في حرب الخليج الثانية - تركزت في مجالات: المستشعرات متعددة الأغراض، وتحليل الرسائل والشفرات، وتحديد مواقع القوات، واختيار التكتيكات وطرق الاقتراب المناسبة وتمييز الأهداف وتفسير الخرائط والتوجيه الآلي. وقال علماء أمريكيون إنهم اقتربوا خطوة من تطوير مواد يمكن أن تمكن البشر من التواري.وطور علماء من جامعة بركلي بكاليفورنيا مادة يمكنها أن تحول الضوء عن الأشياء ثلاثية الأبعاد مما يخفيها عن الأنظار، وفقا لما يسمى بالانعكاس المقلوب أو السالب، وهو نفس مبدأ الفيزياء البصرية الذي يعطي الانطباع بأن قشة وضعت في كوب من الماء تبدو كما لو كانت منكسرة.

ولا توجد هذه المادة في شكل عادي، فقد أنتجت على قياس متناهي الصغر يناهز جزءا من مليار جزء من المتر. وقد استخدمت مقاربتان إحداهما استخدمت كمية متناهية الصغر من الفضة وفلورايد المجنيزيوم والأخرى استخدمت فيها حبال متناهية الصغر من الفضة.ولم تمتص هذه الأشياء الضوء كما لم تعكسه "مثل ماء ينساب حول صخرة". وكانت النتيجة أن الضوء الوحيد الذي يمكن رؤيته هو ضوء الخلفية. ويقول العلماء إن المبادئ التي يستند عليها الاكتشاف قد تمكن في المستقبل من صنع ملابس خفية ولكننا لانرجح ان هذا يتم استخداه او يدخل في حيز التنفيذ قبل نهاية منتصف القرن.وقد نشرت مجلتنا ساينس ونيتشر الأمريكيتان بحث فريق العلماء هذا الذي يقوده جيان تسانغ. وقد أجريت من قبل تجارب على الانعكاس السالب استخدمت الأمواج الدقيقة (مايكرويف)، وهي أمواج ضوئية بالغة الطول بحيث تعجز العين البشرية المجردة عن رؤيتها. ومن خلال علوم النانو تكنولوجي يمكن استخدام شرائح من الأنابيب الكربونية فائقة الصغر (أنابيب نانو-كربونية) يتم طيّ مسار الضوء حول الجسم المراد إخفاؤه فيبدو وكأن الضوء قد مر من خلاله دون أي وجود له!. ومثال ذلك نراه في الصحراء حين ينقل لنا السراب أشياء توجد على مسافات بعيدة بسبب انكسار الضوء.

ومنذ الكشف عن المقاتلة الروسية سوخوي تي – 50 الخفية من الجيل الخامس والحديث عن اختلال ميزان القوى في لغرب لا يكاد يهدأ. وفي خضم فعاليات معرض ماكس 2011 الجوي، الذي أقيم في قاعدة جيكوفسكي بالقرب من ضواحي موسكو سمح الروس باستعراض المزيد من مميزات وقدرات طائرتهم الأخيرة التي حلق منها نموذجان في استعراض رائع أبهر الغرب أكثر من الروس أنفسهم، في مبادرة من موسكو لتنبيه الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة أن الصناعات الجوية الروسية قد بدأت تعيد هيبتها الصناعية من جديد. لكن الأبرز في ذلك هو الحديث عن تكنولوجيا للخفاء ومضادة للخفاء يزاح عنها النقاب حديثا، يمكنها أن تتسبب في أزمة حقيقية لقدرات الخفاء للطائرات الأمريكية التي طالما تمتعت بها لعقود.

ويذكر ان مفهوم الخفاء أصبح أمراً ملحّاً بالنسبة الى المخططين في سلاح الجو الامريكي، خصوصا بعد ان بينت حرب 1973 التي دارت بين مصر واسرائيل، مدى فتك انظمة الدفاع الجوي الصاروخية ورادارتها التي ازدادت تطورا بالطائرات المقاتلة. والحقيقة ان تاريخ تصميم طائرة غير قابلة للكشف تعود الى حقبة الحرب العالمية الثانية، الا انه في عام 1983 رسميا اعتبر بداية تلك التقنية واستخداماتها، حيث استلم سلاح الجو الامريكي أول سرب من طائرة إف - 117 ذات القدرات الخفائية عن الكشف بواسطة موجات الرادار الأمر الذي مكنها من التحليق من دون ان يتم رصدها او حتى كشفها، وفي

عام 1988 نشر سلاح الجو الامريكي صورا فنية لشكل قاذفة هي B-2 توضح ملامحها الرئيسية التي هي عبارة عن طائرة ذات حواف خلفية تشبه حرفي W باللاتينية وبفتحات دخول الهواء لمحركاتها مثبتة فوق جناحيها الكبيرين، كما لا يوجد فيها دفة رأسية ومجموعة ذيل خلفية، والطائرة بمجمل عام عبارة عن شكل جناح طائر، وبهذا يكون سلاح الجو الأميركي الرائد في هذا المجال قد افتتح رسميا عهد الطائرات الخفية.

ان استخدام الدهان الماص للاشعاع الراداري ليس بفكرة وليدة اليوم، فقد سبق لسلاح الجو الالماني في عهد هتلر أن أجرى تجارب لم تصب نجاحا كبيرا آنذاك على دهانات لجعل الطائرات المغيرة غير مرئية راداريا، كما ان تلك المادة تم استخدامها في مناظير الغواصات الالمانية النازية للحؤول دون تمكن الرادارات البريطانية من كشفها عند صعودها الى سطح الماء. وقد ظهرت اولى المواد الماصة للرادار الى العلن لاول مرة في عام 1982، عندما تقدمت السفارة الامريكية في طوكيو باليابان بطلب غريب من شركة TDKاليابانية وكذلك الاخرى NECالشهيرتين بصنع المعدات الالكتروني، وهو شراء صفيحة دهان تبين فيما بعد انها طورت لوقف رشح وتسريب الافران المنزلية العاملة بالموجات الصغرية المايكرويف MICROWAVES وهي تحتوي على صفائح مصنوعة من حبات او قشور لاكاسيد الحديد، وكانت تلك العينة لها اهمية بالغة بالنسبة للباحثين الاميركيين الذين كانوا يجرون أبحاثا حول صنع دهانات وأغلفة ماصة للاشعاع الراداري واستخدامها في الطائرات، لكن بعد ذلك تم الاعتماد على مادة اخرى أخف وزنا وأكثر فعالية.

وأمريكا والبديلة الجديدة للاتحاد السوفيتي السابق المتمثلة بروسيا عادتا الى التنافس في تقديم الاسلحة المتطورة كما في السابق، وان كان حظ روسيا هذه المرة أفضل، لكن المعارك هي خير دليل على نجاح السلاح فمن الناحية التجارية، فعلى الجانب التكنولوجي تميزت مقاتلة ‹السوخوي Su-27› ومشتقاتها su-35/37/30MK/33K بكونها أخصب تصميم لطائرة مقاتلة من حيث امكانية تطورها ونموها، والسوخوي أو Su-27هي مقاتلة اعتراضية بعيدة المدى للقتال الجوي الصرف، وهي ذات مدى غير اعتيادي لمقاتلة تحمل جميع وقودها داخل البدن مثل.F-22 .

أيقنت القيادة التابعة لسلاح الجو الروسي أهمية المقاتلات القاذفة ذات المديات الطويلة والقدرات الادائية المتفوقة، مع خاصية التنوع في الحمولة التسليحية، وكان من نتاج ذلك المقاتلة القاذفة سوخويSu-34 ، بحيث بنيت على اساس المقاتلة الاصلية Su-27، ولكن مع مقدمة جديدة وغريبة، أخذت شكلا مسطحا يعطي انطباعا بتمتع المقاتلة الجديدة بخاصية الخفاء الجزئي ويمكن لمقاتلة Su-34 حمل 8 اطنان من الاسلحة المتنوعة (صواريخ جو ـ جو بعيدة وقصيرة المدى، صواريخ وقنابل موجهة جو ـ أرض) مع

رادار ذي مسح الكتروني ورادار آخر مثبت في الجذع الخلفي الممتد، والخاص بالرؤية الخلفية للكشف واطلاق الصواريخ من نوع جو جو، اما ما يميز تلك المقاتلة القاذفة فهو في اعتمادها مبدأ الخفاء الالكتروني، وهو يتم بواسطة مولدات محمولة في الطائرة تستخدم البلازما (مادة عالية التأين) بحيث يقوم الغاز المؤين حول الطائرة بامتصاص موجات الرادار، وبالتالي حجب الطائرة عنه، الا ان له عيبا وهو ان الطائرة لا تتمكن من ارسال/ استقبال اي اتصال لاسلكي بسبب الحجب الالكتروني ذاك، لذلك فكر الروس في تقنية أخرى أكثر ثورية.

وظلت تكنولوجيا الخفاء أحد أعمدة القوة العسكرية الأميركية في مجال الحرب التكنولوجية المتطورة على مدى العقود الثلاثة الماضية، بيد أنه مع ظهور مقاتلة السوخوي تي — 50 في معرض موسكو الجوي الذي اقيم في الأسبوع الماضي، قد يعفى عليها الزمن. وتكنولوجيا الخفاء التي تتيح حاليا للطائرات الأميركية أمثال إف ـ 22 والقاذفة العملاقة بي — 2 قدرات لا مثيل لها في التسلل من دون رصدها من قبل رادارات العدو، قد لا تتمكن بعد سنوات قليلة من ذلك بسبب ظهور تكنولوجيا مضادة لها تتمثل في أنظمة استشعار ورادارات بطاريات الصواريخ سام الحديثة وكذلك رادارات المسح الإلكتروني المثبتة على كل من حواف أجنحة طائرتي سوخوي إس يو ـ 35 وتي ـ 50 الحديثتين والأخيرة من الجيل الخامس تم اعتماد تكنولوجيا النانو في طلائها مما أكسبها قدرة ليس على الخفاء وحسب، بل والتحكم في انسيابية الهواء على سطوحها بسلاسة تعمل على خفض معدل استهلاكها للوقود، الأمر الذي يمنحها مدى أطول من نظيرتها الأمريكية الإف — 22.

بالطبع لم يقف الأميركيون مكتوفي الأيدي إزاء هذا الخرق الروسي، فهناك فرصة بالنسبة لهم للاستمرار في الاعتماد على تكنولوجيا الخفاء، خاصة مع تطوير المقاتلة إف ـ 35 الحالية، التي لم تدخل الى الخدمة حتى الآن نظرا لتأخر طرأ على برنامج تطويرها المكلف؛ والتي يعتمد على تفوقها في أنظمة الاستشعار واستخدام الكمبيوتر الخاص برادارها العتيد. ويمكن لذلك الرادار نظريا أن يستخدم للتشويش كما الرصد على رادارات العدو مهما بلغت من قوة، وتسريب برامج مدمرة في نظام السيطرة الخاص بها، مما قد يتسبب في شلل تام للعدو، الأمر الذي يسهل تدميره.

وما هو احدث اجهزة الاستشعار والاجهزة الالكترونية القابلة للارتداد والتي تصبح جزء من عالمنا حتى اننا نلحظ وجودها.فانت تمشي في غرفة تتحرك كل اجزائها وتتفاعل معك وفق اوامرك.هذه النوعية من التقدم التقني قد تقضي على الانترنت او تضعف من اهميته إلى حققها على الاقل.

التوازن الإلكتروني والدفاعي

إن سعي الدول إلى حيازة أسلحة للهجوم أو الردع النووي يصبح بلا معنًى، إذ ان التطور المثير سيفرض على الدول التحول باتجاه الاستثمار في صناعة المعلومات بكل تقنياتها فائقة الحداثة والتطور، بدلاً من أن تستثمر في برامج مكلفة للغاية لتطوير طاقاتها النووية العسكرية من دون أن تتوافر فرصة حقيقية لاستخدامها بصورة فعلية. وعلى صعيد آخر، فإن ماسيتحقق من تحولات بعيدة المدى بفعل هذه الثورة من شأنه أن ينقل قريباً علاقات توازن القوى، خاصة بين الدول الكبرى، من مرحلة التوازن الاستراتيجي العسكري إلى مرحلة التوازن الاستراتيجي المعلوماتي. وهو تحول سوف تكون له دلالات وانعكاسات على كل ما يتعلق بحماية الأمن

القومي للدول .وهكذا، فإن تقويم ما تحويه ترسانات الدول من الأسلحة سيكون على اساس ما تضمّه من أسلحة معلوماتية متنوعة ومتطورة .ومثل هذا التقويم سيكون أمراً صعباً نظراً إلى الطبيعة الغامضة للكثير من هذه الأسلحة ولمنظومة الوسائط المتعدّدة المستخدمة في تمكينها من اختراق أهدافها وتدميرها.

وسيترتب على ذلك، ارتفاع هامش الخطأ المحتمل في عمليات الحساب والتقويم .كما سيتفرّع عنه أن أي محاولة لفرز نوعيات هذه الأسلحة المعلوماتية، وتصنيفها على أساس ما هو دفاعي، أو ما هو هجومي منها، قد تكون أمراً متعذراً أيضاً .ومعنى أن الأسس التي تقوم عليها حسابات هذا النوع من أسلحة حروب المعلومات تفتقر إلى الدقة والموضوعية .وهو ما قد يقود في النهاية إلى استنتاجات مضلّلة .وتلك هي إحدى أخطر معضلات التعامل مع حروب المعلومات، التي تجعلها مختلفة عن الحروب الأخرى، بما فيها الحروب النووية نفسها. وبالنظر إلى الطبيعة التقنية الفائقة، وتطور الحروب المعلوماتية، فإن الوضع الراهن صار يحتم إعادة النظر في نوعية المهمات المسندة إلى المؤسسات العسكرية بمستواها الحالي من الإمكانات والقدرات .

بعبارة أخرى، يجب أن يُترَك التخطيط لحروب المعلومات لكوادر ومؤسسات تكون أقدر على الوفاء بمتطلبات هذا العمل الأمني القومي الحساس، وليس لمؤسسات عسكرية فقط تحكمها مفاهيم وعقائد وتقاليد قتالية بعيدة تماماً عما نتحدث عنه هنا. كما أن إسناد مهمات التعامل مع حروب المعلومات، بتقنياتها المعقدة، إلى كوادر ومؤسسات مؤهلة ومتخصصة ومدرّبة لن يكون أمراً سهلاً، وذلك من واقع أن مرحلة التحول بكل تبعاتها سوف تستغرق الكثير من الوقت .وكذلك فإن تصميم بنية معلوماتية فائقة التطور سيكلف الكثير من الموارد والطاقات القومية .ولا بد أن يستند مثل هذا التحول الجذري الشامل إلى ثقافة مجتمعية ومعرفية متطورة تحفز على هذا التغيير وتسانده وتدعمه. استراتيجيات الدفاع من الواجب أخذ الحقائق التالية في الاعتبار لدى تصميم

استراتيجيات فعّالة للدفاع ضد الحروب المعلوماتية: أولاً :إن قدرة أي دولة، مهما كان مستوى تطورها المعلوماتي، على مواجهة المخاطر، التي تسببها الحروب المعلوماتية، تخرج عن حدود الواقع والممكن، ويترتب على ذلك أن أقصى ما يمكن للدولة أن تفعله هو أن تزيد بدرجة ما من قدرتها على الدفاع والردع للحدّ من التهديد المعلوماتي الذي يشمل مداه العديد من المحاور، لكي تُبقي هذا التهديد ضمن حدود يمكن تحملها .وربما يزيد من صعوبة تلك المهمة أن الهجوم على نظم المعلومات وقواعدها في الدولة الخصم قد يصل في شموله إلى مستوى التهديد الاستراتيجي، وهو الأشد فتكاً، وتصعب مقاومته . وسيفضي أي هجوم معلوماتي شامل إلى نتائج كارثية .

ومن أضراره الهبوط بمستوى الأداء العسكري، وشلّ السياسة الخارجية للدولة عن سعيها إلى تدارك الكارثة، وذلك غير ما يتسبب به من دمارين اقتصادي ومعنوي، وانعدام ثقة المجتمع بالحكومة المسؤولة عنه.

ثانياً :يصبح خطر الحرب المعلوماتية أكثر فتكاً بقدرات الخصم في غياب المؤشرات الدالة إلى أنه في طريقه إلى الحدوث .وإذا كانت هذه هي الطبيعة المميزة للحرب المعلوماتية(كحرب مباغتة وغامضة وربما مجهولة المصدر والاتجاه)، فإن الدفاع ضدها سواء كانت شاملة أو محدودة، يفرض على الدول التي تحس بخطرها أن تكون على أعلى درجة من الحيطة والحذر المستمر تحّسباً للأسوأ.

ثالثاً :الأطراف التي يقع عليها عبء الدفاع في حروب المعلومات، باحتمالاتها اللامحدودة،ستكون في الموقف الأصعب نسبياً بالمقارنة مع ما يمكن أن يكون عليه موقف المهاجمين، فهؤلاء يمكنهم الإمساك دائماً بزمام المبادرة، خاصة في كل ما يتعلق بتحديد توقيت الهجوم ومكانه وآلياته وأسلوب تنفيذه .وبالنسبة إلى الأطراف المدافعة، فسيكون من الصعب عليها تطوير دفاعاتها، والتحول عن سيناريوهاتها إلى أخرى مختلفة .كما لن يكون هيناً بالنسبة إليها تغطية كل نقاط الانكشاف في مختلف أجهزتها ومؤسساتها، بما يضمن إغلاقها بإحكام

في وجه محاولات اختراقها. وسيترتب على وجود هذه الفجوة التكنولوجية بين المهاجمين والمدافعين أن التخطيط لاستراتيجيات الدفاع ونظمه في حروب المعلومات المقبلة يجب أن

يكون مستمراً حتى تتوافر للدولة جاهزية أعلى للرد على أي هجوم معلوماتي تتعرض له.

رابعاً :يجب أن يشمل توزيع الدولة لمهمات الدفاع في حروب المعلومات القطاعين الحكومي والخاص .ويعني ذلك أن ثمة مناطق يحتم الدفاع عنها أن يكون مس ؤولية الحكومات وحدها .وبالمستوى نفسه، ستكون هناك مناطق أخرى يتولاها القطاع غير

الحكومي، خاصة إذا كانت بعض أجهزته ومؤسساته تزاول أنشطة فائقة الأهمية بالنسبة إلى الأمن القومي.

وعلى الرغم من أهمية ماسبق، فالموقف قد يقتضي الذهاب إلى أبعد من ذلك، وإعادة النظر في الكثير من النظم التشريعية الحالية الموروثة من مرحلة ما قبل عصر المعلومات وثورة الاتصالات .ويتوقع أن تكون المهمة العاجلة لهذه النظم الجديدة التوصل إلى منظومات مختلفة من المعايير القادرة على توفير الحماية المناسبة لأمن المعلومات، وتحصين الخدمات المعلوماتية على اختلاف مواقع الأطراف المشاركة فيها أو المتعاملة معها .وباختصار، فإن الهدف النهائي هو إيجاد بيئة معلوماتية محصنة بكل الوسائل والآليات الفعّالة. العالم يقف أمام مشكلة تتفاقم بحدة لم يسبق لها مثيل . وتبدو فظاعة المشكلة أكثر وضوحاً في ظل عدم وجود ملاذات آمنة يمكن الاحتماء بها في مواجهة الهجمات المباغتة والمدمرة للحروب المعلوماتية.

ولعل مما يزيد من مؤشرات الخطر الداهم، هو ما نشهده من تطور متسارع في مجال تكنولوجيا المعلومات، مقروناً بالتوسع المستمر في كل مكان في تطبيقها في جميع المجالات المتصلة بأمور الدفاع والتخطيط الاستراتيجي،ونظم التسليح، ومحطات إنتاج الطاقة، والمفاعلات النووية، وتشغيل المطارات، والقواعد الجوية، ووسائل النقل، ومراكز القيادة والسيطرة والاتصال، ومراكز الأبحاث، ومؤس سات الصناعة والإنتاج وتقديم الخدمات، والمعاهد التعليمية والجامعات، فضلاً عن الشبكات الدولية للمعلومات، وغيرها. ومع كل هذه الاستخدامات والتقاطعات المتشابكة بين كل تلك المواقع والخطوط، فلا بد أن تتزايد مخاطر الانكشاف والتعرض للاختراق بصورة تبعث على الخوف مما يمكن أن يحمله المستقبل من محن.و أكثر ما يكشف عنه هذا التطور المثير في طبيعة حروب المستقبل المحتملة وصراعاته، هو الحاجة الماسة إلى طبقة جديدة من الجنرالات الجدد الذين لا ينتمون، بطبيعة تكوينهم وتأهيلهم وثقافتهم، إلى سلك العسكريين المحترفين،بل يكونون من سلك مختلف من المبدعين والمبتكرين الذين يعيشون المستقبل أكثر مما يعيشون الماضي أو الحاضر، ويخططون لحروب مقبلة، هجوماً ودفاعاً، بسيناريوهات لم يسبقهم إليها أحد في التاريخ.

الجيوش الإلكترونية

على الرغم من استطاعة مجموعة من الأشخاص المحترفين والمتمرّسين والمزودين بالمتطلبات الأساسية استهداف بعض القطاعات التي تستهدفها أي حرب إلكترونية وتحقيق بعض الجوانب التي تحققها الحروب الإلكترونية أيضا، إلا أنّ الفارق كبير بين الحالتين. فمجال الحرب الإلكترونية أوسع من أن يتولاه بضعة أشخاص والقطاعات المستهدفة أكبر والأضرار الناجمة أضخم والقدرات المستخدمة هائلة، وهي لا تتاح إلا لدول لديها القدرة والقابلية على استثمار مواردها في هذا الإطار واستخدامها في هذا المجال.

وإدراكا منها لهذا الواقع، تنشط العديد من الدول ولا سيما الصين وروسيا والولايات المتّحدة الأمريكية وفرنسا وانجلترا وإسرائيل والهند وباكستان وكوريا الشمالية وإيران بصورة صامتة لتطوير قدراتها في الحرب الإلكترونية وبناء جيوش من الخبراء الذين قد يشكّلون مستقبلا نواة الجيش الإلكتروني للدولة.

ولأنه ليس هناك قانون يحكم عمل أو يحدد إطار الحرب الإلكترونية في الفضاء الإلكتروني، فان الأعمال الهجومية والدفاعية التي تتم فيه إنما تعكس شخصية وصفات النظام الاستخباراتي القائم في ذلك البلد وتوجهاته العامة.

فالألمان على سبيل المثال يتمتعون بقدرات عالية ومتطورة، ولكنها مقيّدة ويتم كبحها بدافع ذاتي خاصة في الأعمال السريّة. أمّا الروس والصينيين، فهم ليسوا كذلك على الإطلاق وهناك نزعة هجومية واضحة في عملهم، وتنسب إليهم معظم الهجمات التي تتم اليوم في الفضاء الإلكتروني من خلال تنظيمهم آلاف الهجمات على مواقع أجنبية كل عام. فقد كانت الشكوك تحوم حول الروس في أشهر حالتين معروفتين في هجمات استونيا ربيع 2007 وجورجيا صيف 2008. أمّا الصينيين فقد شنوا العديد من الهجمات الشرسة المعروفة حتى اليوم في مجال التجسس لعل أهمّها محاولات اختراق البنتاجون في 2007.

أولا: تطوير الاستعدادات الهجومية:على الرغم من أنّ معظم الدول تعمل حثيثا على تطوير قدراتها الهجومية في المجال الإلكتروني، إلا أن الصين وروسيا تعتبر الدول الأبرز في هذا المجال لدوافع ومبررات مختلفة.

1- الصين: وتعتبر من أكثر الدول التي تعمل على تطوير قدراتها الهجومية في المجال الإلكتروني، وهي واحدة من الدول القليلة التي تدمج فعلا مفهوم "الثورة في الشؤون العسكرية" (RMA) في صلب العقيدة العسكرية، وخاصة في مجال الحروب الإلكترونية. وتؤكد الورقة الصينية البيضاء عن "الدفاع القومي" لعام 2006 على أنّ

الهدف الرئيسي من بناء جيش حديث، هو جعله قادرا على الفوز في حروب المعلوماتية بحلول منتصف القرن الواحد والعشرين. وهو الأمر الذي أعادت تأكيده عام 2009.

ولأن الصين ليست على المستوى العسكري لأمريكا وروسيا، فهي تحاول على الأرجح استغلال البُعد الإلكتروني لتطوير قدراتها "اللاتناظرية" لتحقيق تفوق في هذا المجال وبالتالي ضمان قدرات ردعيّة تتيح لها توفير الوقت اللازم لبناء قدراتها التقليدية من جهة، وتتيح لها أيضا استكشاف نقاط ضعف خصومها في المجال الإلكتروني للتركيز عليها.

2- روسيا: وتتبنى كما الصين تطوير قدراتها في الحرب الإلكترونية لاسيما في الشق الهجومي، واتهمت بأنها تقف وراء العديد من الحالات المشهورة من دون أن يكون هناك دليل مادي قوي على ذلك. لكن الواضح أنّ روسيا ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي تعتمد على وسائل أقل تكلفة وأكثر فاعلية في مواجهة الولايات المتّحدة وحلف شمال الأطلسي. إذ تعتبر القدرات اللاتناظرية ومن ضمنها الحرب الإلكترونية إحدى أهم وسائل المواجهة في ظل التفوق العسكري للناتو وواشنطن.

ثانيا: تطوير الاستعدادات الدفاعية: ولأنّ الدولة الأكثر اعتماداعلى الشبكات والمعلوماتية تعتبر الأكثر عرضة في المقابل للنتائج الكارثية لأي حرب إلكترونية تشن على مستوى عالي ودقيق. ولأن الأفضلية في الحروب الإلكترونية هي للمهاجم عادة وليس للمتحصّن، ولان ميدان حروب المعلومات هو ميدان لا تناظري، تعكف العديد من الدول على تطوير قدراتها الدفاعية إلى جانب امتلاكها قدرات هجومية متطورة، ومنها:

1- انجلترا: وقامت على سبيل المثال بإصدار إستراتيجية الأمن الإلكتروني القومية في يونيو 2009، كما قامت بإنشاء وحدة الأمن الإلكتروني ومركز العمليات ومقرّه وكالة الاستخبارات القومية (GCHQ)، وبدأت وظيفتها عمليا في مارس 2010.

2- حلف شمال الأطلسي (ناتو): وكذلك ناقش الحلف الشكل والحد الذي يمكن عنده اعتبار الهجمات الإلكترونية بمثابة إعلان حرب أو شكل من أشكال الاعتداء العسكري الذي يفرض على الدول الأعضاء الالتزام بتقديم المساعدة والدفاع عن الحليف الذي يتعرّض لذلك الهجوم. وقد ذكر تقرير الناتو الصادر في مايو 2010 والمعد لبلورة مفهوم جديد ودور جديد للحلف عام 2020 أنّ هناك ضرورة لتكثيف الجهود وتعزيز قدرات الرد على الهجمات الإلكترونية التي تترك مخاطر متزايدة على أن تتضمن مساعدة الحلفاء على تطوير قدرات دفاعية تضمن الردع المناسب.

3- الولايات المتّحدة: وعلى الرغم من أنّها تبقى الدولة الأكثر امتلاكا للقدرات والتقنيات الهجومية العالية المطلوبة في الحروب الإلكترونية، إلا انّه من الواضح أنّ اهتمامها ينصبّ مؤخرا على تعزيز القدرات الدفاعية في هذا المجال. ونظرا لأنها الدولة الأكثر

اعتمادا في العالم على الإنترنت وعلى الشبكات في مختلف القطاعات المدنية والعسكرية تبدو الأكثر اهتماما بالجانب الدفاعي فيما يتعلق بالحروب الإلكترونية مقارنة بالدول الأخرى.

وفي مايو 2009، صدّق البيت الأبيض على وثيقة "مراجعة سياسة الفضاء الإلكتروني" التي تمّ تقديمها من قبل لجنة خاصة إلى الرئيس الأمريكي أوباما، وهي تلخّص الخطوات التي يجب على الولايات المتّحدة اتّباعها في مجال البدء بتفعيل الأمن الإلكتروني ومتطلّباته الأوّلية الأساسية.

وفي 26 أبريل 2010كشفت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) عن مبادرة جديدة لمحاربة الهجمات الإلكترونية، وضعت من خلالها العناوين العريضة للخطط المناسبة لخمس سنوات قادمة.

كما قامت الولايات المتّحدة في مايو 2010 بإنشاء قيادة الإنترنت "سايبركوم" وعيّنت مدير وكالة الاستخبارات القوميّة الجنرال كيث أليكساندر قائدا عليها مهمته الحرص على حماية الشبكات العسكرية الأمريكية على الدوام. وقد بدأت هذه القيادة العمل فعلا بعد أن كان قد تمّ الإعلان عن ضرورة إنشائها في عهد الرئيس اوباما في العام 2009، وهي تضم اكثر من 1000 فرد من نخبة القراصنة والجواسيس الإلكترونيين المحترفين والمميزين يعملون تحت إمرة الجنرال أليكسنادر، علما أنّ بعض التقديرات تشير إلى أنّ الولايات المتّحدة بحاجة إلى قوة قوامها حوالي 20 ألف إلى 30 ألف فرد بنفس المميزات والصفات حتى تضمن تنفيذ المهام الدفاعية الإلكترونية على أكمل وجه في حماية الولايات المتّحدة بأسرها.

وفي 25 سبتمبر 2010، أكدت إيران أن العديد من وحداتها الصناعية وقعت ضحيت إرهاب إلكتروني بعد إصابتها بفيروس "ستكسنت" ويعد هذا الفيروس وفق العديد من التقارير التي صدرت مؤخرا واحد من أعقد الأدوات التي تم استخدامها. ف"ستكسنت" عبارة عن برنامج كومبيوتر خبيث يهاجم أنظمة التحكم الصناعية المستخدمة على نطاق واسع في مراقبة الوحدات التي تعمل آليا. وكان الخبراء بداية يعتقدون أنّ مهمّة البرنامج هي التجسس الصناعي ونقل المعلومات التي تساعد على تقليد المنتجات.

لكن تبيّن لخبراء الهندسة العكسيّة فيما بعد أنّ الأمر مختلف كليّا. فالبرنامج -وعلى عكس الكثير من البرامج المعروفة - ليس مخصصا للتجسس وسرقة المعلومات الصناعية لمحاولة كسب المال أو لسرقة الملكية الفكرية. فبعد حوالي أربعة أشهر من العمل، ظهر أن الأمر أكثر تعقيدا مما كان متصورا، وأننا نقف أمام نوع جديد من البرامج التي من الممكن أن تتحول إلى نموذج للأطراف التي تنوي إطلاق هجمات إلكترونية تؤدي إلى دمار حقيقي واقعي في البلد المستهدف حتى دون الحاجة إلى الإنترنت.

فالبرنامج لا يعمل بشكل عشوائي كما هي العادة وإنما بشكل محدد جدا. إذ يقوم بعد اختراق الأجهزة والحواسيب بالتفتيش عن علامة فارقة تتعلق بأنظمة صنعتها شركة "سيمنز الألمانية"، فإذا ما وجدها يقوم عندها بتفعيل نفسه ويبدأ بالعمل على تخريب وتدمير المنشأة المستهدفة من خلال العبث بأنظمة التحكم وقد تتعدد المنشآت التي يستطيع مهاجمتها من خطوط نقل النفط إلى محطات توليد الكهرباء وحتى المفاعلات النووية وغيرها من المنشآت الإستراتيجية الحسّاسة، وإذا لم يجدها، فيترك الحاسوب وشأنه.

البرنامج كبير ومشفّر جدا ومعقد جدا ويوظّف تقنيات ذكية وجديدة، ولا يلزمه للعمل أي تدخل بشري في أي مرحلة من المراحل، ويكفي أن يكون هناك بطاقة ذاكرة تخزين إلكترونية مصابة به حتى يبدأ عمله.

ولأنه على هذه الدرجة من التعقيد والتطور ولأنّه يعمل بشكل محدد جدا، فمن البديهي أن يكون من صنع دولة، ومن البديهي أن تكون المنشأة أو المنشآت الأساسية التي يبحث عنها لتدميرها أو تخريبها قيّمة للغاية وعلى درجة عالية من الأهمية. وبناء على هذا الاستنتاج، ذهبت العديد من المصادر إلى التخمين بأنّ مفاعل بوشهر الإيراني قد يكون الهدف الأساسي الذي يبحث البرنامج عنه لتدميره.

ففي دراسة لها، أشارت شركة "سيمناتيك" التي تعمل في مجال برامج الأمن الإلكتروني والبرامج المضادة للفيروسات أنّ إيران تأتي في طليعة الدول المستهدفة من ناحية الإصابات التي حققها برنامج "ستكسنت" وأنّ ما يقارب 60% من أجهزة الكمبيوتر التي تعرضت لهجوم من هذا التطبيق الخبيث كانت في إيران.

وعلى الرغم من أنّ إيران نفت عبر مدير مشروع بوشهر محمود جعفري أن يكون الفيروس قد أصاب المفاعل أو تسبب في أي ضرر في أنظمة التحكم فيه، إلا أنها كانت قد أقرت إصابة بعض الحواسيب الشخصية المحمولة لموظفي المحطة بهذا الفيروس إضافة إلى إصابته أكثر من 30 ألف نظام حاسوبي لمنشآت صناعية متعددة داخل إيران.

وهناك عدد من الخبراء يعتقد بالفعل أنّ هدف الفيروس الأساسي قد يكون مفاعل بوشهر، وأنّ الفيروس قد حقق هدفه من التخريب بدليل أنّ إيران أعلنت أنها ستؤجّل العمل في المفاعل عدّة أشهر حتى بداية عام 2011، في وقت يرى فيه آخرون أنّ الهدف هو منشأة ناتانز لتخصيب اليورانيوم بدليل أنّ المنشأة عانت مشكلة ظلّت طي الكتمان وأدت إلى انخفاض أجهزة الطرد المركزية القادرة على العمل بنسبة 15% فجأة وذلك في نفس الفترة التي ظهر فيها الفيروس لأول مرّة.

وبالرغم من أنّه قد تمّ اكتشاف "ستكسنت" لأول مرة من قبل شركة بيلاروسية تدعى VirusBlockAda قالت أنها عثرت على التطبيق الخبيث في جهاز كمبيوتر يعود

لأحد عملائها الإيرانيين، إلاّ أنّ أصابع الاتهام لم تتّجه إليها، وتمّ إطلاق العديد من التخمينات حول الجهة التي قد تكون أطلقت هذا الهجوم بالفعل، ومنها:

1- روسيا: على اعتبار أنّه سبق وان كانت موضوع شبهة في أكبر هجومين وقعا حتى فترة ما قبل "ستكسنت" في استونيا وجورجيا. وفي حالة إيران، فالإيرانيين استخدموا الروس لتركيب أنظمة سيمينز الألمانية، والعلماء الروس كانوا الجهة الأجنبية الوحيدة المسؤولة عن بوشهر والمخولة أيضا الدخول إلى كافّة الأنظمة، وعليه فالروس يعلمون جيدا مكمن الضعف، ومن الممكن جدا لأسباب مختلفة أن يكونوا الجهة التي أدخلت الفيروس عبر استخدام بطاقة ذاكرة مصابة. وتشير بعض التقارير الاستخباراتية الصادرة مؤخرا إلى أنّ عددا من العلماء والتقنيين الروس المشاركين في مشروع بوشهر بدؤوا في مغادرة إيران خوفا من اعتقالهم واستجوابهم خاصة بعدما تمّ احتجاز بعض من زملائهم لاستجوابهم من قبل السلطات الإيرانية.

2-الصين: وفي المقابل، يشير عدد من خبراء الأمن الإلكتروني إلى أنّ الصين قد تكون المصدر المحتمل للفيروس، وانّ الهدف المقصود منه كان الهند وليس إيران مستندين في ذلك إلى أنّ الهند وحتى نهاية سبتمبر 2010 تعد الدولة الأكثر تعرّضا للفيروس وفقا لإحصاءاتهم، وهي وتأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد الحواسيب المصابة بالفيروس متخطّية كل من إيران وإندونيسيا وبواقع 60 ألف جهاز. وذلك في سياق التوتر الذي تشهده العلاقة بين البلدين على خلفية نزاعات حدودية وسياسية متزايدة مؤخرا.

3-أمريكا: ولا تستبعد جهات أخرى أن تكون الولايات المتّحدة الدولة المصنّعة للفيروس نظرا لتعقيده وتطوره ولما يحتاجه من خبرات وموارد هائلة. ويربط البعض بين هذا الفيروس وبين النزاع الأمريكي-الإيراني حول الملف النووية، وأنّ الهدف منه هو تخريب المجهود النووي الإيراني خاصّة أنّ الرئيس جورج بوش الابن كان قد سمح -وفقا لتقارير صحفية نقلا عن مسؤولين حكوميين- بإطلاق جهود تتضمن العديد من الخطوات التي تهدف إلى تخريب البرنامج النووي الإيراني من خلال استهداف أنظمة الحواسيب والكهرباء والشبكات وكل ما يخدم البرنامج النووي الإيراني. ووفقا لأصحاب هذا التصوّر، فقد استكمل الرئيس أوباما هذا المجهود فيما بعد، خاصّة أنّ عملية تخصيب اليورانيوم كانت قد عانت مصاعب تقنية كبيرة.وما زال من غير المعروف إذا ما كان السبب هو العقوبات الاقتصادية أم التصنيع الرديء أم عمليات التخريب الأمريكية.

4- ومع ذلك تبقى إسرائيل وفق كثير من الخبراء والمتخصصين المرشح الأكثر احتمالا كمصدر لفيروس "ستكسنت".

وفي أواخر التسعينات نجح خبير في مجال الحواسيب يعمل في جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (شين بيت) من خلال تقنيات القرصنة في اقتحام نظام الكمبيوتر الخاص

بمستودع (بي جالوت) للوقود شمالي تل أبيب. كان الهدف إجراء اختبار روتيني لتدابير الحماية بالموقع الاستراتيجي، لكن هذه العملية نبهت الإسرائيليين أيضا إلى الإمكانية التي توفرها هذه التسللات عالية التقنية للقيام بأعمال تخريبية حقيقية، وأدركوا حينها أنه بخلاف الاطلاع على البيانات السرية، فإنهم يستطيعون أيضا تنفيذ تفجيرات متعمدة بمجرد برمجة تغيير في مسار خطوط الأنابيب".

ومنذ ذلك الوقت تبلورت الحرب الإلكترونية شيئًا فشيئًا لتصبح ركنا رئيسيا في التخطيط الاستراتيجي لإسرائيل. وتعتبر الوحدة 8200 في الجيش الإسرائيلي أكثر الوحدات تطورا من الناحية التقنية والتكنولوجية ولها نشاطات واسعة في حروب الإنترنت والشبكات، وقد انضم إليها الآلاف من العقول الإسرائيلية منذ إنشائها نظرا لشهرتها الواسعة حيث تعمل على ضمان التفوق النوعي لإسرائيل من خلال عمليات دفاعية أو هجومية في الفضاء الإلكتروني.

وعلى الرغم من أنّه قد تمّ تصنيف الوحدة 8200 من قبل بعض المؤسسات المعنيّة بأنها أكبر سادس مطلق لهجمات الإنترنت في العالم، فان هذه الوحدة ليست الوحيدة التي تتمتع بهذه القدرات التقنية العالية في إسرائيل، فهناك العديد من الوحدات الأخرى التي تتمتع بقدرات متطورة جدا في مجال تكنولوجيا المعلومات في جميع التخصصات. ويتم استقطاب وتجنيد الأطفال الإسرائيليين من النخبة حتى قبل إنهائهم دراستهم الثانوية، عندما يبلغ هؤلاء سن الـ25 عاما، يكون لديهم أكثر من 7 سنوات خبرة عملية في مجال التكنولوجيا.

ولا يقتصر الأمر على الجيش الإسرائيلي في توظيف الأدمغة وبناء قدرات عالية في مجال الحروب الإلكترونية وإنشاء وحدات قوات نخبة خاصة كوماندوس بحروب الإنترنت وتكون مهمتها التعامل مع أصعب وأخطر وأعقد الحالات المتعلقة بهذه الحروب، وإنما تدخل الاستخبارات الشين بيت على الخط أيضا للقيام بنفس المهمة، ويتم الاستفادة في هذا الإطار من العناصر المخضرمة أيضا، ومن المؤسسات التقنية والمعلوماتية الإسرائيلية ومن العاملين فيها كرافد مهم.

وتتجه أصابع الاتهام إلى إسرائيل فيما يتعلق بفيروس "ستكسنت" اعتمادا على عدد من المؤشرات منها,توافر القدرات التقنية اللازمة للقيام بمثل ذلك العمل,وتعقيدات العمل العسكري التقليدي وتردد الأمريكيين في الدخول بحرب جديدة أو السماح لإسرائيل بفعل ذلك,وتوافر سوابق لإسرائيل في هذا المجال، لعلّ أبرزها كما يقول الصحافي في مجلة "جينز ديفنس"، طوني سكينر نقلا عن مصادر إسرائيلية، أن قصف إسرائيل العام 2007 لمفاعل نووي مزعوم في سوريا، كان مسبوقا بهجوم إلكتروني عطّل الرادارات الأرضية والراجمات المضادة للطيران.

لكن الأهم من كل ما تمّ ذكره أعلاه والمثير للاهتمام في نفس الوقت في الموضوع أنّ رئيس شعبة المخابرات العسكرية الإسرائيلية الميجر جنرال "عاموس يادلين" كان قد كشف في خطوة نادرة أنّ مجال الحرب الإلكترونية يناسب تماماً عقيدة الدفاع في إسرائيل، وأنّ القوات الإسرائيلية أصبح لديها الوسائل الكافية لإطلاق هجمات إلكترونية استباقية من دون أي مساعدات خارجية، وهي تدرس بهدوء استخدام هذه التقنيات ضدّ الآخرين بهدف التسلل إلى معلومات أو القيام بتخريب من خلال زرع برامج في أنظمة السيطرة والتحكم في المنشآت الحساسة للأعداء في المنطقة مثل إيران. بالاضافة إلى ان إسرائيل توصّلت إلى أنّ نقطة ضعف إيران الكبرى إنما تكمن في معلوماتها المحملة إلكترونيا، وهو ما يتيح استهدافها. وعندما سئل سكوت بورج مدير الوحدة الأمريكية لتبعات الإنترنت "وهي وحدة استشارية تقدم خدماتها في مجال الأمن الإلكتروني لمختلف الوكالات الأمنية الوطنية الأمريكية" عن السيناريو الذي يمكن أن تلجأ إليه إسرائيل لاستهداف إيران، أجاب انه "من الممكن استخدام "البرامج الخبيثة" لإفساد أو تعطيل أو السيطرة على أجهزة التحكم في المواقع الحساسة مثل محطات تخصيب اليورانيوم، وبما أن الأصول النووية لإيران ستكون في الغالب غير متّصلة بالإنترنت، فلن يتسنى للإسرائيليين زرع الفيروس عبر الإنترنت وسيكون عليهم دسه في البرامج التي يستخدمها الإيرانيون أو في أجهزة محمولة يدخلها فنيون دون علم الإيرانيين. ويكفي توافر أي وحدة تخزين بيانات متنقلة ملوثة لإتمام هذه المهمة". وهو سيناريو شبيه بما حصل مؤخرا في إيران. كما يقوم "ستكسنت" عندما يجد هدفه بعرض رقم من ثماني خانات (19790509)، وهو على الأرجح تاريخ 9 مايو 1979. وفقا للأرشيف، فان هذا التاريخ شهد موت حبيب الغانيان، وهو أول إيراني تم إعدامه في إيران بعد الثورة الإسلامية بتهمة التجسس.

وعلى الرغم من كل هذه التخمينات فليس هناك من دليل قاطع على الجهة التي قامت بإطلاق هذا الفيروس أو المستهدف الحقيقي. فكل ما هو موجود هو مجرد مؤشرات قد تدل على هذه الدولة.

التقدم التقني في الشئون العسكرية

الاستراتيجيات العسكرية الحديثة والثورة في الشؤون العسكرية ونظم القتال المستقبلية ستغير مفاهيم إدارة الصراع وستجعل حروب المستقبل غير تقليدية؛ إذ تؤدي إلى تقليل الحاجة تدريجياً إلى البشر. ونتناول الأن جوانب من التقدم العلمي والتقني في الشؤون العسكرية، وتستعرض ما يجري تطويره في المؤسسات العسكرية والعلمية بالدول المتقدمة من أسلحة ومعدات متقدمة جداً في مجال الروبوتات (الإنسان الآلي) والنانوتكنولوجي (التقنية المتناهية الصغر) والليزر والفضاء والمعلومات والموجات الكهرومغناطيسية والتقنية الحيوية.

والخيال العلمي لعب دوراً مهماً في تحقيق الكثير من الاكتشافات والإنجازات العلمية في عصرنا الحالي، والتي كانت في كثير من جوانبها أحلاماً وخيالات في أذهان الأدباء والعلماء الذين حاولوا بخيالهم الخصب استشراف آفاق المستقبل واقتحام عوالمه المغلقة.

وأدب الخيال العلمي يشكل منطلقاً أساسياً في تكوين صور ذهنية جديدة لدى الأفراد لما ستكون عليه الأشياء في المستقبل, فقراءة الخيال العلمي أمر لازم للمستقبل. وهذا الأدب تم إدخاله في قاعات الدراسة في المدارس والجامعات الأوروبية والأمريكية، وتم أيضاً إنشاء مراكز متخصصة فيه، ومنها مركز لدراسة الخيال العلمي في جامعة كانساس الأمريكية الذي تأسس عام 1982، وأيضاً قسم العلم والخيال العلمي في جامعة جلامورجان البريطانية الذي افتتح عام 1999.فقد أدركت هذه الدول أن كتاب الخيال العلمي يسبقون العلماء دائماً في صياغة الأفكار، بل كثيراً ما تكون قصص الخيال العلمي قادرة على المساهمة في اكتشاف المستقبل والتأثير فيه والتخطيط له، كما أنها قادرة على التنبيه والتحذير من آثار التقنية المستقبلية وأخطارها، وبالتالي التهيؤ والاستعداد لمواجهتها قبل حصولها.

فقد تنبأ كاتب الخيال العلمي البريطاني إتش جي ويلز في راويته (العالم تحرر) التي صدرت عام 1913باكتشاف الطاقة الذرية وتحررها وتطوير القنابل الذرية، كما تنبأ بأسلحة الليزر - التي سماها "أشعة الموت" - بروايته (حرب العوالم) التي صدرت عام 1898.كما أن كاتب الخيال العلمي الأمريكي روبرت هينلين قد تناول في روايته (جيوش سفينة النجوم) الصادرة عام 1959الحديث عن زي روبوتي لجندي المستقبل يظهر فيه الجنود مسلحين بهياكل خارجية تلبي طلباتهم، وهو ما تقوم وكالة مشاريع أبحاث الدفاع المتقدمة "داربا (DARPA) "بإجراء الأبحاث عليه حالياً.

أفلام الخيال العلمي لعبت دوراً مهماً في التنبؤ بتقنيات حروب المستقبل وأسلحتها، حيث يذكر أن مبادرة الدفاع الاستراتيجي التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد

ريجان عام 1983، والتي عرفت بين وسائل الإعلام بحرب النجوم، كانت مستمدة من فيلم "حرب النجوم" الذي أنتج عام 1977.كما أن فيلمي "المفترس" الذي أنتج عام 1987و"ماتريكس" الذي أنتج عام 1999قد تناولا الحديث عن زي جندي المستقبل، حيث يظهر البطل في درع مرن، يمكن تحويله بشكل فوري إلى درع خفيف عند الطلب، والذي تجري الأبحاث عليه حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية. ولم تخلُ أيضاً أفلام الخيال العلمي من الحديث عن الأسلحة البيولوجية والتنبؤ بأخطارها، مثل "رجل الأوميجا" لعام 1970و"خلية أندروميدا" لعام 1971، المقتبس عن رواية بالاسم نفسه لكاتب الخيال العلمي الأمريكي مايكل كرايتون، و"انفجار" لعام 1995م.

وفيما يتصل بحقل الروبوت (الإنسان الآلي) فإن المخططين العسكريين يعدون هذه التقنية أول صورة من صور حروب المستقبل، وينظرون إليها باهتمام خاص لاستخدامها في الحفاظ على حياة الجنود والقادة في ميدان الحروب. استخدمت القوات الأمريكية في حرب أفغانستان عام 2001الروبوت "باكبوتس"الذي صممته شركة "آي روبوت"الأمريكية خصيصاً للمهمات العسكرية مثل عمليات الاستطلاع ورصد السلاح الكيماوي والتمويه بتغطية المنطقة بالدخان.

ستواجه الدول العربية في القرن الحادي والعشرين تحديات تفرضها تقنيات الحرب الحديثة، خصوصاً أن التقدم العلمي والتكنولوجي أسفر عن فجوة كبيرة بين الدول المتقدمة، التي اهتمت بتنظيم قدراتها العلمية والتكنولوجية وتطويرها وجعلها مكوناً أساسياً لأمنها القومي، وبين الدول النامية المتطلعة إلى تحقيق أمنها بحسب ما تملكه من قدرات وإمكانيات متاحة، مما أدى إلى حدوث صراع شديد نشأ عن احتكار الدول المتقدمة للتكنولوجيا الجديدة المتطورة، بينما تحاول الدول الأقل تقدماً نقل هذه التكنولوجيا، وما يؤدي إليه ذلك من إذعان وتبعية للدول المتقدمة.

ولا شك في أن الثورة العلمية والتكنولوجية قد أحدثت نقلة نوعية في الفكر العسكري المعاصر، إذ قام العديد من الدول بوضع مجموعة من البرامج والخطط بهدف إعادة تنظيم القوات المسلحة، بحيث تغدو قادرة على مواجهة التحديات في القرن الحادي والعشرين. ففي سيناريو حروب القرن لن يكون للأسلحة التقليدية الدور الرئيسي، فمعظم الأسلحة التقليدية وهياكل القوات المسلحة مرشحة للاستبدال والاستغناء عنها مستقبلاً بأعداد صغيرة من الجنود تكون مدربة تدريباً فائقاً، وجاهزيتها عالية، ومزودة بأجيال جديدة ومتطورة من المعدات والأسلحة الفتاكة. إلا أن التطور التكنولوجي الكبير في نظم التسليح وأدوات الحرب، وفي الفكر الاستراتيجي والمذاهب العسكرية تبعاً لذلك، من الصعب أن يشكل نمطاً يمكن احتذاؤه بواسطة جميع الدول، كبيرها وصغيرها، لأن فارق الإمكانيات التكنولوجية والاقتصادية والبشرية المؤهلة لا بد من أن يقف حائلاً دون

ذلك. ولكن التغيرات الحادة في طبيعة الحروب الحديثة وسماتها تفرض ضرورة البحث في الوقت ذاته عن الأساليب المختلفة لمواجهتها، وهو إعداد الدولة المسبق للعديد من الإجراءات لدرء أو تقليل الآثار الناجمة عنها.

وتوظيف الأسلحة الذكية(حروب الفضاء والمقاتل الروبوت الذي يقوم برصد الألغام وحراسة الحدود وشل الطائرات والدبابات). وقد كانت حرب الخليج 1991 أول تطبيق عملي لهذه الحرب، إنها حروب الموجة الثالثة المعتمدة على الذكاء البشري والمعرفة المدمجة في الأسلحة والتي تتراجع امامها الحروب التقليدية التي عرفها الإنسان: حروب الموجة الأولى التي خاضها قبل قرون جنود مسلحون بالسيوف والرماح ومدربون على الالتحام, وحروب الموجة الثانية بجيوشها المسلحة بالدبابات والمدافع والطائرات أي الحروب التي لم نعرف سواها.

المنهج الجديد لإعداد الدولة للحرب الحديثة لا يعني تجاوز المفاهيم التقليدية، وإنما تطوير تلك المفاهيم والإضافة إليها بما يتماشى والتقنيات الحديثة التي تم التوصل إليها في شتى المجالات، وهذا يعني إدخال مفاهيم جديدة على الأسلحة والمعدات الموجودة فعلاً في الخدمة بدلاً من شراء أسلحة ومعدات جديدة للقيام بالمهام المطلوبة، ويعني أيضاً ضرورة الإدراك العام لمدى أهمية التطور التكنولوجي للدولة في إطاره الشامل وما يواكبه من تطور وانعكاسات على المجالات الاستراتيجية العسكرية على وجه الخصوص.

الدول العربية ماتزال تبتاع أسلحة من الدرجة الثانية ولا تنتجها، كما أن بحوث التطوير والتحديث العسكرية العربية لا تزال متأخرة عن التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تم إنجازه في الشؤون العسكرية في الدول المتقدمة، إلا أننا ندعو الدول العربية إلى التفكير بجدية في أساليب مواجهة التهديدات التي قد تتعرض لها نتيجة للتطورات العسكرية، والسعي بكل قواها إلى بناء القدرات الذاتية التي تمكنها من تحقيق أمنها القومي، ودون الاعتماد على قوى خارجية، والذي لن يتحقق إلا بتعاون قوي وفعّال بين الدول العربية، ومواكبة الثورات العلمية والتكنولوجية، والاستفادة إلى أقصى حد من الثورة في الشؤون العسكرية المصرية بصفة خاصة.وكذلك ضرورة مضاعفة الجهود لتوليد التكنولوجيا، بمعنى ابتكارها وإنتاجها بدلاً من شرائها واستهلاكها، والاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية والبشرية، بما يحقق قدراً من الاكتفاء الذاتي. إن الدول العربية بحاجة ضرورية إلى استراتيجية عسكرية مشتركة لمواجهة حروب القرن، تتعاون من خلالها وتنسق خططها واستراتيجياتها تحقيقاً للتوازن التكنولوجي العسكري، واستعداداً لمجابهة أي أخطار أو تهديدات في الحاضر والمستقبل.

قواعد وقيادات

استحداث قيادة عسكرية مهمتها الرد على هجمات قراصنة المعلوماتية وتنفيذ عمليات في الفضاء الإلكتروني كان إعلان لوزارة الدفاع الأمريكية في 22 يونيو 2011، وأردف الإعلان أن تلك القيادة دخلت حيز العمل في أكتوبر 2012، ويعكس ذلك تأكيدا على الأهمية القصوى التى تلعبها شبكة الإنترنت فى حياة الشعوب سلما أو حربا ويقدم إنذار بامكانية عسكرة الفضاء الإلكتروني والذي أصبح يتعلق بالبنية التحتية الكونية للمعلومات.

وكان البنتاجون قد أكد أن الأخطار المرتبطة بأمن الفضاء الإلكتروني هي من أخطر التحديات التي يواجهها الاقتصاد والأمن القومي في القرن الحادي والعشرين. وكانت شبكات رقمية عسكرية أمريكية تعرضت لعدد كبير من الهجمات من قبل خبراء معلوماتية موهوبين، صينيين أو روس في الغالب، بحسب تقارير أمريكية عديدة. وجاء قرار البنتاجون بإنشاء تلك القيادة ليمثل طورا جديدا في مجال الحرب الإلكترونية عن طريق الفضاء الإلكتروني، وتم استحداث تلك القيادة للمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة لتعمل تحت لواء القيادة الاستراتيجية الأمريكية وتباشر عملها من مقر القيادة الجديدة في فورت ميد بولاية ميريلاند. وتستهدف وزارة الدفاع الأمريكية من تلك القيادة الجديدة أن تشرف على مختلف الجهود المتعلقة بالإنترنت في كل أجهزة القوات المسلحة، مع التاكيد أنها لن تصل إلى مستوى عسكرة فضاء الإنترنت. بل إنها تعمل على حماية شبكات الجيش الأمريكي التي تتكون من 15 ألف شبكة ونحو سبعة ملايين جهاز كومبيوتر ,حيث تحاول أكثر من 100 وكالة استخبارات أجنبية دخول الشبكات الأمريكية بشكل غير مشروع ,حيث تتعرض لهجمات مستمرة ويتم محاولة دخولها عدة مرات يوميا ويتم مسحها ملايين المرات يوميا، مع تكرار وتعقيد هذه الهجمات.

ويتراوح هذا التهديد من قراصنة الانترنت من الهواة المراهقين إلى العصابات الإجرامية التي تعمل كمرتزقة إنترنت لحكومات أجنبية، وترصد تقارير أمريكية أن الصين بنت برنامجا متطورا لحرب الإنترنت.

وكان الرئيس باراك أوباما قد أعلن اعتزامه تعيين منسق لشبكات الإنترنت للبيت الأبيض لكي يقوم بتنسيق الجهود الأمريكية من أجل حماية شبكات الكومبيوتر والتعاون الوثيق مع الشركات التي تملك أو تتحكم في الأنظمة المالية والكهربائية وغيرها. تعد هجمات شبكات الكمبيوتر والتي يطلق عليها حرب الفضاء الإلكتروني جزءاً من عمليات المعلومات والتي يمكن أن يتم استخدامها في مستويات ومراحل الصراع

المختلفة سواء كان ذلك على الجانب التكتيكي أو الاستراتيجي أو العملياتي، ويتم استخدام تلك الهجمات في أي وقت سواء أكان وقت سلم أم حرب أم أزمة.

والحرب الرقمية هي الإجراءات التي يتم اتخاذها للتأثير بشكل سلبي على المعلومات ونظم المعلومات، وفي الوقت نفسه الدفاع عن هذه المعلومات والنظم التي تحتويها. وتوجد طرق عديدة يمكن من خلالها تنفيذ الهجمات عبر الفضاء الإلكتروني، منها الهجمات المباشرة من خلال التدمير الفيزيائي لأجهزة الخصم، أو نقاط الاتصالات الهامة ضمن شبكاته، وذلك باستخدام القوة العسكرية المباشرة. وهناك أيضا سرقة المعلومات من أجهزة الخصم، ومن ثم اتخاذ قرارات أفضل في المعركة، إضافة إلى تخريب قواعد بيانات الخصم والتلاعب بها، لجعل الخصم يخطئ في اتخاذ القرارات. وبالطبع هناك استخدام الفيروسات والأساليب الإلكترونية مثل هجمات الحرمان من الخدمات للتأثير على مواقع الخصم، مما يؤدي إلى التقليل من مقدرة الخصم على الاتصال وإبطاء قدرته لاتخاذ القرار.

وتتضمن هجمات الكمبيوتر حدوث هجوم على خطوط الاتصالات وتأتي تلك الهجمات من مسافة بعيدة عن مصدر الهجوم وذلك عبر الشبكات الدولية للمعلومات العابرة للحدود ومن خلال موجات الراديو أو الشبكات الدولية للاتصالات بدون تدخل مادي أو طبيعي في الأراضي الخاصة بدولة أخرى أو القيام بغزوة تقليدية. وعلى الرغم من الاستخدامات الحديثة لهجمات الفضاء الإلكتروني في الصراعات الحديثة في عصر المعلومات إلا انه لم يتم إدماجها بشكل كامل في العقيدة العسكرية للجيوش الحديثة. غير أن هناك جهودا تبذلها بعض القوى الكبرى لتطوير أسلحة الفضاء الإلكتروني لكي يتم استخدامها في حروب القرن، وهو امر سينطوى حتما على تغيير المبادئ الخاصة بشن الحروب وتغيير طبيعة ميادينها الفعلية أو الافتراضية. وعلى مدار التاريخ البشرى لعبت المعلومات والمعرفة دورا هاما وحيويا في تشكيل القوة، وأحدث التطور السريع لتكنولوجيا الكمبيوتر وخاصة في الشبكات تحولا كبيرا في مفهوم القوة ترتب عليه دخول المجتمع الدولي في مرحلة جديدة تلعب فيها هجمات الفضاء الإلكتروني دورا أساسيا سواء في تعظيم القوة أو الاستحواذ على عناصرها الأساسية. وأصبح التفوق في مجال الفضاء الإلكتروني عنصرا حيويا فى تنفيذ عمليات ذات فاعلية في الأرض وفي البحر والجو والفضاء. وتعتمد القدرة القتالية في الفضاء الإلكتروني على نظم التحكم والسيطرة.

وقد أوجدت ملايين أجهزة الكمبيوتر المنتشرة فى كل مكان عالما افتراضيا نشأ نتيجة عملية الاتصال، ومثل وسيطا جديدا للقوة حيث يمكن للقراصنة دخول الفضاء الإلكتروني بهدف محاوله السيطرة على الاجهزة وسرقة المعلومات وإفسادها أو تعطيلها.

ومع زيادة اعتماد المجتمعات والجيوش الحديثة على أجهزة الكمبيوتر، أصبح الإنترنت مرادفا لاستخدام الذكاء الاصطناعي. وهكذا ظهرت مخاطر جديدة، كما ظهرت أسلحة إلكترونية جديدة ومتعددة كالفيروسات وهجمات إنكار الخدمة والاختراق وسرقة المعلومات والتشويش.

وهناك ما يعرف بالقنابل الإلكترونية والتى تستهدف تعطيل الاتصالات والتشويش عليها والتنصت على المكالمات، وبث معلومات مضللة عبر شبكات الحاسب والهاتف، ومنها تقليد بصمات الأصوات وخاصة أصوات القادة العسكريين وعن طريق ذلك يمكن إصدار أوامر ضارة بالقوات، واستهداف شبكات الحاسب بالتخريب عن طريق نشر الفيروسات ومسح الذاكرة الخاصة بالأجهزة المعادية، ومنع تدفق الأموال وتغيير مسار الودائع، وإيقاف محطات الكهرباء عن العمل.

ونظرا لدور مراكز الاتصال والشبكات فى الحروب، فقد صممت لذلك أسلحة خاصة تعتمد على الطاقة الموجهة ومنها أسلحة الميكروويف عالية القدرة. والمعروفة اختصارا بـ (HPM)ويمكن استخدامها لاختراق الأهداف عالية التحصين لتدمير وشل أسلحة الدفاع الجوي والرادارات وأجهزة الاتصال والحاسبات التي تعمل ضمن منظومة القيادة والسيطرة. وتنتج هذه الأسلحة شحنات عالية من الطاقة تؤدي للإضرار بالأدوات الإلكترونية وتقوض ذاكرة الحواسيب، وتتميز بالدقة الشديدة في إصابة الهدف. وهناك نحو 120 دولة تقوم بتطوير طرق لاستخدام الإنترنت كسلاح لاستهداف أسواق المال ونظم الكمبيوتر الخاصة بالخدمات الحكومية. وتقوم أجهزة الاستخبارات الدولية بالفعل باختبار شبكات الدول الأخرى بصورة روتينية بحثاً عن ثغرات لتوظيفها عند الضرورة. كما أن هناك ما يشبة تشكيل قوات الكترونية.

يعد الإنترنت وسيطاً مفيداً بسبب التنوع والاتساع للأنشطة التي تجري من خلاله والتي تعد جزءا لا يتجزأ من طبيعة العصر الحديث، والتي يتزايد دورها فيما يعرف بالاقتصاد الرقمي والحكومات الإلكترونية والتجارة الإلكترونية، فضلا عن دوره في وسائل الإعلام والاتصالات الدولية والمصارف والمنشآت الحيوية. ومن ثم فإن أي عملية هجوم قد تستهدف الإنترنت كوسيط وحامل للخدمات وناقل لها من شأنه فشل الإنترنت في القيام بوظيفته ومن ثم فإن التحكم في تنفيذ هذا الهجوم يعد أداة سيطرة ونفوذ استراتيجية بالغة الأهمية سواء فى زمن السلم أو الحرب.

وتعتمد القوات المسلحة على الإنترنت في الاتصالات العسكرية بين وحدات الجيش والأجهزة الحكومية المعنية وأجهزة الاستخبارات، ويستخدم الجيش الإنترنت كمصدر للمعلومات والصور الفضائية. وفى الجيوش المعاصرة يوجد اتصال بين الإنترنت الداخلي للجيش وبين الشبكة الدولية، ومن ثم يمكن أن يتعرض الجيش للهجوم عن طريق

الإنترنت بعدة طرق كاختراق شبكات الجيش الداخلية وشن هجمات إنكار الخدمة للتأثير على عملية المعلومات واتخاذ القرار. ويؤدي التعرض لهجوم مباشر إلى إتلاف كم هائل من أوامر السيطرة على أجهزة الكمبيوتر ونظم ربط الشبكات، ومن ثم يحدث شلل تام أو جزئى فى قدرة النظام على الردّ على طلبات المستخدمين المدنيين أو العسكريين. ويمكن لشخص واحد أن يحدث مثل هذا الشلل فى شبكة أو مجموعة شبكات مترابطة.

وفي خلال السنوات الماضية تمكنت فيروسات سارس ولف من الانتشار في نصف مليون جهاز كمبيوتر في أقل من أربع ساعات، وأصبحت هذه الهجمات تستخدم فى سياق صراعات دولية، فقد استخدم الناتو تقنيات الحرب الاليكترونية على صربيا وفي الحرب في كوسوفا، وغالبا ما يحدث محاولات للتأثير على شبكات مدنية او عسكرية فيما بين الصين وروسيا والولايات المتحدة واستراليا. كما استخدمت حروب شبكة الإنترنت فى حرب العراق وفي الصراع العربي الإسرائيلي.

وقد تستخدم الدول هجمات الإرهاب الإلكتروني ضد دول أخرى، أو قد تستخدمها الجماعات الإرهابية، وفي السيناريو الأول قد تقوم إحدى الدول باستخدام هجمات الفضاء الإلكتروني ضد دولة أخرى دون أن تتورط بشكل رسمي ومباشر في حرب معلنة. وقد تقوم دولة باستخدام هجمات الفضاء الإلكتروني كجزء من الاستعداد لنشوب صراع وحرب وهجوم تقليدي ضد دولة معادية. وتعد هجمات الفضاء الإلكتروني أقرب إلى مفهوم الحرب غير المتماثلة، وهو مفهوم عسكري يشير إلى الاستخدام غير المباشر للقوة وذلك بدلا من استخدام القوة بصورة مباشرة في مواجهه قوة مقابل قوة أخرى. وتتضمن عمليات استغلال الفضاء الإلكتروني القدرة على توظيفة لخدمة وحماية نظم المعلومات ومنع تعرضة لعمليات هجومية معادية، وتعزيز الأمن الإليكتروني بأبعاده المتعلقة بالبرمجيات والبنية التحتية. ومنع استغلاله في الحرب النفسية. أما الدفاع عن الفضاء الإليكتروني فيعني القدرة على الحماية ضد هجوم أو استغلاله من قبل الخصم، وتأتي أهمية ذلك فى ضوء احتمال استخدام الفضاء الإليكترونى من قبل الجريمة المنظمة أو القراصنة أو جماعات إرهابية وبما يؤثر على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للدول التي تعتمد على الفضاء الإلكتروني فى تسيير بنيتها التحتية. ومن ثم يصبح من مصلحة كل الدول أن تتعاون من أجل ضمان أمن وسلامة الفضاء الإلكتروني. لاشك أنه كما كان للفضاء الإلكتروني استخدامات سلمية كان له استخدامات عسكرية أيضا لأنه ارتبط باستخدام متعدد من قبل الدول والأفراد والجماعات الإرهابية بهدف تحقيق أهداف سياسية وبما عزز في الوقت نفسه من فرص ذلك الاستخدام عدم وجود اتفاقية دولية تنظم الفضاء الإلكتروني واستخداماته وتحدد الواجبات والمسؤليات في العمل على حفظ أمنه، ودخل ذلك في موضوع تنافسي بين العديد من الدول من أجل

الاستحواذ على مصادر القوة داخل الفضاء الإلكتروني والتي أصبح يتعلق بعمل البنية التحتية الكونية للمعلومات والمرافق الحيوية كمحطات الطاقة والمحطات النووية وسدود المياه وخدمات الحكومة الإلكترونية والمصارف والبنوك والبورصات العالمية وأصبح كل ذلك يشكل عنصر هام من عناصر الأمن القومي الجديد.

وكما هو الحال في أية حرب، فإن الجيوش المتصارعة تستهدف دوما ثلاثة عناصر أساسية من أجل كسب المعركة؛ وهي العناصر العسكرية، والاقتصادية، والسياسية أو بكلمات أخرى إرادة الخصم، وفي عالم حروب المعلومات نجد العناصر الثلاثة ذاتها وعلى رأسها مراكز القيادة والتحكم العسكرية، والبنوك والمؤسسات المالية، ومؤسسات المنافع كمؤسسات المياه والكهرباء وذلك لإخضاع إرادة الشعوب. وكل ذلك دفع العديد من الدول إلى الاهتمام بأمن الفضاء الإلكتروني سواء أكان متمثلا في إنشاء هيئات لمواجهة الطوارئ او استحداث قوانين لمكافحة الجريمة الإلكترونية وصورة ثالثة ظهرت في الاهتمام به عسكريا والذي ظهر في مبادرة الولايات المتحدة في إنشاء قيادة عسكرية لحماية الفضاء الإليكترونى وهذه المبادرة من المتوقع أن تسري أيضا في العديد من الدول والولايات المتحدة وحلف الأطلسي يدرسان إمكانية صنع السلاح النفسي الإلكتروني.ويعد الإشعاع الترسيوني (إشعاع فيزيائي ينتج في المختبرات بشكل اصطناعي) ذروة الاختراعات الروسية في هذا المجال، ومن المستحيل على الإنسان بمساعدة الوسائل العادية واحتياطات الجسم الداخلية الدفاع بها عن نفسهِ ولا يجد الخبراء صعوبة في استخدام هذا الإشعاع لرفع حالة التهيج غير المرغوب فيها وتقليل النشاط النفسي والفيزيائي وإحداث خلخلة بكل الرغبات الإنسانية المعروفة، كالشرب مثلا، ويؤدي بالإنسان إلى الاعتراف بمختلف الأسرار التي يمتلكها وتدفعه على الانتحارِ ومن الضروري إدخال برنامج في العقل الباطن من دون تأثيرات التنويم المغناطسي المعروفةِ والأجهزة المرتبطة بهذا السلاح واستخدامه العملي سرية للغاية وتتطلب مهارة عالية في تشغيلها وما زالت الأعمال مستمرة في روسيا لتطوير هذا النوع من الأسلحة النفسية . الإلكترونيةِ. الأسلحة السايكوترونية Psychotronic weapons الأسلحة السايكوترونية هي تلك المصنّفة ضمن النوع المسمى بالأسلحة "غير المميتة-Non lethal weapons" (مع أنها مميتة جداً). تستطيع عناصرها الخفية أن تقتل عبر مسافة غير محدودة، يمكنها تجسيد أو التسبب بأي مرض مزمن، يمكنها جعل الشخص يتحوّل إلى مجرم أو أبله عديم المسؤولية، التسبب حوادث طيران أو سير أو سكك حديدية خلال ثوانٍ، تدمير البُنى الأساسية لأي شيء مادي أو حيوي، خلق أو استثارة أي كارثة بيئية/جوية، التحكّم بأكثر الآلات أو الأدوات تعقيداً التحكّم في سلوك البشر وأي كائن حيوي آخر وكذلك تغيير نظرة الواقع لمجتمع بكامله.

الأسلحة غير المميتة والضربات الانتقائية

لم يكن الهدف من كتابنا حرب اللاعنف وعلاقتها بالفوضي الخلاقة مجرد فضح المخططات وإنما أيضا استخدام هذا العلم وتحويله إلى طريقة لحروب وصراعات المستقبل، بحيث مهما كانت أي حرب أو صراع لا يقتل فيه بشر، خاصة وأن حقوق الإنسان ومواثيقة وقوانينه في ازدياد وتقدم. والأسلحة غير المميتة أحد التصنيفات الحديثة للأسلحة التي تعد أقل فتكاً، حيث لا تكون مميتة للأفراد بل تستهدف إضعافهم أو تعطيل معداتهم. وقد ظلت تستخدم هذه الأسلحة لفترة طويلة بشكل أساسي في الشرطة والقوات شبه النظامية ثم أنتجت منها نوعيات أكثر تطوراً للاستخدام العسكري، ويؤدي استخدامها لتقليل الخسائر البشرية والمادية للحروب؛ وتقليص تكاليف إعادة الإعمار، وتضم هذه الأسلحة: الأسلحة الصوتية، والأسلحة الصوتية البصرية، والحواجز، والهراوات، ومضادات القتل، والتقنيات الحيوية، والأسلحة المكهربة، الأسلحة الكهرومغنطيسية، والأسلحة الرغوية اللزجة.

وتعد القنابل النيوترونية سلاحاً لاستهداف الأفراد دون المنشآت، إذ صمم لتقليل الصدمة الحرارية المتولدة من القنابل النووية الكبيرة، بينما يقدم الطاقة القاتلة للنيوترونات السريعة ذات الطاقة العالية، وهو ما يؤدي إلى التحكم في حدود التدمير الإنشائي الناتج عن التفجير مع زيادة قدرتها على قتل الأفراد، ولذا يطلق عليها القنبلة الصديقة للمباني ويتم إنتاجها من الزئبق الأحمر وتبلغ قوتها كيلو طناً واحداً، وكما تم إنتاج نموذج مصغر منها يتميز بدقة التصويب.

والنتيجة الطبيعية لآلية المعركة هي تقليل العناصر البشرية نتيجة إحلال الآلة محلها جزئياً ونتيجة قيام المعدة المتطورة بمهام كانت تقوم بها قبلا عدة معدات، وسيفرض هذا التطور الاستعانة بقوة بشرية مؤهلة علمياً لتستوعب أنظمة التسليح المتطورة، كما أن هذه الأنظمة أصبحت تبنى بشكل متكامل يشتمل على مكون حرب المعلومات، وأدى تقدم تكنولوجيا التصغير في كل المجالات تقريباً إلى تقليص حجم المعدات العسكرية بدرجة ملحوظة، وستؤدي تكنولوجيا الإخفاء لإطالة عمر نظم التسليح على نحو سيؤثر في اقتصاديات التسليح، وسيؤدي هذا التطور لإعادة تنظيم الوحدات المقاتلة باستحداث وحدات جديدة (فضائية - حرب معلومات - دفاع ضد الصواريخ - وحدات ليزر) ومقابل ذلك سيتم تقليص حجم وحدات المشاة التقليدية والاعتماد على قوات المشاة الميكانيكية والمدرعة، مع زيادة حجم القوات الخاصة. ومن المنتظر أيضاً زيادة عدد وحدات الصواريخ أرض-أرض،والصواريخ المضادة للصواريخ التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية على السواء، وكذلك عناصر المدفعية ذات المقذوفات الذكية والموجهة ذاتياً على حساب عناصر المدفعية التقليدية المجرورة، وتخفيض حجم وحدات الإشارة والاستطلاع التقليدية اعتماداً على نظم الاتصال التي توفرها ثورة المعلومات. وهناك صنف الاسلحة السمعية غير القاتلة أو قنابل صوتية . بصرية صادمة، كما أن هناك نظما سمعية توجه ضد الأفراد والمعدات والآليات، ومولدات

سمعية ترسل موجات صوتية وفوق صوتية تصيب الإنسان بالألم والغثيان وتشوش حركته.

وفيما يتعلق بالتأثير السياسي والأخلاقي لاستخدام الأسلحة غير القاتلة سواء كانت قنابل صوتية أو بصرية أو كهرومغناطيسية أو موجات ميكرويف حارقة فإن بعض الخبراء يقارن تأثيرها بتأثير القنبلة الذرية التي كانت أشنع أسلحة قاتلة يخترعها الإنسان حتى الآن، ولم تستخدم أبدا بعد إسقاطها على كل من هيروشيما وناجازاكي. ومثلما غير السلاح النووي التفكير الاستراتيجي الدولي وخلق إلى الوجود مصطلح جديد هو الردع النووي الذي حكم العلاقات الدولية لأربعة عقود، فإن الأسلحة غير القاتلة يمكن أن تدشن مرحلة جديدة من العلاقات الدولية تقوم على مفاهيم التدخل الوقائي المحدود والضربات الانتقائية. ويبدو أن الولايات المتحدة بالذات تعول على هذا النوع من الأسلحة كثيرا لتسهيل تنفيذ سياساتها في الخارج من دون احتجاج داخلي أو خارجي كبير. ولا يستبعد المحللون الاستراتيجيون أن تتولى كتيبة أمريكية واحدة أو حتى فصيلة، تنويم أو شل حركة فرقة أو فيلق من الحرس الخاص لرئيس هذه الدولة أو تلك ثم إلقاء القبض عليه بكل يسر وسهولة، لمحاكمته بتهمة دعم الإرهاب أو ارتكاب جرائم حرب. وقد يؤدي تطور هذا النوع من الأسلحة التي يحرص البنتاجون الأمريكي على وضع أبحاثه عليها في منتهى السرية، إلى تغيير كبير في مفهوم السيادة بحيث تتلاشى سيادة الدول على أراضيها. وقبل أن يصل العالم إلى تلك النتيجة فإن منظمات حقوق الإنسان تحاول أن تنبه إلى خطورة الأسلحة غير القاتلة ومن بين هذه المنظمات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومعهد استوكهولم الدولي لأبحاث السلام، إضافة إلى منظمات أخرى، ولكن الاهتمام بهذه القضية لم يصل إلى درجة تكفي للتحذير منه، إذ أن الكثير من البشر مازالوا يجهلون خطورة هذه الأنواع من الأسلحة إن لم يعرفوا بوجودها أصلا. وقد انتقدت منظمات حقوق الإنسان استخدام الليزر على سبيل المثال كسلاح يتسبب في العمى المؤقت وربما الدائم، كما حذرت من استخدام أي أسلحة تسبب عاهات مستديمة بدنية أو عقلية حتى وإن لم تكن قاتلة. وطالبت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بسن قوانين دولية تنظم أو تمنع صنع واستخدام أو إساءة استخدام الأسلحة غير القاتلة.

من هنا يأتي التسريع في استخدام الروبوت في الحرب كبداية لجيوش بدون جنود.فباستطاعة الروبوت الواحد أن يحل محل 2و7 عامل.أي أن 100 ألف روبوت تكفي لإلغاء 270 الف وظيفة عمل.بينما يتطلب إنتاجها هي نفسها 50 ألف من العمال.ويتطلب استخدامها حوالي 50 ألف آخرين.والمحصلة النهائية هي أن تشغل مائة ألف روبوت يعني تأهيل مائة ألف عامل وبطالة 170 ألف آخرين.وهذه النسب ستتضاعف أكثر من 20 مرة خلال ال20 سنة الأولي من القرن ال21.كل هذا بالطبع مع تطور العامل وتحديثه وتمكينه بأحدث وسائل وعلوم العصر.

الفصل الثالث

التسليح الكوني

القوات الفضائية

من المحتمل أن القوات الفضائية ستواجه تحديات تتراوح بين الدفاع ضد الأنظمة المعارِضة والتعامل مع التكنولوجيا ومتطلبات الدعم التي تتغير بسرعة، وتصف القوات الجوية رؤيتها للاستجابة لهذه التحديات كـ"الفضاء المستجيب عملياتيّاً. لقد أثبتت عمليتا "عاصفة الصحراء "و" الحرب على العراق " كيف ضاعفت الأنظمة الفضائية القوة الكلية للقدرات العسكرية الأمريكية. إنّ العتاد الحربي الموجهة توجيهاً دقيقاً والاتصالات ذات السرعة الفائقة والشاملة في العالم والوعي المكثف للأوضاع – كل ذلك ساعد على التدمير السريع للقوات العسكرية العراقية. ولكن الخصوم قد لاحظوا اعتماد الولايات المتحدة على الأنظمة الفضائية. وهنا وجب على أمريكا – لكي تنتصر في الحرب القادمة – أن تستعد للرد على الأنظمة الفضائية المعارِضة والمضادة للفضاء. ويري الفريق أول لانس لورد – المتقاعد من القوة الجوية الأمريكية والقائد السابق للقيادة الفضائية للقوة الجوية إلى مبادرة "الفضاء المستجيب عملياتياً" كطريقة واحدة لصياغة هذا الرد. وحسب دراسة تمهيدية لمبادرة "الفضاء المستجيب عملياتياً" فإنها ستقدم قدرة محتملة مالياً على وضع المعدات والقوات العسكرية والوطنية في الفضاء ومن خلال الفضاء وفي الفضاء القريب – وذلك بشكل سريع ودقيق وحاسم. وسيندمج "الفضاء المستجيب عملياتياً بشكل كامل ومتفاعل مع هندسة بناء (معمارية) الحاضر والمستقبل وسيكون قابلاً للتطبيق بالاشتراك معها وسيوفر الخدمات والمؤثرات الفضائية للمحاربين وغير المحاربين المستعملين هذه الخدمات. إنّ مبادرة "الفضاء المستجيب عملياتيّاً" عبارة عن رؤية لتحوّل العمليات المستقبلية في الفضاء وفي الفضاء القريب وللتكامل وللاقتناء – وكل هذا بثمن مخفض".

قام كلا الطرفين بمهمات مضادة للفضاء خلال "الحرب على العراق" التي اتصفت بأول حرب مضادة للفضاء. حاول العراق أن يشوش إشارات نظام تحديد الموضع في العالم بواسطة استخدام تجهيزات روسية الصنع، والقوات الأمريكية دمرت محطة إرسال أرضية له معطِّلةً بذلك قدرة العراق على الاتصال بقواته والعالم الخارجي بواسطة استعمال التلفزيون الفضائي التجاري. نستطيع أن نتدارك بعض الاستجابات لأنظمة أمريكا الفضائية. وبصورة خاصة قد تكون روسيا وكوريا الشمالية وإيران والهند والصين قادرة على صنع نظام أسلحة مضادة للأقمار الصناعية ومجهز بأسلحة نووية. وبالإضافة إلى ذلك فإن "كثيراً من الدول تعمل على تطوير أقمار صناعية متطورة للاستشعار عن بعد والاتصالات والملاحة وإنتاج الصور والإنذار بالصواريخ"، وروسيا والصين والاتحاد الأوروبي قد طورت أنظمة لملاحة الأقمار الصناعية.

وتستطيع الأجهزة المحسّنة المضادة للتشويش أن تواجه أجهزة التشويش الدفاعية. ولكن الإجراءات الأكثر فعاليةً لمواجهة قدرتها الفضائية من المحتمل أن تتخذ شكل أعمال غير متوقعة يقوم بها خصومها. قد يسمي دونالد رمسفلد، وزير الدفاع الأسبق، مثل هذه الأعمال بـ"الأشياء المجهولة غير المعروفة the unknown unknowns " أو في اسوأ الحالات بـ"بيرل هاربر الفضائية" ["بير هاربر" اسم القاعدة البحرية الأمريكية في جزر هاواي حيث قامت القوات اليابانية بهجوم مفاجئ دمر أسطولاً أمريكياً كاملاً في عام 1941 وأدى ذلك إلى الحرب بين أمريكا واليابان خلال الحرب العالمية الثانية].

ولأمريكا تقنيات عسكرية للرد على المجهول. لقد سمحت السرعة والقدرة على المناورة وخفة الحركة للقوات العسكرية طوال التاريخ بمواجهة الأحداث غير المتوقعة. والقدرة على القيام بالعمل والرد بشكل أسرع من العدو – هذه عقيدة معروفة للعمليات العسكرية.

لا تكيف الأنظمة الفضائية نفسها للتغيير تكييفاً جيداً. عندما تبين في سبتمبر 1990، خلال التخطيط لحرب "عاصفة الصحراء"، أنّ الطاقة الموجودة للاتصالات بواسطة الأقمار الصناعية لن تنجح في دعم المجهود الحربي، فقامت أمريكا بمحاولة عاجلة لإطلاق مركبة فضائية إضافية لـ"النظام الثالث لاتصالات الأقمار الصناعية الدفاعية". وقد أُطلقت تلك المهمة في 11 فبراير 1992 – بعد نهاية الحرب بأكثر من سنة. لم تكن لدي الأمريكان إمكانية استخدام مركبة فضائية "متقاعدة" بل كانت عندهم إمكانية استئجار طاقة الاتصالات التجارية. أما قدرة الولايات المتحدة على دعم "الحرب على العراق" بإمكانيات فضائية إضافية فَلَمْ تتطور تطوراً ملحوظاً منذ حرب "عاصفة الصحراء." لاحظ الرئيس الإمريكي الإسبق جورج بوش الحاجة للقدرة الفضائية المستجيبة. والقرار الرسمي رقم 40 بخصوص سياسة النقل الفضائي الأمريكي الذي صدر في 6 يناير 2005 يوجّه حكومته إلى إظهار قدرة أولية ذات استجابة عملياتية للوصول إلى الفضاء واستخدامه – بتقديم الطاقة للاستجابة للفقدان غير المتوقع أو الانخفاض غير المتوقع لقدرات مختارة أو للتأمين، في الوقت المناسب، لوجود قدرات جديدة أو معدلة حسب الطلب – بغية دعم متطلبات الأمن الوطني". وتصف الوثيقة نفسها الغرض من وراء هذا التوجيه "أنّ الوصول الى الفضاء عن طريق قدرات النقل الفضائي الأمريكي هو شيء ضروري للآتي:

1- وضع المعدات والقوات لحكومة الولايات المتحدة في الفضاء 2- الزيادة في القدرات المؤسسة في الفضاء وذلك في الوقت المناسب في حالة المتطلبات العملياتية الإضافية أو التقليل من الانقطاعات بسبب التعطّلات في الأقمار الصناعية في المدار أو فشل الإطلاقات أو الأعمال العدوانية المتعمدة ضد المعدات والقوات الأمريكية في الفضاء".

ويكمن التحدي للقوات الجوية في الاستجابة لهذا الاتجاه ضمن تقييدات الميزانيات المتقشفة.

وتحتفظ الولايات المتحدة بأسطول سريع الاستجابة من مركبات الإطلاق في قوة القذائف البالستية بين القارات وكانت سابقاً تُبقي المركبات الفضائية للاتصالات والأنظمة المضادة للفضاء في حالة متيقظة – وهذه مقاربة فعالة ولكنها مكلفة ومُثْقَلة بالسياسة. ونتيجةَ ذلك فإن المسؤولين عن مبادرة "الفضاء المستجيب عملياتياً" يدرسون وسائل غير القوة البهيمية لتأمين المستجيبية.

وللقيام بذلك فإن الأمريكان سيغيّروا كثيراً من مظاهر هندسة بناء الفضاء. إنّ النظام الأرضي والمركبة الفضائية ومركبة الإطلاق والبنية التحتية للإطلاق كلها تؤثر على مستجيبية القدرات الفضائية. وتنطوي إحدى المقاربات على عدم الذهاب إلى الفضاء إطلاقاً لأن الأنظمة الأرضية والطائرات تستطيع أن تسدّ كثيراً من الحاجات الفضائية. وتعرّف القوات الجوية المنطقة الموجودة فوق المرتفعات العملياتية التقليدية للطائرات وتحت المنطقة حيث المسارات المدارية – يعني بين 65,000 و325,000 قدم (بين 19,810 و99,060 متر تقريباً) في الفضاء القريب. هذا الارتفاع العالي مناسب للغاية لانتشار معدات وقوات للاستخبارات والمراقبة والاستطلاع وإدراك مواقع المعارك والاتصالات. ومع أن الأمريكان لم يَقُوموا باستخدام واسع للفضاء القريب بسبب التحديات التكنولوجية للعمل في هذه البيئة إلا أن التطورات في المواد والتجميع الشمسي وتكنولوجية خزن الطاقة تستطيع أن تعطي الولايات المتحدة فرصة لاستغلال هذه المنطقة للتطبيقات المتواصلة.

إنّ المركبات الفضائية في المدارات تستطيع أن توفر مستويات عالية من الاستجابة لبعض الأنواع من المتطلبات. وابتداءً بآخر مستعمل فإن عملية تعيين المهمة المتعلقة بالمعطيات وإعلانها ومعالجتها واستعمالها يجب أن تكون في الوقت المناسب وتكون أيضاً مرنة ومتكاملة تكاملاً وثيقاً مع الاتصالات والبنية التحتية المعالِجة للمقاتل في الحرب.

وتعيّن العمليات الوطنية المركَّزة المهمات لكثير من القدرات الفضائية الموجودة التي هي عالية القيمة وعليها طلب متزايد. أما عملية إعادة تعيين مهمة لمركبة من المركبات الفضائية فيجب أن تكون مستجيبة لمجموعة أكبر من المستعملين. وتنطبق المستجيبية أيضاً على أعمال مثل إعادة توجيه المركبة الفضائية أو القيام بمناورة معها أو تعديل برامج الحاسوب التي على متنها أو تغيير اتجاه الإشارة لهوائي المركبة. لا نحصر المستجيبية بالمجال الفضائي. فالإطلاق أيضاً يستطيع أن يحسّن القدرة على سدّ حاجة المستعمل الجديد في الوقت المناسب. والإطلاق السريع للمركبات الفضائية

لغرض تعزيز قدرات جديدة أو سدّ النقص في الإمدادات يستطيع أن يصبح أمراً أساسياً للاحتفاظ بالقدرات خلال حرب حامية مضادة للفضاء. وإعداد مركبة فضائية لمهمة بكفاءة يتطلب تخفيضاً في الوقت المطلوب لاستعداد المركبة للاستعمال والاختبارات النهائية قبل القيام بالإطلاق وهذا، بدوره، يتطلب الهندسة المتعمدة لتلقائية عمليات أو لإلغاء خطوات متوسطة. وتبني المركبات الفضائية حسب مفهوم "الإطلاق " ولكن المركبات المستجيبة لابد أن تستعد لـ"الإطلاق حسب الطلب". ويستطيع الأمريكي أن ينتقل إلى المقاربة الأخيرة بفعالية أكثر عن طريق الاحتفاظ بالعدد المستعد والمطلوب من المعدات والمركبات الفضائية والمركبات المرافِقة الضرورية لعملية الإطلاق – التي تشكل الاحتياطي الحربي – في مواقع الإطلاق. والقيام بالتغييرات في المراحل المبكرة للعملية وتعجيل المرحلة المتعلقة بالبحوث والتطوير والاختبار والاقتناء – كل ذلك يستطيع أن يحسّن رد الفعل على حاجة جديدة أو تهديد متطور. بسبب التكاليف واحتمال الخطر في التجارب مع الأنظمة الفضائية العملياتية الرئيسية فإن المقاربات المنطوية على تخفيضات التكاليف والتقليل من الأخطار لابد أن تثبت صحتها وسلامتها قبل أن تصبح – رسمياً – برنامج اقتناء رئيسياً. وتقوم القوات الجوية بدراسة مفاهيم لتوفير القدرات المستجيبة لاستخدام المركبات الفضائية المسماة بـ"تاكسات TacSat "وهي مركبات غير مكلفة نسبياً وزنها أقل من 1,000 رطل [450 كيلوجرام] وهي تبشّر بالنجاح كوسائل اختبار لمفاهيم جديدة تزيد من مستجيبية الأنظمة المستقبلية وقدرتها على البقاء. وبالإضافة إلى ذلك فإن المركبات الفضائية الصغيرة تسمح بإمكانية تصميم المناطق المعمارية الموزَّعة التي من ميزاتها استخدام عدد أكبر من المركبات الفضائية. ومثل هذه المناطق المعمارية، لأنها تقدم عدداً أكبر من الأهداف التي هي كل على انفرادها أقل حرجاً، توفر الإمكانية للانخفاض في قدراتها بصورة تدريجية وبطيئة رداً على الإجراءات المضادة كأنظمة التشويش المضادة للأقمار الصناعية أو أنظمة التشويش الأرضية. وتسمح مركبات "تاكسات" للقوات الجوية بالقيام بالتجارب مع هذه المفاهيم.

تنقسم المركبات الفضائية من ناحية الغرض، إلى قسمين للنظام – القسم الذي يدعم الحمل الآجر والقسم الذي لا يدعم الحمل الآجر والمعروف بـ"الحافلة .bus "وتشمل مفاهيم المركبات الفضائية المستجيبة تحسين كلا هذين القسمين. ومن الممكن للتطورات في مجالات تكنولوجية مثل علم الإلكترونيات الدقيقة أن توفر قدرات "الفضاء الكبير" في جهاز أصغر. ومن ميزات القمر الصناعي "تاكسات 3" مثلاً حمل آجر يقوم بإنتاج الصور فوق الطيفية والبرامج الحاسوبية لتحديد الأهداف وهي على متن المركبة.

أما الأنظمة الفضائية الموجودة التي لها دورات اقتناء طويلة وأعمار نافعة طويلة في المدارات فلها صعوبة في إدماج التكنولوجيا الأكثر حداثةً، بينما الدورات الأقصر والأعمار النافعة الاقصر تشجع على تحسينات أسرع في التكنولوجيا في القسم الفضائي. بالإضافة إلى ذلك فمن الممكن أن تكون ميزات إضافية للمركبات الفضائية أصغر حجماً التي يطلقونها على أساس الاستعمال لمهمات لمدد أقصر. أما العدد القليل من المركبات الفضائية ومركبات الإطلاق التي تُنتَج حالياً في الولايات المتحدة فهذا شيء يسبب صعوبة للاحتفاظ بقاعدة صناعية ويزيد تكاليف إنتاج كل جهاز وكل مركبة. وإقناع الصناعة الفضائية العسكرية التي هي المحرك لإنتاج الأجزاء عالية العول والقادرة على احتمال الإشعاع بأن تستمر بهذا الإنتاج مهما كان ثمن ذلك ومن أجل إنتاج عدد صغير فقط من الوحدات كل سنة – هذا الشيء عبارة عن تحدٍ ضخم. وإنتاج عدد صغير نسبياً من الوحدات معناه أن تكاليف كل وحدة يسيطر عليها مبدأ "الجيش الدائم" يعني التكاليف الثابتة للاحتفاظ بقدرة ما. فمثلاً ثمن ملكية بنية تحتية مثل منصة إطلاق أو حجرة تفريغ للاختبارات لا يعتمد، بصورة عامة، على نسبة تكرار استخدامها.

وتصبح تكاليف المحافظة على الخبرات المتخصصة ثابتة أيضاً عندما تبقى معدلات الإنتاج منخفضة. وبالتالي قد تكون النتيجة إنتاج أعداد أكبر من المركبات الفضائية ومركبات الإطلاق – وحتى المركبات الأصغر – في كميات وتكاليف مقتصدة وهذا يعني انخفاضات في التكاليف هى بدورها ستسمح بالقيام بدراسة مهمات جديدة أو مقاربات جديدة لمهمات موجودة.

يدرس مشروع سلسلة "تاكسات" للمركبات الفضائية كذلك مفاهيم بديلة لتصميم "الحافلة" للمركبات الفضائية. وعن طريق ترك عملية تصميم المركبات الفضائية التقليدية (يعني جعل وزنها مثالياً وهي مُنتَجة بالضبط حسب طلب العميل للتطبيق المقصود) وبدلاً من ذلك الانتقال إلى تصميم "حافلات" للمركبات الفضائية هي مشتركة أو حسب قالب معين أو قياسية أو أبسط من ناحية الشروع باستعمالها يعني حسب تقنية (أدخِل القابس والعب – plug-and-play (بهذه الوسيلة يمكن تخفيض تكاليف التطوير ويقصر جدول الإنتاج وبالتالي تكاليف الأسطول نفسه.

أما معدل الإنتاج والمفهوم العملياتي فيؤثران تأثيراً قوياً على الحل الوسط بين الكفاءات المكتسبة من خلال تطبيق فكرة تصميم شيء مشترك أو قياسي أو حست قالب وبين المرحلة في سير الإنتاج ،حيث يجب القيام بتطبيق مثل هذه الحلول الوسط. وتقدم مفاهيم الحافلات للمركبات الفضائية إمكانية الإنتاج الفوري لمركبة من المركبات الفضائية حسب الطلب لسدّ حاجة معينة وذلك بمعدل إنتاج معجل وفي الوقت نفسه المحافظة على انخفاض التكاليف تحت مستوى التكاليف الموجودة للقدرات المساوية.

فمثلاً قد يسمح مفهوم (أدخِل القابس والعب) باختيار الحمل الآجر المعين لمركبة فضائية معينة في موقع الإطلاق. ولكن إذا أقيمَ بعملية تكامل واختبار المركبة الفضائية سابقاً فذلك سيعجل وسيبسّط الإجراءات في موقع الإطلاق.

تقدم عدة تصميمات لمركبات الإطلاق تحسينات ممكنة للمستجيبية. فمركبات الإطلاق الصغيرة المصممة كجزء لـ"برنامج القوة الجوية ووكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية المتعلق بإطلاق تطبيق القوة من الجزء القاري للولايات المتحدة" تقدم إمكانية تخفيض ضخم في وقت وتكاليف توصيل مركبة فضائية صغيرة إلى مدارها. ويطور مركز أنظمة الفضاء والصواريخ في قاعدة لوس انجلس الجوية فئة جديدة من مركبات الإطلاق التي تستطيع أن تخفض تكاليف وتحسّن مستجيبية الإطلاقات الفضائية. ومفهوم الرفع إلى الفضاء المستجيب والمحتمل مالياً ARES وهو عبارة عن تركيب مختلط الأصل لمركبة إطلاق، يشمل مرحلة أولى ممكنة إعادة استعمالها مع مراحل فوقية قابلة للنفاد. والمرحلة المعززة الممكنة إعادة استعمالها تعجل المراحل القابلة للنفاد والحمل الآجر إلى نقطة انفصال في الفضاء القريب. وتؤمن المراحل القابلة للنفاد والمفصولة قوة الدفع الباقي لإدخال الحمل الآجر في المدار. وترجع المرحلة المعززة الممكنة إعادة استعمالها إلى قاعدة الإطلاق للاستعداد للرحلة الجوية التالية. لقد أظهرت تحليلات التكاليف التي قامت بها الحكومة والصناعة مراراً أفضلية مركبات الإطلاق الممكنة إعادة استعمالها كاملاً على أنظمة الإطلاق القابلة للنفاد من ناحية الفعالية بالمقارنة مع التكاليف. ولكن الحلول المتعلقة بإعادة الاستعمال الكاملة تتطلب معدلات عالية للطيران للتعويض عن تكاليف التطوير. وبالإضافة إلى ذلك وكما تبين من خلال عدة محاولات، فإن عملية تصميم مركبة إطلاق ممكنة إعادة استعمالها كاملاً قد أثبتت أنها معقدة جداً من الناحية الفنية. ويقدم المفهوم مختلط الأصل "الرفع إلى الفضاء المستجيب والمحتمل مالياً ARES "وسيلة لدراسة منفعة مفهوم الإطلاق الممكنة إعادة استعماله جزئياً مع تكاليف منخفضة مدفوعة مقدماً ونسبة أخطار بسيطة. وتتطلب كل من مركبات الإطلاق والمركبات الفضائية بنية تحتية أرضية. وفي حالة مركبات الإطلاق، فللقوات الجوية منشآت ساحلية ثابتة في قاعدة فاندنبرج الجوية في ولاية كاليفورنيا وفي محطة كيب كانافيرال الجوية في ولاية فلوريدا واللتان كلتاهما تحتاجان إلى الترميم والتجديد لدرجة كبيرة وقد تكونان هدفين سهلين لقوات الخصم المضادة للفضاء. ولكن إذا كانت هناك بنية تحتية متنقلة للإطلاقات تستطيع أن تقوم بوظائفها في كلا الموقعين فإن هذا سيقدم وسيلة لتجنّب التخطيط الطويل والغالي المطلوب لحسم مسائل السلامة ولاستخدام البنية التحتية الموجودة. أما من ناحية المركبات الفضائية فالتكاليف المتعلقة بالسيطرة الأرضية ومعالجة المعطيات تستطيع

أن تزيد عن تكاليف المركبات الفضائية نفسها. ولابد للأنظمة المستجيبة ان تستغلّ البنية التحتية العسكرية والتجارية حتى يبقى تأثير التكاليف والسوقيات (اللوجيستية) شيءً تسهُل السيطرة عليه. أما تطوير الأنظمة الأرضية المتقشفة التي ستكون قادرة على رد الفعل السريع فهذا سيكون تحدياً كبيراً.

و يمكّن تطوير الفضاء المستجيب بدوره تكوين مفاهيم جديدة. من الممكن أن تستخدم قدرة لإطلاق المركبات إلى الفضاء هي رخيصة الثمن ومستجيبة لدرجة عالية لنقل المعدات الحربية إلى أي مكان في العالم (نظام الضرب العالمي السريع Prompt Global Strike system. وتستطيع المركبات الفضائية رخيصة الثمن أن تمكّن الأنظمة الفضائية من أن توفر الدعم المباشر للمستويات الحربية العملياتية والتكتيكية، كما تتصوره وثيقة مفهوم القوة الجوية بخصوص الفضاء المشترك لإدارة الحرب. أما تطوير المركبات الفضائية سريعة الاستجابة والقادرة على القيام بإضافات لقدراتها الموجودة فذلك قد يسمح بالانتقال إلى مفهوم القوات الفضائية الحملية الذي بواسطته تنشر قدرة النظام الكاملة فقط عند اللزوم. وستستفيد المهمات المضادة للفضاء من التحسينات لتكنولوجيات المركبات الفضائية الصغيرة والإطلاقات المستجيبة المرتبطة بمبادرة "الفضاء المستجيب عملياتياً". والتكنولوجيات التي تحسّن مستجيبية المهمات الجديدة والمركبات الفضائية الصغيرة ستحوّل طريقة قيام الأمريكان بالمهمات الفضائية التقليدية.

قد تكون طريقة تفكير المحترفين الفضائيين بخصوص الأنظمة الفضائية العرقلة الأكثر إرعاباً لخلق نظام فضائي اكثر استجابةً. فينظر بعض الناس إلى الأنظمة الحالية كما لو كانت قدرات ومعدات عالية القيمة وهذا يتطلب حمايتها – بدلاً من استهلاكها. القرار ما إذا قصر العمر المخطط لقيام مركبة من المركبات الفضائية الموجودة بالمهمات عن طريق استعمال الوقود الذي على متنها لنقل المركبة الفضائية لتوفير الدعم في حالة طوارئ قد ينطوي على عواقب جدّية. والمسؤولين عن عملية إدارة الأنظمة الفضائية المستجيبة يجب عليهم أن سيتجيبوا للحاجات المتغيرة للقوات ولأعمال قوات الخصم بصورة ديناميكية وفي الوقت المناسب. وقد تكون المبادرات كـ"المعهد الفضائي للأمن الوطني"، الذي يشكل قادة المستقبل للشؤون الفضائية، أهم من تطوير التكنولوجيا في المدى البعيد.

لابد أن يتخذ الخصوم في القرن ال21 إجراءات مضادة للقدرات الفضائية. وفي نفس الوقت ستستمر التكنولوجيا في تشكيل تطوّر الأنظمية الفضائية العسكرية. والتحسينات في مستجيبية الأنظمة الفضائية التي تعطي الوسائل لمواجهة هذه التحديات المستقبلية مواجهةً نشيطةً وفعالةً .

أسلحة وتجييش الفضاء

هناك بعض الدول تقوم ببناء نظام دفاع يقوم على بناء سلاح ليزري في الفضاء يحيط بالأرض لاصطياد الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية. ويعني ذلك باختصار أن الفضاء سيكون ساحة حروب. وهناك أحاديث عن أن بعض الدول بدأت في إنشاء فرع عسكري أطلق عليه اسم سلاح الفضاء. في الماضي كانت الدول المتحاربة عادة تؤمن مواقع مرتفعة لجيوشها من أجل تحقيق تفوق القوة على الخصم .

فمثل هذا الوضع يتيح للجيش الذي يحتل موقعا على جبل مرتفع مثلا ميزة إطلاق النار على الجيش المناوئ الذي يسعى للصعود تحت وابل من النيران، ومن الناحية التاريخية كانت الجيوش التي تنجح في احتلال المواقع المرتفعة تحقق الانتصارات. ومع استخدام الطائرات الحربية في ساحات القتال دخلت الحروب مرحلة جديدة من مراحل احتلال المواقع المرتفعة، وهي احتلال الأجواء، بعد أن أصبح امتلاك المرتفعات وحدها أمر غير مجد .

ويبدو في الأفق بوادر مرحلة جديدة من مراحل السيطرة على المرتفعات، وهي امتلاك الفضاء. فالحروب الحديثة تستخدم الأقمار الصناعية في جمع المعلومات الاستخباراتية والتقاط الصور عن تحركات الجيوش، بالإضافة إلى استخدامها في نشر القوات، حيث توفر الأقمار الصناعية معلومات عن خطوط الطول والعرض والارتفاع للأماكن التي تتحصن فيها القوات، ما يساعد قيادات الجيش على اختيار المواقع الجيدة. ولكن المرحلة التي تتجاوز ذلك كله، فهي استخدام الأقمار الصناعية في اصطياد الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية بالليزر، وفي هذا النوع من القتال تتابع الأقمار الصناعية الصاروخ الحامل للرأس النووي منذ انطلاقه ثم تطلق عليه حزمة من الليزر قبل أن تغادر الدولة التي انطلقت منه .

وتتسابق بعض الدول في امتلاك هذا النوع من الدفاع، حيث ظلت الولايات المتحدة،، تتابع منذ عهد الرئيس ريجان مشروعا دفاعيا ضد الصواريخ النووية أطلق عليه اسم مبادرة الدفاع الاستراتيجي أو حرب النجوم .

وجاري تطوير ثلاثة أنواع من الأسلحة الدفاعية الفضائية هي 1- الليزرات الكيميائية ,2- حزم الجسيمات الذرية ,3- الطائرات العسكرية الفضائية، وهي طائرات مصممة بصفة خاصة للطيران في الفضاء .

وهناك عدة أنواع من الليزرات الكيميائية أهمها ليزر فلوريد الهيدروجين، وفي هذا النوع يتفاعل الفلور الذري مع الهيدروجين لإنتاج جزيئات مثارة من فلوريد الهيدروجين في شكل حزمة ليزرية، ومن مشاكل الليزرات أنها تطلق على هدف يتحرك بسرعة آلاف الكيلومترات في الساعة من قمر صناعي متحرك، حيث يزيد ذلك من صعوبة تحديد

الهدف، ولهذا السبب لجأت بعض الدول إلى استخدام حزم الجسيمات، وفي هذا النظام تطلق حزمة من الجسيمات الذرية بسرعة الضوء على الهدف، وهذه الحزم الذرية المتحركة بمثل هذه السرعة العالية ذات قوة تدميرية كبيرة مقارنة بالليزرات. وتوجد اتفاقيات دولية عديدة تمنع نقل مثل هذه الأسلحة إلى الفضاء ومن هذه الاتفاقيات اتفاقية الفضاء الخارجي لعام 1967م، وهي اتفاقية تمنع وضع الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل في مدار الأرض، كما تحرم بناء القواعد والتحصينات العسكرية على أي جسم سماوي، بما في ذلك القمر .وفي نوفمبر صوتت 138 دولة عضو في الأمم المتحدة تأكيدا على تأييدهم على الاتفاقية.

من هنا نجد أن وكالات الفضاء يحاول علمائها جاهدين توجيه علمهم لما يخدم الإنسان لا قتله، فوكالة الفضاء الأمريكية ناسا قالت إنه مع ظهور جيل جديد من التلسكوبات القوية الفائقة الدقة في المستقبل القريب ستتمكن البشرية من العثور على مخلوقات أخرى في الفضاء.

وصرح عالم الفضاء الأمريكي كيفن هاند خلال لقاء عام في العاصمة الأمريكية واشنطن ضم أشهر متخصصي الوكالة في علوم الفضاء قائلا أعتقد أننا خلال الـ 20 عاما القادمة سوف نكتشف أننا لسنا وحدنا في هذه الكون الفسيح.

وبالرغم من أن مقولة كيفن تبدو جريئة أكثر مما ينبغي إلا أنها مدعمة بيقين مطلق من كافة خبراء الفضاء في الوقت الحالي وبالأداء الرائع للتلسكوب الهائل الحجم كيبلر بدليل أنه تم خلال الخمس سنوات الماضية فقط الكشف عن 5000 كوكب جديد، وهو عدد يفوق كل ما تم اكتشافه منذ بداية تاريخ علوم الفلك.

ويضيف مات مونتن، العالم في معهد علوم تلسكوب الفضاء في بالتيمور، مدير التلسكوب ويب ما كنا نجهله قبل 5 سنوات هو أن حوالي 10 إلى 20% من النجوم حولنا تمتلك كواكبا بحجم الأرض تدور حول النجوم في المنطقة الآمنة الصالحة لوجود حياه على أسطحها وهذا يجعلنا على أعتاب اكتشاف قد يغير وجه البشرية للأبد.

"إن السلاح في الفضاء هو جن لا يجوز إطلاقه من القمقم" هذا ماقاله الروس،يثير القلق لدى موسكو أنباء تقول إن الولايات المتحدة تنوي نشر أسلحتها الإستراتيجية في الفضاء الكوني وبالأخص نشر عناصر نظام الدفاع المضاد للصواريخ في المدار حول الأرض . ولب البرنامج الأمريكي المستقبلي لنشر السلاح في الفضاء يتلخص في فكرة إنشاء نظام شامل للدفاع المضاد للصواريخ. ذلك أن نطاق المهام المطروحة أمام هذا النظام يقتضي بكل جلاء استعمال الفضاء الكوني. وهو أمر محتوم عمليا في أي حال من الأحوال ومن غير المهم أن اختبارات صواريخ الاعتراض المرابطة على الأرض كانت حتى الآن بعيدة عن أن تتكلل بنجاح. فالدفاع المضاد للصواريخ يعني عسكرة الفضاء الكوني بصرف النظر

عن نتائج الاختبارات
وقال وزير الدفاع الروسي سيرجي إيفانوف"إذا كانت دولة من الدول تضمر مخططات نشر السلاح في الفضاء أو تباشر نشره عمليا فسوف نتخذ خطوات جوابية مناسبة". ويبقى موقف موسكو من هذه القضية بدون تغيير منذ عشرات السنين ويتلخص في رفضها القطعي لعسكرة الفضاء، ولكن ما هي "الخطوات الجوابية" التي تستطيع موسكو أن تتخذها فعلا ولا قولا؟

وقال خبير روسي بارز في قضايا القوات الإستراتيجية النووية – تجنب كشف هويته – بالآتي: "إن الرد الأمثل على ظهور التهديدات الفضائية لا يقتصر على تزويد الصواريخ الموجودة في القوات الصاروخية الإستراتيجية الروسية بالرؤوس الحربية الانشطارية. فتستمر في روسيا أعمال على تحسين المواصفات الفنية والتكتيكية لوسائل الإيصال وكذلك على تطوير بارامترات الرؤوس الحربية نفسها
ونلاحظ بالمناسبة أنه إذا كان الوضع المتعلق بنظام الدفاع المضاد للصواريخ الأمريكي لا يتخطى مرحلة بيانات كلامية أو يكاد فإن النجاحات الروسية وبالأخص فيما يتعلق بالرؤوس الحربية الانشطارية فتتصف بطابع ملموس تماما. ويدور الحديث عن صاروخ "أر. أس. – 18" السوفيتي الصنع(أو أس. أس – 19 "ستيليت" حسب تصنيف الناتو). وعن هذه الصواريخ بالذات تكلم فلاديمير بوتين في اجتماع قيادات القوات المسلحة الروسية حيث قال :"إن في حوزة روسيا مخزونا كبيرا من الصواريخ الإستراتيجية المرابطة على الأرض. ويدور الحديث حول قوة جبارة تتجسد في عشرات الصواريخ التي لم تدخل يوما من الأيام الخدمة العسكرية فظلت محفوظة خالية من الوقود. وبالرغم من أنها ليست حديثة الصنع إلا إنها تعتبر جديدة بمعنى تقني معين وأمد خدمتها المحتمل طويل جدا. أما قدراتها القتالية بما في ذلك القدرة على اختراق الدفاع المضاد للصواريخ فلا تعرف النظير وبات إطلاق "أر. أس – 18" تحت اسم حركي "الأمن – 2004" أمر مثيرا. إذ جرى على الصاروخ تركيب جهاز تجريبي ما قام بعد الانفصال عن حامله بالخروج إلى الفضاء الكوني ودخول الغلاف الجوي مرات متكررة، وهي المناورة التي تبدو غير معقولة بالنسبة للتكنولوجيات المعاصرة. وتبلغ سرعة الرأس الحربي أثناء دخوله الطبقة الكثيفة من الغلاف الجوي 5000 متر/ثانية ولكنه مزود بوقاية خاصة من ألتأثيرات الحرارية.

وصاروخ "أر. أس – 18" هذا كان يحمل جهازا يقدر على تغيير اتجاه وارتفاع التحليق بدلا من الرأس الحربي العادي الذي يسير في خط ثابت لا يتغير مما يتيح من حيث المبدأ اعتراضه بصاروخ مضاد. والرأس الحربي المصنوع على أساس هذا النموذج الاختباري يستطيع أن يجتاز أي أنظمة للدفاع المضاد للصواريخ.

روبوتات الماء وإصلاح الأقمار الصناعية

يرى ستيفن ووكر نائب مدير وكالة مشاريع أبحاث الدفاع المتقدمة داربا: إن مسألة خفض أسعار الأسلحة والمعدات الأخرى من خلال ابتكار حلول جديدة للمشاكل القديمة أو إعادة النظر في الأنظمة العسكرية المعقدة، هي إحدى مجالات التركيز الرئيسة للوكالة في السنوات القليلة القادمة. وفي هذا الأسبوع، أبرزت الوكالة الحلول المحتملة لهذه المشكلة وغيرها، واستعرضت مجموعة من التكنولوجيات المتقدمة التي تدخل ضمن مرحلة جديدة من البحث والتطوير.

بعض من هذه التكنولوجيات مُدرج في تقرير الوكالة نصف السنوي للتكنولوجيات المتقدمة الخاصة بالأمن القومي، الذي صدر صباح هذا اليوم ليتزامن مع شهادة مديرة وكالة داربا أراتي برابهاكار، أمام لجنة الخدمات المُسلحة في مجلس النواب. وقد تم تسليط الضوء على تكنولوجيات أخرى من قِبل المسؤولين في الوكالة أثناء محادثاتهم الأخيرة في واشنطن. وتشتمل على:برنامج هبوط الحمولات التصاعدي يسعى إلى وضع حاويات الروبوتات في قاع المحيط لمدة سنوات حتى تستيقظ من نومها، الذي يشبه الموت، وتطفو على السطح لإطلاق حمولاتها، إما من خلال وقوع حدث معين أو أمر مباشر. هذه الحمولات يمكن أن تحمل معدات مثل الطائرات بدون طيار التي يمكنها التحليق والقيام بعمليات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع، وأدوات الحرب الإلكترونية، وطائرات بدون طيار تحت الماء يمكنها فعل أشياء مماثلة تحت الماء.والهدف هو إنشاء هيكل على نطاق "عالمي" لمثل هذه الحاويات، والسماح باستخدامها في كل مكان، ومن المحتمل أن تحل محل الغواصات. وتضع البحرية الأمريكية هذه القدرات في قاع المحيط باستخدام غواصات متطورة ولكنها مُكلّفة أيضًا. ما نود القيام به في هذا البرنامج هو تركيب هذه القدرات في قاع المحيط، وجعلها متاحة للتشغيل عند الحاجة في الوقت المناسب". كما سلّط الضوء على مجموعة واسعة من التحديات التقنية في صنع حاوية زومبي للطائرات بدون طيار، وجعلها تطفو على السطح بالشكل الصحيح (ظاهرة تُعرف باسم الهبوط التصاعدي)، وإمدادات الطاقة وحماية الحمولات في قاع المحيط لمدة سنوات في وقت واحد. وقال مدير البرنامج في وكالة

داربا ديك أوروبان، في مؤتمر جمعية الدفاع الوطني في واشنطن، إنه: يمكن وضع الحاويات في قاع المحيط بعمق 4 كيلومترات وسنرى الضغوط العالية التي يجب مقاومتها لسنوات. هناك مشاكل أخرى يجب التفكير فيها والتعامل معها مثل التلويث، ونظام الاتصال الذي يوقظ هذه الحاويات ويخبرها بما يجب القيام به. والبرنامج يتكون من ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول هو وعاء قادر على حمل أنواع مختلفة من الحمولات،وهذا البرنامج سوف يدخل مرحلته الثانية هذا العام. نحن، في الواقع، لم نقم ببناء أي شيء، ولكننا انتهينا من الدراسات المتعلقة بالتصميم. وسوف نأخذ هذه التكنولوجيات المختلفة إلى الماء لاختبارها ورؤية مدى نجاحها. إذا نجحنا في هذا البرنامج، فنحن لن نُظهر ما هو ممكن هنا فقط، ولكننا أيضًا سوف نُظهر ما هو ممكن من حيث الهيكل الموزّع عبر المحيط بأكمله. ويسعى برنامج قصف الغواصات السريعة إلى تطوير ما أطلق عليه ووكر أجهزة الحفريات البحرية، والنظر إليها على أنها بمثابة أقمار صناعية في المحيط. ولأنها تتواجد في قاع المحيط، فإنه يوجد بها غطاء كاشف واسع للغاية.وفي الوقت نفسه، سلط أوروبان الضوء على برنامج نظام المسار الصوتي التحويلي، وهو عبارة عن جهاز سونار سلبي في قاع البحر على مسافة 6 كيلومترات، يستمع إلى التوقيعات الصوتية التي يمكن أن تشير إلى غواصات عابرة. وعندما يكشف أي غواصة، يرسل كلمة إلى نقطة التقاطع على السطح. في مستقبل وكالة داربا، لن تعتمد على نظام تحديد المواقع العالمي الحالي من أجل عمليات الانتشار. تعمل الوكالة منذ سنوات لابتكار حلول بديلة حتى يحدد الأشخاص موقعهم دون الاتصال بشبكة من الأقمار الصناعية باهظة الثمن. ولكن، عالم داربا لا يزال ذلك العالم الذي نذهب فيه إلى الفضاء كثيرً.والتركيز بشكل رئيس على استثمارات الفضاء هو إدراك أننا نعتمد للغاية على الفضاء. كما سلطت الضوء على المخابرات العسكرية وقدرات الاستطلاع المراقبة، وكذلك الاتصالات الفضائية ودورها في ساحة المعركة. ولا يمكن تغيير الطريقة التي يتدرب بها الجيش على القتال اليوم دون هذه الأجهزة الفضائية. وبرنامج إطلاق المعدات الجوية المساعدة في الوصول إلى الفضاء، وهو برنامج محوري في هذه الرؤية. ويهدف هذا البرنامج إلى إرسال أقمار صناعية تزن 100 رطل إلى الفضاء خلال 24 ساعة، بتكلفة تقل عن مليون دولار لكل قمر صناعي. كما يهدف إلى إنجاز ذلك من خلال إطلاق الأقمار

الصناعية في الفضاء من طائرات تحلق على ارتفاع شاهق. ويتطلب الأمر سنوات لتحديد موعد الإطلاق، ومليارات الدولارات لوضع أي شيء ذي قيمة في الفضاء. وسلّطت الضوء على تكاليف الحفاظ على المعدات في الفضاء باعتبارها تحديًا رئيسًا للحفاظ على هيمنة الولايات المتحدة في مجال الفضاء.والأقمار الصناعية من المفترض أن تستمر لفترة طويلة، وأحيانا تحدث بعض الأشياء لها، وتتوقف عن العمل، مثل مرور كويكب عبر الشراع الشمسي. ولكن، إذا تمكنت من إصلاح هذه الأقمار يمكنك توفير الكثير من الأموال.والهدف من برنامج الصيانة الآلية (باستخدام الروبوت) للأقمار الصناعية الثابتة بالنسبة للأرض. تصور فريق من الروبوتات المُسلحة المتعلقة بقطعة من معدات التجسس العسكرية فوق الأرض، تقوم بإصلاح وصيانة الأضرار الناجمة عن النفايات الفضائية، والحطام، والعناصر الحادة في الفضاء مع عمر ميكانيكي مناسب. يجب أن نمتلك أسلحة روبوتية عالية الدقة. ويجب علينا أيضًا أن نمتلك أنظمة تصوير يمكنها القيام بالفحص والتفتيش ومعرفة ما الخطأ. مع ميزانية بقيمة 2.9 مليار دولار، تُعد وكالة "داربا" اللاعب الرئيس في وزارة الدفاع وفي تطوير التكنولوجيا. وتواجه منافسة تكنولوجية ليس فقط من الشركات المنافسة، ولكن من الجهات الفاعلة غير الحكومية والقطاع التجاري. انتهت أسطورة أننا متقدمون على العالم بنحو 30 عامًا منذ فترة طويلة، وهو الأمر الذي كثيرًا ما يُقر به المسؤولون في وكالة داربا. وهناك تقنيات عالمية بنفس جودة المعدات التي نطورها في هذا البلد. إن تكلفة نظام الاقتناء هو ما يعيقنا عن التقدم، ونأمل في أن نستمر بتأمين بعض المزايا التكنولوجية، وبتكلفة لا تدفع البلاد إلى الإفلاس.

من القتل بالحرارة إلى القتل بالأشعة

بتنا في عصر جاوزت فيه سرعة صاروخ كروز 16 ألف كلم / ساعة، كما ان الحصول على قنبلة نووية اليوم اسمه تحقيق معادلة ردع، وأنت لا تعتدي على أحد بامتلاكك السلاح النووي، ولكنك تخبر من لديه سلاح مماثل أنك قادر على الرد بالمثل لو فكر في ابتزازك أو استهدافك، أما الدول التي تعتمد كليا على غيرها في السلاح والغذاء، لا يمكنها أن تحقق الردع في حالة العدوان عليها إلا مقيدة بظروف معينة ونوعية تسليح معين وتوازنات دولية معينة، فهي دول محكوم عليها بالخضوع والبقاء داخل أسوار حظيرة الطاعة، ولا توجد دولة عالمية ترضى لنفسها بهذا الوضع، فإن لم يكن لدى الدولة تكنولوجيا نووية اليوم للأغراض السلمية على الأقل فهي دولة مفعول بها. والتقنيات العسكرية بدأت تنتقل في بحوثها إلى عملية نقل الأسلحة من القتل بالحرارة، إلى القتل بالأشعة وهذا يترتب عليه آثار كبيرة على مستوى التفاوت في القوة بين الدول التي تسمي بالعالم الثالث وما يسمى العالم المتقدم، فاستخدام الأشعة بدل الرصاصة والقذيفة والقنبلة في منتصف القرن ال21 يعني أن جميع الأسلحة التي لدينا لم تعد ذات جدوى رغم ما انفق عليها من مليارات ممليرة،أنه في ظل هذا التقدم ستغدو الأسلحة المكدسة لدى جيوش العالم الثالث مثل ألعاب الأطفال بعد أن تصبح الأشعة هي السلاح الجديد أو حين استخدام ما بات يعرف بالقنبلة النيوترونية المخصصة لقتل البشر، فهي قادرة على قتل البشر في حين لا تحدث أي ضرر في البنايات والمنشآت العامة لدى انفجارها. أما إن تم الحديث عن حرب النجوم والتي يخال البعض لدينا أنها جزء من الترف العلمي وأن لا علاقة لها عسكريا بما يحدث على الأرض فإن الفجوة تتقدم أكثر فأكثر فاختراع وسائل الاتصال اللاسلكي وتقدمها عائد إلى الوصول إلى سطح القمر. وهذا يعني وجود رقابة شبه كاملة من قبل كبريات دول الغرب على كل أنواع الاتصال في العالم عبر مرورها بمصفاة في القمر الصناعي، وهذا الأمر هو ما دعا الولايات المتحدة الأمريكية عبر جناحي مخابراتها إلى التفكير في الاستغناء عن تجنيد العملاء مقابل هيمنة تكنولوجيا التنصت في عمليات التجسس، إلا إن أحداث 11 سبتمبر أثبتت أنه مهما بلغت التكنولوجيا من تطور فإنها لن تستطيع التخلي أبدا عن دور الإنسان في عمليات التعقب والرصد، وهي المعادلة التي يعيها الصهاينة جيدا.

الفصل الرابع

الأخطار الكارثية وشيطنة المجتمعات

الطائفية والقومية

النعرات الطائفية والعنصرية ومثيلاتهما موضوعات قديمة وجديدة، شئنا أم أبينا العالم يتجه إلى طريق الحروب والصراعات التي ترتبط ارتباطا كاملا بصراع الأيديولوجيات أو الصدوع الثقافية من جهة والحروب الطائفية والقومية من جهة أخرى , وذلك نتيجة لتلك المحفزات النفسية والدينية والاقتصادية التي تستغلها بعض الدول والمؤسسات والجماعات الدولية المتعصبة أو النفعية – وليس بالضرورة أن تكون جماعات متشددة، حيث شهد المجتمع الدولي تغيّراً في موازين القوى، فالدول التي كانت تحوي تعددية قومية أصبح بإمكان أي قومية عمل استفتاء استقلال وحق تقرير المصير، صحيح سوف تصنّف دولة صغيرة حسب معايير القياس القديمة من حيث الحجم وعدد السكان والقدرة العسكرية والإمكانات الاقتصادية، لكن يمكنها ان تصنف بأنها دول قوية من حيث الفاعلية والدور والقدرة على التأثير.

كما انه ليس هناك ما يؤكد ولو بنسبة قليلة جدا على ان مستقبل النظام العالمي القائم اليوم يمكن أن يستقر سياسيا خلال العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين على أقل تقدير - وبمعنى آخر – أنه لا توجد أي مؤشرات دقيقة يمكن الاستناد عليها أو الوثوق بها من الناحيتين السياسية والاقتصادية يمكن أن تعطي تلك المساحة الكافية من الأمل للوثوق بمستقبل بشري لا تشوبه الفوضى والصراعات والحروب التي تحركها تلك المحفزات.

والحقيقة أن هذه النظرة التشاؤمية إلى المستقبل لم يتم اختزالها في رؤية قاصرة على مساحة جغرافية محدودة لمتغيرات النظام العالمي القائم منذ بداية القرن الحادي والعشرين , بحيث ألغينا كل معالم الأمل في تلك التحولات الطيبة على المستويين السياسي والاقتصادي الدولي , وإنما قمنا ببنائها على عدد من الأسس العلمية التي يمكن الاستناد عليها في استشراف المستقبل وقراءة ما بين سطور وهوامش الخارطة الجيوسياسية الدولية المستقبلية في هذا السياق.

وبداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين , والتي أكدنا من خلاله على ان الصراعات والحروب كانت المرافق الأزلي الدائم للتاريخ السياسي والتحولات العالمية , وتوقعنا ان تستمر تلك الصراعات والحروب خلال العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين نتيجة استمرار الأسباب التي تدفع إلى ذلك.

وفي هذا السياق نفسه يقول الدكتور ايرل تيلفورد – وهو مدير البحوث بمعهد الدراسات الاستراتيجية بكلية الحرب التابعة للجيش الأمريكي – أن الصراعات العرقية والدينية قد لازمتنا منذ فجر التاريخ وسوف تستمر خلال القرن الحادي والعشرين.

وهناك ثلاثة أنواع من الحروب هي حرب المواجهة وحرب السيطرة وحرب البنية التحتية , ستكون حروب السيطرة هي أكثر الصيغ شيوعا في حروب المستقبل , وهي من نوع الحرب التي نفذتها يوغسلافيا السابقة بنجاح تام , بينما كان حلف شمال الأطلسي منهمكا في حروب جوية مبنية على مبادئ الثورة في الشؤون العسكرية.

من هذه الناحية نؤكد من جديد على أن أهم وأبرز مواطن الأسباب والدوافع الأيديولوجية التي يمكن أن تتسبب بتلك الحروب والصراعات الداخلية أو الإقليمية أو تلك العابرة للقارات , والتي نؤكد على أنها ستكون الشرارة الأكبر لحروب وصراعات ستتسبب في خسائر بشرية أكبر بكثير مما مر على البشرية في القرون الماضية , وذلك نتيجة لتراكم المعرفة والخبرة التاريخية في طرق الإبادة الجماعية وتوفر أدوات ووسائل القتل المتقدم , واستثمار الأموال الطائلة في امتلاك تلك الأدوات والوسائل التكنولوجية الحديثة والمتطورة هي الصراعات والحروب التي ستحركها الأفكار القومية والمذهبية والطائفية , أكان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات أو حتى الدول القومية العابرة للقارات , وبالطبع فإن حروب الخبز , أو كما يطلق عليها بثورة الجياع (تطالب بالعدالة الاجتماعية) ستكون المحفز الثاني لصراعات وحروب لا تقل أهمية من الناحية الجيوسياسية لرسم خارطة الأنظمة السياسية العالمية خلال المرحلة القادمة.

وسواء كنا متفائلين بتلك المحفزات السياسية والاقتصادية والتقدم العلمي ونضوج المجتمعات المدنية الحديثة , فإن ذلك لا يمكن له أن يوقف التيار الجارف لحتمية الصراع والاستمرار والبقاء ودوافع الاحتلال والتوسع والسيطرة الأزلية للقوى الكبرى , كما أنه لا يمكن له أن يحتوي تلك المعتقدات والأفكار والثقافات التي لا زالت تدفع بالإنسانية دفعا نحو حتفها كالطائفية والقومية والمذهبية والشعوبية , لذلك كان جيمس سجالنجر مصيبا بنحو لا يقبل الشك عندما توصل في عام 1992م إلى أن النظام العالمي المستقبلي سترسمه سياسة القوة والصراعات القومية والتوترات العرقية.

وبالنظر الدقيق إلى الخارطة الجيوسياسية الدولية للقرن الحادي والعشرين وما شابهها من صراعات وحروب وتحولات جيواستراتيجية وجيوبولتيكية خلال السنوات العشر الماضية , يتأكد لنا شكل النظام العالمي المستقبلي الذي يمكن أن ترسمه امتدادات وانعكاسات تلك الحروب والصراعات , والتي يمكن للمتابع العادي والبسيط أن يعرف بأنها لم تكن تتجاوز عتبات أبواب النعرات القومية والطائفية وتلك التي تساهم في صناعتها الامبريالية والتوسعية وأطماع الدول الكبرى.

فمن أحداث سبتمبر من العام 2001م إلى غزو أفغانستان والعراق والحرب الروسية الجورجية واليمنية السعودية ضد الحوثيين , إلى يقظة الهندوسية في الهند العلمانية الديموقراطية مع ما يرافقها من مجازر متبادلة بين المسلمين والهندوس، وانتفاضة

إسلامية في الفيلبين، ومعارك طاحنة في كشمير، وتفجيرات إرهابية في إندونيسيا، مروراً بسريلانكا وصولاً إلى الحرب والطائفية في العراق , إلى محاولات تفتيت الدول وتجزئتها طائفيا ومذهبيا كما هو الحال في اليمن والسودان على سبيل المثال.
كما أننا لا يمكن أن نتناسى الساحتين الأمريكية والأوربية والتي ينتشر فيهما حتى الساعة هذا النوع من الصراعات الأيديولوجية والقومية وبشكل واضح , فعلى ما يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية بتنوعها الديمقراطي والعرقي تتجه بطريقة ما إلى صدام من نوع ما بين تلك الطبقة الحاكمة والمسيطرة من الأثرياء والإقطاعيين والرأسماليين وتلك الشريحة المهمشة من الشعب الأميركي , كما أن أوروبا الغربية سوف تدخل في مرحلة جديدة تتضمن المزيد من الزلازل القومية – الاجتماعية، (وما يحدث الآن في بلجيكا يمكن أن يحدث في سويسرا والتي تعاني بدورها من وجود كتلتين سكانيتين تعتمد إحداها الثقافة الفرنسية والأخرى الثقافة الألمانية , هذا، وتقول المعلومات بأن إيطاليا سوف تعاني أيضاً من ظاهرة التفاوت بين الشمال والجنوب الإيطالي، وحتى شمال السويد تقول المعلومات بأن سكانه أصبحوا أكثر عنصرية إزاء سكان جنوب السويد، وذلك بسبب اعتدادهم الآري بشعرهم الذهبي الذي يميزهم عن الآخرين).
والمفكر الأمريكي نيل فيرجوسون رسم صورة مخيفة عما يمكن أن يحدث للعالم-وبالطبع وفق وجهة نظر تصب في صالح بلاده تماما- إذا ما قررت الولايات المتحدة التخلي عن الزعامة العالمية والعودة الى العزلة. وهو يرى أن البشرية ستعود حينذاك إلى الحال الذي كانت عليه في القرنين التاسع والعاشر ميلادي الذي شهد تراجع الإمبراطوريات البيزنطية والإسلامية والصينية وتفكك وتذرر العالم إلى شظايا سياسية متحاربة ومتقاتلة.
ويضيف (وهنا الأهم) أن السمة الرئيس لهذين القرنين اللذين انحسرت عنهما القوة الإمبراطورية هو غياب التوجهات العلمانية وغلبة الصراعات الدينية على جداول الأعمال السياسية. ففي القرن التاسع مزقّ الخلاف حول دور الأيقونات في العبادة المسيحية الإمبراطورية البيزنطية. وفي القرن الحادي عشر نشبت الحروب بين البابا وبين رأس الإمبراطورية الألمانية المقدسة حول من يحق له تعيين الأساقفة. وفي الدول الإسلامية حكم الأئمة ورجال الدين –وهذا غير صحيح بالمرة، لكنه تبرير لما هو قادم. وقد انتهت هذه الحقبة بحروب مقدسة غير عادية هي الحروب الصليبية التي دشنها الأوروبيون العام 1095. ببساطة هو يوجب على العالم الامتثال لإملاءات القوة الأمريكية المفرطة، بل أيضا الترحيب بالتدخلات الأمريكية في كل مكان بما في ذلك بالطبع التدخلات العسكرية. وبهذا المعنى تصبح أميركا هي العالم وتتحول قواتها إلى فرق عسكرية في خدمة إمبراطورية العولمة التي هي الوجه الآخر الحقيقي للأمركة. وقد يعجب هذا الكلام

بعض الأنصار وقد يثير غضب غالبية الأطراف التي ترفض أن تكون خدماً في بلاط الإمبراطورية الأمريكية. القوة الأميركية المفرطة لن تقبل بأقل من الهيمنة على حديقتها العالمية الشاسعة. وبالتالي الاف. بي. أي يجب أن ينظر إليها على أنها " أف. بي. أي " العالم، وكذا الأمر بالنسبة للجيش والمارينز. سذاجة لا يمكن تخيلها إلا في عقل متغطرس، فالعالم متعدد الأقطاب والهيمنة أو المطلق غير الله تعالي هو ظلم تام.

إن ما يحدث في أغلب دول العالم بلا استثناء من حروب طائفية وصراعات قومية وحتى في تلك الدول المستقرة سياسيا كما يطلق عليها في الاصطلاح السياسي تعاني من تلك المحفزات , ولكن بطريقة مكبوتة بعض الشيء نتيجة القمع أو ضعف حالة تلك الجماعات أو الأفراد في الوقت الراهن , أو حتى على مستوى توجهات الدول القومية العابرة للقارات كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا على سبيل المثال, يصنع شكل الخارطة الجيوسياسية الدولية خلال المرحلة القادمة على رقعة الشطرنج الكبرى. إذا هناك دول مؤهلة للتقسيم والتجزئة والتفتيت على أسس عرقية وطائفية وقومية كما هي الحالة السودانية وربما اليمنية وستسقط أنظمة سياسية كما تتساقط أوراق الشجر اليابسة بسبب الثورات, أو بسبب المطالبة بالحريات والديمقراطيات , وبشكل غير مستبعد ستشهد البشرية خلال السنوات القادمة من القرن الحادي والعشرين حروب شرسة تتشارك فيها دول ضد جماعات وجماعات ضد أفراد أتصور أنها تبدأ من الشرق الأوسط وربما يشهد العالم الحروب التي تستخدم فيها الأسلحة النووية. ومن الأمور الخطيرة في القرن ال21 ضلوع ضباط وعسكريين سابقين فى التعاطف والانتماء والتدبير والمشاركة والقيادة للجماعات بمختلف أنواعها خاصة المسلحة منها.

التلاعب بقضايا الأنهار

خريطة توزع السكان في العالم غير سعيدة بالنسبة لهم,فسكان الدول المتقدّمة ينمون ببطء شديد وبمعدّل سنوي لايتجاوز 0,4% يمثلون 21% من البشريّة فقط. ومجموعة الدول الأقل تقدّماً والتي تضمّ خمسة مليارات نسمة ,تنمو بسرعة تفوق الأولى بنحو يزيد عن خمس مرّات أو تمثّل 79% من سكان المعمورة.
الدول المتقدّمة هي أكثر امتلاكاً لفنون التقدّم والتكنولوجيا ,وبالتالي هي أكثر قدرة على مضاعفة مواردها. ولكن لو أمعنا جدا لأدركنا أننا أمام عالم سوف تتّسع فيه الفوارق وتنبؤات مستقبلية تحمل مفاجآت أكثر من ذلك بكثير.
وفي الفترة حتى 2050 سوف تكون الهند أكبر تجمّع سكّاني في العالم وبما يعادل 30% من سكانه الحاليين لأنّها لا تملك نفس السياسات التي تتّبعها الصين لضبط السكّان، وتصبح الصين في المرتبة الثانية 1610 مليون نسمة مقابل 1640 مليون نسمة للهند تقريباً.
سوف يزداد عدد الدول العملاقة التي يزيد عدد سكان كلّ منها عن مائة مليون نسمة ,وتضمّ المنطقة 4 دول يزيد تعداد كلّ منها على المائة مليون منها "تركيا وايران ومصر".
وفي دراسة قام بها مركز دراسات الوحدة العربية لاستشراف مستقبل الوطن العربي جاء فيها- تضاعف الديون العربية ثلاثين مرّة في عشرين عام-.
حدث نمو مادي ولا يعني بالضرورة عدالة توزيع الدخل لأن زيادة الدخل تبدّدت في ظلّ الحرب، والموارد تبخّرت في ظلّ التشرذم وسيطرة المراكز الخارجيّة على كلّ ما يجري في الوطن العربي، فالخارج هو مركز الاستقبال للنفط والمال والعقول المهاجرة، وهو مركز التصدير للآلة والسلاح وقطعة الجبن والخبز ونمط الاستهلاك. وعبر رحلة "العرب-الخارج" يضيع الكثير، وإذا استمرّت نفس السياسات فالأخطار سوف تتزايد، "فإسرائيل تسيطر" ودول الجوار تنقض على الجسد الضعيف وأمريكا ترفض التعامل مع العرب كمجموعة واحدة والتنمية تتشوّه، وسوء التوزيع هو الغالب. والاتحاد على الأقل والوحدة هما الحلّ". وإن كانت لها مشاكلها ومحاذيرها. إنها وحدة لا تلغي المحليّة والخصوصية لكنّها تبرز سمات الشعب الواحد بإمكانياته الموحّدة.
تقول الأرقام إن الشرق العربي وشمال إفريقيا هو الأفقر مائياً بالقياس للعالم كلّه ,بل معظم بلدان الشرق العربي وشمال إفريقيا تقع تحت حزام الفقر المائي. لذا أصبحت المياه قضيّة أمن قومي وأصبح الكثيرون يتوقّعون أن تكون المياه –مثل الأرض- وراء الحرب القادمة. ووفقاً لبيانات البنك الدولي فإن هناك 22 بلداً في العالم تعاني من ندرة مزمنة للمياه، حيث يقل نصيب الفرد سنوياً عن ألف متر مكعب. والاستراتيجيون يتوقعون حروباً تثيرها أزمة المياه، وعلي السياسيين والاقتصاديين أن يبحثون وسائل

التعاون الإقليمي والعالمي لمواجهة هذه المشكلة المتفاقمة.وعلى حكومات المنطقة أن تقدّم تكنولوجيا تزرع أكثر وتستهلك من الماء أقلّ. المياه إذن قضيّة القرن الواحد والعشرين.

وهناك إشكالية بيئية متجددة متمثلة فى أزمة التغيرات المناخية, فمن المتوقع أن ارتفاع درجات الحرارة سيؤدي إلى انخفاض مستقبلي لاحتياط المياه العذبة وانتشار المناطق الجافة , مما يؤدي إلى تزايد أنماط الهجرات في الدول ويزيد من حدة الصراعات بينها حول المُكون المائي.وقد سبق وأن نشب القتال على ضفاف نهر السنغال حيث أدي الجفاف والتغيرفي تدفق النهر، مما اضطر القبائل إلى تغيير نمط حياتها ومكانها، حيث هاجرت إلى أماكن بها مياه وتقاتلت مع القبائل الموجودة.

كذلك ارتفاع وتيرة الفيضانات سوف يؤثر بدوره على تدهور نوعية المياه وهو ما سوف يؤثر على حجم المخاطر التي يتعرض لها الأفراد جراء تأثرهم بارتفاع منسوب المحيطات حتى عام 2080 حتى لو لم يتجاوز هذا الارتفاع 40 سنتمتراً، في حين أن التأثير المناخى فى مجال الزراعة تطرقت له أطروحات اللجنة الدولية بدراسة فى ملخصها أن المجتمعات الأكثر فقرا هي الأكثر اعتماد على المياه والزراعة ومن ثم ستتعرض لأكبر مخاطر في إطار التغيرات المناخية وكذلك موجات الحرارة المرتفعة سوف تؤثر على أنظمة البيئة.

والزراعة تستهلك 83% من كل المياه المتوفرة في الشرق العربي وشمال إفريقيا وهذه النسبة قد تنخفض بحلول 2030 إلى 65% نتيجة الاستخدام السكني للمياه. ويتوقع أن يصل السكان في الإقليم 348 مليون في ذلك الوقت وتصل احتياجاتهم المائية السنوية 470 بليون متر مكعب. وهذه الاحتياجات تكون أكبر بنحو 132 بليون مترمكعب من اجمالي المياه المتوفرة في ذلك الوقت، حتى لو تحسنت كفاءة استخدام المياه بسرعة مذهلة.

وفي هذا القرن ستعاني حوالي 90 دولة من نقص المياه وهو ما يجعل نصف سكان العالم يتأثرون وينجم عن ذلك 5 بليون شخص معرضين لسوء التغذية والمجاعات والأمراض. وكما تري اليونيسيف أن 35000 طفل يموتون يوميا في العالم من الجوع والأمراض التي نتتج عن نقص المياه وتلويثها.

مخاطر ذوبان الجليد

نسمع كثيرًا في الآونة الأخيرة عن الاحتباس الحراري وارتفاع درجة حرارة الأرض وذوبان الجليد. وقد ساهمت الحروب كغيرها فى ظهور الاحتباس الحرارى، خاصة أن الاستخدام المفرط للقنابل والرصاص، كل ذلك ينتج عنه ثانى أكسيد الكربون وأول أكسيد الكربون، وهما أكثر غازات الاحتباس الحرارى التى أدت إلى تغيرات مناخية.

ولكن هل تخيلت يومًا ما الشكل الذي سيكون عليه العالم بعد ذوبان أكثر من 5 مليون ميل مكعب من الجليد على الأرض؟ والحقيقة على عكس كل تخيلات من يقول أننا لن نجد اليابسة التي نعيش عليها بل سيؤدي ارتفاع منسوب مياه البحار إلى آثار مدمرة للعديد من دول ومدن العالم حيث أنه من المتوقع أن ترتفع منسوب المياه بنحو 216 قدم والآن عرض للخرائط التي يتوقعها العلماء للعالم بعد ارتفاع البحار.

قارة أمريكا الشمالية: قد يختفي الساحل الأطلسي ومعه فلوريدا وساحل الجولف. وأما هضاب وتلال سان فرانسيسكو وكاليفورنيا تصبح مجرد ماضي بحيث تظهر على شكل جزر بسيطة وسط المياه مجرد أراضي عادية ويصبح الوادي الكبير خليج يحتوي على الكثير من المياه.

قارة أمريكا الجنوبية: حوض نهر الأمازون في الشمال وحوض نهر الباراجوي في الجنوب سوف يصبحون جزء من المحيط الأطلسي ولكن الجبال الممتدة على على السواحل الكاريبية والموجودة في وسط القارة سوف تنجو من هذا الفيضان الكبير.

قارة إفريقيا، مقارنة بقارات العالم الأخرى سوف تكون أفريقيا أقل القارات التي تفقد بعض من أراضيها ولكن نتيجة لارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير في هذه الآونة يمكن أن تصبح معظمها غير مأهولة. ولكن بلا شك وقد تغرق الإسكندرية في مصر بمياه البحر المتوسط. وهناك اتجاهًا يشير إلى زيادة درجات الحرارة في مصر وحوض النيل، بصفة عامة وأنه ستتراوح معدلات الزيادة هذه مابين1 درجة مئوية عام2030 م في كل من مصر وحوض النيل وحتى 4و2درجة مئوية في مصر عام 2100 م و5و2درجة في حوض النيل خلال نفس العام، إلا أنه من الملاحظ أن هذا الارتفاع المتوقع في درجات الحرارة سيتباين خلال العام الواحد في مصر

حيث يرتفع معدل الزيادة خلال فصل الصيف (يونيه – أغسطس).

أما بالنسبة لتوقع التقلبات في هطول الأمطار فعلى حين سنجد أنها تسير نحو الانخفاض المطرد فوق مصر) حيث ستتراوح نسب انخفاضها ما بين – 2و5%عام 2030 م إلى – 2و13 %عام 2100 م (إلا أنها ستأخذ في الزيادة المطلقة في منطقة حوض النيل) من 5و1%عام 2030 م حتى 7و3% عام 2100 م.

قارة أوروبا: سوف تصبح لندن مدينة في الذاكرة في حين تتعرض البندقية للغرق تحت مياه البحر الأدرياتيكي وتصبح هولندا أحد الجزر المحاطة بالمياه من جميع الاتجاهات بينما تتعرض معظم أجزاء مدن الدنمارك وبل وقد تتصل مياهي البحر المتوسط والبحر الأسود

آسيا: تأتي للصين التي تعد من أكبر الدول في العالم حاليًا ولكن الفيضان قد يجتاحها وتصبح الجبال الساحلية عبارة عن مجرد جزر.

استراليا: تصبح في أغلبها صحراء وينشأ نتيجة ارتفاع منسوب المياه ما يشبه البحر الداخلي كما أنها ستخسر معظم شواطئها المشهورة الآن.

انتركتيكا: تصبح أنتركتيكا أصغر في المساحة بشكل عام لأنها تأسست في الأصل على مجموعة من الصخور التي تكونت تحت سطح البحر كما أن معظمها تكون من الجليد الذي سوف يذوب نتيجة ارتفاع درجات الحرارة مما يعني انهيار معظم القارة.

ليس ذلك فقط، بل القارات ذاتها تتحرك، وهناك 3 أنواع من التحرك، وهى:

1-القارات تقرب من بعض كما هو الحال بين إفريقيا وأوروبا يعنى بعد بضع من ملايين من السنين البحر المتوسط لن يكون موجود

2- القارات تبتعد عن بعضها كما هو الحال بين إفريقيا ومنطقة جنوب غرب آسيا وبعض بضع من ملايين السنين البحر الأحمر يتحول لمحيط كبير

3- القارات تبعد عن بعضها مع وجود إزاحة أفقية (القارات تبعد عن بعضها وفى نفس الوقت تتحرك للأمام والخلف).

وهو معروف أن كوكب الأرض الذي تشكل من قارة واحدة ضخمة قبل أن تتفرق إلى القارات بشكلها الحالي، سيبدأ في العودة لوضعه الأول مرة أخرى خلال بضع من ملايين السنين.وآخر اتحاد للقارات كان قبل 250 مليون سنة، حيث بقيت هذه القارة المتحدة لمدة 50 مليون سنة ثم بدأ بالتفكك بفعل التصدعات التي قامت بتحرير الأمريكتين عن أفريقيا، ثم انفصلت الأراضي القطبية، وبعدها انفلق صدع المحيط الأطلنطي باتجاه الشمال لتتحرر الكتلة الموحدة لآسيا وأوروبا. والقارات ستبدأ في الاقتراب من بعضها البعض مجددًا، فشمال أفريقيا يتقدم الآن نحو جنوب أوروبا عبر البحر المتوسط لتتحول شواطئه إلى سلسلة من القمم الثلجية ويختفي البحر.وهناك قارة أستراليا وهى أسرع القارات حركة، التي بدأت بالفعل تكتسح غينيا الجديدة والجزر الإندونيسية في طريقها لتشكيل تكدس مضطرب مع قارة آسيا. ويتوقع العلماء أنه بعد مرور 200 مليون عام ستعود الأرض لتصبح قارة واحدة عملاقة اسمها بنجيا ألتيما، للمزيد يمكن الرجوع لكتابنا "مناخ العالم حتى 2100".

الأسلحة الجيوفيزيائية وصناعة الزلازل والطقس السيء

تعتمد هذه النوعية على التلاعب بالعمليات والتفاعلات التي تحصل في قشرة الأرض وفي غطائها الغازي والسائل لأهداف عسكرية، ويكون الغلاف الجوي الواقع على ارتفاع 10 إلى 60 كم هو ذو أهمّية خاصة لهذا النوع من الحروب. ولما كنت في المرحلة الإعدادية قرأت أن إسرائيل تحاول اختراع سلاح كيماوي أو بيولوجي لا يصيب ولا يقتل إلا العرب. بمعني اوضح يوجه تجاه جنسية بعينها فيقتلها.

والكيمتريل "Chemtrail" الجيل الرابع من أسلحة الدمار الشامل التى بدأت بالجراثيم ثم السموم ثم القنابل الذرية.البعض اعتبره سلاح جديد لتخفيض عدد سكان الأرض وإبادة أجناس بعينها مثلما حدث مع الهنود الحمر!

فبعد قنبلة الموجات القصيرة، والقنبلة الكهرومغناطيسية، وقنبلة التعتيم، والقنابل الماصّة للأكسجين من الممّرات والمناطق المغلقة، والقنابل الإلكترونية. تلك الترسانة الرهيبة التي استُخدمت - ولا تزال - في تخريب بلاد. تحتكر الولايات المتحدة سلاحاً أشدَّ فتكاً وأسوأ أثراً، وهو الكيمتريل الذي يوظِّف الكوارث الطبيعية في الفتك بالبشر! هل ستختار لنا أمريكا المناخ وتفرضه علينا، كما اختارت لنا التبعية والخنوع والحكام ونظم الحكم وفرضتهم علينا ؟!

الكيمتريل هو عبارة عن سحابات صناعية يتم إطلاقها بواسطة الطائرات النفاثة. تعمل على حجب أشعة الشمس بحجم كبير. كما أنها تؤدي - من خلال ما بها من أكسيد الألمونيوم وأملاح الباريوم - إلى تبريد الهواء الأرضي بشكل واضح؛ نتيجة قيام هذه السحابة بدور المرآة العاكسة، فتعكس حرارة وأشعة الشمس إلى الفضاء مرة أخرى؛ فيقل وصولها إلى الأرض؛ ما يؤدي إلى تبريد الهواء وانخفاض حرارته تدريجياً؛ فيشعر سكان المناطق الجافة بالبرودة، بينما يشعر سكان المناطق شبه الجافة بالبرودة الشديدة، وكذلك سقوط الأمطار غير العادية والرعد والبرق والصواعق. أما في المناطق الشمالية - مثل أوروبا - فإن البرودة الشديدة تؤدي إلى زيادة كثافة وسرعة تساقط الجليد؛ مما يمثل كارثة على هذه الدول، وكل ذلك بسبب التبريد الشديد الناتج عن إطلاق غاز الكيمتريل، وقد تزايدت الشكوك حول الغرض من استخدامه والذي يُعتبر غرضا سريا يكتنفه الغموض، كما أنه يُستعمل في برامج سرية يقودها مسؤولون حكوميون.

وتتكون تسمية كيمتريل من مقطعين اثنين Chem أي مواد كيماوية و trailأي الأثر، وهي اختصار ل "chemical trail"وهي تشبه نوعا ما عبارة "contrail" وهي لفظ منحوت لغيمة طائرة "condensation trail " كما أنها لا ترتبط بأشكال الرش الجوي الأخرى مثل التطبيق الجوي والاستمطار والكتابة الدخانية في السماء ومكافحة الحرائق

الجوية. يشير المصطلح خصوصا إلى وجود مسارات جوية نتجت عن إطلاق مواد كيميائية من ارتفاعات عالية جدا وهي مواد لا تتواجد في الدخان التي تطلقه نفاثات الطائرات العادية.

ويعد الكيمتريل أحدث ما توصلت إليه الترسانة العسكرية الأمريكية فإذا كانت الجراثيم التي استخدمتها بريطانيا في الحرب العالمية الأولى هي أولى أسلحة الدمار الشامل، والسموم التي استخدمها «هتلر» في الحرب العالمية الثانية تمثل الجيل الثاني من هذه الأسلحة، والقنابل الذرية والنووية تمثل الجيل الثالث، فإن الكيمتريل يمثل الجيل الرابع من أسلحة الدمار الشامل.

والمثير للانتباه في هذا الصدد أن الاتحاد السوفيتي السابق هو من اكتشف الكيمتريل، حيث تفوق مبكرا على أمريكا في مجال الهندسة المناخية عندما حصل على نتائج دراسات قديمة في أوائل القرن الماضي للباحث الصربي نيقولا تيسلا الذي صنف بأنه من أعظم علماء ذلك القرن بعد أن نجح في اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية وقام بابتكار مجال الجاذبية المتبدل بل واكتشف قبل وفاته كيفية إحداث "التأيين" في المجال الهوائي للأرض والتحكم فيها بإطلاق شحنات من موجات الراديو فائقة القصر مما يسفر عن إطلاق الأعاصير الاصطناعية وبذلك يكون نيقولا تيسلا هو مؤسس علم الهندسة المناخية الذي بدأه الاتحاد السوفيتي ثم تلته الصين.

أما بداية معرفة الولايات المتحدة بـ "الكيمتريل " فقد بدأت مع انهيار الاتحاد السوفيتي وهجرة الباحث الصربي نيقولا تيسلا والعلماء الروس إلى أمريكا وأوروبا وإسرائيل.

وكانت آخر الاستخدامات السلمية الروسية لهذا الغاز ما حدث في الاحتفال بمناسبة مرور60 عاما على هزيمة ألمانيا وانتهاء الحرب العالمية الثانية وذلك في مايو 2005 باستخدام وزارة الدفاع الروسية للطائرات في رش الغاز في سماء موسكو وخصوصا الميدان الأحمر لتشتيت السحب وإجراء مراسم الاحتفالات في جو مشمس وكان ضيف الشرف في هذا الاحتفال هو الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن وذلك للمرة الأولي وهي رسالة موجهة له ليفهم منها دقة التحكم في الطقس بتقنية الكيمتريل على مستوي مدينة واحدة هى موسكو.

وقبل التجربة الروسية السابقة قام السوفيت بإسقاط الأمطار الصناعية "استمطار السحب" وذلك برش الطبقات الحاملة للسحب وقد استفادت الصين من ذلك خلال الفترة ما بين 1995 و2003 واستمطرت السحب فوق 3 ملايين كيلو متر مربع "حوالي ثلث مساحة الصين" وحصلت على 210 مليارات متر مكعب من الماء حققت مكاسب اقتصادية من استزراع تلك المناطق التي كانت جافة قدرت بـ "1,4" مليار دولار وكانت التكلفة العملية فقط "265" مليون دولار.

وبرنامج التحكم في الطقس نشطت منذ الستينات فيما يعرف بمشروع العاصفة والذي كان المقصود منه التحكم في الأعاصير والعواصف بالمحيط الأطلسي.

ثم تطورت أبحاث الكيمتريل على يد واشنطن وتوصلت إلى قواعد علمية وتطبيقات تؤدي إلى الدمار الشامل يطلق عليها الأسلحة الزلزالية يمكن بها إحداث زلازل مدمرة اصطناعية في مناطق حزام الزلازل وتقنيات لاستحداث ضغوط جوية عالية أو منخفضة تؤدي إلى حدوث أعاصير مدمرة.

وفى عام 1995 عرضت واشنطن على منظمة الأمم المتحدة رسمياً أن تتبنى مشروعاً تحت اسم الدرع The Shield لمدة 50 سنة بتكاليف مليار دولار سنويًا تتحملها الولايات المتحدة وحدها تحت مظلة الأمم المتحدة عملياً وتطبيقياً؛ من أجل تحسين المناخ والحد من ظاهرة الاحتباس الحراري؛ بتطبيق براءة اختراع مسجلة باسم اثنين من العلماء الأمريكان من أصول صينية هما ديفيد شنج ، وآي- فو- شي. وخلاصة براءة الاختراع هي عمل سحاب اصطناعى ضخم من غبار خليط من أكسيد الألمنيوم وأملاح الباريوم، يتم رشها "أيروسول" في طبقة «الإستراتوسفير» على ارتفاع يتراوح بين 8 و10 كيلومترات، والمتميزة بدرجة حرارة منخفضة تصل إلى (-80) درجة مئوية، وتنعدم فيها التيارات الهوائية، لتبقى السحابة مكانها لبضعة أيام قبل أن تهبط مكوناتها بفعل الجاذبية الأرضية إلى طبقة الهواء السفلى. ويعمل أكسيد الألمنيوم في هذه السحابة عمل المرآة؛ فيعكس حرارة الشمس إلى الفضاء الخارجي لأكثر من أسبوع، إضافة إلى حجب ضوء الشمس عن الأرض؛ ما يؤدي إلى انخفاض شديد ومفاجئ لدرجة الحرارة؛ متسبباً في تكوين مناطق للضغط المنخفض يندفع إليها الهواء من أقرب مرتفع جوي، فتتغير بسببها مسارات التيارات الهوائية الطبيعية، وتهب الرياح في اتجاهات غير معهودة في ذلك التوقيت من السنة.وعند هبوط ووصول غبار «الكيمتريل» إلى طبقة الهواء الحاملة لغاز ثاني أكسيد الكربون (المتسبب الرئيس في ظاهرة الانحباس الحراري) تتفاعل أملاح الباريوم - التي يتحول جزء منها إلى أكسيد باريوم - معه، فيقل تركيز هذا الغاز وتنخفض حرارة الجو. وخلال تلك الفترة تفقد السماء لونها الأزرق المعروف، وتصبح أثناء النهار سماءً ذات لون رمادي خفيف يميل إلى اللون الأبيض (ظاهرة السماء البيضاء).

وتشترك منظمة الصحة العالمية في المشروع منذ عام 1995 قبل تقديمه إلى الأمم المتحدة. وأسند المشروع إطلاق غاز «الكيمتريل» في أوروبا إلى الطائرات المدنية وطائرات حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وفي بقية العالم إلى أساطيل شركات الطيران المدنية العالمية التي تمتلك طائرات «البوينج» للوصول إلى طبقة «الإستراتوسفير». ويُشترط في العاملين بالمشروع أن يكونوا من مواطني الولايات المتحدة أو كندا، مع الالتزام بالسرية الكاملة عن كل ما يجري من أعمال به، ويوقّعون إقرارات بذلك.

ظلت تقنية الكيمتريل سر مقتصر على الطبقة السياسية والعسكرية الأعلى، حتى اكتُشفت بالصدفة في مايو 2003 عندما اطلع العالم الكندي ديب شيلد - والذي كان من بين العاملين في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) - عن غير قَصْد على وثائق سرية عن إطلاق «الكيمتريل» فوق كوريا الشمالية وأفغانستان وإقليم كوسوفا (أثناء الحرب الأهلية اليوغسلافية) والعراق والخليج العربي في حرب الخليج.وتضمنت الوثائق إشارة إلى الجفاف والأمراض والدمار البيئي الذي نتج عن ذلك، وأدى إلى موت عدة ملايين من البشر خلال بضع سنوات. وأشار شيلد إلى أنه شخصياً مقتنع بفكرة مشروع «الكيمتريل» إذا كان سيخدم البشرية بتقليل ظاهرة الاحتباس الحراري، ولكنه يرفض تماماً استخدامه كسلاح لإبادة البشر وفرض السيطرة على الشعوب، واعتبره سلاحاً مدمراً للجنس البشري، مشيرا إلى أنه قرر الانسحاب من العمل.وفى عام 2006 وُجد هذا العالِم مقتول في سيارته بعد ثلاث سنوات من كشف سر «الكيمتريل»؛ كلمة السر في الجيل الرابع من أسلحة الدمار الشامل، وحينها زعمت الأنباء أنه انتحر، ولكن زوجته أكدت أنه كان في حالة نفسية مزاجية يستحيل معها أن يُقدم على الانتحار.

في تصريحات لمجلة الأهرام العربي المصرية في 7 يوليو 2007 كشف الدكتور منير محمد الحسيني - أستاذ المكافحة البيولوجية وحماية البيئة بكلية الزراعة جامعة القاهرة - حقائق مثيرة وردت في بحث حول إطلاق علماء الفضاء والطقس في أمريكا لغاز الكيمتريل سر على مناطق مختلفة في أنحاء العالم من بينها مصر. ورجح أن يكون السبب في ارتفاع درجات الحرارة في السنوات الأخيرة في مصر وشمال أفريقيا وبقية البلدان العربية هو التجارب الأمريكية في هذا الصدد، وقال: عند هبوط سحابة الكيمتريل إلى سطح الأرض فوق المدن الكبيرة مثل القاهرة وغيرها، حيث تسير ملايين السيارات في الشوارع التي ينبعث منها كم كبير جداً من الحرارة، فيقوم أكسيد الألومنيوم بعمل مرآة تعكس هذه الحرارة للأرض مرة أخرى؛ ما يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة بشكل غير عادي؛ متسبباً فيما يسمى موجات الحر القاتل كما حدث في باريس عام 2003م، وجنوب أوروبا في يونيو 2007م. وأضاف: إن أسراب الجراد التي هاجمت مصر وشمال أفريقيا وشمال البحر الأحمر ومنطقة جنوب شرق آسيا فوق السعودية والأردن أواخر عام 2004م، كان السبب الرئيس فيها هو غاز الكيمتريل، بعد رش تلك المنطقة بزعم خفض الاحتباس الحراري. واختفت السماء خلف سحاب الكيمتريل الاصطناعي خلال عدة ساعات، وحدث الانخفاض المفاجئ لدرجات الحرارة، وتكوّن منخفض جوي فوق البحر المتوسط، وتحول المسار الطبيعي للرياح الحاملة لأسراب الجراد الصحراوي إلى الجزائر وليبيا ومصر والأردن وغيرها، وبهذا لم تتم الرحلة الطبيعية لأسراب الجراد. ويتابع الحسيني: في ذلك الوقت، لاحظ الباحثون أن الجراد الذي دخل مصر كان يحمل اللون

الأحمر، بينما كان الجراد الذي يدخل مصر على طول تاريخها يحمل اللون الأصفر، واختلاف الألوان هنا جاء بسبب أن الجراد الأحمر هو الجراد ناقص النمو الجنسي، ولكي يكتمل نموه الجنسي كان لابد أن يسير في رحلة طبيعية حتى يتحول إلى اللون الأصفر كما تعودنا أن نشاهده في مصر، ولكن مع حدوث المنخفض الجوي الجديد، اضطر الجراد إلى تغيير رحلته دون أن يصل إلى النضج المطلوب». وتوقع د. الحسيني أن تعرف مصر ظاهرة الموت بالصواعق كما حدث في أبريل عام 2006م عندما قُتل اثنان من رعاة الأغنام بالمنصورة صعقاً، وكذلك في 13 أبريل 2007م عندما قُتل ثلاثة مزارعين أثناء عملهم بالحقول في محافظة البحيرة في شمال مصر. ويقول العالم المصري: إن هذا يفسر احتراق إيريال محطة الأقمار الصناعية في المعادي عام 2009 وحادثة الكرة النارية التي هبطت من السماء في مدينة طهطا بمحافظة سوهاج. كما يسبب هذا الغاز ظاهرة الاستمطار للسحب؛ ما يؤدي إلى حدوث أمطار غزيرة وفيضانات كما حدث في سيناء وأسوان. ولا تتوقف خطورة هذا الغاز عند هذا الحد، إلا أنه يُحمَّل ببكتيريا يستنشقها الإنسان وتسبب جميع الأمراض التي نسمع عنها الآن ونسميها أمراض العصر، وهذا ما يفسر إقدام شركات الأدوية على الاشتراك في تمويل مشروع الدرع بمليار دولار سنوياً. ونحن نتساءل مع بعض الباحثين والمهتمين بمثل هذه الأمور، هل ما يقال عن غرق دلتا النيل مجرد تخمينات، أم أنها تمهيد لما بعد ذلك لإغراق الدلتا بفعل فاعل وإظهار الأمر كأنه كارثة طبيعية !وفوجئ العالم بعد زلزال هايتي بتقارير صحفية تؤكد أن الزلزال المدمر ليس الجاني الحقيقي فيما أصاب تلك الجزيرة التي تقع في منطقة الكاريبي، وإنما للأمر أبعاد أخرى تتعلق أساساً بتجارب علمية أمريكية حول حروب المستقبل التي ستحدث تدميراً واسعاً، بينما ستظهر كأنها كوارث طبيعية.

ففي 20 يناير 2010م، خرج الرئيس الفنزويلي الراحل هوجو شافيز بتصريحات مثيرة، كشف خلالها أن هناك تقريراً سرياً للأسطول الشمالي الروسي يؤكد أن تجارب السلاح الزلزالي التي أجرتها قوات البحرية الأمريكية هي التي تسببت في وقوع كارثة هايتي. وأضاف شافيز في تصريحات لصحيفة آي بي سي الإسبانية: إن التقرير السري يشير إلى أن الأسطول البحري الشمالي الروسي يراقب تحركات ونشاط القوات الأمريكية في بحر الكاريبي منذ عام 2008م حين أعلن الأمريكيون نيتهم في استئناف عمل الأسطول البحري الرابع الذي تم حله عام 1950م، وهو الأمر الذي دفع روسيا للقيام بمناورات حربية في تلك المنطقة عام 2009م بمشاركة الطراد الذري (بطرس الأكبر)، وذلك لأول مرة منذ انتهاء الحرب الباردة.

وتابع شافيز قائلاً: التقرير الروسي يربط بين تجارب السلاح الزلزالي التي أجرتها البحرية الأمريكية مرتين منذ بداية العام الجديد، والتي أثارت أولاً هزة قوتها 6.5 درجة في مدينة

أوريكا في ولاية كاليفورنيا لم تسفر عن أية ضحايا، وثانياً الهزة في هايتي التي أودت بحياة حوالي 200 ألف بريء. ونُسب للتقرير القول أيضاً: إن واشنطن ربما توافرت لديها المعلومات التامة عن الأضرار الفادحة التي قد تتسبب بها تجاربها على السلاح الزلزالي، ولذا أوفدت إلى هايتي قبل وقوع الكارثة الجنرال كين قائد القيادة العسكرية الجنوبية للجيش الأمريكي ليراقب عملية تقديم المساعدة إذا اقتضى الأمر.

جريدة "آخر خبر" التي تصدر بالعربية في الولايات المتحدة لم تذهب هي الأخرى بعيدا عما سبق، حيث كشفت في تقرير لها أن كارثة "تسونامى" التي ضربت جنوب آسيا قبل سنوات نجمت عن تجارب نووية أمريكية فى قيعان البحار وأعماق المحيطات، قائلة :" تحاول واشنطن الآن خداع دول وشعوب العالم أيضا بأن ما أصاب هايتى هو كارثة طبيعية نتيجة زلزال مدمر إلا أن العلم الجيولوجى ومراقبة ورصد حركات الأرض تعطى مؤشرات ونذير بوقوع الأخطار وحدوث الزلازل من خلال المتغيرات التى تطرأ على الأوضاع الطبيعية حيث تظهر بوادر انقسامات أو تسطحات وتصدعات فى قشرة الأرض أما التصدع الكبير والمفاجىء فهو يكون علميا ناجما عن محدثات صناعية متمثلة في تجارب نووية لمعرفة مدى تأثيرها وما تحدثه من تدمير أو تغير على شكل الطبيعة فى الأرض والبحار.

وتابعت قائلة : التجربة في هايتي أثبتت النجاح والآن يتم تجميع المعلومات وتحليلها وتسجيلها وهي إعادة لتجربة تسونامى وأصبحت الآن تجربة علمية عسكرية أمريكية نجحت. وحذرت الصحيفة الدول العربية وأفغانستان والصومال واليمن بأنهم الهدف التالي، قائلة :" ما حدث في هايتي غير بعيد عن التجارب الإسرائيلية على مقاومة الكوارث الطبيعية وغير مستبعد أن المنطقة العربية مرشحة لتجربة مماثلة خاصة وأن التجربة الأمريكية في هايتى أصبحت مجدية بعد نجاحها في إحداث خسائر فادحة تعجز الحروب المباشرة عن تحقيقها.

ويبدو أن الأحداث التي تلت وقوع الكارثة ترجح صحة التقارير السابقة، فقد أعاقت سلطات المراقبة الجوية الأمريكية في مطار بورت أو برانس بهايتي مهمة الطائرة التابعة لوزارة الطوارئ الروسية في نقل الإمدادات الإنسانية من فنزويلا وذلك بسبب تأجيلها الدائم لمواعيد الرحلات الجوية وعدم منحها الطائرة الروسية ترخيصا. وما يضاعف القلق تجاه نوايا واشنطن هو قيامها بتبرير العراقيل أمام الدول الراغبة بإغاثة هايتي بأن جنود البحرية الأمريكية في مطار بورت أو برانس لا يريدون أن يوزعوا كميات قليلة من الغذاء والماء وهم بانتظار وصول كميات أكبر كما أنهم قلقون من توجه وكالات الإغاثة إلى المدينة التي لا يحكمها قانون بدون دعم مسلح. التبرير السابق غير المنطقي دفع صحيفة " الفايننشيال تايمز " البريطانية لانتقاد الدور

الأمريكي، قائلة :" إنه وسط الرعب الذي تعيشه هايتي فإن المناكفات بين الدولتين اللتين احتلتاها في الماضي (الولايات المتحدة وفرنسا) لا يساعد بأي حال من الأحوال في إغاثة المنكوبين."

وفى هذا السياق، فجر العالم الكندى "ديب شيلد" مفاجأة مفادها: أن إعصار "جونو" الذي ضرب سلطنة عمان من سنوات وأحدث خرابا وتدميرا كبيرا ثم جنح إلى إيران بعد أن فقد نصف قوته كان ناجما عن استخدام "الكيمتريل"، قائلا :" بكل تأكيد هو صناعة أمريكية وإسرائيلية، ولكن ليست سلطنة عمان هي المقصودة بهذا الدمار وإنما كان الهدف إيران ولكن بسبب خطأ بعض الحسابات تحول الإعصار إلى سلطنة عمان وعندما ذهب إلى إيران كانت قوته التدميرية قد استنفدت.

وفي محاضرة ألقاها الكولونيل تامزي هاوس أحد جنرالات الجيش الأمريكي، ونشرت على شبكة معلومات القوات الجوية الأمريكية، وكشف فيها أن الولايات المتحدة سوف تكون قادرة في عام 2025م على التحكم في طقس أية منطقة في العالم، عن طريق تكنولوجيا عسكرية غير نووية يتم إطلاقها من خزانات ملحقة بالطائرات النفّاثة، مشيراً إلى أن الولايات المتحدة تسعى لاستخدام تقنية الكيمتريل كجزء من أدواتها الرئيسة للحروب المستقبلية.

كما تضمنت المحاضرة إشارة إلى توصية من البنتاجون تشير إلى استخدام سلاح الجو الأمريكي أسلحة التحكم في الطقس لإطلاق الكوارث الطبيعية الاصطناعية من الأعاصير والفيضانات أو الجفاف المؤدي للمجاعات، بالإضافة إلى التوصية ببدء نشاط إعلامي موجه لتجهيز المواطن الأمريكي لقبول مثل هذه الاختراعات؛ من أجل طقس مناسب لحياة أفضل، ثم إقناع المواطن الأمريكي بعد ذلك باستخدام هذه الأسلحة لحمايته من الإرهابيين.

وظهر مصطلح "كيمتريل" في مشروع قانون في عام 2001 بالولايات المتحدة، وهذا المشروع قدمه السياسي دنيس كوسينيتش أمام الكونجرس الأمريكي حيث وصف فيه أن الكيمتريل سلاح يتسم بالغرابة. لكن قوبل هذا المشروع بالرفض ولم يتم ذكر هذا المصطلح في نسخات تالية.

وفي مقابلة أُجريت في يناير 2002 من قبل الصحفي بوب فيتراكيس في جريدة كولوميوس ألايف، سأل هذا الصحفي كوسينيتش عن سبب ذكره لمصطلح كيمتريل في مشروع القانون بالرغم من أن حكومة الولايات المتحدة تنفيه بشدة، فأجاب كوسينيتش قائلا: "السبب أنه يوجد برنامج كامل في وزارة الدفاع يُدعى فيجن بور 2020 وهو المسؤول عن تطوير هذه الأسلحة".

كما كشف تقرير لمجلة "العلم والسلاح" الأمريكي، أن إسرائيل قامت بتطوير سلاح أيكولوجي يسمى "الكيمتريل"، تحت إشراف علماء الطقس الإسرائيليين، تم إجراء اختبار عليه فوق الأردن ومصر والسعودية أو فوق العراق وأفغانستان. وأكد التقرير أن عملية إطلاق "الكيمتريل" جرت فوق الأراضي المصرية في الفترة من 4 نوفمبر إلى 14 نوفمبر 2004، وأدى ذلك إلى نزوح الآلاف من أسراب الجراد إلى مصر بفعل الرياح.

قام كليفورد كارنيكوم رئيس مؤسسة غير ربحية بتحليل عينات من الهواء التي جمعها على مستوى سطح الأرض بعد عمليات رش غاز الكيمتريل، وخلصت التحاليل إلى أنه يتكون من المعادن الثقيلة بما في ذلك الألمنيوم والباريوم وأملاح مثل المغنيسيوم والكالسيوم وغيرها من العناصر مثل التيتانيوم وألياف المكوثر المجهرية، كما خلصت الأبحاث التي قام بها لويجينا ماركيز، وهو مؤلف ملفا عن رش المواد الكيماوية والتي قام بنشرها في مجلة إكس تايم عدد 3 أكد من خلالها دراسة كارنيكوم مشيرا إلى وجود صلة بين المواد الكيميائية الجوية غير الزراعية المستخدمة وآثار الباريوم والألومنيوم في الزراعة العضوية.كما قامت عدة جهات في أريزونا وفينيكس بتحليل عدة تقارير قدمتها فرق من المواطنين من بينها سكاي ووتش الذين قاموا بمراقبة عمليات الرش، وخلصت النتائج إلى تواجد كميات من المواد الكيميائية السامة. وفي بحث آخر توصل علماء في تحليل مكونات هذه المادة، فهو خليط من وقود الطائرات 100+ JP8 إضافة إلى نسبة كبيرة من ثاني بروميد الإيثلين (EDB) وقد تم حظر هذه المبيدات الكيماوية في عام 1983 من قبل وكالة حماية البيئة الأمريكية باعتبارها مادة مسرطنة إضافة لكونها مادة كيميائية شديدة السمومة. وقال أحد الباحثين والمحققين ويدعى تومي فارمر أنه وعلى إثر تحليل عينات من الكيمتريل قد تبين أنه يحتوي على الحديدوز المؤكسد ويستعمل في إنجاز تجارب على الطقس.

وللكيمتريل تأثيرات خطيرة على صحة الإنسان، فهو يمكن أن يسبب مشاكل في التنفس، ويمكن في بعض الأحيان أي يسبب مرض ألزهايمر بسبب أنه يحتوي على الأليمنيوم. وأعلن المتحدث باسم الحزب المعارض في كندا وهو الحزب الديمقراطي الجديد في 18 نوفمبر 1998 جوردن إيرلي في شكل عريضة موجهة للبرلمان باسم سكان بلدة إسبانيولا في كندا ذكر فيها: وقع أكثر من 500 من سكان من منطقة إسبانيولا عريضة تتعلق بمخاوفهم بشأن إمكانية تورط الحكومة في دعم طائرات تقوم برش ضبوب ووجدوا آثارا عالية من جزيئات الألومنيوم والكوارتز في عينات من مياه الأمطار، وقد دفعت هذه المخاوف بالكنديين لاتخاذ إجراءات خاصة كما سعوا إلى الحصول على إجابات واضحة. ويسبب أيضا التهابات حادة في الحلق والجيوب الأنفية التي تسبب الصداع وتورم في

الغدد اللمفاوية ونوبات السعال وضيق في التنفس وفشل عام في الجهاز التنفسي كما يلحق ضررا بالقلب والكبد. والتعرض لثاني بروميد الإيثلين يجعل الأشخاص أكثر عرضة لعوامل بيولوجية أخرى بسبب التهيج الشديدة في الرئة. كما ظهرت أمراض جديدة بالولايات المتحدة مثل مرض مورجيلونز يمكن أن يكون سببه من عمليات رش الغاز، وهو مرض يصيب الجلد نتيجة ظهور ألياف ملونة وملتوية. وبحسب اختبار التلوث لمادة الكيمتريل فإنه قد وُجد ألياف المكوثر المجهرية في الجسم.

وفي 8 ديسمبر من عام 2000 في كندا، اتصل البرنامح بتيري ستيوارت مدير التخطيط والبيئة بمطار فيكتوريا الدولي ليطلب منه تفسيرا حول أشكال غريبة من الدوائر والشبكات والنسيج الدخاني فوق عاصمة كولومبيا البريطانية، ولكنه رد بواسطة رسالة صوتية قائلا: "هذه مناورة عسكرية للقوات الجوية الكندية والأمريكية. فهم لا يريدون توضيحا أكثر.

وفي يوليو 2004 في ألمانيا، قامت مونيكا جريفاهن وزيرة البيئة السابقة في سكسونيا السفلى (1998-1990) بكتابة رسالة موجهة للنشطاء المكافحين لهذا الغاز قائلة: "أشاطركم القلق خاصة حول استخدام سبائك من الألومنيوم أو الباريوم والتي تتكون من مواد سامة. ومع ذلك، على حد علمي، استخدمت فيها حتى الآن سوى نطاق محدود للغاية." وفي ديسمبر من عام 2007 ذكر تقرير إخباري في قناة آر تي إل، بأن خبراء الأرصاد الجوية الألمانية أكدوا على وجود هذه الضبوب وكانت مرتبطة بالاختبارات العسكرية التي كان هدفها التلاعب في المناخ.

وقال الدكتور منير العكش الباحث في علوم الإنسانيات في كتابه أمريكا والإبادات الجماعية، أن الإمبراطورية الأمريكية أبادت 112 مليون إنسان (بينهم 18.5 مليون هندى أبيدوا ودمرت قراهم ومدنهم) ينتمون إلى أكثر من 400 أمة وشعب على حد قوله - وخاضت أمريكا 93 حرباً جرثومية شاملة وتفصيل هذه الحروب أورده الكاتب الأمريكي هنرى دوبينز في كتابه "أرقامهم التي هزلت " في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي إبيد بها الهنود الحمر بـ 41 حرباً بالجدري، و4 بالطاعون، 17 بالحصبة، و10 بالأنفلونزا، و25 بالسل والديفتيريا والتيفوس والكوليرا.

وهناك تورط مسئولون فى المتدبير لعمل تسونامى فى عدة دول منها مصر خلال المكيمتريل و المتفجير فى قاع المبحر عبر روبوت الى وباستخدام المشعاع الازرق. وكشفت اجهزة في دول عدة عن تورط مسئولين كبار فى شبكة المزلازل وادارة الازمة المعالمية فى المتدبير لمحرب المناخ و المطقس المتى يقوم بها مخابرات دول كبرى عبر تدبير عمل تسونامى باستخدام غاز وسحب المكيمتريل الملونة و المبيضاء والمسوداء والمتى يتم رشها بكثافة على ارتفاعات منخفضة عبر طائرات صغيرة بدون طيار، بإضافة إلى رشها فوق

المبحر وتحريكها نحو مصر عبر أجهزة المتحكم فى اتجاه المرياح. وحدوث زلزال يتم من خلال أشخاص متخصصين يمضون بضعة أيام على متن يخت فى عرض المبحر من ضفادع بشرية وخلافة على أنهم مصورين أو غيره وكميات هائلة من الأجهزة والمعدات من بينها روبوت آلى مفكك للتفجير فى أعماق المبحر عن بعد، وجهاز هولوجرام أو هارب أو شعاع أزرق يستخدم فى عمل المكوارث المناخية. وأجهزة تفجير ورش كيمتريل و قنابل كهرومغناطيسية وأجهزة ليزر يتم استخدامها فى عمل كوارث مناخية عبر تسليطها على سحب المكيمتريل المكثيفة.المكيمتريل الملونة عادت تعود للظهور فجاة خاصة دورها فى الاحتباس المحرارى. وهناك علاقة للكيمتريل كيمترى الملون وآثار المقنابل المكهرومغناطيسية المتى تترك شكلا فوسفوريا يشبه فروع المشجرة فى المسماء بالمتسونامى المذى يجرى الإعداد له. وللتخلص منه يجب سرعة إزالة آثار المكيمتريل من خلال المخل او بخار المخل عبر طائرات او الاستعانة باجهزة ازالة اثار المكيمتريل لمنع هذه المكارثة. تطلق الصين في كل عام آلاف الصورايخ والقذائف المدفعية بالسماء وما أتحدث عنه هو معركة مع الطقس.

إذ تأمل الحكومة الصينية من خلال برنامج تعديل الطقس التحكم بهطول الأمطار، ويقوم هذا البرنامج بتوظيف وتدريب 32.000 — 35.000 شخص عبر الصين، بعضهم من الفلاحين، ويستخدم الأسلحة الثقيلة لإطلاق رصاصات تحتوي على silver iodide إلى الغيوم. لأنه يعتقد بأنها تعمل على تكثيف الرطوبة مسببة هطول الأمطار، هذه العملية تدعى ببذر الغيوم cloud seeding والصين تستثمره بكثرة إذ تستخدم أكثر من 12.000 بندقية مضادة للطائرات وقاذفات صواريخ بالإضافة إلى 30 طائرة.

أما أسلحة النبض الكهرومغناطيسية، فهي أسلحة الذبذبات اللاسلكية كما تمّ تقييمها مؤخراً بأنّها أحد أهم أسلحة الدمار الشامل العمليّة من الناحية التقنية، ويستطيع هذا السلاح إلحاق الضرر بالإنسان وعدد آخر من الأشياء وذلك عبر استخدام نبض كهرومغناطيسي (EMP) قوي جداً، وقد تمّ رصد وملاحظة تأثير النبض الكهرومغناطيسي خلال الاختبارات الأوليّة للتفجير الجوي للأسلحة النووية من على ارتفاعات شاهقة، لكن الأمر لم يتطلّب كثيراً من الوقت حتى أدرك العلماء فيما بعد أنّه يمكن الحصول على تأثير النبض الكهرومغناطيسي من خلال ذخائر أخرى من مصادر غير نووية في الأصل، وقد توصل الأكاديمي السوفيتي "أندري ساخاروف" إلى تصميم "قنبلة كهرومغناطيسية" غير نووية في الخمسينيات، وقد عمل من خلال تصميمه على توظيف الحقل المغناطيسي لل solenoid مضغوطاً بانفجار المواد الكيميائية المتفجرة لإنتاج تأثير نبض كهرومغناطيسي قوي جداً، وقد لعب فريق من العلماء الروس في روسيا بقيادة الأكاديمي "فلاديمير فورتوف" في معهد "الخصائص الحرارية للظروف القاسية"

دوراً مهماً في دراسة سلاح النبض الكهرومغناطيسي ووسائل الوقاية منه، والدراسة ركّزت على وسائل التدمير للمعدّات والتجهيزات الكهربائية أو الإلكترونية التي تشكّل بالأساس البنية التحتية للعديد من الدول، ومع أنّ الاختصاصيين لا يعتبرون سلاح النبض الكهرومغناطيسي سلاحاً قاتلاً، إلاّ أنّهم يصنّفونها ضمن الفئات الاستراتيجية التي من الممكن أن تستخدم لسحق محطّات المعلومات والاتصال وعقد النقل المعلوماتية لدى الخصم.

وكما تم عرضه في الحملة الجويّة لعاصفة الصحراء في العام 1991م، فإنّ صواريخ كروز المحملّة برؤوس كهرومغناطيسية يمكن استعمالها بشكل فعّال لتعطيل شبكة الوظائف والبنية التحتية لمعالجة المعلومات التابعة للخصم، حيث تمّ تعطيل كل الأجهزة الإلكترونية التابعة لمركز التلفزيون العراقي بكامله في بغداد عبر مجرد قنبلة إلكترونية واحدة تمّ إلقاؤها من قبل القوّة الجويّة الأمريكية في خلال حملة 2003م.

وهناك سلاح الأوزون وهو واحد من الأسلحة الجيوفيزيائية مصّمم خصّيصاً لاستخدام عدد من الوسائل التي من شأنها تعطيل وإتلاف طبقة الأوزون في سماء العدو، ومن الممكن تحقيق ذلك عبر صواريخ تحمل "الفريون"، ويؤدي انفجار مثل هذه الصواريخ في طبقة الأوزون إلى تحقيق عدد من الثقوب فيها وتسمح هكذا للأشعة الفوق بنفسجيّة للشمس بالاختراق إلى سطح الأرض، والأشعة الفوق بنفسجيّة ضارّة جداً بتركيبة خليّة الكائنات الحيّة خاصّة فيما يتعلّق بأنظمتها الوراثيّة أيضا، كنتيجة لذلك فانّ حالات السرطان سترتفع بشكل كبير جداً ودراماتيكي كما أنّ استنزاف الأوزون سيجلب تناقصاً في درجات الحرارة بشكل أكبر وسيزيد من الرطوبة، ممّا سيشكل خطرا خاصّة على المناطق الزراعيّة غير المدعومة.

احتلال وخصخصة الدول بوعي كامل

عندما أنظر لدبي وديموغرافيتها أتذكر واقعة في الدول العربية حدثت في مصر تكاد تكون مكوناتها متطابقة مع ما جري في دبي وأدت في نهاية الأمر إلى غزو مصر واحتلالها، ذلك عندما غزت بريطانيا مصر عام 1882. إذ قال رئيس وزرائها آنئذ قلادستون إنه مضطر إلى غزو مصر لأن دزرائيلي كان قد اشتري أسهم قناة السويس، وأن عددا كبيرا من البريطانيين وبعض الفرنسيين والأوروبيين قد استثمروا أموالهم في مصر وأنهم مصممون على ألا يخسروها. ذلك بعد أن ذهب عرابي وأعلن أنه سيلغي الديون الأجنبية، شيء قريب مما قالته دبي لما امتنعت عن تسديد ديون المؤسسة، وذلك على الرغم من كون مصر حتى قبل الغزو كانت تحت الوصاية الثنائية لبريطانيا وفرنسا إذ كان بيرنق ممثل انجلترا وبلنقنيرز ممثل فرنسا هما اللذين يحركان الخديوي توفيق الذي استلم خزينة فارغة من سلفه الخديوي إسماعيل الذي قيل عنه إنه كان متلافا كالبابا ليو العاشر وقيل عنه إنه كان يصرف المال بإهمال يتضاءل معه إهمال الصرف الذي يتميز به شيوخ نفط الشرق الأوسط في القرن العشرين حتى سموه بالمليونير المفلس.

وكما هبط المستثمرون الأجانب على دبي كانوا قد هبطوا كالجراد على مصر في سبعينيات القرن التاسع عشر إذ كانوا يهلكون مال إسماعيل بأسرع مما يستلفه حتى صار دين مصر القومي مائة مليون جنيه استرليني .

كان الوهم المصري هو نفس وهم دبي والتغريب والتحديث والإنجاز الاقتصادي مع الشريك المتقدم إداريا. لكن لما فشل الاستثمار جاء الشريك المتقدم بجيوشه ليحتل البلد لأنه لن يسمح بضياع أمواله. هل تبدل حال الشريك أم أنه أصبح أشد رحمة أم أنه صار أقل حرصا على ماله؟ لم يتبدل شيء من ذلك فالشريك هو الشريك وحرصه هو حرصه أخشي أن يعيد التاريخ نفسه,خاصة أن معظم سكان دبي ليسوا عرب وبالتالي يجب أن ننتبه إلى أنه يمكن استخدام حق تقرير المصير تماما مثلما حدث مع سنغافورة التي كانت عضو في الاتحاد الماليزي واستقلت. وقد نشرت صحيفة الإمارات اليوم بتاريخ 5 فبراير 2009 إحصائية مصدرها دائرة الأراضي والأملاك عن نسبة تملك الأجانب العقارات في دبي وتبين النسب المذكورة في المرفق مدي خطورة الموقف لو استمر الأجانب في الشراء والتمليك حتى سنة 2015 بالمقارنة مع نسبة المواطنين! فلو أن نسبة تملك العرب لعقارات بريطانيا وصلت إلى 5% سوف يجعل الحكومة إلى وقف التملك باعتباره يهدد الأمن القومي والاقتصادي وكذلك ألمانيا وفرنسا وباقي الدول الأوروبية علما بأن إيران الهند روسيا ومعظم الدول لا تسمح للأجنبي بتملك أراضي أو عقارات! حتى في أمريكا واستراليا هناك ضوابط ضريبية وقوانين للأجانب في حال أراد التملك بالرغم من أنها بلدان أسست على الهجرة وأبادت السكان الأصليين كما هو

معروف. وبالرجوع إلى الإحصائية في المرفق نري تملك الشقق بلغ96% من نصيب الأجانب و4% للمواطنين,و تبين الإحصائية أن البريطانيون احتلوا المركز الأول – الباكستانيون الثاني –الثالث الهنود ومن ثم الإيرانيون. وتملك الفلل 94% من نصيب الأجانب و6% للمواطنين والهنود في المرتبة الأولي يليهم البريطانيون يليهم الباكستانيون وبعده الإيرانيون. وهناك الكثير من الأجانب لم يقوموا بالتسجيل منتظرين جاهزية العقارات بالنسبة إلى الأراضي يتوقع أن تزيد في السنوات القادمة لصالح الأجانب في ضوء التسهيلات الممنوحة وغياب أية ضرائب فالأرقام ستكون أكبر لصالح الأجانب ولكن النسبة ستتزايد بصورة دراماتيكية بسبب انخفاض أسعار الأراضي ومنح معظم أراضي دبي صفة مناطق حرة للتملك الحر. وجل ما أخشاه أن يحدث ما حدث في فلسطين لا قدر الله.لذلك يجب أن يكون هناك تدخل حكومي لإيقاف التملك الأجنبي حتى وإن كان من الشروط أن يكون 99 سنة فقط. فالقوانين الدولية تتغير وقد يصبح فرض على دبي بأي قانون دولي أن تكون ملك من أملاك الأجنبي لا يجب حرمانهم منه. سيصبح الأجنبي المسيطرعلى الاقتصاد أما من الناحية الاجتماعية وضعف الهوية الوطنية والتي لا يختلف إثنان على وجودها بوادرها في وقتنا هذا.

وفي عام 2006 . 2007، الخارطة الديموغرافية كانت نسبة العمالة الأجنبية في الكويت 60%. البحرين 50%. السعودية 40 إلى 50%. عمان 30%. أما في قطر فتصل إلى 85%. وتصل نسبة المهاجرين في الإمارات إلى 90 % .

وهناك اليوم قرابة سبعة ملايين آسيوي في الإمارات وحدها. تشكل نسبة الهنود 60 % من مجموع تعداد السكان، أي قرابة أربعة ملايين، مقابل 800 ألف مواطن وهناك 16 مليون آسيوي تقريبا في بلدان الخليج العربي الستة، ومن المرشح أن يصل إلى 30 مليونا في عام 2025. وإذا أخذنا الإمارات وقطر كنموذج، فسنجد أن التغيير الاجتماعي قد تم، ولا زال يتثبت يوما بعد يوم. فالثقافة الآسيوية تسود والفضاء الثقافي العربي يتراجع كثيرا. لم يبقَ من الثقافة إلا الفولكلور للسياح. وضعفت اللغة العربية، وأصبحت الرابعة أو الخامسة. وهمشت الثقافة العربية، ومزق النسيج الاجتماعي هو الآخر. تحطم عدد من ثوابت المجتمع ومناعته. ألا تمثل نسبة المواطنين، التي تتراوح بين 2 و3 و4%، أو قل حتى 10%، في بعض الإمارات سوى بقايا عرب؟ العقد القادم هو إذاً، عقد الهوية .

بعض مراكز الأبحاث الأوروبية، والفرنسية تحديدا، تتوقع ان يتم التغيير خلال العقد القادم، وتوحي بأن بعض الحكام العرب المعاصرين هم آخر حكام عرب للمنطقة. وقد وضعت فعلا السيناريوهات التي يمكن أن يتم من خلالها تحويل المسألة الديموغرافية إلى مسألة سياسية. وعناوين التغيير حاضرة. أهمها حقوق العمال والمهاجرين. وفعلا لقد

طرحت الهند ذلك في أكثر من مناسبة. فإعطاء المهاجرين حق التجنس ومن ثم فرض الديموقراطية، سيفضي حتما إلى حكم الأغلبية. إنها معادلة حسابية لا تقبل المكابرة أو الإنكار.

وإن شاءت دول كبرى وقدرت أن الوقت قد حان لاستبدال المشهد السياسي، فستجد أن الأرضية البشرية والثقافية جاهزة ومهيأة. المسألة هنا مسألة توقيت وحسابات استراتيجية دقيقة. فعندما نضجت الأمور في سنغافورة عام 1964، فصلت عن ماليزيا وسلمت للغالبية الصينية المهاجرة إليها. وهكذا الأمر في فيجي، التي يحكمها اليوم هنود جلبتهم بريطانيا للعمل فيها، وهم للمناسبة لا يشكلون إلا 50% من تعداد السكان الأصليين. أي أقل من هنود الخليج. إذا لماذا لا يستفاد من الطاقات العربية المميزة والمشتتة في كل أصقاع الأرض؟

إيران لها طموح بعيد لإقامة أو لاستعادة الإمبراطورية المجوسية في ثوب شيعي يصل من إيران إلى بلاد خراسان وما يقارب من الحدود الهندية من الشرق مواجهات مجوسية لكن الجبهة الغربية الأوضاع فيها طي بلاد العراق لإقامة ممالك شيعية في الجنوب والوسط من الممكن وصلها بأجزاء من سوريا أو سوريا كلها نهاية إلى سهل البقاع والجنوب اللبناني ثم جنوبا الأحساء والبحرين وثم إلى العمق والوصول إلى أجزاء كبيرة من السعودية, لكن هذا لن يحدث على الإطلاق,فالوحدة الخليجية تقضي عليه وعلي غيره من المشكلات التحديات الكبري.

الغرب متوائم مع إيران ويراها أقل خطرا بكثير من الفكرالسلفي خاصة الجهادي السني الممتد من المحيط للمحيط مما يشكل عبئًا على الغرب جغرافيا واقتصاديا قوة بشرية ضخمة وإمكانيات طبيعية. وقبل كل ذلك أيديولوجية مغايرة تماما لفكر الغرب. فالغرب يقدر إيران ويفضلها كحليف له في المنطقة .

والغرب لا يمانع في إيران دولة قوية لكن قوى عسكرية تقليدية وقوة اقتصادية. لكن إيران تأبي إلا الماضي التليد يوم كانت تحكم العالم وترى الطاقة النووية سلاح يغير كل الموازين ويضع إيران على مصاف الكبار, ويصعب جدا أن تتخلى إيران عن التكنولوجيا وهي امتلكتها بالفعل.

وإيران لا تعادي أمريكا أو إسرائيل لكن أمريكا في ورطة لا مفر منها. الذهب الأسود تركه كله في يد إيران أمر غير محتمل بل غير ممكن شريان الحياة الصناعية لا يمكن الاستغناء عنه. إذا ليس بينهم خلافات "عقائدية" لا أمريكا تريد تنصير الشيعة ولا إيران تريد تشييع الأمريكان. وأمريكا حروبها ليست مع إيران . لكن تقاطعت المصالح الخليج في المنتصف بين أمريكا وإيران. وما يلي لا نري حدوثه ممكن, وإنما هو في حسبان الدول المطروحة فيه فوارد أن تكون هناك حرب إيرانية

خليجية خاصة أن إيران تحتل أراضي عربية منها جزر الإمارات وشط العرب, وهنا تتدخل أمريكا بحجة حماية أمن الخليج أو البترول بشكل أوضح.

سعر البترول خراب على أمريكا ومن الجائز جدا إذا زاد التدهور في العراق و لبنان وفلسطين والشرق العربي من الممكن أن يشتعل البترول لعنان السماء ويصل لمائة وخمسين دولار وقتها ستؤمم امريكا البترول والوضع سيكون خطير وأوروبا ستستغيث بالأمريكان.

الناتو يعد خطط للتدخل خارج حدوده.فمن الممكن افتعال أزمة ثم من مجرد حماية عسكرية إلى احتلال فعلي. فلا ينقص الأمريكان الجنود ولا العتاد. ووارد تحويل ملف إيران النووي بداية لتجييش غزو أوروبي أمريكي واحتلال فعلي ظاهره الحماية من إيران أو وقف إيران وباطنه سيطرة فعلية على الأرض للبترول واحتلال الخليج. وخلال 2018 إلى 2019 سيصبح الإصلاح الاقتصادي هو الموجه لدول الثورات العربية، حيث يتم الضغط عليها من هذا الاتجاه بمنع الاستثمارات مع التسويف وعدم تلقى دول معينة أى دعم عربى إن تازم الوضع نتيجة الضربة الإسرائيلية لإيران وبذلك يتم إحاطة الجميع لخلق نظام جديد عربى فى دول الثورات العربية مشابهة للوضع السابق وتقليم أظافر دول الخليج ماليّاً وإعادة احتلال العراق مرة أخرى، لكن دول عربية قليلة متنبهة له, كما أن إسرائيل سترفض ذلك لأنها ستتعرض لمخاطر أكبر من المحيط بها.

تعريب البحر الأحمر والقرن الإفريقي

المداخل الشمالية للبحر الأحمر حتى النتوء الجنوبي للقرن الإفريقي ومن شمال غرب إفريقيا إلى الخليج العربي-ضمن الصراع الواسع المدي. فالصراع الدائرللسيطرة على مناطق النفوذ اقتصاديا وسياسيا وفكريا وعقائديا وعسكريا لن يهدأ رغم إيماني بإمكانية تقليل حدته, بل واستغلاله كنقطة قوة وهو الأمر الطبيعي. فلم تعد ساحة أوروبا هي مراكز الصراع كما كان في القرن الماضي فقد انتقل بعد هدوء الحرب الباردة من أوروبا إلى ساحات جديدة على خريطة العالم فدخل الشرق العربي وإفريقيا مقدمتها الملتهبة - يعود سببه الرئيسي إلينا كعرب. والثروات والمواد الخام ومصادر الطاقة والمعابر الدولية الهامة والمراكزالاستراتيجية هي التي تجذب الصراعات إلى الشرق العربي وإفريقيا فشهدت المنطقتان خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي أعنف مراحل هذا الصراع الذي تمثل في التدخلات المباشرة وغير المباشرة مثلما تمثل في الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي كما شهدت أقسى الحروب منذ انتهاء عملية فيتنام التي كانت تسحب بساط الأفضلية أحيانا. وبدأت أمريكا تعيد ترتيب خططها إلى تهيئة المسرح السياسي في الشرق العربي ونقل مركز الصراع وبؤرة التوتر من الشمال إلى الجنوب ونعني بذلك تهدئة الصراع العربي الإسرائيلي الذي يشد الكثير من الانتباه الأمريكي ويستنزف الكثير من الحرص والجهد الأمريكي أيضا لتركيز الانتباه والجهد والحرص حول حقول النفط في الجزيرة والخليج العربي وإيران، حيث يتوقع الجميع حدوث مواجهة ما محتملة بين الأمريكيين والأوربيين الذين يعضون بالنواجذ على مصادر البترول هذه وعلى طرق مروره وبين الروس الذين يقتربون رو يدا رويدا من هذه المصادر ويضيقون الخناق على معابر تدفقه إلى الغرب الأوربي الأمريكي بوجه خاص. وفي هذا الإطار فإن كل القوي الكبري ستعمل على التواجد بشكل من الأشكال بقرب مصادر الطاقة هذه سواء لحماية مصالحها المباشرة أو لتهديد مصالح القوة الأخرى المنافسة. ومن ثم يصبح الوصول إلى مرحلة الصدام المباشر احتمالا قائما إذا ما تهددت المصالح الاستراتيجية المباشرة لأي منهم.

والمد الحضاري العربي وتزاوجه الناجح في الساحل الشرقي لافريقيا تعرض منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي لجزر شديد ولأزمة حقيقية وخانقة قلصت انتشاره وإشعاعه.

كانت هذه القوى السياسية الجديدة هي الإمبراطوريات الأوروبية الناشئة والمتطلعة إلى بسط نفوذها على العالم والمتصارعة على السيطرة على طرق التجارة الدولية وعلى أحكام قبضتها بواسطة أساطيلها وجنودها على كل شبر توجد فيه ثروة .هكذا بدأ العصر الاستعماري الذي قسم العالم إلى مناطق نفوذ وكانت افريقيا وآسيا والوطن العربي

أساسا هي الكعكة التي قسمت بل شرحت إلى فطائر متناثرة رقيقة لكثرة الضعف والوهن، تلك الحالة التي مازالت سائدة فيما يسمى الآن بالعالم الثالث..آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وفي مقدمتها الوطن العربي تلك الساحة

الهائلة من الأرض الكروية التي تضم الأغلبية الساحقة من سكان المعمورة وتضم أكثر من ٨٠ % من مواردها الخام ومصادر الطاقة بالإضافة إلى الممرات الدولية ومناطق التحكم الاستراتيجي.ومن الملاحظ في القرن الإفريقي أن ارتباطا واضحا قد حدث بين التطورات السياسية والاقتصادية التي شهدتها منطقتي القرن الإفريقي كجزء من القارة الإفريقية والوطن العربي الذي يحتل الساحة العظمى من الشرق الأوسط والأدنى. وفي بدايات عصر التنوير عندما أحس الاستعمار الأوروبي بخطورة ترك هذا التنوير الحضاري يتنامى وينضج قرر ممثلوه على الفور ضرب بؤرة الاستنارة في مصر وتكالبت القوى الاستعمارية على مصر الحديثة فمزقوا أسطولها في موقعة نافارين وقلصوا تأثيرها وحاصروها داخل حدودها الإقليمية حتى لا تعود فتلتحم بالعرب والأفارقة من جديد. وإذا كانت مصر قد انهزمت بل واحتلت فيما بعد-في عام ١٨٨٢ — فإن ظاهرة الاحتلال الأوروبي قد امتدت لتشمل تقسيم كل الوطن العربي وإفريقيا إلى مناطق نفوذ ومصادر استغلال واحتكار للثروات المادية والبشرية الهائلة فعاد عصر الإظلام من جديد يمد أستاره على العرب والأفارقة معا دون تفرقة وفي تلازم وتتابع زمني منتظم. وهذه الظاهرة الخطيرة عادة في شكل الاستعمارالجديد إلى منطقتنا متخفية هذه المرة لا وراء العسكر والأسلحة ورايات الغزو المباشر، بل بأزياء حديثة وشعارات براقة يحملها خبراء ومدربون وجواسيس وعملاء ومهنيون ورجال دين كذلك. أصبح البحر الأحمر أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية بين الشرق والغرب أيضا، وتحول من مجرد بحر داخلي إلى أهم شريان ينقل البترول من مناطق الزيت في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية إلى أوروبا الصناعية والولايات المتحدة. وبفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة وبفعل الجوع البترولي في أوروبا وأمريكا اصبح البحر الأحمر بكل.يزاته وخصائصه الجيوبوليتيكية أخطر محاور الصراع الدولي وملتقى أهم نقاط التحكم الاستراتيجي باعتباره حامل البترول ومعبر التجارة الأساسية ومجال تدفق القوة العسكرية بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلنطي المحيط الهندي والمحيط الهادي. وبهذه المميزات الجيوبوليتيكية ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوبا مثلما ارتبط بقناة السويس شمالا ارتباطا عضويا ومصيريا عسكريا وسياسيا واقتصاديا، فكل منهما له ميزاته الحاكمة وخصائصه المحددة حتى أصبحا معا محط أنظار المخطط السياسي والعسكري وموضع اهتمام واضعي القرار السياسي ومحور

صراعات معقدة بين القوى الدولية المتصارعة وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتنافسة.

البحر الأحمر جسم يمتد طوليا مابين السويس في أقصى الشمال وبوابة الدموع أو باب المندب في أقصى الجنوب، وكلتاهما تمثل خانقا قابضا حاكما يحصر مياه البحر طبيعيا ويحاصره جغرافيا ويتحكم فيه حتى ليكاد يحوله إلى بحيرة مستطيلة مغلقة،وهو بهذا التحديد يتصل من ناحية الشمال بخليج السويس وخليج العقبة،كما يتصل من ناحية الجنوب بخليج عدن المفتوح على مياه المحيط الهندي، ويضم حول سواحله 11دولة، هي على الساحل الإفريقي من الشمال إلى الجنوب مصر-جنوب السودان والسودان-جيبوتي-أثيوبيا- ارتريا-الصومال، وعلى الساحل الآسيوي فلسطين المحتلة-الأردن-السعودية-اليمن.ويلاحظ هنا أن أثيوبيا ليس لها أصلا سواحل بحرية سواء على البحر الأحمر أو المحيط الهندي، فهي-تاريخيا-دولة داخلية لا تطل على الساحل، ولكنها تحت ضغط هذا الإحساس الخانق وبمساعدة الاستعمار الأوروبي نجحت في التوسع منطلقة من الهضبة الحبشية في الداخل لتحتل بالقوة العسكرية وبالمؤامرات السياسية كلا من الساحل الارتري، حيث تطل على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وساحل الصومال الغربي-اوجادين-الذي تطل منه على مياه المحيط الهندي وبذلك ركبت القرن الإفريقي، ولكن بعد استقلال ارتريا وعودة الصومال للحياة السياسية يصبح ليس لها سواحل بحرية وتعود دولة داخلية ملثما كانت في الماضي وهذا سيكون قبل عام 2040.

وفي محاولة للمقارنة فأننا نجد أن الطول الإجمالي لسواحل البحرالأحمر بما فيها سواحل خليجي السويس والعقبة يبلغ نحو ٣٠٦٩ ميلا، باعتباره مستطيلا مائيا تصل مساحته إلى ١٧٨٠٠ ميل مربع. وإذا أخذنا نقطة شمالية عند السويس ونقطة جنوبية عند باب المندب فإن الطول يبلغ ١٢٠٠ ميل .ويبلغ أقصى اتساع له حوالي ١٩٠ ميلا فيما بين مصوع على الساحل الإريتري الإفريقي وجيزان على الساحل الشرقي الآسيوي، بينما يبلغ أقل اتساعاته نحو ٤٠ ميلا فقط فيما بين عصب على الساحل الغربي والمخا على الساحل الآسيوي.

وإذا كان باب المندب هو نقطة الحصار والخنق في الجنوب، فإن مضايق تيران وجوبال هي نقاط نفس الحصار والخنق عند الشمال، حيث تنتشر الجزر والشعاب المرجانية التي تقسم مياه البحر إلى ممرات ملاحية صغيرة وضيقة تجعل الملاحة مخاطرة تحتاج إلى حسابات دقيقة لتحقيق السلامة والمرور الآمن. فمضيق جوبال الذي يقع في المدخل تماماً من خليج السويس لا يزيد عمقه عن ٣٠٠ - ٣٣٠ قدما، وتنتشر في مياهه عدة جزر أهمها شدوان وجوبال وأم قمر. وشرق جوبال يرقد مضيق تيران في مدخل خليج العقبة، ويصل عمق مياهه هناك إلى اكثر من ٣٣٠٠ قدم بينما يضيق اتساعه إلى معدل ٨ -١٠

أميال فقط وفي هذا المضيق.تنتشر كذلك عدة جزر أهمها تيران وصنافير الرابضة في مدخل المضيق بتحكم استراتيجي بالغ الأهمية.

وإذا انتقلنا جنوبا عند نقطة الحصار الأخرى فسوف نجد باب المندب بكل أساطير التاريخ القديمة حولها التي تنشر الفزع للبحارة العابرين،حيث لا يزيد اتساعه عن ٢٠ ميلا تتولى جزيرة ميون أو بريم تقسيمه بشكل يعوق الملاحة المريحة والانسيابية.فالجزيرة تقسمه إلى ممرين أحدهما بالغ الضيق وهو الممر الشرقي بعرض أقل من ميل فحسب والآخر في الغرب بعرض يصل إلى ١٦ ميل تنتشر فيه الجزر الصغيرة والشعاب المرجانية التي تزيد بالطبع من وعورة الملاحة

ورغم أن عمق هذا الممر في معظم مياهه يصل إلى ٩٩٠ قدما فإن هذا العمق في الممر الشرقي يقل حتى يصل في بعض أجزائه إلى نحو ٨٥ قدم فقط. وهكذا تبدو أهمية نقاط التحكم الاستراتيجي الشمالية عند السويس وتيران والجنوبية عند باب المندب في خنق الملاحة المدنية والعسكرية على السواء في البحر الأحمر. ولذلك دار الصراع دائما حول نقاط التحكم هذه سواء كان صراعا دوليا أو محليا .واكتسبت مناطق مثل القرن الإفريقي غربا والسواحل العربية شرقا في جنوب البحر ومضايق تيران شرقا وجوبال غربا في شمال البحر مميزات جيوبولتيكية في خريطة الصراع الدولي والمنافسة الحادة القائمة خلال هذا القرن. وكذلك على مستوى الصراع الإقليمي خاصة بين العرب وإسرائيل من ناحية وبين العرب وأثيوبيا سواء كانت متحالفة مع الغرب الأمريكي أو الأوروبي أو مع غيرهما من دول الشرق من ناحية أخرى.

ويعتبر البحر الأحمر بحرا طويل الساحل الأمر الذي يترجم جيوبوليتيكيا بالقول إن السواحل الطويلة لها قدرة طاغية على التحكم في مياه البحر وفي الملاحة فيها.ونتيجة لهذا فإن الدول المطلة على هذا البحر تحكمه في سواحله تؤدي دورا أساسيا في لعبة الصراع الدائرة حوله، وتتحكم بالتالي في هذا الشريان السياسي والعسكري والاقتصادي الذي يربط الشرق والغرب من أقصر طريق ملاحي.ولتوضيح ذلك نقول إن سواحل البحر الأحمر موزعة على الدول التي تطل عليه ونصيب كل منها يتراوح مابين ١١٢٥ ميلا للسعودية بنسبة ٣٦ % ومابين خمسة أميال للأردن بنسبة ١. ٠ %فقط .ويأتي الترتيب التنازلي بعد السعودية ليوضح أن مصر تمثل المرتبة الثانية في طول سواحلها على البحر الأحمر بطول ٨٩٨ ميلا بنسبة ٨. ٢٨ % ثم الساحل الارتري425 ميل بنسبة ٦. ١٥ % والسودان ٣٠٩ أميال بنسبة ٨. ٦ % واليمن ٢٧٥ ميلا بنسبة ٨. ٨ % ثم جيبوتي ٢٥ ميل بنسبة ٧. ٠% وفلسطين المحتلة ٧ أميال بنسبة ٢. ٠ % فقط. وهكذا فإن الأغلبية المطلقة من امتدادات سواحل هذا البحر الهام هي سواحل عربية في وضعها الراهن وكلها-تاريخيا-سواحل عربية.وإذا ما عرفنا أن إسرائيل لم يكن لها أي نقطة ساحلية على

خليج العقبة. لكنها في عام ١٩٤٨ اندفعت بكل قواها نحو مياه الخليج لتصنع لنفسها منفذا على البحر الأحمر شريان اتصالها بإفريقيا وآسيا، ولتصبح بذلك دولة ذات ساحلين واجهة بحرية على البحر الأبيض بطول يتراوح ما بين ١١٨ - ١٢٠ ميل.والساحل الآخر على البحر الأحمر بطول لا يتعدى ٧ أميال لكنه في النهاية تمثل منفذها الاستراتيجي الثابت تجاه العالم الأفروآسيوي. ونفس الوضع بالنسبة لأثيوبيا التي احتلت الساحل الإريتري والساحل الصومالي الغربي لتفتح لنفسها منفذا بحريا بكل ما يمثله ذلك من أهمية جيوبوليتكية، هي ببساطة أهمية الفرق بين دولة داخلية مغلقة محاصرة باليابس من كل اتجاه وبين دولة منفتحة على البحار والمحيطات لها سواحل تطل عبرها على العالم.

وإذا كنا قد أوضحنا آنفا أهمية السواحل في التحكم في حركة الملاحة المدنية والعسكرية في البحر الأحمر، فإن ثمة عاملا آخر له أهمية جيوبوليتكية مشابهة أو متقاربة مع أهمية التحكم في السواحل .وهو امتلاء البحر الأحمر بالجزر المتناثرة شمالا وجنوبا والتي يرقى بعضها إلى أهمية استراتيجية بالغة تعادل أهمية نقاط الخنق والحصار والتحكم الاستراتيجي تقريباً.

إن تضاريس أعماق البحر الأحمر تضاريس وعرة قاسية باعتباره أخدود غائر فيما بين اليابس الافريقي غربا واليابس الآسيوي شرقا.فقاع البحر تغطيه تلال مرتفعة يصل ارتفاع بعضها إلى مادون سطح الماء ويظهر بعضها الآخر فوق السطح على شكل جزر بعضها له سمات الجزرالتي تتكون على أعماق كبيرة من القاع إزاء تراكم الطفوح البركانية التي يبلغ منسوبها أحيانا منسوب الجبال، وهي التي تسمى بالجزر المحيطة مثل جزيرة الزبرجد بالقرب من راس باناس على الساحل المصري وجزر ذقر وحنيش الكبرى والصغرى عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

وهناك أيضا جزر ساحلية مفصولة عن اليابس مثل جزر بريم وشدوان وفرسان وقمران ومجموعة جزر دهلك كل ذلك بالإضافة إلى كثرة انتشار الجزرالمرجانية ذات الشعاب العتيقة التي تساعد على نمو المرجان بينها وطبقا للمراجع الدولية فإن مياه البحر الأحمر تحتوي على حوالي ٣٨٠جزيرة معروفة ومرصودة بعضها آهل بقليل من السكان ومعظمها خال مهجور تماما.وإذا كانت معظم سواحل هذا البحر تابعة لدول عربية فكذلك الأغلبية العظمى من هذه الجزر تابعة لنفس الدول العربية. و٦٧ % تقريبا من هذه الجزر تابعة للدول العربية الأمر الذي يضفي على هذه الدول أعباء مضاعفة في الاستفادة الجيوبوليتكية من هذه الجزر وفي حمايتها بالتالي من الإغارة والاحتلال والصراع الإقليمي والدولي الهادف إلى السيطرة على مواقع التحكم الاستراتيجي ومن بينها مثل هذه الجزر بالطبع كما رأينا ما فعلته أثيوبيا في احتلال بعض جزر المدخل الجنوبي

ثم استقل وما فعلته إسرائيل خلال عدوان على خليج العقبة لتأم مصالحها وحماية ملاحتها وحرمان العرب من مثل هذه الميزات. البحر الأحمر بمددخله الشمالي عند السويس وبمدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الافريقي ظل وسيظل يلعب دور محور الصراع والأمن والسلام في هذه المنطقة والعالم.

و بقدر ما جلبت قناة السويس الرخاء لتجارة العالم وحرية الحركة وانسيابها مابين الشرق والغرب للأساطيل الدولية المدنية والعسكرية بقدر ما جلبت المتاعب لمصر نفسها التي وقعت فريسة للمطامع الاستعمارية شأنها شأن معظم المناطق الاستراتيجية الأخرى المتحكمة في مداخل ومخارج البحر.ليس هذا فقط بل اصبح البحر الاحمر وقناة السويس ساحة صراع بين الدول الكبري وسيظل لفترة طويلة قد تمتد الب ما بعد 2050بالنسبة للقناة وعلي مدي القرن بالنسبة للبحر الأحمر.واكبر مشكلة متواجدة خلال القرون الماضية وحتي الآن ان الدول العربية لم تجهد نفسها واقعيا وعمليا لتثبت أنها بالفعل صاحبة هذا البحر.والمسيطرة على ملاحته والمالكة لكنوزه سواء تلك المغمورة في مياهه أو التي تتحكم في مجراه والتي تسمى مناطق ومراكز التحكم الاستراتيجي،بل هي على العكس من كل ذلك اختلفت اكثر ما اتفقت. الأمر الذي زاد طمع الطامع وشجع الآخرين على أن يكسروا هذا القيد الذي كان العرب يريدون فرصة على البحر باعتباره عربي داخلي وهو نفسه ما يحدث تجاه الخليج العربي.كما ان الثروات العربية تنقب عنها شركات اجنبية وهذا يجعلها تتحكم فيها وتزيد من الامر ان هذه الثروات يذهب اغلبها للغرب وفقط،مما يعرض المنطقة للصراع الدائم ومحاولات السيطرة المستميته من قبل الدول الكبري وتصارعها على الإقليم والثروات.يجب تصحيح الوضع ليصبح مصدر الطاقة والثروات ومالك الإقليم العرب وحدهم،هنا يصبحون المعادلة الأولي في العالم. هكذا تحولت الدول العربية من دول حاكمة مالكة لهذا الطريق الحيوي الهام إلى دول محكومة مملوكة لقوى أخرى خارجية مارست بذكاء لعبة الاستقطاب. فإذا ركزت أمريكا جنوبا عند القرن الأفريقي في أثيوبيا مثلا سارع السوفيت (الروس) إلى تثبيت أقدامهم شمالا عند السواحل المصرية وإذا انتقل السوفيت إلى الصومال سارع الأمريكيون بتقوية تواجدهم على الطرف المقابل.وإذا نجحت أمريكا في تغيير موازين القوى خاصة بعد خروج الخبراء السوفيت من مصر ١٩٧٢ سارع السوفيت إلى تثبيت أقدامهم في أثيوبيا بعد ثورة ١٩٧٤ وإذا قفز السوفيت إلى عدن حاول الأمريكيون الأطباق على الخليج العربي وإذا التزم السوفيت بتأييد الخط السوري والعراقي ازداد الأمريكيون تحيزا وتدعيما لإسرائيل لتستمر في دورها كهراوة غليظة تدق رأس المنطقة (يلاحظ أن اثيوبيا تحاول ان تكون اسرائيل اخري في الإقليم ووجودها واسرائيل اخطر ما في مستقبل الإقليم،فاذا فاقت اي منهما من المشكلات والمواجهات

العسكرية والمقاومة اتجهت للصراع مع دول عربية). لعبة استقطاب وتعقدت يوما بعد يوم،فهل من حل يا قادتنا ؟.

وتصاعد عمليات استنزاف البترول من جانب شركات الاحتكار الغربي اصبح يشكل تهديدا مباشرا للأمن القومي العربي من ناحية كما أن النضوب النهائي لهذا البترول أو انقطاعه لفترة محدودة يشكل تهديدا للأمن القومي للدولة المستهلكة من ناحية أخرى.ولذلك فإن على منتجي البترول ومستهلكيه الاستعداد والتأهب من الآن لمواجهة حالات النضوب السريع أو الخطرالمؤقت حتى لا يقع تهديد صريح للأمن القومي لاحد الطرف يؤدي في النهاية إلى اضطرابات

اجتماعية وسياسية تعقبها تدخلات أو مصادمات عسكرية طاحنة .ولقد اطلق هارولد براون وزير الدفاع الأمريكي خلال تصاعد أزمة الطاقة في الولايات تعبيرا له مغزاه الواضح عندما قال :إن النقص الحالي في مصادر الطاقة يمثل اكبر تهديد يفرضه المستقبل على الأمن القومي الأمريكي وكذلك على أمن الدول المنتجة.

أهمية إفريقيا المستقبلية بالنسبة للولايات المتحدة والصين

في منتصف 2007 بدأت الولايات المتحدة التفكير في إنشاء قاعدة عسكرية لها في إفريقيا لكي تكون بديلة عن المقر الموجود في ألمانيا وسعت من خلال الدعاية الواسعة التي ساقتها لذلك إلى عرض حسن نواياها من حيث أنها ستكون قاعدة لخدمة شعوب القارة بدلاً من كونها لأغراض عسكرية، وحينما بدأت في البحث عن دولة تقبل بذلك وقع الاختيار على كل من نيجيريا وجنوب إفريقيا لكي تكونا مقرات مقترحة لهذه القاعدة.وقد جاءت الأسباب المعلنة من قبل وزارة الدفاع الأمريكية لإنشاء قيادة عسكرية خاصة في القارة الإفريقية على لسان مساعد وزير الدفاع لشؤون التخطيط والسياسات (رايان هنري) وتمثلت في رغبة وزارة الدفاع خلق وتنمية بيئة

مستقرة في القارة الإفريقية تشجع على إقامة مجتمعات مدنية، والعمل على تحسين ظروف مستوى المعيشة شعوب القارة. ولتبرير ذلك يبرز المسؤول الأمريكي أهمية إفريقيا الاستراتيجية، فهي القارة التي تمثل مساحتها نسبة 35% من مساحة العالم، ويبلغ عدد سكانها نسبة 25% من عدد سكان العالم، وتزداد أهميتها بصورة مطردة فضلا عن ما أعلنه (رايان) من رغبة الإدارة الأمريكية في أن تضطلع القيادة العسكرية الإفريقية الجديدة بالمساعدة في جهود نزع فتيل

النزاعات، وتأمين بيئة أمنية مستقرة تكون قادرة على هزيمة الشبكات والتنظيمات الإرهابية . وبالإضافة إلى المهام السابقة فإنه للقيادة الجديدة دورًا في تقديم" المساعدات الإنسانية "والإغاثة الطبية والغذائية للمناطق التي تعاني من نزاعات، وتنمية قدرات القوات العسكرية للدول الأفريقية وإمدادها بالمعدات وإخضاع عناصرها للدورات التدريبية اللازمة، وتقديم العون للمنظمات الإفريقية الإقليمية وفي مقدمتها الاتحاد الإفريقي. لكن الأسباب الحقيقة تبدو في إصرار الولايات المتحدة على مواجهة النفوذ الصيني المتنامي بسرعة في إفريقيا وتحجيمه اقتصاديًا وعسكريًا، ورغبة الإدارة الأمريكية في تطويق نفوذ بعض الأنظمة الإفريقية التي تعتبرها مارقة، والأهم من ذلك كله تأمين عمليات التنقيب عن النفط والمعادن في القارة الإفريقية واستقراره، في ظل تزايد الاضطرابات التي تكررت في حقول النفط في منطقة دلتا النيجر، خصوصًا في حقول نيجيريا منذ عام 2003، والتي تعتمد الولايات المتحدة بشكل كبير على نفط هذا الإقليم، في ضوء تقارير استراتيجية تتوقع أن تلبي القارة الإفريقية 25% من احتياجات الولايات المتحدة

من النفط بحلول عام 2016. لكن الرد الذي تلقته الولايات المتحدة لم يكن متوقعًا فقد رفضت الدول الإفريقية استضافة أفريكوم. والقرار الأمريكي في مجمله يعكس اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالقارة الإفريقية، وقد صيغ ذلك الاهتمام في استراتيجية

تحتاج الولايات المتحدة في تنفيذ بعض جوانبها إلى القوة العسكرية إضافة إلى الأدوات الأخرى الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والإعلامية وغيره، فالقوة العسكرية مكملة لتلك الأدوات في تنفيذ السياسة أو إنزال الخطط على أرض الواقع. وهناك مجموعة من العوامل أدت إلى الاهتمام الأمريكي بالقارة تتمثل في:

1- عامل النفط الذي اكتشف بكميات مقدرة في إفريقيا بالذات في الشواطي الغربية للقارة الإفريقية.

2- رغبة الولايات المتحدة في تقليل اعتمادها على نفط الشرق الأوسط، حيث قامت بتشجيع الشركات الأمريكية لتستثمر في مجال النفط، خاصة بعد أن شهدت بداية الألفية الثالثة معدلات نمو كبيرة في الصين شهدت بموجبها احتياجات متصاعدة للنفط، الأمر الذي دفعها إلى الانفتاح على القارة الإفريقية ومن ثم العمل على خلق مناطق للنفوذ في القارة.

3- تشير بعض المصادر إلى أنه من المتوقع بحلول العام 2014 فإن 25% من واردات الولايات المتحدة من النفط ستكون من إفريقيا.

4- من الموارد المهمة التي تذخر بها القارة الإفريقية خاصة على الصعيد المستقبلي المورد المائي، وهو مورد يحسب له ألف حساب من الناحية الاستراتيجية.

5- العمل على تحجيم الدور الصيني في إفريقيا ذلك أن التوغل الصيني في القارة الإفريقية في تصاعد مستمر، ولعل ما يميز السياسة الصينية في الوقت الحالي هو عدم وجود مشروطية اقتصادية وسياسية لعقوداتها واستثماراتها، ولا تسعى الصين لتغيير البيئة الداخلية للدول، ويلاحظ أنها تنأى بنفسها عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول التي تتعامل معها، على عكس الدول الغربية التي تربط علاقاتها مع دول الجنوب بشروط مجحفة، خاصَّة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. فالشروط الاقتصادية التي فرضت من قبل المنظومة الغربية تتمثل في سياسة السوق الحر – الخصخصة– التحرير الاقتصادي (أما الشروط السياسية فتتمثل في) الشفافية – المحاسبة- حقوق الإنسان – التحول الديمقراطي – نزاهة الانتخابات – التعددية الحزبية هذا إضافة إلى الشروط الاجتماعية مثل حقوق المرأة والطفل. فالصين توغلت في إفريقيا من غير شروط ووجدت الترحيب من قبل دول القارة وشعوبها. ومع ذلك لابد من الإشارة إلى العلاقة بين الولايات المتحدة والصين تختلف جوهريًا عن العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في فترة ما عرف بالحرب الباردة، فالعلاقة في تلك الفترة بين المعسكرين كانت صفرية بينما العلاقة الآن بين الولايات المتحدة الصين ليست صفرية، فهناك مصالح مشتركة، وبالتالي فإن

الولايات المتحدة لا تسعى لهزيمة الصين في إفريقيا وإنما تسعى لتحجيم دورها ليكون مكمل للدور الأمريكي، وقد برز ذلك جليًا حيال التعامل مع قضية دارفور.

6- أحداث11 سبتمبر التي أدت إلى تغييرات في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم الربط بين الارهاب وحركات الإسلام السياسي، ومن هنا وضعت إفريقيا في الاهتمامات الأمريكية.

7-الفقر والتخلف يوفر بيئة صالحة لنمو الإرهاب والتطرف، وقد أخذت الولايات المتحدة تتحدث عن محاربة الفقر في إفريقيا كأحد الأدوات التي تفيد في الحد من تنامي الأفكار المتطرفة، خاصًة لو جاءت من التيار الإسلامي. كذلك أخذت الأوساط الأمريكية تتحدث عن مفهوم الدولة الرخوة) الدولة الفاشلة أو الدولة المنهارة بمعنى أن الدولة الضعيفة غير القادرة على السيطرة على كامل إقليمها، وانتشار السلاح خارج مؤسساتها تتيح أرضية خصبة لنمو الحركات الإرهابية. كل تلك الأسباب دفعت بالولايات المتحدة إلى وضع إفريقيا في قائمة أولوياتها.فيما يتعلق بآفريكوم أشير إلى أن الولايات المتحدة قبل صدور قرار إنشاء آفريكوم كانت لها خمسة قيادات عسكرية على مستوى العالم تتمثل في القيادة العسكرية لشمال أمريكا، والقيادة العسكرية لجنوب أمريكا، إضافة ثلاثة قواعد أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية في سياق التنافس مع الاتحاد السوفيتي على مناطق النفوذ والسيطرة على العالم. وتمثلت تلك القيادات في قيادة أوروبا ويمتد نطاقها الجغرافي من السواحل الشرقية للولايات المتحدة عبر الأطلنطيمروراً بأوروبا الغربية حتى شرق أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط، ويدخل في نطاقها 95 دولة منها 41 دولة إفريقية وتضم هذه القيادة قواعد عسكرية في تركيا وأسبانيا وبريطانيا وألمانيا، وهى مدعومة بالأسطول السادس الأمريكي. وتتمثل أهداف هذه القواعد العسكرية في:

1- دعم الأمن الأوروبي.

2- دعم حلف الناتو.

3- الحفاظ على أمن أوروبا الغربية مما يسمي التهديد الروسي.

4- الحفاظ على أمن إسرائيل باعتباره يقع ضمن مسؤوليات الأسطول السادس.

القيادة الثانية تتولى الشاطئ الغربي للولايات المتحدة، ويمتد نطاقها من السواحل الغربية للولايات المتحدة الأمريكية وشمال وجنوب أمريكا وتشمل كل آسيا بما فيها الصين وأستراليا ودول جنوب شرق آسيا، ويمتد سلطاتها ومجال عملها حتى السواحل الشرقية لإفريقيا (الصومال – جيبوتي – اليمن) وهذه القيادة بقواعدها العسكرية مدعومة بالأسطول الأمريكي السابع. أما القيادة الوسطى التي كانت نواتها قوات الانتشار السريع بغية تأمين منابع النفط بعد الثورة الإسلامية في إيران، والحرب العراقية الإيرانية، وتطورت القوة فيما بعد لتصبح قيادة كاملة تشمل منطقة الشرق الأوسط بالإضافة إلى

شمال إفريقيا. وقد لعبت هذه القيادة دور كبير في حرب تحرير الكويت. وتشمل هذه القيادة إثيوبيا – اريتريا – الصومال– جيبوتي وليبيا بالإضافة إلى أغلب الدول العربية الأخرى. والولايات المتحدة منذ قيامها ورغم تغير حكوماتها، إلا أن سياستها وأهدافها في العديد من المجالات ظلت تغييراتها قليلة، يحقق فيها كل جيل ما استطاع. والاستراتيجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر تجاه إفريقيا على الآتي:

1- إمكانية بناء قواعد عسكرية في بعض الدول.

2- طرح خطة اقتصادية وتمويلية وتشجيعية للاستثمارات في إفريقيا.

3- طرح خطة سياسية لنشر الديموقراطية الأمريكية وإحداث موازنة مع النفوذ الأوروبي التقليدي والفرنسي.

4- ضم دول مثل جنوب إفريقيا وأنجولا ونيجيريا إلى قطاع الطاقة والمناجم الأمريكي.

5- السعي لإيجاد محور أمريكي إفريقي جديد يؤدي إلى تفكيك كل مؤسسات العمل الإفريقي المشترك.

6- إعادة رسم الخرائط السياسية في إفريقيا والوصول إلى مناطق الأزمات وتحديد مصائرها برؤية تتسق والمصالح الأمريكية. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 حدث تحول كبير في السياسة الأمريكية تجاه القارة، وخاصة على مستوى العوامل الحاكمة والمحددة التي تتصل بالاعتبارات الاستراتيجية ذات الطابع الأمني والعسكري والعوامل المتصلة بتأمين الطاقة، أو الأمن القومي المتعلقة بالطاقة. وبدأت السلطات الأمريكية في فحص الدول الإفريقية من حيث الإرهاب وطلبت من الدول الإفريقية العديد من المطالب أهمها:

1- المشاركة الكاملة في التحالف ضد الإرهاب.

2- التعاون مع الاستخبارات الأمريكية.

3- تشديد أنظمة أمن الحدود وفرض الرقابة على كل المنافذ.

4- التعاون في القبض على الإرهابيين وتسليمهم للولايات المتحدة.

5- وضع بعض القيادات الأصولية التي لها نوايا عدوانية ضد الولايات المتحدة موضع الملاحظة الاستخبارية لمراقبتها. والأهمية الجيوبولتيكية لإفريقيا:

1- تشرف إفريقيا على ممرات ومضايق (بوابات) مائية هامة.

2- تعتبر إفريقيا مع غرب أوروبا منطقة استراتيجية واحدة ومسرحًا تكتيكيًا لا يفصل بينهما سوى البحرالمتوسط Eurafrica أور إفريقي.

3- تطل إفريقيا على المحيط الهندي الذي يلعب دورًا متزايدًا في اقتصاد الدول النامية في جنوب آسيا وشرق إفريقيا.

4- تشاطي إفريقيا غربًا المحيط الأطلسي الذي يربط موانئ أوروبا بموانئ أمريكا الشمالية والجنوبية.

5- يعتبر الطرف الجنوبي للقارة نقطة وثوب من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، بل والى دول أمريكا اللاتينية، وهذا يؤثر على الصراع البحري بين القوى الكبرى في أي صدام مستقبلي.

6- تعتبر القارة أخطر مسارح الصراع بين الدول الكبرى.

وتعود أسباب اهتمام الولايات المتحدة بإفريقيا للآتي:

•وجود مجتمع قوي من الزنوج بأمريكا وتأثير ذلك على مجريات الحياة السياسية.

•أهمية تصويت الدول الإفريقية في الأمم المتحدة والتي تمثل ثلث الأعضاء في المنظمات متعددة الأطراف.

وجود المواد الخام الضرورية للاقتصاد الأمريكي، خاصة النفط كمسالة أمن قومي.

• الرغبة في مكافحة الإرهاب والإيدز، الصراعات المسلحة الخ

• وجود معابر تجارية وموانئ بحرية هامة على المحيطين الهندي والأطلسي.

• الجانب الأمني إذ يعد هذا المجال من أبرز ملامح السياسة الأمريكية الجديدة تجاه أفريقيا.

وهناك أسباب جوهرية وراء الاهتمام الأمريكي بالنفط في إفريقيا ويمكن حصر هذه الأسباب فيما يلي:

1- السعي لوضع يدها على مخزون القارة السوداء من النفط وبأسعار مخفضة لقرب مواقع الإنتاج من الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

2- السعي لتنويع مصادرها من النفط مستقبلا.

3-السعي للتحكم في الاقتصاد العالمي واقتصاديات الدول المنافسة إلى جانب سيطرتها العسكرية.وتنقسم مراحل التنافس الدولي على إفريقيا إلي:

المرحلة الأولى :هي مرحلة التنافس الأوروبي (مرحلة تقاسم إفريقيا) وكانت أهم سماتها تجارة العبيد والبعثات التبشيرية، وهي العملية التي أطلق عليها في نهاية القرن التاسع عشر اسم" التكالب الاستعماري على إفريقيا".

المرحلة الثانية : هى مرحلة التنافس الدولي بعد الحرب الباردة (جدلية الهيمنة والتهميش) وكانت أهم سماتها تكالبت القوى الكبرى مرة أخرى على مناطق الثروة والنفوذ في القارة الأفريقية.

المرحلة الثالثة : هي بعد أحداث 11سبتمبر 2001 وباتت إفريقيا تشكل أهمية محورية في التفكير الاستراتيجي الأمريكي الجديد. حيث اتبعت الولايات المتحدة سياسة جديدة تجاه إفريقيا اعتمدت على المرتكزات التالية:

1- التركيز على مناطق إقليمية معينة.

2-اختيار دولة أو أكثر تمارس دور القيادة مثل جنوب إفريقيا في الجنوب ونيجيريا والسنغال في الغرب وإثيوبيا في الشرق.

3- طرح قضايا معينة مثل الإرهاب والتطرف، وتدفق المخدرات، والجريمة الدولية، وحماية البيئة، وحقوق المرأة الإفريقية، وغيرها ووضعها على قائمة السياسة الإفريقية للولايات المتحدة.

4- المحافظة على الأمن والاستقرار عن طريق إنشاء قوة إفريقية لمواجهة الأزمات.

5- العمل على محاصرة النظم غير الموالية والتي تدعم التطرف والإرهاب من وجهة النظر الأمريكية.

6- تأمين وتعزيز فرص الاستثمار والتجارة في المنطقة، وهو ما يؤكد عليه مبدأ (التجارة بدلا من المساعدات). والقارة الإفريقية بأكملها باستثناء دولة واحدة هى مصر أصبحت من 30 سبتمبر عام 2008 تحت قيادة عسكرية أمريكية واحدة، هى القيادة الإفريقية أو وتدار مؤقتًا من. Africa Commandكاختصار لعبارة AFRICOM "أفريكوم وهى قاعدة عسكرية أمريكية في مدينة شتوتجارت الألمانية .وكان الكونجرس قد

خصص من قبل ميزانية يبلغ حجمها 500 مليون دولار لمدة ست سنوات لتمويل مبادرة مكافحة الإرهاب عبر الصحراء الإفريقية بتقديم مساعدات لدول مثل الجزائر وتشاد ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال ونيجيريا والمغرب لمواجهة أي تهديدات محتملة من تنظيم القاعدة. كما حرصت وزارة الدفاع على توقيع عدد من المعاهدات الأمنية والعسكرية مع دول في مختلف أرجاء القارة، فضلاً عن اتخاذ دولة جيبوتي مقر لقاعدة عسكرية إستراتيجية .وسوف يتم الاستفادة عند تشكيل القيادة العسكرية الجديدة من كافة هذه المبادرات والاتفاقيات والقواعد

كأساس يبنى عليه القاعدة الإفريقية،وستحاول امريكا نقل افريكوم من ألمانيا لافريقيا وستوسع من قدراتها في القارة لتصبح من اهم مسارح الصراع العالمي خلال القرن.وهذا لا يرجع لقوة امريكا وانما لاخفاق دول القارة ودول كبرى،لكن الصين ومصر وغيرهما ستحاول اللحاق في التواجد بشكل كبير في القارة.

وتنتشر القواعد العسكرية الأميركية في 130 بلدًا حول العالم تقريبًا، ويزيد عددها عن الألف وفق بعض المصادر العسكرية، وتترواح مهماتها بين القيام بالعمليات العسكرية والتدريب المشترك مع قوات الدول المتواجدة بها والمشاركة في عمليات حفظ السلام، كما سعت أمريكا إلى عقد الاتفاقات الأمنية مع العديد من الدول حول العالم . واستخدمت تلك القواعد في فرض الأمن والقيام بعمليات كل هذا يرجع إلى كونه من أربعة عناصر أساسية في استراتيجية الولايات المتحدة للسيطرة على العالم وهى:

1-السيطرة على الاقتصاد العالمي والأسواق المالية، ووضع اليد على جميع مصادر الثروة الطبيعية من مواد اولية ومصادر الطاقة التي تعتبرعوامل حساسة لنمو ثرواتها ونفوذها وذلك عبر فعاليات الشركات متعددة الجنسيات.

2-الوصاية على 191 حكومة هي اعضاء في منظمة الأمم المتحدة.

3-الغزو والاحتلال ومراقبة هذه العناصر بواسطة شبكة من القواعد العسكرية المنتشرة في كل أركان الكرة الأرضية في القارات والمحيطات والجو والفضاءات.

الفصل الخامس

الحروب غير النظامية والصراعات المتأصلة

أساطير محلية وعالمية

تطورت الحروب من استخدام القوة الجسدية والأسلحة البدائية (الجيل الأول)، وقوة النيران والأسلحة الأكثر تطور (الجيل الثانى)، والحروب الخداعية بما فيها الحروب بالوكالة (الجيل الثالث)، ثم إلى حروب الجيل الرابع والتى تفترض اتخاذ أشكال غير تقليدية من فاعلين من غير الدول (تنظيمات وحركات إرهابية ومدنية) لإحداث فوضى داخلية اواقليمية. وبصرف النظر عن صناعة المخابرات الأمريكية بالتعاون مع عسكريين أمريكيين للتعامل مع الجماعات الإرهابية التى تعرضت لأهداف أمريكية مع نهاية الثمانينيات (بعد الانتفاضة الأولى فى فلسطين) وخلال التسعينيات، فبدلا من الاعتراف بتغيير طريقة المهاجم فشلت أجهزة المخابرات فى التوقع بهذه الهجمات وحدوثها وتم الترويج لحروب الجيل الرابع لحفظ ماء الوجه وتبرير القصور والفشل. انه محاولة لتوريط أكاديميين ومثقفين فى الدفاع عن الفشل العسكرى بالترويج لنظرية المؤامرة بدلا من قيام المثقفين بأدوارهم التقليدية بالبحث والاستقصاء والتحليل، والادهي ان النظرية فى هذا ادعت أن هجمات جديدة من هذا القبيل سوف تتكرر في المستقبل لتبرير أى فشل مستقبلى فى توقع مثل هذه الهجمات بدعوى أن الافتراض الرئيسى للنظرية أن (الإرهابيين سيوجهون لنا ضربات مستقبلية غير تقليدية) دون بذل جهد حقيقى لتحديد متى ستقع مثل هذه الهجمات وما وسائل مواجهتها؟. ما نقوم به اذا ترجمة خاطئة تتحدث عن تخوف من تطور قوى الخصوم بشكل غير تقليدى يخرج عن سيطرة المواجهة فتتعرض القوى الوطنية للهزيمة، وهذا على افتراض أن تحقيق النصر العسكرى لا يكون فقط بالصراع المسلح، بل وايضا ببناء نظريات لتقييم الاحتمالات المختلفة لإستراتيجيات الخصم.

فهم خاطئ لصلح ويستفاليا الذى أسس الدولة القومية فى أوروبا، حيث تفترض النظرية أن صلح ويستفاليا أسس لاحتكار الدولة وسيطرتها على كل أدوات العنف، بينما الصلح في الأساس اعتمد على إنهاء رابطة الدين كأساس للإمبراطوريات ووضع بدلا منها أسس قومية تقوم على روابط أخرى كالتجاور الجغرافى واللغة والعرق.. إلخ.

ما يتم ترديده اعتبره تبرير للفشل المخابراتي والعسكرى وتعبير عن عدم الاعتراف بحقيقة تطور الفاعلين من غير الدول وضعف قدرة الدولة على احتكار وسائل العنف التقليدية وغير التقليدية أمام عالم تزيد فيه القوة الشعبية وشبكات علاقات بين فاعلين قادرة على تخطى الحدود التقليدية.

وبدلا التسلية بنظرية المؤامرة الزائدة ثمة أمرا واقعا جديدا على الدولة القومية الاعتراف به والبحث عن وسائل غير تقليدية لمواجهته.فالقادم أضرار جسيمة على الأمن القومى

خاصة لو تبنى الأكاديميين والمثقفين للأفكار التآمرية بديلا عن الفكر التحليلى النقدى والإبداعي.

نظرية المؤامرة سحبت من سياقها الأصلى كنظرية عسكرية أمريكية تبرر فشل مواجهة الحركات الإرهابية غير التقليدية في بدايات إلى سياق استخدام هذه الجماعات ذاتها لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية..الخ. وللأسف من أجل إيذاء الآخر صديق أو خصم. أي أننا في حل المشكلة بمشكلة حيث استخدام الجماعات ضد السوفيت ثم استخدامها لإسقاط دولها غير مدركين أنها ستتوجه لخصمها الحقيقي، أو تقوم دول أخري بصنع جماعات أخري مثيلة لمواجهة هذه الجماعات الأولي.

النظرية لم يروج لها خبراؤنا الاستراتيجيون فقط، ولكن تم تبنيها بواسطة جيش من المثقفين والسياسيين والإعلاميين بفهم لقلة وبدون فهم أو وعى بأبعادها لأكثرية، بل وحتى دون محاولة جادة للنظر فى أوجه قصورها وأساطيرها ونقدها. فأنا أعيش في منطقة عربية الكل حولي يردد أن الغرب وأمريكا يريدون تقسيمنا والهيمنة على ثرواتنا، لكن لماذا لا نخطط نحن لمواجهتم وهزيمتهم وضحدهم؟ لماذا لا نخطط للحصول على كل العلوم والتكنولوجيا الحديثة بأموالنا؟ أليس من الأمر المنطقي أن كل دولة تخطط لمصالحها؟ تماما في تاريحنا العاشق الولهان يموت على قبر محبوبته بكاء أو مرض الخ. دون أن يفكر ويعمل حتى لا يفوز بها غيره، إن غيره أحق بها إذا حتى لو كان الموت.عليه أن يشكره لأنه لو تزوجها لكشفت حقيقته وكرهته.

الثورات في أغلبها ومن أجل إشعالها لابد من حقوق مهدرة وقوانين معطلة وشبابا مقموع وطبقات فقيرة ومؤسسات فاسدة وشبكات سياسية غير شفافة وجماعات مصالح تدير الدولة، وحل ذلك كله بالاعتراف بمشاكلنا ووضع حلول عملية ودعم عملية سياسية تعددية ديمقراطية غير ذلك تظل الأساطير التي لا تبنى وطن ورغم ذلك سيفيق الشعب يوما ما ولكن كلما تأخر الشعب زادت المشكلات وصعبت الحلول التي قد تصل لمرحلة التجزوء والتقسيم، والإمبراطوريات والتاريخ غرقي بهذه الأمثلة.

النظرية فى النسخة العربية تم استخدامها لتبرير فشل الدولة للتعاطى مع مواطنيها قبل وأثناء وبعد الثورات وبدلا من الاعتراف بالقصور فى فهم التيارات الشابة منها بصفة خاصة والبحث عن معادلات إصلاحية كحد أدنى للاحتواء.

العجيب دائما ما يتم استخدام نظرية المؤامرة بكثافة في الإيحاء بأن العالم كله يتآمر ضدنا وفى مقدمة هذا العالم طبعا الولايات المتحدة وللمفارقة الولايات المتحدة أصلا هى من اخترعت وروجت للنظرية للإيحاء بأن قوى غير تقليدية تتآمر عليها (أي رسالتها الداخلية لشعبها) وهو ما يؤدى إلى رسوخ قناعة لدى المواطن الناخب بأن الدولة في عالمنا فى حاجة إلى رجال دولة وأبطال قوميين، ولا يفوك ذكاءك قطعا فى فهم النتيجة.

وهناك سلاح المخدرات الذي يدر أرباحا خيالية لا يمكن لأي بيزنس آخر بأي حساب مالي عادي وبناء لأي مبدأ اقتصادي أن يضاهيه فيها باعتبار أن المخدرات لا تزال تخضع للمنع والتحريم والتجريم وتقع تحت طائلة القانون الأخلاقي والجنائي، فإن الأموال الهائلة المتأتية منه تبقى "في الظل"، ولا تخضع للرقابة المالية والسياسية لا الرسمية ولا السياسية العامة، أو الخاصة. وهذا ما يتيح للاحتكارية الإجرامية أن تتصرف بهذه الأموال كما تشاء على مدى العالم بأسره، دون الخضوع لرقابة حتى دولها ومجتمعاتها أو حتى أحزابها المعنية، ناهيك عن مؤسسات المجتمع الدولي بشكل عام. ولتبيان أهمية هذه النقطة نقدم مثال فإذا أراد "السي آي ايه" أو "الموساد" مثلا تنظيم سلسلة اغتيالات أو انقلاب دموي أو عملية إرهابية كبرى، فهي تحتاج ليس فقط إلى قرار سياسي معين، بل أيضا وإلى تمويل معين يحتاج هو نفسه إلى قرار من مرجع رسمي أو شبه رسمي أو حزبي معين الخ. وبذلك تكون تلك الطغمة مضطرة للخضوع، في نهاية المطاف، لمؤسسة ما من مؤسسات الدولة التي توجد فيها، أو المؤسسات الحزبية أو السياسية في المجتمع الذي هي جزء منه. أما في حالة توفر أموال المخدرات "غير الشرعية" وغير الداخلة في أي حساب اقتصادي رسمي و"شرعي" من الأساس، فإن الطغمة الإجرامية تصبح طليقة اليدين كليا، في التقرير والتخطيط والتنفيذ والتمويل، لأي خطة أو حملة أو حتى حرب في أي مكان في العالم، بما في ذلك داخل بلدانها بالذات، وبمعزل وحتى ضد مؤسساتها بالذات الرسمية وغير الرسمية.

إنها تقوم على "مبدأ" "المصلحة المطلقة" أو "المصلحة بذاتها"، التي لا تقيم أي اعتبار لأي "قيمة" أخلاقية أو وطنية أو دينية أو سياسية أو فكرية الخ في معظمها بالطبع. فالإمبراطورية البريطانية حينما لجأت إلى سلاح الأفيون، استخدمته فقط ضد الصينيين، أما غيرها فقد تستخدم هذا البيزنس أينما كان حتى في بلدانها. ويقول لورنسو مرتينس، مدير المنظمة العالمية لمكافحة المخدرات، إن بيزنس المخدرات هو التجارة غير المشروعة الأكثر ريعية في العالم بعد تجارة السلاح، وهو يدر ما لا يقل عن 500 مليار دولار سنويا. وحسب بعض تقارير الامم المتحدة بالذات، فإن تبييض غالبية الأموال المتحصلة في تجارة المخدرات، والتي تبلغ مئات المليارات سنويا، إنما يجري في الولايات المتحدة بالذات. وتأتي أفغانستان كأهم منتج دولي للمخدرات وحسب الإنتربول فإن حوالى 80 % من الأفيون تأتي من هذا البلد، حيث في البدء يجري تحويل الأفيون إلى مورفين، ومن ثم إلى هيروبين. ويجري الحصول على المحفزات، أي المواد الكيماوية الضرورية لعملية التحويل.

ولإدراك الأهمية الاستراتيجية لهذا البلد، على هذا الصعيد، يكفي إيراد بعض المعلومات حيث يتم سنويا في أفغانستان إنتاج 250 طنا من الهيروبين. والكيلوجرام الواحد من

الهيروبين ماركة "9999" يساوي سعره في أسواق الولايات المتحدة وأوروبا الغربية أكثر من 000 100 دولار أمريكي. مقابل مثل هذه القيمة للمنتوج النهائي، فإن نفقات زراعة المادة الخام وعملية تحويلها هي نفقات بخسة جدا، ولا تتجاوز 1 % من هذا المبلغ، أي حوالى 1000 دولار للكجم. وحينما جاؤوا إلى السلطة في كابول قبل عدة سنوات، فإن الطالبان جعلوا مسألة زراعة خشخاش الأفيون سياسة رسمية للدولة. وكان أسامة بن لادن، مستعينا بصفته كرجل أعمال وبعلاقاته الدولية، هو الذي يشرف على عملية تبييض أموال المخدرات، وكان يتلقى مقابل ذلك ما بين 2 و10 % من تجارة المخدرات الأفغانية، التي كانت تقدر في مختلف المراحل ما بين 150 مليونا ومليار دولار سنويا. وكان جزء من هذه الأموال يذهب لدعم الحركات المسلحة المحلية والأجنبية التي كان يتم إدخالها إلى جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية السابقة. وجزء ثان كان يذهب لدعم زراعة وتجارة المخدرات. ومقابل المخدرات، كان الطالبان يشترون السلاح الذي كانوا يستخدمونه لتوسيع زراعة المخدرات. وهكذا كانت الحلقة تتسع باستمرار. إن قيام الأميركيين بإضفاء الصفة الشيطانية على حليفهم السابق بن لادن، قد بدأت بالضبط في أواخر صيف 1998. وقد تولت ذلك السي آي إيه. وحدث هذا التبدل حينما بدأت تلك الأجهزة وزميلتها الانجليزية تتأكد أن "الإرهابي رقم واحد في العالم" لديه النية لأن يسيطر على بيزنس المخدرات الأفغاني بمجمله، بما في ذلك إيصال "السلعة" إلى أوروبا. وقوس قزح المخدرات في معظم دول العالم جرى إنشاؤه بمشاركة العملاء والمتعاونين مع المخابرات العامة والعسكرية لدول كبرى.

فنون الحرب النفسية ودعاية العنف والجريمة

الحرب في جوهره تبادل منظم للعنف.والدعاية في جوهرها عملية إقناع منظمة (حرب الأفكار) وبينما تهاجم الأولى الجسد ,فإن الثانية تنقض على العقل.الأولى حسية والثانية نفسية .وفي زمن الحرب تهاجم الدعاية والأعمال الحربية النفسية جزءا من الجسد لا تستطيع الأسلحة الأخرى أن تصل إليه في محاولة للتأثير في طريقة أداء الأطراف المشاركة في ميدان القتال .إنهما تحاولان رفع معنويات أحد الجوانب. وأن تنسفا إرادة القتال لدى الآخر .وعلى هذا النحو وعلى رغم أنهما لا تستطيعان وحدهما كسب الحرب , فإنهما سلاحان لا يقلان أهمية عن الاسلحة .ومن المؤكد أن أسلحة العقل ومتفجراته هذه مثلها مثل الأسلحة التقليدية والحديثة قد أصبحت معقدة بشكل متزايد مع ما تحقق من أنواع التقدم في التكنولوجيا وعلم النفس .غير أن الملحمة الشعرية أو الرسم في الماضي لا يزيدان في الحقيقة شيئًا عن الفيلم أو المذيع التليفزيوني الدعائي .وعلى الرغم من أن الدعاية للحرب قد زادت تعقيدا واتساعا زيادة مثيرة في القرن الحالي , فإنها نشاط يرجع إلى الزمن الذي التقط فيه إنسان ما للمرة الأولى عصا غليظة في سورة الغضب.وعلى الرغم من أن الحرب قد لقيت الاعتراف على طول التاريخ الإنساني باعتبارها نشاطا مقبولا , بل غالبا ما اعتبرت نشاطا طبيعيا ومجيدا فإن الكثيرين ما يزالون يعتبرون الدعاية شيئًا مختلفا إما بوصفها عملية مرفوضة رفضا كليا لأنها توضع لكي تنسف إرادة الاشتراك في فنون الحرب القبول.والدعاية ذاتها ليست عملا خبيثا ولا شريرا .إنها في الحقيقة ليست أكثر من تنظيم الوسائل التي تصمم لإقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بطريقة معينة وهذا يعني في زمن الحرب دفعهم إلى القتال أو إلى مساندة القتال وتأييده.ولست أعني بهذا ضمنيا أن دفع الناس إلى شن الحروب عمل صائب. فاعني فحسب أن الدعاية تقوم بدور أساسي في إقناع الناس بأن يخاطروا بحياتهم مهما كانت الأسباب أو القضية.والدعاية للحرب هي عملية ترسم خططها لإقناع الناس بأن يخوضوا القتال .والحرب النفسية من الجانب الآخر هي الدعاية المخططة لإقناع الطرف المقابل ألا يخوض القتال .وهنا تظهر خاصية تدعو إلى العجب .إذ إن فكرة وصم محاولة إقناع الناس بأن يلقوا سلاحهم وبأن يكفوا عن القتال بدلا من أن يواصلوا المخاطرة بحياتهم وصمها تصبحان بديلا للحرب .وهذا هو كل ما تدور حوله الحروب الباردة وما تشابهها في القرن ال21 .ومع ذلك فلا الدعاية ولا الحرب النفسية تعرضتا لجلاء ما تتضمنانه من ألغاز محيرة قبل عصر الانشطار النووي وعلماء النفس أي قبل ظهور أمثال آينشتاين وأوبنها. وفرويد ويونج .فقد كانت الحرب تعتبر وسيلة طبيعية ومقبولة لحل المنازعات وامتدادا للسياسة بوسائل مختلفة .وكان ينظر بشك إلى أي شيء.يمكن أن يعترض طريق هذا الشكل للتواصل البشري على الأقل من جانب الطرف الذي كانت تمارس ضده .

وكانت الحرب النفسية تبدو سلاحا ملتويا مخاتلا لإغواء أرواح وعقول الرجال الذين دفعهم نزوعهم العدواني الطبيعي بصورة دورية إلى ساحات القتال حيث يحرز الأفراد وتحرز الدول أماكنهم في التاريخ .وعباءة الحرب أقدم عمرا من عباءة السلام بكثير . الوسائل النفسية التي وضعت بغرض أن تدفع طرفا بعينه إلى القتال وأن تحمل الطرف الآخر على الإحجام .وهو يعالج موضوعه من مختلف الزوايا, فيغطي طبيعة المجتمع الذي أنتج الميول العسكرية والصور الموجهة للاحتياج إلى الحرب رأي فيها من المجد في تجنيد الرجال وحشدهم في ميدان القتال وأهداف الأشخاص كأفراد ودورهم واستخدام الدعاية التبريرية التالية للأحداث .ومن الاحتمالات الكبيرة تفسخ المجتمع الأمريكي،خاصة في ظل عدة عوامل مشجعة على هذا التفسخ مثل التغيير الذي طرأ على حجم الهجرة إلى الولايات المتحدة والمصادر الجديدة لهذه الهجرة (خصوصاً من الدول الشيوعية السابقة وتعاظم الاتجاه نحو التعددية الثقافية في المجتمع وعناصرالاهتزاز ومظاهر ازدياد معارضة الأمريكيين للسلطة الفيدرالية التي تشكل رمز هذه الهوية. وتقديرات مكتب الإحصاء الأمريكي تقول أن نسبة تعداد الأمريكيين البيض تنخفض من ثلاثة أرباع السكان إلى نصف السكان. وسيتوزع النصف الآخر إلى 25 % من ذوي الأصول اللاتينية و14 % من السود و80 % من الآسيويين مع مهاجري جزر المحيط الهادي. وهذا التغير يحمل معه تغييراً في الخريطة الدينية الأمريكية، خصوصاً أن المسلمين يتزايدون بكثرة. ومع هذا التغيير الديموغرافي والديني هناك تغيير في مواقف المهاجرين الجدد. فهؤلاء كانوا يشعرون بالتمييز عندما لا تتاح لهم فرص التكامل في المجتمع الأمريكي، لكنهم باتوا يحسّون بالتمييز عندما لا يسمح لهم بالاحتفاظ بخصوصيتهم بعيداً عن التيار العام للمجتمع. ومن عوامل التفسخ والتي برزت عقب انتهاء الحرب الباردة وهي تعاظم الميل نحو التعددية الثقافية، حتى أنه يسجل أن إيديولوجيات هذه التعددية تنكر أو تستنكر عملية الاستيعاب الثقافي للمهاجرين الجدد، كما تنكر أصلاً وجود ثقافة مشتركة (أي أنها ترفض الهوية الأمريكية) وهي ترغب في تكوين ثقافات فرعية متميّزة عن التيار العام طبقاً لتميّزها العنصري أو العرقي. والرئيس كلينتون كان أول رئيس أمريكي يشجع التنوع والاختلاف بدلاً من تدعيم الوحدة الثقافية للبلاد كما فعل أسلافه.

انطلاقاً من هذه النقاط يوضح هنتنجتون أهمية وحجم التحولات الراهنة وتهديداتها متعددة الصعد، للهوية الأمريكية، ودور هذه التحولات في التغيرات التي ستطرأ على تعريفات المصالح القومية الأمريكية في المستقبل المنظور.

لكن القرن لن تحدث فيه حروب طويلة الازمان مثلما كان يحدث في الماضي كحرب المائة عام التي دامت في الحقيقة وبشكل متقطع فيما بين عام١٣٣٧ و١٤٥٣ كانت

صراعا بين الملوك الإنجليز والفرنسيين.أو حتى مدد أقصر كحرب العراق وإيران,لكنها قد تكون حروب متقطعة الأزمان.هذا مرجعه الرئيسي وجود قوانين ومواثيق دولية وأسلحة أحدث. مباركة هي تلك العصور التي لم تكن تعرف ضراوة أدوات المدفعية الشيطانية التي أثق أن مخترعها يشوي الآن في الجحيم لكي يتلقى جزاء اختراعه الذي يعد سببا في أن يتمكن جبان من القضاء على حياة أشجع البشر وأكثر تمسك بالقيم الإنسانية. إنه سبب في أن يحدث وسط ذلك العنفوان والعزم الشديد الذي يلهب قلوب الجسورين ويدفعهم فيحدث أن تأتي طلقة طائشة يكون قد أطلقها شخص هارب أخافه لسان اللهب الذي يخرج من سلاحه فلا يعرف أحد من أين تجيء؟ لقد حول الصهاينة الديانة اليهودية واليهود إلى لعبة في اللعبة التي تم إقحامهم فيها، فشاع الكره لكل اليهود في أوروبا وأمريكا والعالم كله. كل هذا بسبب مجموعة تم إقحامها في لعبة فبدلا من العودة والخروج من المأزق ازدادت سوء فاحتلوا بلد آمن هو فلسطين ويسوقون بلد كبير إلى الهاوية هو الولايات المتحدة. سوف يكرههم الأمريكان أنفسهم والأوربيون والشرقيون بالطبع. إنهم في حرب بلا هوادة مع العالم.عندما يمكثون في مكان سرعان ما تنفجر المشكلات والصراعات في أوروبا وألمانيا وروسيا والشرق العربي والنتيجة حتمية هجرتهم ورحيلهم من مكان لآخر. لماذا لا ينظرون للعالم مثل المسلمين والمسيحيين اللذين يتعايشون في سلم وآمن في كل بقاع العالم؟ للأسف يوقعون بينهم وهم لا يدركون أنهم يعرضون ديانة سماوية للانقراض. ادعوهم للتعايش السمي في داخل أنفسهم ومع باقي البشر وإنهاء لعبة ما تسمي بإسرائيل التي ستكون سبب اختفاءهم بعد اختفائها من العالم. بالطبع هناك يهود يجلون الناس ويرفضون ما يحدث لأنفسهم ولإخوانهم من اليهود، ولا أمل إلا في هؤلاء من إنقاذ أنفسهم وإيقاظ الآخرين قبل فوات الأوان باختفاء الجميع أو حرب عالمية عاتية.

كما استخدام التبرير الديني للحرب خاصة في الحروب والصراعات غير النظامية ,رغم أني أري أنه لا يوجد في الحرب شيء جميل, كما اعترف بحماقة استخدام فكرة الحرب الدينية. وجملة الحرب العادلة في كل العصور وخاصة عصر تتزايد فيه التكنولوجيا والمعلوماتية أمر غير صحيح فهي قد تعيد الطرف الذي يرفض التفاوض أو يعتدي على حقوق غيره.ومع ما تحمله من تضمينات دينية هي تبريرية أري أنها قد تكون ضرورية ليكون الحق في نصابه ,لكن وفق القوانين والمواثيق والأعراف والقيم.

وفيما يتعلق بالحرب الشاملة نجد أن قاطرة التغير التاريخي انطلقت بكامل سرعتهاعام ١٩١٤ بالنسبة لكل من الحرب العالمية الأولي والدعاية لها.غير أن الحرب التي بدأت بالرقص في شوارع عواصم أوروبا انتهت بعد ذلك بأربع سنوات بالهدنة التي وقعت في غابة كومبي. وسط صنوف من الأحزان والفواجع وتبادل الاتهامات . لقد كانت حربا بدأت

بجيوش المتطوعة التقليدية ثم انتهت. وقد لجأت جميع الدول المتحاربة إلى فرض التجنيد الإجباري ;وشهدت انهيار أربع إمبراطوريات أوروبية,هي الروسية والأ لمانية والنمساوية و المجرية والعثمانية ;كما شهدت تأسيس دول عدة جديدة مستقلة مثل رومانيا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وهي الدول التي قدر لها أن تكون غرسا لبذور الصراع التالي.

كما شهدت الحرب العالمية الثانية أكبر المعارك الدعائية في تاريخ الحروب فطوال ست سنوات استخدم جميع الأطراف المشاركة في الحرب الدعاية على نطاق تتضاءل بالمقارنة معه جميع الصراعات الأخرى في ذلك الحرب العالمية الأولى نفسها وثمة أسباب عدة لذلك . ففي المقام الأول كانت هذه حربا بين أمم بكاملها وزادت في هذه الصفة حتى على ما شهدته الأعوام من ١٩١٤ إلى ١٩١٨. وفي الدول الشمولية كان القهر قد حل محل الشورى في العمليات السياسية وكانت

الديموقراطية قد تفكك بنيانها وأخضعت كتل الجماهير لإرادة أنظمة الحزب الواحد . ومن جوانب عدة كانت الحرب فيما بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ معركة بين نوع. من الأنظمة السياسية يتصارعان في سبيل السيادة فيما بينهما وفي معركة من أجل المستقبل.ولقد تطورت وظهرت كل من الديمقراطية والمدنية والديكتاتورية الشمولية من طيات أعماق الحرب العالمية الأولى ,وجاء عام ١٩٣٩ ليكون شهادة على

استحالة أن يوائم كل منهما الآخر وأعقب ذلك نشوب صراع بين مجتمعات جماهيرية حرب بين أيديولوجيات سياسية.

وأخطر ما يواجه العالم دعم المخابرات الدولية للتيارات الدينة في أي دولة أو إقليم فلا يهم أمريكا –كمثال- دعم الإسلام، فهذا آخر ما تريده أمريكا، بل من إدراك مخابراتها، وعبر تجارب ودراسات طويلة بأن التيارات الدينية بطبيعتها وتكوينها تقوم على التشرذم والشرذمة، فهي تتشرذم ذاتيا بحكم تفسيرها لما هو غيبي وقابل للتفسيرات المتناقضة تماما مثلما تنقسم الخلايا السرطانية، وهي قابلة التشرذم في المجتمع بحكم كونها تفتي وتحكم باسم الله، الأمر الذي يجعلها واقعيا وفعليا عبارة عن خلايا سرطانية وليس خلايا عادية تولد وبلا أي توقف الانقسامات الدورية غير المنضبطة ولا تسمح بإيقاف دوران عجلة التقسيم أبدا حتى لو وصلت في قلبها وهو ما يحدث لها فيما بعد ! لذلك فإن الهدف من دعم وصول إسلاميين للسلطة هو توظيف إمساكهم بالسلطة لخدمة أهداف معينة.

ومن أهم أدوات العصر الشائعات وتختصر تقليدياً إلى مجموعتين من العوامل وهما 1- الأهمية.2- الغموض.

هذا وتصنف الشائعة بحسب السيكولوجيين وفق معايير تصنيف مختلفة ومن أهم أصناف الشائعات نذكر :

أ- الشائعة البطيئة : وهي تنتشر بصورة بطيئة ولكن على مدى زمني أوسع.
ب- الشائعة الاندفاعية : وهي تنتشر بسرعة فائقة لاعتمادها على إثارة انفعالات قوية.
ج- شائعات الأماني: ويتقبلها الجمهور دون تحري صحتها لأنّها تستجيب لأمانيه.
د- شائعات المشاعر السلبية : من خوف وكراهية ورغبة في الانتقام.
هـ شائعة البعبع : وهي شائعة تثير الهلع عند الجمهور ولا تترك له فرصة تحري صدقيتها.
و-الشائعة العنصرية : وتعتمد في انتشارها على المواقف العنصرية المسبقة.
ز-الشائعة الغاطسة : وهي شائعة تروج لمدة ثم تغطس لتعود فتطفوا إلى السطح من جديد في الوقت المناسب.

وبالانتقال إلى الشائعة الحديثة نجد أنها تتمتع بالمواصفات التالية :

أ- إنّها تعتمد على عبارة نوعية (وليس على أحداث) تتجلى بمصطلحات يتم إطلاقها عبر وسائل الاتصال المتطورة حتى تثير أكبر قدر مُمكن من الجدال والتفسيرات المتضاربة المؤدية لزيادة انتشارها لغاية التعميم.

ب- أن الغموض الذي يلف عالم ما بعد الحرب الباردة يخلق أجواء مناسبة لإطلاق الشائعات المرتبطة بالفوضى الناجمة عن نِهاية هذه الحرب.

ج- أن أية شائعة تتعلق بترتيب أوضاع العالم الجديد تملك أهمية تدعم انتشارها لكن عصر المعلومات يحد من غموض الشائعة لأنه يسهل الحصول على المعلومات التي تزيل هذا الغموض فتؤكد الصدق أو تنفيه لذلك فإن الشائعة الحديثة تستغل الفوضى العالمية لتكتسب أهمية فائقة ولتثير الانفعالات وتتجنب أزمة افتضاح الغموض بلجوئها للطروحات المستقبلية التي لا يمكن الحكم على صدقيتها إلا بانتظار ما سيأتي به المستقبل.ولما كانت المستقبليات تعتمد مبدأ الاستقراء التاريخ وتستمد منه طروحاتِها فإنه من الطبيعي أن تكون الشائعات المستقبلية مستندة إلى هذا الاستقراء وبالتالي فإنّها غالباً ما تكون غاطسة. فمصطلح النظام العالمي الجديد مجرد شائعة ومغالطة فهة ليس نظاماً ولا عالمياً ولا جديداً وهذا يعني أنه مجرد شائعة منطلقة من عبارة نوعية.و هذه الشائعة من نوع الشائعات الغاطسة ولتبيان ذلك يكفي أن نتذكر أحلام سيادة العالم لدى الأباطرة القدماء والجدد وأن نتذكر مصطلحات مثل "المملكة التي لا تغيب عنها الشمس" وأوهام ظهور أشخاص يسودون العالم كمثل السيد في رواية "1984" لجورج اورويل ... الخ. وإذا كنا في مجال القراءة السيكولوجية لهذا المصطلح فإننا نتسائل عن وجود دوافع عاطفية كامنة خلف صياغته. فقد أطلق المكتشفون على القارة الأمريكية تسمية الأرض الجديدة أو العالم الجديد فهل لهذه التسمية حصة دلالية في المصطلح كي تمكننا ترجمته إلى "النظام الأمريكي" ؟. وقراءتنا لهذا المصطلح على أنه شائعة لا تكتمل إلا بطرح احتمالات الفائدة المرجوة من إطلاقها. وهي احتمالات غير خفية ومناقشتها

باتت معلنة. حتى يمكن القول بأنها باتت عبئاً على الولايات المتحدة نفسها. حيث نلاحظ تراجع الإدارة الأمريكية عن هذه الشائعة عبر عودتها إلى سياسة الأحلاف وتدعيمها لحف الأطلسي وتأكيدها على توريط أعضائه. وأيضاً عبر العمل على عولمته ليضم أوستراليا وبعض الدول الآسيوية بحيث تصبح تسميته بالأطلسي تسمية تحتاج للمراجعة. حيث تصح تسميته بالحلف الأميركي (أو حلف العالم الجديد) وإذا كان مصطلح النظام يعني مسؤولية أيجاد قوانين تنظم العالم فإن مصطلح حلف أخف وطأة كونه يعني اتفاق أصحاب مصالح مشتركة وإبقاء منافسيهم خارج الاتفاق. أما بالنسبة للصين فإن انغلاقها التاريخي على ذاتها يؤمن الغموض لأية شائعة تطلق حولَها وشائعة الصدام معها تعود في العصر الحديث إلى نابليون الذي حذر من إيقاظ المارد الصيني وإلى الفيلسوف الفرنسي أوغسطين كورنو الذي رشحها قطباً مواجهاً للولايات المتحدة خلال القرن العشرين (جاء الترشيح في العام 1861). ثم جاءت تسمية مارك آرثر للصين بالخطر الأصفر وتم تداول هذا التعبير على ألسنة رؤساء ومسؤولين أمريكيين طيلة عقود ثم جاء هنتنجتون ليطفو بهذه الشائعة إلى السطح. منطلقاً من حيوية وضرورة إيجاد عدوْ للولايات المتحدة. وبناء عليه فإن حلف العالم الجديد لن يجد نفسه في صراع مع الإسلام. وبالتالي مع منطقة الشرق الأوسط. الأمر الذي يسمح له بمراجعة عقلانية لأوضاع المنطقة ولتاريخ علاقات دولها بالولايات المتحدة وبالغرب إجمالاً. خصوصاً بعد العودة إلى سياسة الأحلاف. إن سيناريو تحويل الشرق الأوسط إلى جنة متكفلة برعاية المصالح الأمريكية هو أقرب للسذاجة من للخيال. لكن هذه الكفالة لا تلغي قائمة من الأسئلة المصيرية بالنسبة لمستقبل المصالح الأمريكية في المنطقة وفي طليعتها. وليس إمام أمريكا في المنطقة العربية وسوي التخلص من أعباء المعونات المقدمة لإسرائيل والتي لَم تعد مبررة استراتيجياً. وتسوية الصراع العربي – الإسرائيلي هي أكثر الحلول وجاهة. كما تعمل أمريكا على التحكم في تناقضات المنطقة وملكية خيوطها التي تسمح بقلب الطاولة على أي نظام أو توازن يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة.

وإيجاد منافذ لتأمين الانفتاح الإيراني على الحلف الأمريكي وتعويض مشاعر الخسارة الناجمة عن عاصفة الصحراء وهو ما نره بسماح أمريكا بنهضة جيدة في دول الخليج العربي. إن التناقضات بين دول حلف الناتو تجعله قابلاً للانفجار في أية أزمة مفصلية. خصوصاً وأنها تجمع بين التناقض العرقي والديني والمذهبي والثقافي واللغوي. وقبل هذه الأسباب، وكثيرة غيرها.

من هنا لابد لنا من وجود مؤسسات دينية كبيرة تتبني الإسلام الوسطي مثلما في مصر فكر الأزهر،غير ذلك سنفاجأ بخصخصة الدين وتفتيته لجماعات كل جماعة لها مؤسس

وكتب وقواعد بعيد عن الإسلام وسنفاجأ بوجود جماعات عالمية بعيدة تماما عن الإسلام أما بفكر متشدد أو بفكر مغاير للإسلام الصحيح.

وعموماً على اتساع خمس قارات خلال سنوات القرن سوف ينشب صراع لا نهاية له بين العنف وبين الإقناع , من هنا سيكون السبيل المشرف هو رهن حوار مؤداه أن الكلمات أقوى من الطلقات. ولكن هل يصل الخلاف الأمريكي – الإسرائيلي إلى حدود التصادم في يوم ما ؟ ممكن خاصة بعد أن وصل هذا الخلاف إلى حدود تضارب المصالح والصراع الخفي. أما أن يتحول إلى صدام فهذا أمر مستبعد فاليهود أحسنوا عبر تاريخهم المتقطع تجنب مصادمة الأقوياء. كما أحسنوا الهروب من أية مواجهة من هذا النوع. لكنهم أتقنوا في المقابل التخطيط طويل الأمد لاحتواء أعدائهم وتأجيج صراعهم مع الغير. ويبدو أن محاولات احتواء اليهود للولايات المتحدة قد بدأت منذ فترة ليست بالقصيرة. وهو ما يساهم بالتعجيل في انهيار أمريكا وإسرائيل.ولكن كيف؟ ومتي؟ أسئلة اترك اجابتها للساسة والمخططيهم والمنظرين المحترفين.

استراتيجيات التدمير والتقويض

إن الصراع العالمي ضد التطرف العنيف هو على الأغلب تهديد أكثرمن خطير وهو ما تواجهه البشرية جميعاً, وبعض الدول تضع له خطط واستراتيجيات فما تفعله الولايات المتحدة هو نموذج تؤكده الولايات الأمريكية بأنها تواجه خطر الإرهاب حتى 2020 على الأقل بحجة أن التفوق الأمريكي في القتال الحربي التقليدي أجبر الخصوم على تجنب المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة .

فقد أقرَّ تقرير استعراض الدفاع ٢٠١٠ (QDR) ٢٠٠٦ - ٢٠٠٦ (بأن الحرب غيرالنظامية (IW أصبحت للخصوم"حرب الاختيار."فهم يستخدمون استراتيجية التدمير والتقويض النفسي والاقتصادي والطبيعي، سياسة الاستنزاف، لتقليص وإضعاف القدرة الوطنية، النفوذ، وإرادة الولايات المتحدة وشركائها الاستراتيجيين.

يحاربونها من بين الناس في صرا ع مطول لاستقطاب الدعم الشعبي والشرعية، ولتقييد فوائد الاستخدام التقليدي لقوتها العسكرية. ويؤكد التقرير أن خصوم الولايات المتحدة غير تقليديين ,لذلك يجب أن يكون المفهوم لهزيمتهم غيرتقليدي . فالأمريكان لا يستطيعون أن يهزموا خصومهم بالقوة فقط؛ يسخِّرون مزيج من المفاهيم السياسية، المعلوماتية، الاقتصادية، العسكرية، والثقافية-الاجتماعية؛ بتوحيد الجهود مع الحكومات وقوات الأمن الأجنبية، والسكان.

التطرف العنيف ليس الخطرالوحيد .لأن خطر الحرب بين الدول لم تنته .فالولايات المتحدة تُبقي هيمنتها في قدرات خوض الحرب بين الدول لكي تَردَع، وأن تربح مثل هذه الحروب إن كان ذلك ضروري. على أية حال، قد تغيَّرت خواص الحرب بين الدول . فإعلان الشرق الأوسط الكبير والمترامي الأطراف هو الشرق المسلم الممتد حتى حدود الصين ومعها الجمهوريات الإسلامية السوفياتية السابقة. أما عن شمال أفريقيا فهي منطقة تضم الى هذا الشرق في ظل تفاهم أمريكي - أوروبي وتفصل عنه في غياب هذا التفاهم. وعليه يجب توقع إرتباط ضم الشمال الأفريقي للشرق الأوسط ببورصة العقات الأوروبية الأمريكية.

هذه القراءة سوف تجعلنا ندرك أن تغيير خارطة المنطقة وتعريف الشرق الأوسط ومعهما التهم التي تساق للدول خاصة الدول العربية والاسلامية في تقرير بارد وغيره هي تهم معدة سلفاً ولا علاقة لها لا بالإرهاب ولا بحوادث 11 سبتمبر. ومن طبيعة الأشياء أن يقوم المنتصر في حرب عالمية بإعادة ترتيب جغرافية العالم بما يظن أنه يخدم مصالحه. وهكذا حدث في الحربين العالميتين وهذا ما نشهده يحدث بعد نهاية الحرب الباردة. وهذا يعكس التغيير العميق في دلالات المصطلحات الجغرافية الطابع. فكلمة "روسيا " كانت تعني أثناء الحرب الباردة الإتحاد السوفيتي بجمهورياته. أما الآن فإنها تعني

الجمهورية الروسية بحدودها الضيقة نسبياً مقارنة بمساحة الاتحاد السوفيتي طبعاً. والحروب لا تكتفي بإعطاء دلالات جديدة للأسماء أو المصطلحات القديمة بل إنها تولد أسماء جديدة (مثل جمهورية البوسنة -الهرسك) ومصطلحات جديدة مثل النظام العالمي الجديد. وهذه الأسماء والمصطلحات الجديدة تمتاز بقابلية دلالاتها للتغيير طيلة فترة الفوضى التي تعقب نهاية الحروب ولغاية إقرار توازن جديد يميز مرحلة ما بعد الحرب. فالفوضى السياسية والاجتماعية ومعها فوضى المصطلحات لا تنتهي بانتهاء الحرب التي تخلف دولاً تلملم جراحها وتجهد لاستعادة توازنها أو لإقامة توازن جديد يلائم عالم ما بعد الحرب. بل هي تنتهي بعد إرساء استقرار جديد. الفوضى المتعددة الصعد كان لا بد للولايات المتحدة من إيجاد صيغ تكتيكية للتعامل مع الواقع الجديد. وهي قد أجادت في وضع هذه الصيغ لكنها افتقدت فجأة للرؤية الاستراتيجية الطويلة الأمد لمصالحها ولدورها في العالم. وفقدان هذه الرؤية يجعل من مصطلح "النظام العالمي الجديد" عبارة بدون مضمون. بل أنّ هذا المصطلح يكاد يتطابق مع مصطلح سابق له تاريخياً وهو مصطلح الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي لم تكن لا إمبراطورية ولا رومانية ولا مقدسة،حيث نجد عالَمَ ما بعد الحرب الباردة مزروعاً بالنِّزاعات والحروب. والولايات المتحدة لم تكن مجرد متفرج في هذه النّزاعات أو مجرد متدخلٍ (أو حتى طرف) لِحلّها. وتآكل المصالح الأمريكية عن إمكانية حدوث مثل هذا الإنفجار لو كان للولايات عدواً ما ؟! حيث استحالة توجيه المصالح الأميركية (وضع استراتيجية متماسكة) في غياب العدو. مِمّا يعني ضمناً غياب مثل هذه الإستراتيجية المتماسكة وعلاج كل حالة بحالتها. وتردّدت تُهمة الغياب هذه على لسان المستقبلي الفرنسي جاك آتالي إذ قال إن إدارة كلينتون تريد أن تفرض حلولاً مؤقتة ومتخيلة لا ترتكز إلى رؤية استراتيجية متماسكة وفي الإتجاه عينه قال غور فيدال بأن إدارة كلينتون تتجنب إتخاذ خيارات واضحة أو تقديم رؤية كلية متماسكة. وحول هذا الإطار تتوالى الإنتقادات للسياسة الأمريكية من داخل الولايات المتحدة وخارجها. والصيغة التكتيكية التي اعتمدتها أمريكا هي تصدير الفوضى إلى العالم حتى لا تتفجر من الداخل وهو ما اراه هروب مؤقت بدل تقديم حلول حقيقية وجزرية. ومن الخطأ تجاهل الخوف الأمريكي من الفوضى الداخلية خصوصاً بعد أن نعرف بأن الحكومة الفيدرالية تنفق ستة مليارات دولار سنوياً لمكافحة الإرهاب الداخلي. وهو ضعف المبلغ الذي وفرته من خفضها للمعونات الخارجية بعد انتهاء الحرب الباردة. إذ تدنت هذه المعونات من اثنَي عشر مليار دولار إلى تسعة مليارات دولار سنوياً. وتتابع الولايات المتحدة إثارة مشاكل الأقليات في منطقة الشرق العربي —كمثال- فتقضي بذلك على توازنها الديموغرافي الراهن

بما ينْزع عن المنطقة طابعها العربي. فتصبح قادرة على استيعاب إلحاقات جيوسياسية تمهد الطريق أمام شرق أوسطية ممتدة وغير قادرة على رفض عضوية إسرائيل.

الحرب غير النظامية والحرب التقليدية تندمجان لتشكلان نماذجاً جديدة من الحرب الهجينة، كما إن الدول العدوة المحتملة ترغب على الأرجح في إمتلاك الأسلحة الكيمياوية، الجرثومية، الإشعاعية، والنووية (CBRN) ووسائل نقلها؛ القابليات المتطورة ضد الدخول والحصول على المعلومات من الشبكة المعلوماتية؛ القابليات الهامة الغير إعتيادية للتصعيد الأفقي؛ وتعبئة الجماهير لمقاومة التدخل العسكري الأمريكي.

الحرب المستقبلية بين الدول ستكون على الأرجح نوعاً من الحرب الهجينة أكثر مما تشبه الحرب التقليدية التي تستعد لها القوات التقليدية المسلحة .هل تتدخل الولايات المتحدة في مثل هذه الحالات. ستحتاج القوات المسلحة على الأغلب إلى قابليات متينة للحرب غير النظامية لكي تستطيع شن الحرب الهجينة من وسط مناطق معادية السكان. ووصلت القيادة العليا في وزارة الدفاع (DoD) إلى ما يلي فيما يتعلق بالحرب غير النظامية :

1- لقد نُظِّمت القوات العسكرية الأمريكية ودُرِّبت وعلِّمت وجهِّزت من أجل الحرب التقليدية، وبقيت هذه القابليات ضرورية للردع وخوض الحروب التقليدية.

2- القوات العسكرية الأمريكية لم تُنظَّم وتُدرَّب وتُعلَّم أوتجهَّز لحرب غير نظامية مطولة على المستوى العالمي.

3- كان إستثمار وزارة الدفاع (DoD) غير كافي لقوات الأغراض العامة (GPF) وقوات العمليات الخاصة (SOF) والقدرات للحرب غير النظامية المطولة. وبينت القيادة العليا في وزارة الدفاع (DoD) عدم معرفتها ما كانت عليه الحرب غير النظامية، لكنها تعرف ما تحتاج إليه وزارة الدفاع بصورة حاسمة من القابليات والقدرات الكبيرة للقتال في الصراعات الحالية والمستقبلية والإنتصار فيها. الحرب غير النظامية هي صراع عنيف بين الممثلين الرسميين والغيررسميين من أجلال الشرعية والنفوذ على السكان المعنيين.تُفضِّل الحرب غير النظامية المفاهيم اللا متناظرة والغيرمباشرة، مع ذلك فإنها قد تستخدم المدى الكامل للقدرات

العسكرية وغيرها،من أجلإضعاف وتآكل قوة وتأثير وإرادة الخصم .بدأت وزارة الدفاع في ديسمبر ٢٠٠٥ برسم خارطة مسار تنفيذ الحرب غيرالنظامية لإدراجها في تقرير إستعراض الدفاع ٢٠٠٦ .(غرض هذه الخارطة كان لتسهيل تنفيذ القرارات السياسة لتقرير إستعراض الدفاع ٢٠٠٦ المتعلقة بالحرب غير النظامية. كانت خارطة المسار لتنفيذ الحرب غيرالنظامية واسطة نقل مؤقتة غرضها تمكين إنتقال ناجح من تقرير استعراض

الدفاع ٢٠٠٦ إلى منهج التخطيط التنفيذي مع التركيز على المدى القريب لبرنامج ميزانية الدفاع للسنوات المالية ٢٠٠٨ - ٢٠١٣. وتنفيذ الحرب غير النظامية يتم بواسطة ٢٨ مهمة نُظمت في ٥ مبادرات رئيسية لتطوير قابليات وقدرات الحرب غير النظامية ضمن وزارة الدفاع (المبادرات الرئيسية الخمس هى :1- تحويل الطريقة التي يدير بها موظفو وزارة الدفاع العسكريين والمدنيين لتلبية المتطلبات العملياتية للحرب غير النظامية

أولوية أولى، والتي تستلزم تغيير الطريقة التي تتبعها صنوف القوات العسكرية في التميز، الدخول الى المعلومات، التعليم، التدريب،التطوير، الإستخدام، وإبقاء أفرادها ملين بالخبرة المتعلقة بالحرب غيرالنظامية؛ وزيادة فرص موظفيوزارة الدفاع للحصول، وإدامة،وتحسين مهارات اللغات وفهم الثقافات الأجنبية.

2- إعادة التوازن لكفاءة وقدرات قوات الأغراض العامة لإدارة عمليات مكافحة التمرد الطويلة الأجل ومكافحة الإرهاب ,التدريب، التجهيز، وتعليم الأعداد الكبيرة من قوات الأمن الأجنبية؛وتبنى تطوير المجتمع المدني والحكم الفعال في المناطق الغير محكومة والمحكومة بصورة غير كافية. 3- زيادة كفاءة وقدرات قوات العمليات الخاصة في المهمتين المحددتين ولتلبية متطلبات قوات العمليات الخاصة في النقل الجوي.

4- زيادة كفاءة وقدرات وزارة الدفاع لإدارة العمليات المضادة للشبكات المعلوماتية، التي تستلزم تمييز، إيجاد، تعيين مواقع،تشخيص، تشويش، وتعطيل الخلايا المتطرفة، شبكات المعلومات،والأفراد؛ والتنبؤ بسلوكهم العملياتي.

5- إعادة تصميم تعليم صنوف القوات المسلحة والمشتركة والمدنيين والأفراد وتدريب الوحدات لإدارة ودعم الحرب غير النظامية. تَشمل خارطة المسار لتنفيذ الحرب غير النظامية قائمة" توضيحية" لفعاليات هذه الحرب .وهي قائمة مهمة، لأنها تخدم في تحديد مجال الحرب غيرالنظامية .وقد لاحظت الخارطة بأن الوكالات الحكومية (USG) لا تُدير فعاليات الإرهاب والنشاطات الإجرامية العالمية كمسألة من مسائل السياسة الوطنية للولايات المتحدة أو قانونها، وقد استمرت هذه القائمة لوقت طويل، وبإضافة الاتصالات الاستراتيجية، فإنها تبقى سليمة.

ووافقت قيادة القوات الخاصة الأمريكية وقيادة مشاة البحرية لتطوير القتال على تطوير "مفهوم صنوف القوات المسلحة المتعددة للحرب الغير نظامية "لوضع أساس فكري ثقافي لمفهوم مستقبلي مشترك للحرب غير النظامية. وتم التصديق على مفهوم صنوف القوات المسلحة المتعدِّدة في أغسطس ٢٠٠٦، بعد فترة قليلة من بدأ نفس الفريق العمل على كتابة مفهوم الإدارة المشتركة.

مفهوم الإدارة المشترك (JOC) للحرب غير النظامية يُحدِّد مشاكل القوة المشتركة التالية" :كيف يمكن الربط بين قادة يستخدمون قدرات عسكرية تقليدية وغير تقليدية في جهود مساندة الوكالات الحكومية المندمجة والشركاء المتعددي الجنسية لكسب أو إدامة السيطرة أو النفوذ على السكان المعنيين"؟. والفكرة المركزية لمفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية هى أن القوة المشتركة ستحل هذه المشكلة بتولي" تمديد فترة الحملات الإقليمية والعالمية بإستخدام المفاهيم غير المباشرة ضد الخصوم الحكوميين والغير حكوميين لتخريب، إكراه، إستنزاف، وإنهاك الخصوم بدلاً من هزيمتهم خلال مجابهة عسكرية تقليدية مباشرة .ستكون هذه الحملات موجهة من أجل السكان، وليست موجهة للخصم، وستؤكد على كسب دعم السكان المعنيين،تشجيع السلطة الصديقة، وتقويض وإستنزاف قوة الخصم، نفوذه، تأثيره،شرعيته، ودعمه.نلخص المقترحات التالية التفكير لوزارة الدفاع على الحرب غير النظامية كما اخذ من مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية وتم تهذيبه خلال أكثر من سنة بالإختبار العلمي:1- الحرب غير النظامية هى" شكل رئيسي وواسع الإنتشار من الحرب "يحدث في البيئات الغير مستقرة سياسياً بسبب النزاع الدائم بين السكان .الحرب غير النظامية ليست بيئة أو نوع من العمليات العسكرية.

2- إن الذي يجعل الحرب غير النظامية" غير نظامية "هو تركيز عملياتها -السكان المعنيين والغاية الإستراتيجية - لكسب أو إبقاء الشرعية والنفوذ وإسناد السكان المعنيين بواسطة الوسائل السياسية،النفسية، المعلوماتية، الإقتصادية، والعسكرية .الحرب التي عندهاالسكان" كمركز للعمليات "تتطلب عقلية مختلفة وقابليات مختلفة، عن الحرب التي تُركز على هزيمة الخصم عسكرياً .

3- أساس الحرب غير النظامية هو إهتمام وتركيز السكان المعنيين على طبيعة الصراع . جميع الأطراف تلتمس تقويض شرعية ومصداقيةخصومهم وعزلهم جسدياً ونفسياً عن السكان المعنيين .وفي نفس الوقت، ينشدون أيضاً أن يعززوا شرعيتهم الخاصة ومصداقيتهم مع نفس أولئك السكان .قد لا يكون الدعم الشعبي، بحد ذاته، ذو علاقة ببعض الإرهابيين والمتطرفين الآخرين الذين يجبرون السكان ببساطة على الخضوع والإذعان .على أية حال، إن التغلب على التحديات الغير نظامية يتطلب عادة كسب الشرعية والنفوذ، وضمان دعم السكان المعنيين،وليس هزيمة الخصم منذ البداية من خلال المجابهة العسكرية المباشرة. الحرب غير النظامية لا تعتمد على المهارة العسكرية العالية فقط، لكنها تعتمد أيضاً على فهم وإستغلال مثل هذه القوى الإجتماعية المحرِّكة كالسياسات العشائرية، الشبكات الإجتماعية، التأثير والنفوذ الديني،والأعراف والثقافة الإجتماعية.الناس، وليس الأجهزة والتكنولوجيا المتقدمة، هم المفتاح إلى الحرب غير

النظامية. 4- الحرب غير النظامية هي صراع سياسي بمكونات عنيفة وسلمية .إن إستعمال التعبير" عنيفة "بالأخص في التعريف كان قضية مثيرة للجدل، لأنه يُشير إلى طبيعة الصراع وليس إلى وصف العنف كطريق أساسي لشن هذا الصراع، فالحرب غير النظامية هي"سياسات بالأسلحة"، كما إن إستخدام التهديد أو العنف السياسي كأداة لتقويض الشرعية والتأثير على الخصم هو أحد الخصائص الحاسمة لهذه الحرب .إن الطبيعة العنيفة للصراع هي التي تعزل وتباعد الحرب غير النظامية عن العملية السياسية الطبيعية .وبسبب أن الحرب غير النظامية تحاول إيجاد الحلول السياسية أو تَدبير المشاكل السياسية المُستعصية، فيجب أن تكون القوى العسكرية دوماً في
دور الإسناد، حتى عندما تكون هي التي تُوفِّر أغلبية الموارد.

5- تمتد الحرب غير النظاميةإلى ما بعد المجال العسكري .فالحرب غيرالنظامية تَشنُّها الحكومات والسكان وليس القوات المسلحة فقط.

والتأثير على الحكومات الأجنبية والسكان نشاط معقد وفعالية سياسية متلازمة .لأن حملات الحرب غير النظامية ستفشل إذا شنَّت بالوسائل العسكرية وحدها .إن طبيعة الحرب غير النظامية تتطلب المنظمات الحكومية الأمريكية لإنجاز مستوى العمل الموحد الضروري لدمج وتوحيد كل وسائل القدرة الوطنية المتوفرة لمواجهة التهديدات غير النظامية. وتُطور المنظمات الحكومية الأمريكية مفاهيم " تسمي حكومة كاملة " لشن الحرب غير النظامية على المستويات السياسية، الإستراتيجية، العملياتية والتكتيكية .وعلى الوكالات المدنية الحكومية الأمريكية ذات العلاقة أن تبني قدراتها للعمل في البيئات الغير مستقرة أو العدائية.

6- الحرب غير النظامية هي من أجل شؤون الناس، وليس الأجهزةوالمنصات، ولا تعتمد هذه الحرب على مهاراتنا العسكرية العالية فقط، بل تعتمد أيضاً على فهمنا للقدرات الحركية الإجتماعية كالسياسة العشائرية، شبكات المعلومات الإجتماعية، التأثيرات الدينية، والأعراف الثقافية .إن الناس وليس الأجهزة والمنصات والتكنولوجيا المتقدمة،هم المفتاح لنجاح الحرب غير النظامية - الناس الصبورين، المثابرين،والأذكياء ثقافياً هم من يستطيعوا بناء العلاقات الطويلة المدى الضرورية لتنفيذ وإنجاز الحرب غير النظامية.

7- شن الحرب غير النظامية الطويلة المدى يعتمد على بناء قابليات وقدرات عالمية .إن هذه الحرب سوف لن تُربح بواسطة الولايات المتحدة وحدها، بل منقبل ومع ومن خلال الجهود المشتركة لشركائها الإستراتيجيين .وهذه ستتطلب القوة المشتركة لتأسيس الحضورالثابت الطويل المدى في البلدان العديدة لبناء قابليات وقدرات الشركاءالضرورية لمَدي الوصول العملياتي الأمريكي، مضاعفة القوات المتوفرة، وزيادة الخيارات لهزيمة من

تراهم خصومها. ويتميز مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية بأربع أفكار مساندة تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في إنجاز الفكرة المركزية لمفهوم الإدارة المشترك.

8- تأسيس الحضور الدائم للحرب غير النظامية .فالقوة المشتركة ستحتاج إلى حضور عالمي دائم لفهم والتأثير على البيئة العملياتية والخصوم، كذلك لبناء قدرات الشريك على الحرب غير النظامية" .إن الإنتشار الدوري القصير المدى في الدول تحت الخطر سيكون مفهوماً ناقصاً للحرب غير النظامية لأن تأثيرات هذا الإنتشار ستتحرك بسرعة في الإتجاه المعاكس بواسطة إجراءات الخصم المضادة وبالقصور الذاتي الإعتيادي في الدولة الضعيفة والفاشلة"

9- تأسيس وإدامة العلاقات الشخصية لدعم الحرب غير النظامية".قدرة القوة المشتركة لإدارة الحرب غير النظامية بنجاح تعتمدعلى قدرتها في توفير إستمرارية الجهود على الفترات الطويلة الأمد.ستعتمد إستمرارية الجهود هذه على قدرة أعضاء القوة المشتركة في تأسيس وإدامة العلاقات الشخصية الطويلة المدى مع نظرائهم في المهمات الأمريكية ذات العلاقة وضمن الحكومات الأجنبية، السلطات السياسية التقليدية، وقوات الأمن."

10- توسيع دور قوات الأغراض العامة لدعم وتنفيذ مهمات الحرب غير النظامية . ستتطلب حملات الحرب غير النظامية على نحو متزايد قوات الأغراض العامة لأداء المهمات التي ينظر إليها بالأساس في السنوات الثلاثين الماضية كمهمات لقوات العمليات الخاصة .إن إعادة موازنة قوات الأغراض العامة لتولي مهمات مكافحة التمرد ومهمات الإرهاب المضاد وبناء قابليات وقدرات قوات الأمن الأجنبية سيؤدي إلى" تمديد الوصول العملياتي للقوة المشتركة وتحسين تعددية إستخدام قوات الأغراض العامة ضد الخصوم الذين يَختارون محاربة قوات الأغراض العامة بإستخدام هجين من القابليات التقليدية، غير النظامية، المعرقلة والكارثية .بالإضافة إلى قتال الخصوم غير الحكوميين، وهنا تستعد قواتها للأغراض العامةعلى شن الحرب غير النظامية ضد خصوم الدولة الذين عبّأوا السكان لمقاومة ومعارضة التدخل العسكري الأمريكي.

11- خلق آليات قيادة وسيطرة بديلة لإدارة، وتوجيه وإسناد الحرب غير النظامية . تَتطلب الحرب غير النظامية قوة المهمات المشتركة لتولي الجهود المثابرة والدائمة وإستمرارها في العديد من البلدان الأجنبية؛التدريب،التجهيز،والإستشارةوالنصح لقوات الأمن الأجنبية؛ والتخطيط، التنسيق، التزامن، وتكامل هذه النشاطات العسكرية مع المهمات الأمريكية في أنحاء العالم" .إن العمل الحالي لقوة المهمات المشتركة في تقديم التقارير مباشرة إلى القادة مباشرة إلى قادة القيادات الجغرافية الموحدة لا يسهل أي من هذه الفعاليات الحاسمة المتعددة الجنسية وبين الوكالات .وزارة الدفاع ليس امامها غير تُأسس آليات قيادة وسيطرة بديلة لتولي وإسناد نشاطات الحرب غيرالنظامية عندما لا

يُحتاج إلى قوة المهمات المشتركة لتولي العمليات القتالية الرئيسية .يقترح مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية ثلاثة من مثل هذه الآليات:أ- توسيع مفهومقوة الوكالات المشتركة للمهمات يُستخدم اليوم للعمليات المضادة للمخدرات ليؤقلم الأوامر الثانوية الموحدة وقوة الوكالات المشتركة للمهمات مع مهمات الحرب غير النظامية. هذا الإقتراح "يعين الموظفين لمقرات القيادة التابعة للقيادات الإقليمية الثانوية الموحدة أو قوة الوكالات المشتركة للمهمات،وليس كقسم من مجموعة التنسيق بين الوكالات المشتركة، بل كأعضاء مكملين من مجموعة القيادة والأركان للمساعدة فيتزامن وتكامل النشاطات وعمليات العناصر الملحقة للوكالات الحكومية المشاركة ضمن مناطقهم العملياتية.

ب- تأسيس فرق المساعدة الإستشارية بين الوكالات على المستويات الحكومية الثانوية . هذا الإقتراح" يُعين الموظفين لفرق المساعدة الإستشارية بين الوكالات المُنظمة مع السلطات السياسية الإقليمية الثانوية مثال على ذلك الناحية القضا القضائية ضمن البلاد المُهدَّدة .هذه الفرق تتعاون مع السلطات السياسية المدعومة لمزامنة وإكمال نشاطات وعمليات الوكالات الحكومية مع السلطات المحلية المدعومة .تُقدم هذه الفرق التقارير إلى رئيس البعثات الأمريكية في البلاد أو إلى القائد العسكري الأمريكي في المنطقة المحتلة، حسب الحالة المعينة." ج- توسيع استخدام المجموعات العسكرية الأمريكية: وهذا الإقتراح يؤسس شبكة من الموضوعات العسكرية الأمريكية، تجاور أو في كل البلدان التي لها الأولوية، لإدارة ودعم نشاطات الحرب غير النظامية تحت التوجيه العملياتي لرؤساء البعثات الأمريكية المسؤولة عن تلك البلدان.

ستختلف هذه المجموعات العسكرية الأمريكية بشكل ملحوظ عن منظمات التعاون الأمني الحالية، فسيكون عندها بالإضافة إلى الإثنين والعشرين عنوان لوظائف المساعدة الأمنية، عشرة عناوين منها إضافية للسلطة مشابهة لتلك التي كانت عند الموعات العسكرية الأمريكية أثناء فترة حرب فيتنام وبضمنها السلطة لإدارة العمليات القتالية وإتخاذ الإجراءات للدعم الحربي الأمريكي ودعم الخدمات القتالية للوكالات الحكومية الأخرى وقوات الشريك الأمنية.

12- تخطيط وتحضير الحرب غير النظامية .عرف اللاعبون الحاجة إلى نوع مختلف من التخطيط، فترة التحضير والتقييم للحرب غيرالنظامية .كما عرفوا بأن الحرب غير النظامية هي شكل" فوضوي "من الحرب الذي لا يُضيف لنفسه صيغ نظيفة أو نتائج متوقعة .وقد كافح المشاركون في تمارين البحث عن الطريد من أجل إتخاذ النظرة الملائمة للمشكلة الظاهرة غير النظامية التي يواجهوها .إعتبر العديدمن المشاركين المدنيين عملية التخطيط منمقة وصارمة.وقدصرحوابأن الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بشكل خاص، لها عملية تخطيط أكثر ديناميكية، اشتقت من الطبيعة السياسية

والثقافية للعملية الوكالات، وهي تختلف في عملية التخطيط العسكري، العوامل لمزيد من الغموض وأهداف المدى الأطول لسنوات وليست شهور.

13- غموض الحرب غيرالنظامية.تحديات بناء حملات الحرب غيرالنظامية تُظهر بوضوح المضايقة والتشويش اللذان يتعرض لهما لاعبو قوات الأغراض العامة عندما يُجبرون مع ذلك الغموض المتأصل، على الصراع في الحرب غير النظامية .حين يوافق اللاعبون عموماً على أن الأفكار التي قدمت في مفهوم الإدارة المشترك للحرب غير النظامية كانت صحيحة ومركزية على تمارين الحرب المستقبلية، فهم يصارعون طبيعة هذا الشكل من الحرب،خصوصاًعندما لا يكونوا قادرين على تبيان الخطر المرتبط بمختلف المفاهيم غير المباشرة.

14- السكان كمركز للعمليات .أقرَّ المشاركون في تمارين البحث عن

الطريدة فكرة أن الحرب غير النظامية يجب أن تكون موجَّهة للسكان ولصالحهم وإن تلك النظرات التقليدية للحرب لا تلاءم هذه الفكرة بالكامل.

15- إستخدام المجموعات العسكرية الأمريكية لإدارة وإسنادالحرب غير النظامية . إستخدام المجموعات العسكرية الأمريكية كبديل لآليات القيادة والسيطرة للحرب غير النظامية كان الموضوع المُتكرِّر أثناء سلسلة تمارين الحرب- البحث عن الطريدة٢٠٠٧ و٢٠٠٨ . وافق المشاركون عموماً على أن إستخدام المجموعات العسكرية الأمريكية مع سلطات قانونية ومالية محسنة، له فوائد متميزة عن إستخدام القوات المشتركة عند إدارة أو إسناد نشاطات الحرب غير النظامية أثناء غياب العمليات القتالية الرئيسية.

16- الأهمية الكبرى للإتصالات الإستراتيجية في الحرب غير النظامية المُتَّجهة للسكان . تعتمد هذه النشاطات على البلورة المُبكرة للرواية المُقنعة التي يتجاوب معها كل السكان المعنيين، تشريع رسائل وأعمال الحرب غير النظامية الصديقة وتكذيب رسائل حرب الخصوم غير النظامية وأعمالهم في قلوب، وعقول، وروح السكان المعنيين.

إحدى أكثر الأفكار العميقة التي ظهرت أثناء تمارين الحرب- البحث عن الطريدة -كان مفهوم الرواية التي قدمها الدكتور مايكل فلاهوس من جامعة جونز هوبكنز .الرواية هي القصة التي يستخدمها طرف في صراع مسلح لتوضيح وتبرير رسائله وأعماله، كي تصبح شرعية وملائمة في قلوب، وعقول، وروح السكان المعنيين .ووفقاً للدكتور فلاهوس، فإن النجاح الإستراتيجي في الحرب غير النظامية يتطلب الرواية التي لا تُكذب وتُناقض روايات الخصوم فقط، ولكنها كذلك تقدم البديل الذي يُقنع على الأقل السكان المعنيين كروايات الخصوم .تصبح الرواية الأساس العاطفي، والثقافي، والروحي لكل سياسات، إستراتيجيات، حملات، وعمليات الحزب أو الطرف، ومن هذه الرواية يجب أن تتدفَّق كل الرسائل والأعمال التي تهدف إلى البقاء جاهزين للعمليات وتحقيق الرواية.

الحروب الشعبية واغتيال الأجيال

بتنا في عصر جاوزت فيه سرعة صاروخ كروز 16 ألف كلم / ساعة، وكما أن التقنيات العسكرية بدأت تنتقل في بحوثها إلى عملية نقل الأسلحة من القتل بالحرارة إلى القتل بالأشعة، وهذا يترتب عيله آثار كبيرة على مستوى التفاوت في القوة بين الدول التي تسمي بالعالم الثالث وما يسمى العالم المتقدم، فاستخدام الأشعة بدل الرصاصة والقذيفة والقنبلة في منتصف القرن ال21 يعني أن جميع الأسلحة التي لدينا لم تعد ذات جدوى رغم ما انفق عليها من مليارات ممليرة،انه في ظل هذا التقدم ستغدو الأسلحة المكدسة لدى جيوش العالم الثالث مثل ألعاب الأطفال بعد إن تصبح الأشعة هى السلاح الجديد أو حين استخدام ما بات يعرف بالقنبلة النيوترونية المخصصة لقتل البشر، فهي قادرة على قتل البشر في حين لا تحدث أي ضرر في البنايات والمنشآت العامة لدى انفجارها. أما إن تم الحديث عن حرب النجوم والتي يخال البعض لدينا أنها جزء من الترف العلمي وان لا علاقة لها عسكريا بما يحدث على الأرض فان الفجوة تتقدم اكثر فاكثر فاختراع وسائل الاتصال اللاسلكي وتقدمها عائد إلى الوصول إلى سطح القمر. وهذا يعني وجود رقابة شبه كاملة من قبل كبريات دول الغرب على كل أنواع الاتصال في العالم عبر مرورها بمصفاة في القمر الصناعي، وهذا الأمر هو ما دعا الولايات المتحدة الأمريكية عبر جناحي مخابراتها إلى التفكير في الاستغناء عن تجنيد العملاء مقابل هيمنة تكنولوجيا التنصت في عمليات التجسس، إلا إن أحداث 11 سبتمبر أثبتت انه مهما بلغت التكنولوجيا من تطور فإنها لن تستطيع التخلي أبدا عن دور الإنسان في عمليات التعقب والرصد، وهي المعادلة التي يعيها الصهاينة جيدا. وكل من يتجاهل دور التكنولوجيا في حسم الصراع هو شخص يعوم في بحر من الخيال ولكن هل هذا يعني أن المقاومة، أو الحرب الشعبية، أو حرب العصابات ستغدو أساليب تحت التحكم، قبل الحكم على ذلك لا بد من مراعاة بعض الملاحظات :

- في القرن الحادي والعشرين، احتلت الولايات المتحدة الأمريكية العراق بسرعة قياسية، تماما كما هو معتاد لدى الإمبراطوريات الكبرى، وبعد إعلان السحق الكامل للعدو من قبل عصبة البيت الأبيض، غرق الأمريكيون في مستنقع الحرب ضد مجهول، القتلى باتوا يسقطون بشكل يومي، الضرب في كل أنحاء الجسم المهاجم، الرعب حتى من القطط، ببساطة سقطت أسطورة الانتصار في بحر متلاطم من المجهول أو المخزون الشعبي،

- في القرن الحادي والعشرين، حدثت أحداث 11 سبتمبر، وعلى صعيد تكنولوجي فهي

-يحمل عدة معان : الاستغلال المعاكس للتكنولوجيا من قبل فئة من الشبان لم يشعروا بعجزهم تجاه التكنولوجيا حين نظروا في سماء الولايات المتحدة فوجدوا انه في

أية لحظة يطير في سماء الولايات المتحدة 5000 طائرة، يهبط في مطار شيكاغو على سبيل المثال طائرة كل 30 ثانية، كل ما راودهم هو كيف سيستغلون هذه التكنولوجيا في تحقيق أهدافهم، ونجحوا في ذلك، كما أن هذه الأحداث أثبتت فشل كل تكنولوجيا التجسس، لأنه بكل بساطة سلطة هذه التكنولوجيا على من يستعملها، أما إن وجد من أحجم عن استعمالها ولجأ إلى الطرق البدائية في الاتصال فانه يحيد بذلك كل هذه التكنولوجيا.

- هناك العديد من السائل البدائية المبتكرة أو التي يمكن ابتكارها عند الحاجة تضعف أو تبطل مفعول هذه التكنولوجيا الغرورة، فعلى سبيل المثال يذكر انه خلال الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان كانت دبابات المركفاه محصنة ضد قذائف أر بي جي حيث تصدر الدبابة إشعاعات تفجر هذه القذائف قبل انفجارها، ولكن عندما قامت المقاومة بطلاء القذيفة ب" الزفتة " لم تستطع هذه الأشعة إبطال مفعولها، وهذا مثال بسيط والتجارب الشعبية كثيرة ومتراكمة.

- تتمتع قوى المقاومة الشعبية بالقدرة على المباغتة والتخفي، إضافة إلى أنها لا تمتلك مواقع ثابتة تكون أهداف للعدو، كما أنها تملك من المرونة ما يكفي للتأقلم مع الظروف كافة. وعادة فان القوى الشعبية تقاتل على ترابها وهو ما يضفي إليها ميزة يفتقر إليها الخصم.

- إن وجود شعب يقاوم في ظل ابتعاد قوى المقاومة عن استخدم أنواع معينة من التكنولوجيا سيما على صعيد الاتصالات يحيد هذه التكنولوجيا بشكل كبير ويحجم من قدرة العدو في استعمالها سيما في ظل وضع دول يتحدث إلى حد ما عن حقوق الإنسان

- إن وجود التكنولوجيا يستدعي بالضرورة وجود قوى تعمل على إجراء أبحاث تبطل أو تضاد هذه التكنولوجيا، الصواريخ – صواريخ مضادة، الرادار – أجهزة تشويش، وهو ينطلق من انه لكل شيء مهما بلغت قوته نقطة ضعف.

- إن العنصر البشري سيبقى هو العنصر الحاسم في جميع الأحوال وعند تصارع الارادات فلا شيء يمكن أن يقف في وجه إرادة الشعوب.

كثير ما يمكن أن يقال في هذا الجانب فما هذه النقاط سوى مؤشرات قليلة، وهذا ما يفسر الحساسية البالغة التي تبديها دوائر السياسة الأمريكية عند الحديث عن ثورة، انتفاضة، حرب عصابات، حيث يتعرى في أذهانهم القوة التي لا يمكن لهم أن يجابهوها، والسلاح الذي يخشونه ولا يجدون إليه سبيلا. وعليه فان كل من يعتبر أن الحرب الشعبية هي سلاح من الماضي، وان المقاومة والتي توصف أسلحتها بالبدائية، وهي بالفعل كذلك قد فات أوانها عليه أن يراجع نفسه وينظر كيف تقاوم الشعوب في القرن الحادي والعشرين.

انتشار الإباحية كأيديولوجيا

أحيانا يرغم بعضنا على الدوران في فلك قضايا معينة، بينما على البعض أن يتجاهل قضايا أخري. فنسأل عن عدد مرات التعرض للإيذاء، ولكن ليس عدد مرات الإجهاض التي تمر بها امراة مثلا. نناقش الضغوط التي تنشأ عن توقعات الوالدين والزيادة في المصروفات الدراسية، ولكن يتم تجاهل مخاطر الانحلال الجنسي وحساسية مواضيع الخصوبة في المدارس. نجاهد لمكافحة الانتحار، ولكن نتجنب المناقشات حول وجود الله. وتخطئ النساء عندما يعتقدن أنهن مثل الرجال في أنه بإمكانهن تأجيل الحمل إلى مالا نهاية.

هناك ملايين الطلاب في المدارس والجامعات يمرون بمرحلة المراهقة والتطور الإنساني، وسهولة القولبة. يعانون من الارتباك وهم في مرحلة خطيرة، يتساءلون عن ماهيتهم وما يريدونه. آخرون لديهم مشكلات بيولوجية واكتئاب وشيزوفرانيا واعتلال قهري وإدماني. هناك خطر قابع في الحرم الجامعي والمدرسة يستحق اهتمامكم. وللأسف يتم تسييس الحقائق، إنه أمر خطير لأن أطفالنا يحرمون من تلقي الحقائق التي يحتاجون إليها لاتخاذ قرارات صائبة ومدروسة، بينما يتم تبني ممارسات بشكل خاطئ. فليس من الأخلاقيات المهنية الترويج لأجندات اجتماعية معينة اثناء تقديم الخدمات المختلفة خاصة الصحية والنفسية والخيرية منها.

وفكرة المثليين زلزال آخر يضرب قيم المجتمعات. فالتغيير الاجتماعي الذي ينشده هؤلاء عميق، هم يأملون في إحداث زلزال ينقض على دعائم حقيقية وعلمية وحضارية ودينية. تحطيم فكرة أن الجنسين مختلفان بشكل عميق وجذري، تهدف إلى إنتاج ثقافة مخنثة، حيث يتم التبرؤ من الاختلافات بين الرجال والنساء أو تستبعد من الحسبان، بحيث يتلاشي تفرد كل منهما. إنه لأمر سيء أن يتم الترويج للتخنث والتعدد الجنسي والجنس البديل والجنس الكاجوال. سلوك التدخين يؤثر على كل المحيطين بالمدخن، فالطلاب يؤثرون في بعضهم البعض. كما أنه كثيرا ما نشرح لأبنائنا وبناتنا حياة أصدقاء السوء والوقاية منهم ولا نهتم بشرح كيفية حماية قلوبهم وعقولهم من هوس قصص الغراميات الكاجوال في الجامعة والمدرسة. نكاد لا نبحث في كيف أن تلميذ يأخذ مصروفه يجعل فتاة متيمة به؟ وعندما تناقشها تقول لك إنه رجل شهم وطيب وخلوق ولديه شخصية وهو قد يفعل معها ما لا يصدق. ومن أجل السيطرة على قبلها والضغط على عقلها تصبح مصابة/مولعة به، لدرجة أنها تذكر محاسنه ولا تدري شيء عن أخطاءه ومشاكله وأنه مجرد تلميذ لا يصلح في هذه المرحلة إلا أن يكون طالب للعلم والتعليم.

في الحقيقة لا الفتاة تحبه ولا هو يحبها، لكنهما يرغبان بعضهما، وهنا يصابا بضياع الوقت معا والابتعاد عن الدراسة والتركيز فيها إلى أن يصلا إلى ممارسة الجنس الكاجوال

وقد يتطور الأمر لتعدد الممارسة بعد أن يفيقا ويتجه كل منهما إلى علاج الرغبة بالرغبة أي يتجه كل منهما لطرف آخر يحبه ثم يمارس معه الجنس. لكن هؤلاء الشباب والفتيات ناشطون جنسيا ومحتمل أن يصابوا بالاكتئاب ورومانسية المراهقين. وأعني أنهم في حاجة كبيرة من الوالدين للتركيز معهم ومع حياتهم الشخصية من خلال صداقتهما من قبل الوالدين وتأهيلهم للحياة المدرسية والجامعية توجيههم نحو المكتبة المدرسية أو الجامعية والموهبة والنجومية في لعبة رياضية أو غيرها والتخلص من سلوكياتهم المدمرة عاطفيا. تماما كما نرشد مريض السمنة ومدمن النيكوتين إلى أنظمة الحِمية وممارسة التمارين الرياضية والإقلاع عن التدخين. والتاكيد على التبعات السلبية لثقافة كل شئ يجوز وثقافة المصاحبة سوف يهدد مبدأ مساواة النساء بالرجال. سوف يقوض مملكة الجنس الأكثر أمن. وفي مدننا الجامعية تغيب القدسيات كثيرا في ظل التفاعل الطلابي بمختلف توجهاتهم. فعلي سبيل المثال يجب أن تكون مدن جامعاتنا خالية من التدخين، أي منع التدخين في جميع المناطق العامة في الجامعة بما فيها مسكن الطلاب والسلالم والحمامات.

الطالبة يتعرف عليها الطالب ثم يجلسان معا فتجده شخص مقبول فيتطور الأمر للخروج سويا وغالبا يتطور الأمر لأن يمسك يدها تحت إبطه حتى يصل الأمر للمارسة الجنسية. وهنا تتصور الطالبة أن الحياة بدونه صعبة، ما الذي يقف وراء ذلك؟ قد يكون هرمون الاوكسيتوسين.الذي يجعل المرأة تتعلق برجل ما. فالهرمون يرسل من الدماغ إلى الرحم والثديين لاستشراف الحمل وإدرار اللبن. وهذا يعني أن في مواد كيميائية كالاوكسيتوسين مسئولة عن التورط في تكوين الروابط، فعند حقن أنثي الفأر بالاوكسيتوسين نشات رابطة بينها وبين طفل فأرة أخري وتقوم بحمايته كما لو أنه طفلها هي. وهذه الكيماويات والهرمونات يتم إفرازها أثناء النشاط الجنسي. وهذا يعني أنه هذه الهرمونات والكيماويات التي تجري في عروق طالبة ما وهي في صحبة طالب ما يجعلها تشغل بالها بالارتباط به، وهنا يسهل له السيطرة عليها والتحكم في مشاعرها وغريزتها. ومع الوقت لا يتطلب الأمر إلا رؤية هذا الرجل لإطلاق نفس المركب الكيميائي في الدم. إنها فريسة لهجوم مشاعر ارتباط معذّبة. ليس هذا فقط فقد يكون لطبيعة الطالبة والطالب البيولوجية استعداد قوي لذلك. كل هذا دون أن يدركان أن أمراض ممارسة الجنس غير الآمن (وأقصد الزواج) تعدت ال25 مرض. تعليم الفتاة رفض السيجارة والكحوليات يعني اعتنائها بنفسها وأنها شخصية مسئولة وقادرة على ضبط النفس. إنها اذا شخصية تتميز بشخصية قادرة على وضع أهدافها طويلة المدي في عين الاعتبار بدلا من الاستسلام للضعف والضغط ولرغبة الاستمتاع اللحظي. إن وجود 15 مليون حالة من الأمراض المنتقلة جنسيا في العام، يبدو الزواج أو تاجيل الجنس كنصيحة طبية

منطقية، غير ذلك فإن المستقبل يبدو كئيب. على الشباب والفتيات ألا يصبحوا أغبياء أو عبيد لرغباتهم. يرفضون الرسائل الشهوانية التي ترسم ملامح ثقافتنا.علي الشاب والفتاة اللذين يحبون بعضهما بحق وليس رغبة تعلق مؤقتة أن يضبطا نفسهما ويبحثان عن الصون والعفة لبعضهما والربانية في حياتهما والزواج طالما الحب حقيقي. وطالما بحثهما عن معني الحياة وهدفها ناضج بقلب كل منهما. إن التدين والتفاؤل والتسامح يزيدان من عمر الإنسان ويجعلان صحته أفضل بكثير من غيرهم. ولكن للأسف نظرة كثير من علماء النفس للدين خاطئة وقصيرة الإدراك. ومن هنا أدعو علماء النفس إلى تمالك أنفسهم. فتجنب الدين والجوانب الروحانية في علاجاتهم أمر غير عقلاني وربما غير أخلاقي وغير عصري.عندما يستبعد علماء النفس هذا البعد الإنساني التكميلي للبشر، فهم يرتكبون خطأ كبير.

لا أود الحديث عن الشواذ بشكل مسهب لأنه عندما اتحدث عن ممارسات الجنس غير الشرعية (وفق القانون والدين) فهذا نموذج للحديث عن ممارسات الجنس الشاذة. وما أوده طرق أبواب هذه المخاطر على الأقل التي يمكن حلها، أما الشذوذ والسحاق وما شابههما فهذه حالات يتولاها الله بأمره.

الصداقة بين الشعوب كبديل لبؤس الإنسان

جميع شعوب الارض في مهب العاصفة بشكل أو باخر سواء كنا اغنياء او فقراء. ورغم ذلك لا نكف عن الصراعات والحروب والمشاحنات فيما بيننا ومع الطبيعة غير آبهين بتعاظم مخاطر الحياة. فرغم شعور الكثيرين السلبي في العالم تجاه الولايات المتحدة في العالم، إلا أني اشفق على الشعب الأمريكي.فبعد أن صرعت دولتهم خصمها السوفيتي، وجدت نفسها تخوض غمار مشروعات هائلة تنهكها وتدفع بها إلى أمواج متلاطمة وتيه كثيرين:ان تروض بمفردها تقريبا كوكب يستحيل ترويضه او الهيمنة عليه.حتي الصين نفسها التي تصعد بسرعة كبيرة لديها العديد من المخاوف واسباب القلق،وذلك انه اذا كانت طريقها في مطلع القرن مرسومة-مواصلة نموها بلا هوادة إلي جانب الحرص على التماسك الاجتماعي والوطني- فان دورها المستقبلي كدولة كبرى سياسيا وعسكريا تكتنفه مخاوف خطيرة بالنسبة اليها بالذات،كما بالنسبة إلى جيرانها والي بقية العالم ايضا.واتذكر تعليق السفير الصيني في القاهرة عندما قال لي ان الصينلديها مشكلات ومخاوف كبيرة وكثيرة.

استخدام الغرب للجماعات المتشددة من الشرق ضد الاشتراكية لم يكن تحالف حقيقي وانما كان مجرد تلاق تكتيكي لمواجهة خصم مشترك.لكن هذه الجماعات ظهرت وكانها تتبني المطالب الاجتماعية والوطنية مع بقاء الخطاب الاسلامي في سبيل استقلال تقليدي ومع بقاء الخطاب الاسلامي مرتكز على التطبيق الحسي لتعاليم الايمان.واستغَلت واستغِلت الجماعات الاقل عنف في الترويج للمبادئ الغربية من ديموقراطية وحرية وليبرالية..الخ.في خطابها للعالم وللداخل،بينما استخدمت الدين والديموقراطية والحرية..الخ.في خطابها للداخل.وفي جميع الحالات الجماعات الدينية خادم في بلاط المخابرات الدولية او المحلية.وبالمثل كان الديموقراطيون اليمينيون والشيوعيون،الذين تحالفوا ضد النازية في الحرب العالمية الثانية بأوروبا،امسوا اعداء منذ 1954،كذلك منطقي انه عند انتهاء الحرب الباردة يتواجد الغربيون والجماعات المتشددة في صراع بلا هوادة،او يستغل الغربيون الجماعات ضد دولها ومواطنيها في اراضيهم وباموالهم وبايديهم.وهي تكاد تكون قاعدة غربية (ان من يقدم خدمات عسكرية او مخابراتية للغرب او لاحدي دوله فمصيره الموت او يستغل في موت اقرب ماله).حلفاء الامس افغانستان وامريكا ضد الاتحاد السوفيتي يصبحون في خصومة بعد ذلك.

كان حاكم طاغية اثخن شعبه بالجراح وبذر اموال النفط في نفقات عسكرية وغزو جيرانه/اخوانه،وقبل ان ينهار دون قتال حقيقي،حتي غرقت البلاد في فوضي وراحت الطوائف تتناحر وتتذابح.انظروا للمغزي (كان لابد من حكم ديكتاتوري لضبط شعب كهذا) اي ان الدول الاسلامية لا تصلح للديمقراطية.واذا قبلنا بالعكس فيمكن تفسير

الاحداث انه كان حصار اوقع شعب كامل في بؤس واودي بحياة مئات الالاف من الاطفال والمدنيين دون ان يحرم الديكتاتور من تدخين سيجاره.ثم كان غزو تحت زرائع كاذبة ولم يابه للراي العام ولا المؤسسات الدولية.كان الهدف السيطرة على النفط،لكن الامريكان قرروا حل الجيش واجهزة الدولة،وادخلت الطائفية صراحة إلى الدستور وقلب المؤسسات.بالاضافة إلى السجن والتعذيب،بينما الاضرار الجانبية ظلت بلا عقاب او رادع.كل من الخطابين موجه لجمهوره.حضارة اصبحت عالة ومبعث فوضي للعالم.فألا نبني حضارة مشتركة تزيد من اثراء البشرية وتنوعاتها الثقافية،قبل ان نغرق في افعال شيطانية مشتركة؟. الدول الاسلامية لدي معظمها فقر وعي والدول الغربية لدي معظمها ميل لتحويل وعيها إلى اداة للسيطرة.فالغرب لديهم ماساة القيام بدور كروي مبالغ فيه وباتوا غير قادرين على المضي في ممارسته بشكل كبير،وفي ذات الوقت عاجزون عن التخلي عنه.وللحقيقة لا نستطيع ان ننكر عطاء الغرب للبشرية اكثر من حضارات اخري.حتي بالغ البعض ان نهاية التاريخ تجعل العالم يذوب سلميا في قالب الغرب،وكأن الغرب العذراء الطيعة التي يحلم بها الايديولوجيون.ماذا لو دعم الغرب/امريكا الديموقراطية الحقيقية في دول العالم بدلا من دعم الظلاميين من الجماعات الدينية في الشرق-كمثال- والانظمة الاستبدادية؟بالتاكيد الاجابة كان الغرب والعالم اكثر امان وسلام ونهوض،ومن باب طباخ الاكل الذي يتذوقه،ألا من هؤلاء-المستبدون- ان يشاطروا حاميهم بعض القيم التي يقدسها هو؟.معني هذا ان توجه معظم الدول الكبري اقرب للتحالف مع قوي التخلف لعمل تسويات وحقول تفاهم ومصالح ائتلافية. ومأساة الغرب قديما وحديثا تكاد تكون واحدة،حيث كان على الدوام حائر بين السيطرة على العالم ومحاولات بث ثقافته وتمدينه فيه.وهذان الامران لا يمكن الجمع بينهما، تنافر سخيف ان تتحدث عن انبل المبادئ،وتحرص على الامكتناع عن تطبيقها في الاراضي التي تغزوها.وللحقيقة مثلما هناك تشدد اغلبه من الشرق هناك غطرسة من الغرب،فالجيش الامريكي احتل بلد عريق كالعراق ثم استغل صراعاته الطائفية.وكل هذا باسم الحرية والديموقراطية،وراح يقتل ويهدم رافعا شعارات حقوق الانسان.ثم ما يلبث ان يقتل اكثر من 700 الف قتيل وينسحب دون ان تصدر عنه كلمة اعتذار ولو حتى غامضة.افق اكثر من 3 تريليونات دولار،لكن البلاد التي احتُلّت افقر من ذي قبل.قرروا ان يحاربوا الارهاب فازداد وازدهر.

البعض منا ينظرون إلى الماضي بتعال لا مبرر له اذا ما نظروا إلى سلوكياتهم الراهنة.وصحيح ان البشرية حققت تقدم جيد ماديا،بينما الجانب الخلقي لم نحقق الا القليل.في حين كان يجب ان نحقق في كلا الجانبين نفس الايقاع.وهذا البطء الخلقي يجعلنا لا نستطيع ان نواجه كثير من ازماتنا ومشكلاتنا.وليس السؤال ذاك الذي يريد

معرفة ما اذا تقدمنا سلوكيا على اسلافنا،وانما الاهم معرفة ما اذا كانت تقدمت بما يكفي لتسمح لنا بان نجابه تحديات الحاضر والمستقبل الهائلة.

فالماضي ملئ بالاخطاء السياسية الفظيعة،واليوم تصدر لنا مشكلات اشبه بمشكلات الماضي لكن بشكل احدث وبشكل مختلف قليلا،لكنه يحمل نفس الاهداف تقريبا.فقد تم نشر فكرة كيان جغرافي قومي ولم تنجح الفكرة بشكل كبير،بل وجدنا دول عربية عديدة ترفض الفكرة ورسولها جمال عبدالناصر،ومن قبله الامير فيصل بن شريف ومن بعده معمر القذافي وصدام حسين ومعظم العرب،دون ان يفكروا لحظة ان الفكرة تعجز عنها العماليق في تلك الفترات.تلك المغامرات ما كان يجب القيام بها،والتركيز على التنمية الاقتصادية واستدامتها.لكن للحقيقة تلك المغامرة كانت غير عبثية غداة الحرب العالمية الاولي.فقد كان العرب خارجين توّاً من العهد العثماني الذي تواجد في جو منسجم مع ذلك الزمن.فالوحدة الايطالية انجزت في 1861 على يد كافو والوحدة الالمانية في 1871 على يد بسمارك،فلماذا لا تكون الوحدة العربية مستحيلة ؟.في ظل الاحتلال كان امر الوحدة العربية غير معقول.وبعد هزيمة العرب المتاخمين لاسرائيل في 1948 رفضو توقيع الاعتراف بها،لكنهم اضطروا مرغمين على توقيع الاتفاق واحد تلو الاخر فكانت نهايتهم ايضا بعد توقيع الهدنة واحد تلو الاخر.فقد قامت الثورة السورية بعد التوقيع بشهر وسقط ملك الاردن مقتول بعدها بخمسة اشهر وقامت ثورة في مصر عام 1952.وفي غضون 4 سنوات كان جميع الموقعين على الهدنة خارج الحكم او الحياة.وبالنسبة لجمال عبدالناصر فقد فتحت على قوميته كل الجبهات دول النفط واسرائيل والاوساط الليبرالية والاخوان.وبنكسة 1967 وقع عبدالناصر في فخ الاعداء،ولم يحسن حتى مجرد تحاشيه.انا لا اهاجم عبدالناصر الذي يحلم الكثيرين ان ينالوا حب الناس مثله في اوقات كثيرة،ولكني اتناول سياسات كان يمكن اتخاذها بشكل مختلف اراه الافضل لنستفيد منه في حاضرنا ومستقبلنا. لو توجه ساستنا في الماضي للاعنف والتنمية الاقتصادية المستدامة والمؤسسات السياسية العصرية لما كانت هناك على الاقل جماعات متشددة ومحاولات خصخصة للاديان تجزئ المجزأ.ففي بدايات القرن ال20 شهدت دول عربية حياة برلمانية وصحافة وتنمية اقتصادية تحمس الناس لها،لكنها انقلبت لاحتلال ولانظمة طغيان واستبداد.لكن القوميون انفسهم دائما ما يفتحون فجوة يستفيد منها خصومهم.فتبوء المشاريع القومية حتى مع الدول المؤمنة بها بالفشل.وتوجت التجربة بنكسة نكراء في 1967 امام دولة عمرها 20 عام وعدد سكان وجيشها اقل من مصر عشرات المرات.ولم تنته فكرة الوحدة الكاملة والشاملة الفجائية بكارثة في مصر وضد جمال عبدالناصر فقط،بل في كل دولة قام رئيسها بتنفيذ بداياتها،وصدام حسين ومعمر القذافي أمثلة واضحة. لقد كانت فكرة القومية القائمة على

الاشتراكية في صلبها شرخ داخلي كبير. والنتيجة الاكبر كانت في صالح اطروحات الاسلاماويين ومشروعاتهم،حيث تقبلتهم الجماهير لفترة ما نتيجة تقديمهم مشروع بديل بصرف النظر عن صحته وقوته.وبالمثل فشل المشروع الاسلاموي ايضا لانه ايضا فكرة مستحدثة من فكرة عربية تقليدية،ومثلما اخطات القومية من اتخاذ الاشتراكية صلب لها في الخطاب اخطا الاسلاماويين في اتخاذ الليبرالية صلب لهم في خطابهم.فما كان الا تحول الثورات العربية او ربيعها إلى خريف وحروب وصراعات اقليمية ومحلية.وللاسف حكم جماعة الاخوان فشلت ترجبته في السودان الذي مني بالتقسيم وفشلت في فلسطين بصراع حماس مع فتح،لكن الشعوب العربية تقوم بما يشبه الضحكة الصفراء او بتجريب المجرب حتى تتعلم.

ورغم بعض النجاحات الا ان القرن العشرين في الدول العربية غدا متخم بالهزائم والاحتلال الاجنبي والمعاهدات غير المتكافئة والاهانات والخجل.كان العرب في القرن ال20 يحتلون مربع شطرنج ثم يخلونه تحت ضغط،وللاسف في ذات الوقت يفتحون العيون الغريبة عليه.ويخسرون قطع كبيرة احيانا،وفي نهايات القرن العشرين وبدايات القرن ال21 وجدنا ان الملك مات.ما اود التنويه اليه ان الوحدة العربية ليس امامها افضل من سيناريو الاتحادات الاقليمية اولا(كاتحاد دول الخليج واتحاد دول المغرب..الخ) اما الوحدة المباشرة فمصيرها مصير جميع المحاولات البائسة ولن تجر الا الوبال علينا كسابقاتها.

كان يجب ان يبادر جمال عبدالناصر بقرار الحرب قبل اسرائيل بعد الاعداد الجيد والتواصل والدعم الاكيد من الدول العربية والاسلامية(الاقليم برمته) لان حربه ضد اسرائيل ليست حرب من اجل مصر،بل من اجل كل دول المنطقة والعالم.لكنه ركز في ردود فعل الدول الكبري،خاصة الولايات المتحدة التي اوعزت بدورها لاسرائيل بمهاجمته.ونجح فيما نقوله انور السادات في 1973.وخسر لبنان والفلسطينيون عدم اشتراكهم في الحرب مع مصر وسوريا ضد اسرائيل،علي الاقل لخسر لبنان وفلسطين اقل مما خسروا بعدها.فلو اشتركوا لما احتاجو لحزب الله ولما توسعت اسرائيل واحتلت المذيد من اراضيهم فيما بعد.ان اي قرار بشان العرب طالما وافقت عليه الدول العربية،يمكن اتخاذه حتى لو كان ضد الغرب او رأيه ومصالحه.بعدها سيجبره الامر الواقع ومصالحه نفسها على قبوله مع الوقت.نجح السادات فيما اخفق فيه عبدالناصر-اعد له في الحقيقة-.

العالم كله يتجه للتعددية،لان وجود دولة مهيمنة عليه ظلم للعالم وللدولة نفسها(تظلم نفسها) فلا يعقل من الناحية الانسانية على الاقل ان 5% من سكان العالم (الامريكيين) يقررون مصير العالم.فكيف ان 95% تنفذ ما تقرره النسبة الباقية،انه خلل عالمي في

الادارة السياسية للكرة الارضية بشكل رئيسي.وللحقيقة لو اتيح لاي دولة كانجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي (السابق)..الخ السيطرة على العالم لفعل في معظم ما يفعله فعل امريكا،خاصة ان تجاربهم السابقة في قسادة العالم تنم عن ذلك.ان الدولة المهيمنة على العالم دائما ما يكون هذا في صالحها وتكون ايضا ضحية لذلك (برَكة ولعنة في آن واحد).

بدل تجميل الماضي وامثلته من الواجب ان نتخلص من عقده التي اكتسبناها والتي تتبدي كارثية في ظل الوضع الراهن،ولكن نحو الاعلي والاسمي.وحتي لا اكون ظالم لفكرة القومية،العالم كله شهد اخطاء فظيعة.فعلي سبيل المثال في العقود الاخيرة شهدت الارض انحرافات وتناقضات الشيوعية والراسمالية،أليس اكتوائنا كافي ليحملنا على الخلاص منها واستخلاص الدروس والخروج من هذه المآذق الموهنة؟.واذا كنا نحرص على صون السلم الأهلي في بلداننا،وفي العالم علينا القبول بالتنوع البشري في عيش مشترك بحميمية وتناغم لا في توترات مولدة للعنف.

اما فكرة دولة الخلافة،فلم تكن كلاسيكيتها وراثية،بينما تم تطبيقها في شكل نظام ملكي دولة اموية وعباسية وعثمانية..الخ.ثم ان فكرة ان الدين والسياسة نترابطان بشكل لا انفصام له وان هذا مكتوب في النصوص المقدسة،وانه يشكل خاصية ثابتة في دين ما،نكون قد سلمنا بان الصدام الصراع لن يتوقف.واننا امام انسانيتين متمايزتين.وهذه فكرة مثبطة للعزيمة ومدمرة،لكنها تبسيطية تقريبية قبل كل شئ.ليس معني هذا خروج السياسة عن القيم الانسانية والخلاقية والحضارية،فما اردته فقط الا يكون الشيخ هو القائد السياسية والا يكون القائد السياسي هو الشيخ.بمعني اذا دخل الثابت(الدين) على المتغير(السياسة) اصبح المتغير ثابت وهذا لا يصلح لعالم السياسة ولا القيادة،والعكس اذا دخل المتغير(السياسة)علي الثابت(الدين) اصبح الدين مدعاة او لعبة في يدنا.اي ان دخول اي منهما على الاخر ليس ايجابي لاي منهما. لا اقصد الا ان اقول ان المشكلة في السلوك البشري والمؤسسات الانسانية والاخلاقية والمسيرة التاريخية، وليس المقدس الالاهي.لكن تدين القائد وتمسكه بالقيم،ومرونته وتفتحه امور مطلوبة في كل الاحوال.

والحقيقة هذه الفكرة لم تكن في الشرق فقط،بل في الغرب ايضا عندما سيطر رجال الدن على الحياة السياسية إلى ان تم الفصل بينهما،اما في الشرق فالعكس وهو سيطرة السياسيين على رجال الدين والتي ستنتهي بالفصل بينهما خاصة بعد ويلات الجماعات واستغلالها الدين في الصراع على السلطة والثروات. بما كان الاختلاف ان الغرب تحكمه كنسية بينما دول الشرق الاسلامي ليس فيها سوي الازهر وتم اضعافه من قبل الانظمة المختلفة.واتمني ان تمنح الانظمة العربية الفرصة للازهر لتحقيق الاستقرار والنهوض والاسهام في التنمية والتنوير بالاسلام والمسلمين في مختلف بقاع الارض من هنا لا

يكون للجماعات والتفسير للقرآن والسنة بشكل ضيق ومتشدد مكان يذكر او على الاقل نشر سماحة الدين ويسره وانسانياته واخلاقياته العالمية الرفعية.غير ذلك تصارع السلفيين والاخوان على السيطرة على الدول العربية والاسلامية والعالم باسم الاسلام.ولايماني باهمية الازهر الدينية للمسلمين في العالم ومحاولاتي مساعدته في العودة لمكانته، عندما طلب مني قادة برازيليين قبل افتتاح كأس العالم 2014 ترشيح من يمثل رجال الدين المسلمين في العالم قلت شيخ الازهر،فهو يقود اكبر مؤسسة دينية في العالم وشيخ لكل مسلميه.

نظرا لغياب الجوانب الانسانية والاخلاقية والتركيز على الرفاهية والمتع والتجشؤ فكانت الامبراطوريات الاوربية في القرنين ال19 وال20 امتداد للذات وتطبيق العنصرية والاخلال بقواعد الاخلاق.فعبدت الطريق للحروب الكبيرة والابادة الجماعية والانظمة الشمولية التي اغرقت أوروبا والعالم في بحور الدم.وما اود قوله هو دعوة الغرب إلى ترميم صدقيته وعلمنته ليس ندما ولا انفتاح ولا مساومة مع قيم وافدة،وانما عكس ذلك بان يبين وهو في نعيمه وقبل ضعفه انه يحترم حقا الديموقراطية وحقوق الانسان والحرص على الانصاف.وذلك في علاقته مع باقي الكرة الارضية.

و فكرة صراع الحضارات ليست نقاش حول مزايا ابن سينا ونيوتن والحجاب والكحوليات او النصوص المقدسة،وانما هو زوغان عالمي نحو كره الاجنبي والتمييز العنصري والتنكيل الاثني والمجازر المتبادلة.اي نحوتآكل كل ما يشكل الكرامة الخلقية لحضارتنا الانسانية.ان الذين يقاتلون الانسان يسقطون بدورهم،فالعنف الارهابي يولد العنف المضاد للارهاب الذي يغذي الكراهية ويعد العدة لاعتداءات جديدة.اننا جميعا كبشر في حاجات للتضامن وتضافر الجهود لاجل مواجهة الاخطار العديدة التي تهدد بان تبيد اغلب ما تم بناؤه منذ الاف السنين.

من الحرب المتماثلة إلى الحرب اللا متماثلة

تعيش المنطقة العربية والإسلامية في خضم موجة عاتية من موجات التاريخ، تهدف إلى كسر معادلات التاريخ العربي، وإعاقة استئناف مسيرته، عبر تحويل محاولات صعوده، إلى حركة هابطة، تلقيه في مهب الإنقسام، تطيح بمكوناته، بحيث يصبح حال الدول الغسلامية حال "كتلة صخرية مهولة انكسرت من الجبل وراحت تتدحرج عشوائياً على سفوحه، وهي توشك أن تنقض على الوديان والشطآن المحيطة بالجبل مهددة بدمار وخراب إلى درجة الكارثة". وتتميز تلك الموجة بتنوع وتعدد آليات ووسائل تحققها. لعل أكثرها أهمية وأشدها فاعلية هى الحرب اللامتماثلة أو اللامتناظرة. وقد جاء هذا المصطلح استجابة لأيديولوجية الإحتلال الجديدة، أيديولوجية ما بعد الحرب الباردة، وسيادة الليبرالية المتوحشة، كما صاغها فرانسيس فوكوياما في أطروحته نهاية التاريخ وصموئيل هنتجتون صدام الحضارات.والحرب اللامتماثلة مجال من الإعداء لا يتضمن تشخيصاً للهدف أو الخصم، بل يتطرق إلى القيم وعلاقاتها بالتكنولوجيا، وإلى مساحات من الجغرافيا السياسية "مثل جغرافية الدول الإسلامية. وتقوم هذه الحرب تُخاض وفق مفاهيم عسكرية-اجتماعية-ثقافية، تستهدف أشكالاً كثيرة داخل مجتمع ما. غني عن البيان أن الحروب غالباً ما تؤدي إلى تبدلات فكرية تطال النسق الثقافي، فضلاً عن البنية الإجتماعية، مثلما حدث في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى. فالهزيمة هي انكسار حقيقي للنظم المعرفية التي يستند إليها المهزوم (أو من يجب هزيمته)، وبهذه الصورة فإن الحرب اللامتماثلة تلامس عمق الأمة الحضاري-الثقافي، وكذلك الشكل الاجتماعي للثقافة. لاسيما أن الدول العربية والاسلامية – كمثال- هي الطرف الوحيد على مستوى العالم الذي لم يغير تموضعه التاريخي رغم ما لحقت به من هزائم في القرن العشرين، لما يمتلكه من عمق تاريخي، وغنى في التجارب التاريخية. وهذا يذكرنا بمقولة اللواء الإسرائيلي موشي يعلون عن"كي الوعي" ومحاولات تهويد المعرفة والعقل العربي، من خلال عملية التطبيع الثقافي والديني.

وفرضت نهاية الحرب الباردة كما العولمة على الولايات المتحدة، وتحت وطأة غرور القوة ووحشية الإعلام والإفتقار إلى حكمة التجربة، إعادة تقويم الموقف والتحديات الممكن أن تتعرض لها في المستقبل المنظور. وكان أحد أبرز الهيئات المكلفة بذلك، "هيئة التقديرات في البنتاجون", وهي مجموعة تخطيط استراتيجي أشرف عليها اللواء روبرت إيفاني رئيس كلية الحرب التابعة للبنتاجون. وقد خلصت الهيئة إلى تقدير موقف يقول بالنص: "إننا نستطيع أن نفترض أن أعداءنا أو خصومنا في المستقبل تلقوا وفهموا الدرس من حرب الخليج (عاصفة الصحراء). ولذلك فليس من المتوقع أن يحاول طرف منهم مواجهتنا في حرب تقليدية تعتمد على تشكيلات الدبابات والقوات الجوية والبحرية،

ذلك أن النظر إلى هذه الميادين كلها يُظهر تفوقاً ساحقاً في موازين القوة لصالح الولايات المتحدة، ويترتب على ذلك أن من يريد مواجهتنا من الخصوم عليه أن يكشف وسائل جديدة تمكنه من تهديد مصالحنا أو قواتنا أو مواطنينا، وعليه أن يتأكد أن هذه الوسائل تستطيع أن تحقق له ميزات ينفذ بواسطتها إلى مواقع ضعف تكون عندنا". ويعود إلى اللواء هنري شلتون رئيس هيئة أركان القوات المشتركة الأمريكية، إطلاق صفة "الحرب اللامتماثلة" على هذه التحديات والأخطار، وقدم تعريفه لهذه الحرب بأنها محاولة طرف يعادي الولايات المتحدة أن يلتف من حول قوتها ويستغل نقط ضعفها، معتمداً في ذلك على وسائل تختلف بطريقة كاملة عن نوع العمليات التي يمكن توقعها. وعدم التوازي، يعني اسخدام طاقة الحرب النفسية وما يصاحبها من شحنات الصدمة والعجز لكي ينتزع في يده زمام المبادرة وحرية الحركة والإرادة، وبأسلوب يستخدم وسائل مستحدثة، وتكتيكات غير تقليدية، وأسلحة وتكنولوجيات جرى التوصل إليها بالتفكير في غير المتوقع، ثم تطبيقه على مستويات الحرب، من الإستراتيجية إلى التخطيط، إلى العمليات طارحاً نفسه عملياً في التقديرات التي نستطيع تصورها". وهكذا أضاف العقل العسكري الأمريكي إلى نمط الحرب المعتادة " اللامتماثلة" بصيغها المتنوعة, الحرب الكلاسيكية أو حرب العصابات، نمط جديد من الحروب اللامتماثلة" أو حرب اللاعنف أو التغيير السلمي بالوكالة. وجميعها يطلق عليها مصطلح "الحرب العالمية الرابعة"والاسم الشائع حروب الجيل الرابع.

وهذا على اعتبار أن الحرب الباردة هي الحرب العالمية الثالثة والتي انتهت بهزيمة المعسكر الإشتراكي، وهو القول الذي يردده المحافظون الجدد. غير أن الحرب العالمية الرابعة هي الحرب التي تخوضها النزعة النيوليبرالية المتوحشة، ضد شعوب ومصالح دول الجنوب، في حين يعتبر المحافظون الجدد أن الحرب العالمية الرابعة ليست سوى الحرب التي تخوضها أمريكا ضد الإرهاب وتحقيق قيمها(الديمقراطية الليبرالية والحرية..إلخ)، ويبدو ذلك جلياً في مقال إليوكوهين في مجلة "كومانتري" الناطقة بلسان المحافظين الجدد بعددها الصادر في 2001، الذي دعا فيه المسؤولين الأمريكيين إلى ضرورة التخلي عن مفهوم الحرب العالمية، على الإرهاب واستبداله بمفهوم الحرب العالمية الرابعة، وقد رأى في ذلك التعديل الإصطلاحي حاجة إستراتيجية. ولاشك أن هذا الاستبدال يحمل في طياته دلالات واضحة. إذ ترمي إلى تأكيد المكاسب الإستراتيجية التي تريد أن تجنيها الولايات المتحدة، وهي:

1- **امريكا التي انتصرت في الحرب العالمية الثانية على النازية وانتصرت في الحرب العالمية الثالثة على الشيوعية، يمكنها أن تنتصر أيضاً في الحرب العالمية الرابعة على الإرهاب وتحقيق قيمها.**

-2 أمريكا التي قادت المعسكر الغربي خلال حكم روزفلت إلى الإنتصار في الحرب العالمية الثانية، وقادته خلال حكم ريجان إلى الإنتصار في الحرب العالمية الثالثة، بإمكانها أن تقود "عالم الليبرالية الأمريكية"مرة أخرى للإنتصار في الحرب العالمية الرابعة!

3-إذا كانت الحرب العالمية الثالثة قد استمرت لما يناهز نصف قرن من الزمن، فعلينا أن نستعد لحرب عالمية رابعة قد تستغرق أكثر من ذلك، بل قد تستغرق الحرب أكثر من مائة عام بحسب التصور الألفي للأصوليات الأمريكية.

4-من أجل الإنتصار في الحرب العالمية الرابعة، وكما كان الشأن خلال الحروب السابقة، فإن مسألة الزعامة الأمريكية يجب ألا تكون موضع خلاف.

من الواضح أن مفهوم الحرب العالمية الرابعة,يهدف إلى الترويج لقصور يفيد وجود نوع من الإستمرارية في مسار الإنتصارات الأمريكية خلال الحروب العالمية السابقة.

الصينيون يطلقون على نمط الحرب اللامتماثلة اسم "الحرب غير المقيدة". وهناك كتاب وضعه ضباط صينيون يحمل ذات العنوان. تضمن جملة إرشادات للرئيس الصربي سلوبودان ميلوزوفيتش حول كيفية مواجهته لقوات الناتو، دعوه فيه إلى مواجهة عمليات الناتو، بأسلوب الإقتراب غير المباشر باعتباره التعبير الأكثر ملاءمة للعمليات العسكرية في حالة الحرب اللامتماثلة. إذ بحسب اعتقاد الضباط الصينيين، سيمنح هذا الأسلوب الصرب قوة عبر هجمات "إرهابية" على منظمة الناتو والولايات المتحدة تطال مصالحها في إيطاليا. أي الخروج عن قيم الحرب التي وضعها الغرب من أجل الوقوف ضد قوته. وهكذا فالحرب اللامتماثلة تنطوي على مترادفات,الحرب العالمية الرابعة، الحرب غير المقيدة, الحرب اللامتناظرة، الحرب غير المتوازية.

وخصائص وملامح الحرب اللامتماثلة:

1-ليس هناك ميدان يتقابل فيه المتحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالإلتفاف.

2- "السلاح"ليس"متماثل"حتى وإن اختلفت درجات قوته.

3- ليست هناك صلة بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور فوقها اتصال.

4- يترتب على ذلك أن حفظ السلاح وفعل السلاح هنا خارج حساب أي تصور يمكن توقعه. ورغم أن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة أساليب مطلوبة في كل أنواع الحروب, إلا أنها في حالة الحرب اللامتماثلة، مطلوبة أكثر لأنها لازمة لمدرسة التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه مما لا يحكمه قيد أو أحد، لأنه يبدو تفكير يوسوس به الهذيان والجنون ولا يؤدي إليه العلم أو توازن القوة مهما كانت دقة حساباته".

5- هذا النوع من الحرب ليس مقيداً بمذاهب في الحرب مصنفة، إنما هو يلتقط الرسائل التي يفكر فيها بمصادفات الظروف، لكنه عندما يقابلها بالمصادفة يدرسها بعناية، مما يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة.

6- هذا النوع من الحرب جاهز بطبيعته لأعلى درجات المخاطرة لأن الخسارة بالنسبة إليه في الحالتين واحدة، وبالتالي فإن أعلى المخاطر تتساوى عنده مع أقلها.

7- هذا النوع من الحرب يمارس دورة بخلطة مزيج قوي المفعول بين ما هو "مادي" وما هو "نفسي"، وذلك أكثر ما يخدمه في الأساليب " اللامتماثلة" التي يستعملها.

8-يمتاز الخصم في هذه الحرب بروح معنوية عالية لدى أفراده وتكنولوجيا متقدمة في عملياته، واستعداده لأقصى المخاطر بجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً كما يجعله ممكناً حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من ضروب الجنون.

9-تقتضي هذه الحرب "إرادة قوية" و"تنظيماً جديداً" و"صبراً" يراقب على مهل، لأنه ليس رد فعل يتحتم عليه (لدواع كثيرة)، أن يواجه فعلاً حيث يتوقع الطرف الآخر أن يجيء زماناً ومكاناً

10- الخصم لا يقوم بعملية "اضرب واهرب" كما في حروب العصابات، فهو موجود داخل المجتمعات، وربما يقوم بأدوار مختلفة، أي أنه ضمن تشكيل المؤسسات وبالتالي فإن أهدافه حساسة ولا متناهية، وفي الوقت نفسه لا يمكن إصابته بشكل مباشر لأنه يبقى ضمن النظام الإجتماعي قبل تنفيذه لأي عمل، أو حتى بعد التنفيذ، وبهذا الشكل يمكن اعتبار الخصم جزءاً منك طوال فترة الصراع اللامتماثل.

11- الحرب اللامتماثلة هي حرب ممتدة. إذ لا يمكن القضاء على الخصم بشكل نهائي. وبالتالي هي سلسلة من الجولات والجهد المتواصل والرقابة في محاولة للحد من عمليات التحول تجاه الإرهاب بدون أن يوجد ضمان أكيد لنهايتها طالما أنها تقوم على عدم التماثل.أي أنها تقوم على مبدأ خصب لإظهار العدو ولتأكيد الذات من قبل الخصوم اللامتماثلين. وتشكل حرب المعلومات واحدة من أهم مرتكزات إستراتيجية الحرب اللامتماثلة. والبعد المعلوماتي في الصراع خاصية مشتركة بين أنماط الحروب، لا يقتصر فقط على الحرب اللامتماثلة. وقد أصبح هذا البعد حاضرا منذ أن أوجدت الثورة المعلوماتية ما يسمى بالمجال المعلوماتي العالمي الموحد. وحول خطورة هذا البعد في الصراع نشير إلى حجم الضرر الذي قد يلحق باقتصاد البلد، جراء حدوث خلل جوهري في الأداء الوظيفي في كافة التنظيمات القيادية الحكومية والمؤسسات المالية والمصرفية. ضرر يمكن مقارنته من حيث العواقب باستخدام السلاح النووي، الأمر الذي يؤدي إلى نتائج كارثية في بعض الحالات على مستوى حياة السكان. قد يؤدي بدوره إلى الإستياء العام والثورة الإجتماعية، وسقوط الدولة أحياناً، وغالباً ما يترافق ذلك مع وقوع

ضحايا بشرية. فالخسارة في المجابهة المعلوماتية يمكن أن تشكل ظروف ومقدمات ليصبح فيها البلد الخاسر متخلف عن ركب الدول ,ليتحول إلى بلد هامشي. بعبارة أخرى يحصل المنتصر على إمكانات غير محددة للتحكم بالدول المهزومة في الصراع. وحرب المعلومات يمكن أن تستخدم في ثلاثة مستويات:

1- يستهدف الفرد, وفق هذا المستوى فإن أي فرد مذنب حتى تثبت براءته (وذلك بعكس القاعدة الحقوقية السائدة)، وفي هذا المستوى تكون أسرار الأشخاص غير محمية، وكذلك الاسماء والرموز التي تمارس بشكل اعتيادي، تصبح مجال متاجرة. وبهذا الشكل عند نشوب نزاع لا شيء يمنع الخصم من تهديد أي من الجنود في المعركة، عبر استهداف عائلاتهم، مستخدماً محتويات الحواسب والمعلومات التي توفرها لتنفيذ اعتداءات.

2- تشمل حرب المعلومات من خلال التجسس الصناعي والاقتصادي على الدول والمنظمات غير الحكومية. ووفقاً لمعلومات مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية هناك (122) بلداً يمارس تجسساً مستمراً على الولايات المتحدة في المجال الصناعي والإقتصادي، وتقدر الخسائر الناجمة عن هذا الموضوع بـ(300) مليار دولار سنوياً.

3- حرب معلومات موجهة من أمة ضد أمة، ويمكن أن يتضمن التجسس على المجموعات المنظمة في إطار الحكومات، أو مجموعات الحرس الوطني، أو التشكيلات "الإرهابية" التي تمتلك نفس أدوات الحكومة.

والولايات المتحدة بدأت بدراسة قضية تحضير وتنفيذ حرب المعلومات في بداية التسعينات. بهدف التأثير المركب على منظومة القيادة الحكومية والعسكرية للطرف المقاوم وعلى قيادته السياسية والعسكرية، بحيث يؤدي هذا التأثير زمن السلم إلى اتخاذ القرارات الملائمة لأمريكا بحيث لا يسبب خلال سير المعارك شلل كامل لبنية قيادة القوات". وإذا كانت حروب احتلال أفغانستان عام 2001، واحتلال العراق عام 2003 هي أولى حروب القرن الحادي والعشرين، من نمط الحروب اللامتماثلة. فإن أفضل من أبدع في ترجمة مفاهيم هذه الحرب على أرض الواقع هو اللواء دافيد بترايوس القائد السابق للقيادة المركزية الأمريكية،ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية(CIA)-2011. وكان من جراء ذلك أن شهدت العقيدة العسكرية الأمريكية معه تحولاً جذرياً من "عقيدة الصدمة والترويع "إلى عقيدة بترايوس. بعد ما ظهرت نقائص العقيدة الأولى، حين أغفلت التفكير في حرب اليوم التالي، أو حروب ما بعد الحرب الباردة اللامتماثلة، التي لا تنفع معها قوة نيران ولا سيطرة مطلقة على الجو والبر والبحر، لأنها حروب استنزاف طويلة الأمد تقاتل خلالها "أشباحاً" لا جيوشاً نظامية، تعتمد تكتيكات لا علاقة لها بالحروب التقليدية. وأطلق اللواء ديفيد بترايوس على عقيدته إستراتيجية أفعى

"الأناكوندا". وهي على ما يبدو استعادة لما كتبه الفرنسي ديفيد جالولا. في مؤلفه: "مقاومة التمرد: النظرية والتطبيق" وذلك بعد تطويعه لواقع العراق وأفغانستان وتوظيف إمكانات الولايات المتحدة الهائلة من دعم لوجستي وتقني متقدم وما توفره الثورة المعلوماتية من إمكانات، حتى أنه (بترايوس) ألزم كل فريق عمله وضباطه بالإطلاع عليه والنهل من تعاليمه.

وتقوم إستراتيجية بترايوس على خنق حركة" التمرد" وذلك باعتماد مقاربة شاملة تجفف مصادرها وتقطع خطوط دعمها اللوجستي وتُصفي قادتها وتعزل العناصر "المتشددة من المتمردين "عمن يمكن تأليف قلوبهم وعقولهم واستيعابهم. والأفكار الكبرى، حول العيش بين السكان وكسب قلوبهم وعقولهم فرضت نفسها وأدت إلى اعتماد مناهج تدريب جديدة ". غني عن البيان أن إستراتيجية بترايوس تحتوي على ثلاثة عناصر, هجومية ودفاعية وتثبيت الموقف، تتوقف ثلاثتها على مدى كسب ود الأهالي ومشاركتهم، حتى أنه أوصى بوضع ملصق لضباطه كتب عليه "ماذا فعلت اليوم لكسب قلوب المواطنين؟ "ثم على الواقع والساحة والإمكانات والمهمة. ويؤكد بترايوس في إستراتيجيته على مسألة الشرعية كهدف أساسي، لأن وجود حكومة محلية ستسفه ما تعلنه حركة "التمرد". وعلى تضافر الجهود والتجديف بتوحيد الخطاب وإن اختلفت الأهداف، تغليب العملية السياسية على العمليات العسكرية التي يجب أن تراعي المضاعفات، تفهم وتأقلم القوات المكافحة للتمرد مع مسرح الأحداث، لأن معرفة طبيعة المجتمع وثقافته وأدق تفاصيل تركيبته الإثنية والدينية والأيديولوجية عوامل حاسمة ومهمة، جمع المعلومات الميدانية وكل مايتعلق بحركة التمرد. وبدون عملاء تظل العمليات مضيعة للوقت ومصدر نتائج معاكسة، العمل على عزل "المتمردين" عن مجتمعهم وتسفيه قضيتهم وقطع مصادر دعمهم لا قتلهم وجعلهم أبطالاً، المسألة الأمنية كحجر الزاوية لتأليف قلوب الأهالي وتجريم المتمردين، التعجيل بتكليف قوات محلية من الشرطة وغيرها لتتولى بنفسها تلك المهام وكسر الحاجز النفسي، إعداد القوات وتحضيرها نفسياً لتقبل استراتيجياً نفس طويل وقادر على التدمير والإعمار في الوقت ذاته. ويجب استثمار المعلومات وسبرها وخلق تطلعات معقولة، لأن الشعوب "مصابة بعقدة الصعود إلى القمر" لذلك يطالب بتحقيق الصعاب وفي أسرع وقت! "ليحذر بعدها من مغبة السقوط في امتحان الوعود غير المحققة التي تدفع الأهالي إلى حضن المقاومة من جديد"، استعمال "معقول" للقوة بتحقيق المعادلة الصعبة بين حفظ أمن القوات والتخفيف من عدد قتلى الأهالي موصياً بضرورة تكيف القوات المحلية على المهام الصعبة، القدرة على التأقلم والتكيف مع المحيط.

دور المعرفة في تدويل التفكير المخالف

نشأت الحركات والتنظيمات المهتمة بتنميط العالم ككل او توحيده منذ 2000 عام على الاقل.وهناك افكار عن الصلة بين العالمي والخاص كانت محورية بالنسبة لكل الحضارات الكبري،حتي ما عرف بالسلسلة العالمية- المحلية او السلسلة المحلية – العالمية كان قد طُرح منذ القرن الثاني قبل الميلاد حين كتب بوليبيوس في كتابه التاريخ العام "فيما مضي لم يكن للاشياء التي حدثت في العالم صلة ببعضها البعض... اما منذ ذلك الوقت فان كل الاحداث مترابطة في حزمة واحدة".لكن لم يتم التفكير واقعيا في ان البشرية تتجه نحو التحول إلى مجتمع واحد الا في العصور الحديثة نسبيا.
العالم كان من الممكن ان يصبح نسق واحد تقريباً وعبر مسارات غير تلك التي اتخذت،كاستخدام الجيوش وتكاليف حروب العالم فيما يفيد البشرية.من خلال دول كبرى لدولة واحدة او تحالف كبير بين اسرتين حاكمتين او دولتين او اكثر او بالانتصار العالمي لأحد اشكال الدين المنظم او بتبلور"الروح العالمية" او تمخض النزعة القومية عن مثال التجارة الحرة او بنجاح الحركة الفيدرالية العالمية او بطرق اخري.
وبالتوافق مع الظروف المعاصرة هذه الاحتمالات يتساوي في القدم مع تاريخ العالم نفسه باي معني واسهم في نشاة العالم الواحد.وقيام امبراطورية كبيرة توحد اقاليم وكيانات اجتماعية تحت لواءها في فترة تاريخية ما يعني السير في اتجاه وحدة العالم.وبالمثل اي اتجاهات مضادة تعني السير في عكس ذلك كتفكك الدول الاسلامية والجمهورية العربية المتحدة وأوروبا في العصور الوسطي.لكن للاسف نشات الدولة الاقليمية ساعد على دفع الامبريالية قدماً ومعها تصورات عن العالم ككل.ولو ظهر نمط مختلف عن الحربين العالميتين الاولي والثانية في وقت اي منهما لظهر معه نمط جديد من السلام.ومشكلة العالم الواحد يمكن ان تصبح اساس لصراعات ايديولوجية وتحليلية في القرن ال21.ووضع خرائط للعالم اجتماعيا وعلميا امر شائع خاصة بعد فترة الستينيات مع انتشار مفاهيم تتعلق بوجود العالم الثالث،واستقطب العالمين الاول (الليبرالي الراسمالي) والثاني (الشيوعي الصناعي النامي) من ناحية اخري. ومنذ تلك الحقبة –وهي بداية مرحلة عولمة القرن-انتشر عدد كبير من الخرائط المختلفة للنسق العالمي للمجتمعات القومية.وكانت في الحقيقة خرائط ايديولوجية متصارعة او علمية لدرجة يمكن القول معها إن لغة خطاب وضع الخرائط يعد عنصر حيوي بالنسبة للثقافة السياسية العالمية،وهو عنصر يدمج الجغرافيا كما في مصطلحات الشمال والغرب،والجنوب والشرق مع الانماط السياسية والاقتصادية والثقافية لوضع الدول على الخريطة العالمية الدولية.وبرزت الدولة القومية او المجتمع القومي منذ حوالي اواسط

القرن ال18،ونتشرت في القرن ال20.وبذلك تجانس الدولة القومية ثقافيا هو بناء من نمط خاص من انماط الحياة.

ويشير علماء الاجتماع(الانثروبيولوجيا) إلى ان كل الافراد يشتركون في بعض السمات مع غيرهم في حين ان كل الافراد يشتركون ايضا في سمات اخري مع بعض الاخرين،ومع ذلك فان كل الافراد لديهم سمات يشترك معهم فيها احد.فالنمط الاساسي ان كل شخص يمكن وصفه بثلاث طرق،وهي الخصائص العالمية للنوع،ومجموعات الخصائص التي تعرف ذلك الشخص كعضو في سلسلة من الجماعات،والخصائص التوفيقية للشخص.

وفي بدايات القرن ال21 يشعر العالم خاصة الشباب بالتناقض بين التحديث والتغريب.والبعض اقترح للخروج من هذا المأذق هو التأكيد على انهما متطابقان.ووجهة النظر هذه تري ان التحديث يتحقق في اسيا وافريقيا بقدر ما تنغمس في التغريب.وهو ما يعني تحويل الثقافة الغربية إلى ثقافة عالمية.وهو ما يشبه الزعم بان الحضارة الغربية هي الوحيدة بين كل الحضارات التي استطاعت بصورة ما ان تتطور من الشكل قبل الحديث إلى الحداثة.وهو المعني الواضح في اغلب الاستشراق كاحد فروع المعرفة.فلما كانت الثقافة الاسلامية والصينية والهندية ثقافات رفيعة ومركبة لم يجهد الغربي نفسه في دراسات طويلة.فلجا لشرعية المحلية،ليس هذا فقط بل افترضو ان هذه الثقافات الشرقية الرفيعة تجمدت تاريخيا وعجزت عن التطور,ولكن لا يمكن تغييرها الا من خارجها. فيمكن تعلم لغات الغرب وتقبل تكنولوجيا الغرب ايضا.ولكني اري ان الثقافات الاخري سيشهد تواجد خاصة الاسلامية،بل سيحاول الغرب التغريب في الشرق وثقافته بشكل عام.اي قبل التكيف تتعدد الثقافات في العالم ومع مرور العقود يحاول الناس في العالم خلال القرن ال21 التكيف مع الحديث قبل ان يتكيفوا معه بالفعل.

جغرافيات العولمة	المتحمسون للعولمة	المشككون فيها	المؤمنون بالتحول
الجغرافيا الاقتصادية	السوق موجودة في كل مكان والشركات العابرة للقوميات قوية.تعوض الشبكات تقسيم المركز-الهامش.لا يضمن النشاط في الدول القومية.التحرير والتقارب	تشكيل تكتلات تجارية.نمو تقسيم المركز-الهامش.يضمن النشاط في الدول القومية.تعكس الشركات العابرة للقوميات الاستراتيجيات القومية.التنظيم والتباعد	تعايش الشبكات والانماط البنيوية.تحكم الدول القومية والشركات العابرة للقارات في الاسواق.اعادة التنظيم والتقارب والتباعد في الوقت نفسه
الجغرافيا السياسية	حكامة عالمية تقودها السوق،الدولة القومية تُعوض بالدول الاقليمية (الطبيعية).تذوب الحدود وتستسلم السلطة العليا للسوق العالمية	اقليمية يقودها المركز.تستسلم السلطا العليا لمجموعات اقليمية مصممة من قبل الدول القومية.ازالة الحدود	حكامة ذات طبقات متعددة في مستويات ثلاثة- مستوي عالمي،وقومي،ومحلي.تبقي الدولة القومية المركزية.التمركز والتردي في نفس الوقت

الجغرافيات الثقافية	حضارة عالمية جديدة.ثقافة استهلاكية متجانسة وسيطرة العلامات التجارية العالمية.تعميم الهويات الثقافية عالمياً	ثقافات متصادمة.كتل حضارية محصنة وهويات ثقافية متمايزة جُعلت نسبية	ثقافات هجينة محلية وعالمية جديدة.امكانية تغيير ثقافي تقدمي.ولكن التغريب يسيطرخلال العقود الاولي من القرن ال21
التنمية/ التفاوت	تحقيق التنمية بالمشاركة في العولمة.حل للفقر بالسوق.لا مفر من التحالف والاندماج	لاتنمية مهددة من قبل التوسع الراسمالي العالمي.نمو التهميش بانتشار السوق	تقدم العولمة التهديدات والفرص للتنمية.التقدم رهن بالتدبير الحذر
الرسالة الاخلاقية	مع العولمة.العولمة حقيقية،وهي قوة جيدة اخلاقيا للتقدم	ضد العولمة في بعض القراءات.العولمة خطاب تذيعه المصالح القوية	تحول العولمة.العولمة حقيقية وتتطلب التنظيم لجعلها اكثر فعالية
البيئة/ الاستدامة	حل للاستدامة من قبل السوق.تسعر السوق البيئة بفعالية وتحل التكنولوجيا الندرة	الاستدامة مهددة من قبل الراسمالية العالمية.انتشار الحداثة والنزعة الاستهلاكية تدفع بالبيئة إلى حدودها القصوي	يمكن الوصول إلى الاستدامة من خلال الفعل السياسي.اصبحت المشاكل والهموم البيئة عالمية.التنظيم من الاعلي والاسفل مطلوب

والعالم بداية من القرن ال21 وحتي القرون القادمة يعطي اولوية للجدة والتغيير والتقدم،بعد ان كان يعطي اولوية في معظمه من القِدم والاستمرارية والتراث،خاصة في مجال السياسة وانظمة الممالك.ورغم ان العالم اقتصاده راسمالي الا ان هذه الراسمالية اخفقت في اكتشاف قدرة الروح الوطنية على تحقيق التماسك.وكثيرا ما تلقي الوطنية المغالاة ورفض المواطن للغرباء والمهاجرين،حتي ان البعض يشير إلى احتمالية تحول الوطنية نفسها إلى عنصرية.

وفي ظل اقتصاد عالمي متعدد القوي تكون دول في القمة ودول اخري في القاع.وهذا ينبع من فكرة ان المتقدم يقود والمتخلف يخدم المتقدم.كما ان وجود مناطق متقدمة واخري متخلفة يساهم في عملياة اللا مساواة في كل شئ ويجعل العالم عبارة عن مركز وهامش.واضمحلال دول قوية كالولايات المتحدة وصعود دول لا بد ان يتقبله الدول نفسها وتعيه لانه تغيير طبيعي وسنة حياتية.اما الانكار فليس الا تعبير عن ضعف القيادة اللحظي.خاصة اذا علمنا ان القوة تسبق علاقات التبادل التجاري.كما ان العلاقات الثقافية تسبق العلاقات السياسية

نظام الدولة الواحدة التي تحكم العالم محصلة للصراع من اجل القوة بين الدول ذات السيادة بدلا من تعددها وتقاسم الحكم والثروة العالميين.العالم يسير نحو عقلانية الثقافة والتقنية مما يؤدي إلى هبوط مشكلات اجتماعية سياسية إلى مرتبة المسائل الفنية التي يتم ايجاد حلول فنية لها.وهذا امر جيد بعد ان سيطر المناخ غير العقلاني

والمضاد للفكر واعتبار الذاتية هي محك الاحكام الثقافية،والتاثير في الذات مقياس للقيمة الجمالية,ولكني اخشي من شيوع العبودية للاشباع الغريزي باعتبار ان الثروة والمتعة متلازمتان.ووجود العقلانية القوي لا يعني زوال الدين فزوله معناه ضياع قوة ربط اجتماعي،وسوف تشهد مناطق كبيرة من العالم عودة قوة الدين لانه من اسبابها الحاجة النفسية وخدمة الجوانب الاجتماعية.و الدين يمثل الجزء العظيم من الوعي الانساني وبحث معرفي عن نموذج للنظام العام للوجود،و الحاجة العاطفية لايجاد طقوس واضفاء قدسية تخلق استجابة للذات،وبالمثل الحاجة الوجودية لمواجهة حقائق عديدة مثل الحياة والموت والاخرة.

ويشهد العالم انتشار عالمي للوعي التكنوقراطي المستمد من سيطرة العلوم التطبيقية.وقد يكون ذلك بداية لنهاية الايديولوجيا.خاصة ان النطاق الثقافي يتحول إلى تابع لتكنولوجيا المعلوماتنفما من اساس غير العقلانية الالية يمكن انتقاد الانسان وتقييمه بها.ومن هنا يمكن ان يكون مجتمع المعلومات مجتمع استعماري ثقافياً.ففي الماضي كان الاحتلال وفي القرن ال20 التبعية وفي عصر المعلوماتية تحريك العالم شعوبه وحكوماته من خلال المعلومات ووسائل الاتصال والاعلام،و جميع هذه الوسائل فوق قوة الدولة الواحدة وعابرة لحدود اقاليم عديدة وليس دولة واحدة.ورغم امكانية وجود ثقافة عالمية الا انه يصعب وجود هوية عالمية.لكن على مر العصور اذا استمرت حضارة ما اكثر من قرنين يمكنها ان تكون هوية عالمية نتيجة لوجود ذكريات مشتركة واحساس بالاستمرارية بين الاجيال.ويمكن وجود هوية عالمية من خلال حضارات تكمل بعضها في تعاقب رغم تغيير القيادة الدولية وهذا يتطلب اتفاق وتوافق.يمكن تطبيقه من خلال الشركات العابرة للقارات او قيادات الراسمالية العالمية كمثال.وللحفاظ على الثقافة المحلية يجب تسييس الثقافة والحشد الشعبي ووضع قواعد واسس عامة للدولة وفق ثقافتها وهويتها التاريخية في الماضي والحاضر والمستقبل ايضا.من هنا تستطيع الدولة مواجهة الحروب الثقافية.ويمكن لكل اقليم ان يكون اسس لثقافة اقليمية ومن ثم هوية مشتركة فيما بعد،ثم يتلوهما نشر الثقافة الاقليمية إلى اقاليم ودول اخري لتسود كثقافة عالمية.ولدي الدول الاسلامية والعربية كافة الامكانيات اذا ركزو في ذلك خاصة ان تاريخهم كان ذو هوية اقليمية وليس ثقافة فقط.وبدلا من الحروب والصراعات والاحتلال والتبعية يجب ان تسود فكرة التنمية والتطور والتعاون والتفاهم الاقتصادي والثقافي..الخ.داخل الدولة المحلية وبين دول العالم.وهذه الفكرة اهم من فكرة السلام بين الدول لانها تتخطاها إلى التنمية والتعاون وليس سلام فقط.كما يجب القضاء على ثقافة الفردية التي اشاعت الانانية والجشع والرفاه المجنون لتحل محلها الجماعية التي تؤدي للتعاون والتواصل والتراحم والاحساس بالذات والاخر.خاصة مع انتشار الثقافة

والاقتصاد والاتصال والمعلومات العابرة للحدود.ومن هنا نجد تعاون ما هو عالمي مع ما هو محلي والعكس.لكن الاخطار التي تواجه البشر في كل دول العالم بسبب الجهل الجسدي والاخلاقي مثل الجنس والكحوليات وفي الحفلات وفي النوادي وفي الطرقات والازقة والسيارات لن تغيب عن عالم المستقبل.وتتفاوت القوانين السلوكية التي تحدد التجارب التجارب التي تحدد التجارب التي يغيب فيها العقل،حسب مدي المشاركة والتواجد في ظروف وممارسات تشكلها:أ- الفئة العمرية،ب- العقدة الجنسية كالجنس اللا اخلاقي/الزنا غير المثمر،ج- الهوية الجنسية كالشذوذ والثنائية،د- المعتقدات الدينية الخاطئة،هـ- الاثنية،و- التصنيف الاجتماعي الاقتصادي اي مستوي التعليم والدخل والايديولوجيا المهنية.

الدين في عالم القرن ال21 ياخذ شكلين الاول اداء المهام الدينية والثاني الدخول في الساحة السياسية والعامة،وهذا الاحتمال-الثاني- اما ان يكون عالمي واما ان نجم عن حركة سياسية عالمية.ولكن الاديان تتجه للخصخصة ونمو للدين بعدد كبير من الاتجاهات عبر نطاق من الاحتمالات الدينية من الزهد والمفرط والمتشدد والليبرالية والاشتراكية..الخ.واري ان تقوم دول العالم المختلفة بوجود خط ديني واضح وصحيح ينبع من مصدر له قدسية لدي المواطنين ولا تعترف اي دولة غيرها بغيره وهذا يدعو إلى اتحادات دينية رئيسية للعالم.خاصة ديانات الاسلام ويقوده الازهر والمسيحية ويقودها اتحاد الكنائس العالمي.

الفصل السادس

الاحتواء والحمائية وتهويد العقول

استراتيجية الزعامة الأمريكية الكبرى

الاستراتيجية الكبرى لأمريكا في المستقبل تنطوي على مفهوم عملية توفِّق فيها الدولة بين الأهداف والوسائل في سعيها إلى الأمن، ومرتكزات استراتيجية -النفط -القواعد -الأسواق —إسرائيل.

وتشمل الاستراتيجية الكبرى في زمن السلم ما يلي :تحديد مصالح الدولة الأمنية؛ وتمييز الأخطار التي تهدد تلك المصالح؛ وتخصيص موارد عسكرية واقتصادية ودبلوماسية للدفاع عن مصالح الدولة. وبهذه الصورة تتناول الاستراتيجية مسائل عدة منها المناطق المهمة لأمن الولايات المتحدة في العالم,و هل ستنهض دول عظمي جديدة تهدد المصالح الأمريكية ؟ وما

التحالفات التي يجب أن تلتزم بها الولايات المتحدة؟ ثم هل للولايات المتحدة مصلحة في" الاستقرار "الإقليمي وفي أية مناطق وفي الاعتماد الاقتصادي المتبادل؟ ما التوازن المناسب بين التزامات الولايات المتحدة الخارجية واحتياجاتها الداخلية؟ ما القوى العسكرية التي تحتاجها الولايات المتحدة للدفاع عن مصالحها؟

وبعبارات ملموسة تجري الاستراتيجية الكبرى يوميًا تقريبًا بشأن توسيع الناتو، والصين، والعلاقات الأمريكية اليابانية، والشرق العربي، وسياسة الولايات المتحدة بشأن انتشار أسلحة الدمار الشامل، والسياسة التجارية، وموازنة الدفاع .وهذه ليست قضايا منفصلة . وإنما يقع على الاستراتيجية الكبرى أن تقيم الانسجام بينها.

وقد كانت استراتيجية الولايات المتحدة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تصاغ بشكل ظاهر بدافع احتواء الاتحاد السوفييتي .وجعلت متطلبات الحرب الباردة سياسة الولايات المتحدة الخارجية واضحة الهدف .ومع نهاية الحرب الباردة صار من الممكن إعادة النظر في المبادئ الأولى لسياسة الولايات المتحدة الخارجية وإعادة تصور الدور العالمي لأمريكا من البداية.

كان في وسع الولايات المتحدة بعد اختفاء الدولة العظمى المنافسة لها أن تعيد النظر لو أنها أرادت في مختلف الأعباء الدولية التي كانت تتحملها في أثناء الحرب الباردة .كان التهديد من جانب الاتحاد السوفييتي هو الحافز على التزام أمريكا بالناتو، وعلى الوجود العسكري الأمريكي في شرقي آسيا.وكان تدخل الولايات المتحدة في الدول النامية هو كذلك يذكيه التنافس الجيوسياسي مع الاتحاد السوفييتي.وبعد انتصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة كان بإمكانها التخلي عن التزاماتها الخارجية ذات الكلفات الباهظة، وتركيز طاقاتها لحل" سلسلة "من القضايا الاجتماعية والاقتصادية الداخلية التي طال إهمالها, لكن هذا لم يحدث.

في الحقيقة لم يطرأ تبدل مواز على استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى، فلا تزال الولايات المتحدة تتبع في مجال الطموحات والمصالح والتحالفات الاستراتيجية الكبرى ذاتها التي كانت تتبعها منذ ١٩٤٥ حتى 1991، أعني استراتيجية الهيمنة .
والحقيقة أن صانعي السياسة الأمريكية سعوا بعد الحرب العالمية الثانية إلى خلق نظام عالمي تتزعمه الولايات المتحدة يعتمد على قوة عسكرية واقتصادية وسياسية أمريكية متفوقة، وعلى قيم أمريكية،وقد كان ذلك جوهر سياسة الهيمنة ولا يزال.
من المؤكد أن استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى مرت بعد الحرب الباردة بعدة مراحل . ففي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت خطة واشنطن لما بعد الحرب تقوم على أن هيمنتها يجب أن تعتمد بالدرجة الأولى على قوتها المالية والاقتصادية الغامرة التي عبر عنها نظام بريتون وودز الدولي وعلى التأثير السياسي والدبلوماسي الذي تمارسه عبر المنظمات المتعددة الأطراف والدولية ولا سيما الأمم المتحدة. وعلى الرغم من أن احتكار الأسلحة النووية كان بمثابة خلفية استراتيجية لسياسة الولايات المتحدة خلال الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٨ فإن القوة العسكرية لم تكن هي الأداة الأساسية في سياسة واشنطن.
وعلى الرغم من أن احتكار الأسلحة النووية كان بمثابة خلفية استراتيجية لسياسة الولايات المتحدة خلال الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٨ فإن القوة العسكرية لم تكن هي الأداة الأساسية في سياسة واشنطن .ولم تصبح سياسة الولايات المتحدة الخارجية عسكرية إلا في فترة 1945 إلى 1948 التي شهدت انتصار الشيوعية في حرب الصين الأهلية، وتفجير الاتحاد السوفييتي أولى قنابله النووية واندلاع الحرب الكورية.
ومهما يكن الأمر فقد كانت واشنطن تسعى إلى التفوق على النطاق العالمي قبل مدة غير قليلة من ظهور المنافسة ثنائية القطب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .كانت الولايات المتحدة، على حد قول جون لويس جاديس،" تتوقع أن تصبح زعيمة النظام العالمي الجديد " بعد ١٩٤٥،" وقلَّ بين المؤرخين من ينكر اليوم أن الولايات المتحدة كانت تتوقع السيطرة على المسرح الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وأنها كانت تسعى إلى هذا قبل أن يبرز الاتحاد السوفييتي كخصم ظاهر وحاضر".
وحتى بعد اندلاع الحرب الباردة كانت الهيمنة الأمريكية، لا احتواء الاتحاد السوفييتي، هي القوة الدافعة وراء استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى .وقد ظهر هذا بوضوح في ورقة لمجلس الأمن القومي، تضمنت القاعدة الفكرية لسياسة احتواء" كونية " و"عسكرية ."جاء في هذه الوثيقة :التي شهدت انتصار - تصبح سياسة الولايات المتحدة الخارجية عسكرية إلا في فترة ١٩٤٩

الشيوعية في حرب الصين الأهلية، وتفجير الاتحاد السوفييتي أولى قنابله النووية واندلاع الحرب الكورية.

ومهما يكن الأمر فقد كانت واشنطن تسعى إلى التفوق على النطاق العالمي قبل مدة غير قليلة من ظهور المنافسة ثنائية القطب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .كانت الولايات المتحدة، على حد قول جون لويس جاديس،" تتوقع أن تصبح زعيمة النظام العالمي الجديد " بعد ١٩٤٥،" وقلَّ بين المؤرخين من ينكر اليوم أن الولايات المتحدة كانت تتوقع السيطرة على المسرح الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وأنها كانت تسعى إلى هذا قبل أن يبرز الاتحاد السوفييتي كخصم ظاهر وحاضر".

وحتى بعد اندلاع الحرب الباردة كانت الهيمنة الأمريكية، لا احتواء الاتحاد السوفييتي، هي القوة الدافعة وراء استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى .وقد ظهر هذا بوضوح في ورقة لمجلس الأمن القومي. وتضمنت القاعدة الفكرية لسياسة احتواء" كونية " و"عسكرية ."جاء في هذه الوثيقة: ١ -هدف القوة الأمريكية" تشجيع قيام بيئة عالمية يستطيع النظام الأمريكي أن يعيش فيها ويزدهر.

٢ -استراتيجية الهيمنة هى" الاستراتيجية التي ربما اتبعتها الولايات المتحدة ولو لم يكن الاتحاد السوفييتي موجودًا .

3- دور الاتحاد السوفييتي في استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى كان دورًا غريبًا .فمن جهة كان التهديد السوفييتي عرضيًا تمامًا في الحقيقة بالنسبة لاستراتيجية الولايات المتحدة لأن مطامح أمريكا الدولية كانت قائمة بصرف النظر عن وجود الاتحاد السوفييتي .ومن جهة أخرى، كان وجود الاتحاد السوفييتي ضروريًا جدًا لتحقيق أهداف الولايات المتحدة الاستراتيجية لأن الحرب الباردة اسبغت في داخل البلاد وخارجها معًا شرعية على توسع القوة الأمريكية .ولولا الحرب الباردة لما توافر لصانعي سياسة الولايات المتحدة الحجة لتبرير سعي أمريكا إلى الهيمنة الشاملة.

وإذا سلمنا بأن أهداف استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى بعد الحرب لم تكن ذات صلة بالمنافسة بين الدولتين العظميين فليس من المستغرب أن تظل الاستراتيجية الكبرى بلا تغيير على الرغم من اختفاء الاتحاد السوفييتي.واليوم، كما كان الحال بعد الحرب العالمية الثانية تسعى استراتيجية الهيمنة إلى زيادة تحكُّم الولايات المتحدة في النظام العالمي عن طريق منع بروز دول عظيمة منافسة لها في أوروبا وشرقي آسيا.

وكما كان الحال بعد الحرب العالمية الثانية تعكس الاستراتيجية الاعتقاد بأن الاعتماد المتبادل الاقتصادي يعد مصلحة أمنية حيوية للولايات المتحدة. واليوم، كما كان الحال في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تعتمد الاستراتيجية على منطق مُؤلف من ثلاث خطوات :الاعتماد المتبادل هو المصلحة العليا التي تشجعها الاستراتيجية؛ ويعد عدم

الاستقرار تهديدًا للاعتماد المتبادل؛ والردع الموسع هو الوسيلة التي تلجأ إليها الاستراتيجية لمواجهة هذا التهديد.

والهيمنة أو الزعامة هي استراتيجية واقعية تسعى إلى إدامة السيطرة الجيوسياسية ما بعد الحرب الباردة .ويعتقد أنصار الهيمنة أنه على الولايات المتحدة أن تسعى إلى زيادة قوتها النسبية إلى أقصى حد أي قوتها بالمقارنة مع قوة الدول الأخرى، وذلك لأن السياسة الدولية على قدر كبير من التنافسية .

وتقوم استراتيجية الهيمنة على افتراض أن الدول تكسب الأمن لا من خلال توازن القوى، بل عبر اختلال توازن القوى لمصلحتها أي بسعيها إلى الزعامة .ففي العالم الذي تغلب عليه الخشونة والتنافس يعتمد أمن الدولة على القوة" الصعبة "القوة العسكرية ودعاماتها الاقتصادية، ومن الأفضل للدولة أن تكون هى الدولة رقم ١ بين الدول.

ويرى أنصار الاستراتيجية أن الاستقرار المنسق غياب كل من الحرب والسباقات الأمنية وانتشار الأسلحة مرتبط بقوة الولايات المتحدة العسكرية. وتفترض استراتيجية الهيمنة أن للولايات المتحدة مصلحة حيوية في الحفاظ على" الاستقرار "وهو اصطلاح فضفاض ومبهم في النظام الدولي. وتنطوي اسسه الاستراتيجية على الخوف مما قد يحدث في عالم لم تعد قوة الولايات المتحدة المهيمنة هى التي تعطيه شكله .وأنه من الضروري استمرار زعامة الولايات المتحدة لأنها تبدو شرطًا للاستقرار الشامل .وينطوي عدم الاستقرار على خطر لأنه يهدد بالقضاء على الرابطة التي تصل ما بين أمن الولايات المتحدة والمصالح الاستراتيجية التي نمّاها الاعتماد الاقتصادي المتبادل .والاعتماد الاقتصادي المتبادل هو إحدى مصالح الولايات المتحدة العليا اعتقادًا بأنه سبب السلم والاستقرار في النظام الدولي ونتيجة لهما في الوقت ذاته .والواقع أن دور الاعتماد المتبادل في استرداد الهيمنة هو دور دائري. فالاعتماد المتبادل هو مصلحة حيوية لأنه يؤدي إلى السلام والاستقراروالازدهار؛ لكن لابد من توافرالسلام والاستقرار في النظام الدولي قبل أن يتوافر فيه الاعتماد المتبادل.ومن حيث الجغرافيا تنظر استراتيجية الهيمنة إلى كل من أوروبا وشرقي آسيا والخليج العربي كمناطق تقوم فيها للولايات المتحدة مصالح أمنية حيوية .وُتعد أوروبا وشرقي آسيا منطقتين مهمتين لأنهما يمكن أن تبرز منهما دول عظيمة جديدة، وأن تندلع فيهما في المستقبل حروب بين الدول العظيمة؛ ولأنهما تقومان بدور مركزي في عمل نظام اعتماد اقتصادي متبادل دولي؛ ولأنهما حيويتان لازدهار الولايات المتحدة .أما الخليج العربي فهو مهم بسبب النفط . وتؤلف هذه المناطق الثلاث، جغرافيًا، مصالح أمريكا الحيوية لكن مصالح الولايات المتحدة الأمنية ليست محصورة في هذه المناطق .ولابد لها أن تهتم أيضًا بالأطراف ,وهي مناطق بعيدة جغرافيًا عن القلب لأن الاضطراب فيها يمكن أن يؤثر في القلب.

وتعين استراتيجية الهيمنة تهديدين رئيسين لمصالح أمريكا المتشابكة اولهما ظهور دول عظيمة جديدة، و"تدفق "عدم الاستقرار من مناطق طرفية استراتيجيًا إلى مناطق مصلحة استراتيجية مركزية.

وثانيهما يمكن أن يكون لظهور دول عظيمة جديدة نتيجتان مؤذيتان للولايات المتحدة بسبب أولا، يمكن أن تطمع في الزعامة الدول العظيمة الجديدة، وإذا ما نجحت في هذا فسوف تهدد أمن الولايات المتحدة تهديدًا جديًا .ثانيًا، كان بروز دول عظيمة جديدة في التاريخ ظاهرة جيوسياسية مضرة بالاستقرار.

هنا يرد إلى الذهن كيف أن بروز الولايات المتحدة، وألمانيا واليابان كدول عظيمة في أواخرالقرن التاسع عشر قد أسهم في حدوث اضطراب دولي بلغ الذروة في الحرب العالمية الثانية.

إن معظم العاملين في سياسة الولايات المتحدة الخارجية يعترفون ولو على مضض بأنه لا يمكن عمل شيء لمنع بروز الصين دولة عظيمة جديدة لأنها تقع خارج نطاق نفوذ الولايات المتحدة .لكن يجب أن نلاحظ أنه توجد فئة بين الاستراتيجيين تعتقد بأنه على الولايات المتحدة أن تحول بين الصين وبين أن ترتفع إلى مصاف الدول العظيمة وذلك بالتحريض على الاضطرابات الداخلية فيها أو، إذا لم ينجح هذا، بشن حرب وقائية عليها . وقد يكون على الولايات المتحدة أن ترضى ظاهريًا عن نهوض الصين إلى وضع دولة عظيمة .لكن في نطاق نفوذ واشنطن يظهر بوضوح أن استراتيجية الهيمنة تهدف إلى منع بروز ألمانيا واليابان كدولتين عظيمتين وهذا بإدخالهما في إطار الأنظمة الأمنية والاقتصادية الخاضعة للويات المتحدة. ويخشى صانعو سياسة الولايات المتحدة من "إعادة "اليابان وألمانيا أو كليهما إلى يمكن أن يطلق تفاعلَ سلسلة جيوسياسيامعاكس إلى(حظيرة القومية) اصطلاح مربِك يستخدمه محللو السياسة إن" العودة إلى حظيرة القومية الخارجية لوصف عواقب السماح لطوكيو وبرلين باتباع سياسة خارجية وسياسية عسكرية مستقلتين .أي سياستين لا تعودان محصورتين بممارسة القوة الأمريكية. وهذا الاصطلاح أسلوب ما أيضًا _كلمة رمزية _ يستخدمها صانعو السياسة الأمريكية لتجنب قول ما يدور فعلا في أذهانهم, أي أنهم لا يثقون بأن اليابان الناهضة وألمانيا الناهضة ستسلكان سلوكًا مسؤولاً.

وتفترض استراتيجية الهيمنة أن انبعاث القوة الألمانية واليابانية مرة ثانية من شأنه أن يوقظ من جديد لدى جارات هاتين الدولتين في أوروبا وشرقي آسيا المعضلة الأمنية التي كانت نائمة في أثناء الحرب الباردة .فمعضلة الأمن "توضح عاملا محركًا مهمًا في السياسة الدولية .فنظرًا لعدم وجود سلطة مركزية تَسن القواعد وتفرضها في السياسة الدولية، تضطر الدول إلى الاعتماد على نفسها حين يتعلق الأمر بأمنها أي تصبح كل دولة مسؤولة

عن تأمين بقائها الذي لا يمكن ضمانه إطلاقًا كما ثبت بمصير الاتحاد السوفييتي، والنمسا والمجر، والإمبراطورية العثمانية، ويوغسلافيا، والدفاع عن مصالحها الخاصة ما لم تأخذ الولايات المتحدة طبعًا على عاتقها القيام بهذه المهمات بدلا منها .لكن الأعمال التي تقوم بها إحدى الدول دفاعًا عن نفسها تبدو تهديدًا في نظر جاراتها فترد عليها بدورها باتخاذ تدابير دفاعية خاصة بها .وتكون النتيجة غير المقصودة ظهور توترات سياسية من فعلٍ ورد فعل وسباق تسلُّح، أي "سباق أمني" .

بعد الحرب العالمية الثانية حسنت الولايات المتحدة وضع المعضلة الأمنية في أوروبا الغربية وشرقي آسيا بالقيام بدور"المهدئ "لتلك المناطق بحسب تعبير محلل السياسة الخارجية جوزيف جوفي .وكان الناتو والمعاهدة الأمنية اليابانية الأمريكية أداتي التهدئة . وقد خلقت تهدئة أمريكا شرقي آسيا وأوروبا الظروف للاعتماد الاقتصادي المتبادل الذي نما بعد ١٩٤٥وعلى الرغم من أن الحرب الباردة قد انتهت، لا يزال صانعو السياسة الأمريكيون يرون أن دور أمريكا المهدئ في أوروبا وفي آسيا دور حيوي يقوم على الوجود العسكري الأمريكي في تلك المناطق.

ويخشون من أنه إذا اضطرت الولايات المتحدة إلى الانسحاب من أوروبا وشرقي آسيا وإلى ترك ألمانيا واليابان للاهتمام بأمنهما الخاص فسوف تنشأ سباقات أمن إقليمية .وتكون النتيجة، في أحسن الأحوال،ازدياد التوتر السياسي، الأمر الذي يجعل التعاون الدولي أصعب .وتؤدي" إعادة بعث القوميات"، في أسوأ الأحوال، إلى تقويض الاستقرار الإقليمي وربما قادت إلى الحرب .وفي الحالتين تتعرض للخطر مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية التي ازدهرت بفضل الاعتماد الاقتصادي المتبادل. وإلى جانب ظهور دول عظيمة جديدة يمكن أيضًا أن يسيء إلى مصلحة أمريكا في الاستقرار الدولي الاضطراب الذي يحدث في الأطراف والذي ينشأ نتيجة لسقوط الدول، أو للصراعات التي تشعلها الخلافات العرقية والدينية والقومية .ويمكن للفتن التي تقع في الأطراف أن تحفز حلفاء الولايات المتحدة إلى العمل بصورة مستقلة من أجل الحفاظ على النظام في الأطراف، كما يمكنها أيضًا أن تطلق شبح"العودة إلى القومية"، أو أن تنتقل إلى القلب، وتقضي على الازدهار بقطع الصلات الاقتصادية التي تربط الولايات المتحدة بأوروبا وشرقي آسيا.

إن الضمانات الأمنية الأمريكية لأوروبا وشرقي آسيا هي الوسيلة التي تحافظ بها استراتيجية الهيمنة على نظام سياسي دولي يؤدي إلى الاعتماد المتبادل .فمن خلال هذه الضمانات تحتفظ الولايات المتحدة بمسؤولية الدفاع الأولى عن مصالح ألمانيا واليابان الأمنية سواء في قلب البلاد أم في أطرافها.

وبناء على ذلك تنكر الولايات المتحدة على ألمانيا واليابان القيام بمبادرات للعودة إلى سياسة قومية خارجية وأمنية، وللتحول إلى دولتين عظيمتين. لهذا الولايات المتحدة هي

في سبيل تنفيذ استراتيجية الهيمنة بصورة ناجحة، طبقًا لما ورد في وثيقة تخطيط صادرة عن البنتاجون في ١٩٩٢،" أن تحسب حسابًا كافيًا لمصالح الأمم الصناعية الكبيرة لئلا تتشجع على تحدي زعامتنا، أو تسعى إلى قلب النظام السياسي أو الاقتصادي المستقر". ليس في هذا، كما قلت، أي جديد , فالمتابعة لا التغيير كانت هي العلامة الفارقة لاستراتيجية الولايات المتحدة الكبرى منذ ١٩٤٥ حتى الآن.

وقد حاولت الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية منع ظهور منافسين جيوسياسيين جدد. وفي الأربعينات قبلت طبعًا، على مضض، حقيقة وجود الاتحاد السوفييتي .وكان هذا لأن" الحرب الوقائية"،التي لم تكن خيارًا جديا، كانت هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تمنع الولايات المتحدة بها الاتحاد السوفييتي من الوصول إلى مرتبة الدولة العظمى .لكن ابتداء من ١٩٤٥ فصاعدًا كانت الولايات المتحدة__وصممت أن تبقى _ الدولة العظيمة الوحيدة في نطاق نفوذها الخاص، أعنى في العالم غير السوفييتي. بأنه كان صانعو السياسة في الولايات المتحدة يعتقدون انه يجب ألايسمح بقيام أوروبا متحدة أو ألمانيا مو حدةوكلاهما تم رغماَ عن ارادتها أو يابان مستقل كقوة ثالثة أو كتلة حيادية.

من السهل أن ننسى أن الولايات المتحدة كانت خلال الحرب الباردة وخارج العالم غير السوفييتي هى القوة العظمى الوحيدة، وكانت تسعى إلى إبقاء الأوضاع على تلك الصورة. يمكن الاعتراض، طبعاً بأن الولايات المتحدة بدلاً من كبح عودة ظهور مراكز قوة منافسة لها في نطاق نفوذها كانت تشجع ظهورها بتسهيلها استعادة أوروبا الغربية واليابان عافيتهما بعد الحرب .ولكن يرد على هذا أن الولايات المتحدة كانت في الوقت ذاته تحافظ على سيطرة سياسية محكمة على هذه الدول. فقد كانت واشنطن تريد أن تكون أوروبا الغربية واليابان على درجة من القوة كافية لاحتواء الاتحاد السوفييتي .ولكنها لم تكن تريد لهما أن تصبحا على درجة من القوة كافية لتحدي الزعامة الأمريكية .كانت الولايات المتحدة مهتمة بصورة خاصة باحتواء قوة ألمانيا) الغربية واليابان العائدة إلى الظهور .وبهذه الصورة كانت استراتيجية أمريكا بعد الحرب، كما قال عالم السياسة الألماني، ذات احتواء مضاعف .أي أن الولايات المتحدة كانت تسعى في الوقت ذاته إلى احتواء الاتحاد السوفييتي وإلى احتواء ألمانيا واليابان أيضًا.وعلى الرغم من أن الإمبراطورية الأمريكية بعد الحرب كانت، كما كانت إمبراطورية بدعوة"، فقد كانت إمبريالية في الوقت ذاته، وكانت الولايات المتحدة " ولا تزال تسعى إلى الاحتفاظ بوضعها المتميز جيوسيآسيا إزاء أوروبا الغربية واليابان.لماذا يتحمل المرء مشقة انتقاد استراتيجية الهيمنة؟ فهذه الاستراتيجية.لكن، في عالم الواقع يمكن أن تكون أضرار الهيمنة للمصالح الأمريكية أكثر من منافعها .فالحكم على صلاح الاستراتيجية يتوقف

على الإجابة عن الأسئلة الآتية, هل تستطيع الولايات المتحدة منع نهوض دول عظيمة جديدة فتبقي على زعامتها إلى مالا نهاية؟ هل يؤدي الاعتماد الاقتصادي المتبادل إلى السلام حقًا؟ هل تبقى الضمانات الأمنية التي يعتمد عليها نجاح الاستراتيجية محافظة على مصداقيتها في أوائل القرن الحادي والعشرين؟ من المؤكد لا.

سياسة ودبلوماسية ال50 سنة

هل يفهم ساسة أمريكا فهم جيد وموضوعي أبعاد الصورة التي آل إليها مسرح السياسة الدولية مع مستهل القرن الحادي والعشرين؟ إن هذه الصورة تتسم بأبعاد ومتغيرات وتحديات شتى .فمن أبعاد الصورة وجود رئيس روسي كان بدوره مسئول مخابرات سابق وهو فلاديمير بوتين الذي يحاول جاهدا بل وينجح أحيانا في إعادة روسيا إلى حيز النفوذ الذي كانت قد فقدته كدولة عظمى بعد إنهيار الاتحاد السوفييتي. ومن أبعادها أيضا تنامي تأثير دور الصين على الساحة السياسية الدولية، وتطور ظاهرة العولمة في تجلياتها الإتصالية والثقافية الاعلامية ناهيك عن الاقتصادية والمالية..ومن هذه الأبعاد كذلك ما تشهده بورصات العالم ودوائر المال بين جنباته من حركة سريعة لرؤوس الأموال بحجم يصل إلى خانة المليارات كل يوم ومنها أيضا قيام أوروبا الموحدة بما يعنيه ذلك من وجود منافس جديد على الساحة الدولية ينال من دور الهيمنة الذي ندبت واشنطن نفسها للقيام به,ومنها كذلك انتشار الدعوات التي تحمل شعارات وترفع لافتات من قبيل:

ضرورات التدخل الإنساني تحت عباءة الأمم المتحدة لإنهاء الحروب الداخلية والصراعات الأهلية أو من قبيل:حقوق الإنسان وإقرار الحريات الأساسية وتفعيل دور المنظمات الأهلية، غير الحكومية.

وسنطل على سياسات وبلوماسية امريكا من منظور المصلحة القومية للولايات المتحدة. وسنتعامل مع هذا كله من منطلق الواقع الحي المعاش بعيدا عن التفتيش في دفاتر التاريخ الماضي فنحن لا نكتب دروسا في التاريخ ولكننا نبلور أفكار للحاضر ونستشرف آفاقا في المستقبل ولمحات نطل من خلالها هنا أوهناك على بعض الدروس المستفادة من الوقائع والأحداث. وخلال القرن العشرين كان يمكن أن توجد دولة قوية عسكريا دون أن تكون قوية اقتصاديا وكان المثل هو الاتحاد السوفييتي فيما يوجد العكس على شكل دول كثيرة مثل دول النفط العربية ,حيث القوة الاقتصادية، ناضجة إلى حد ملحوظ ولكن على حساب القوة العسكرية. هذه الإزدواجية أو هذا الإنقسام كفيل بأن ينتهي في القرن الجديد ومن ثم تعود الأوضاع إلى السياق المعقول: القوة العسكرية لابد وأن تتواءم أو تتلاءم مع القوة الاقتصادية والعكس صحيح وإلا أصيبت الدولة القومية بمرض أقرب إلى الشيزوفرانيا الإنفصام السياسي .وهذا الإنفصام هو الآفة التي أصابت الاتحاد السوفييتي السابق في مقتل.فقد أكد مصير الاتحاد السوفييتي السابق أن التركيز من جانب واحد على القوة العسكرية أمر يستحيل استمراره، ولاسيما في عصر المعلوماتية والتكنولوجيا.وقد ارتبط بها إمكانات الإتصال اللحظى التي تكفل التواصل بين البشر مع إطلاعهم في غُرفات نومهم أو معيشتهم على الثغرات الفاصلة في مستوى

المعيشة بين هذا الشعب أو ذاك وعلى مستوى العالم بأسره, كل هذه المتغيرات تشكل تحديات.ومشكلة أمريكا أن التجربة التاريخية لم يسبق لها إن انطوت على دروس وعبر يمكن أن تعد أمريكا لمجابهة هذه التحديات المستجدة في حياتها وحياة العالم الذي تعيش فيه، والمطلوب أن تؤدي فيه دورا قياديا .لقد عاشت أمريكا آمنة الجانب ,حيث لم يكن ينافسها خصم ولا ينازعها توازن القوى محيطين الأطلسي شرقا والباسفيكي غربا فلم تعرف معنى غريم. أكثر من هذا لم يعد ثمة مقياس تحليلي واحد يصلح للتعامل مع جميع النظم السياسية والإقليمية القائمة في عالم القرن ال21 .وهذا يشكل بدوره تحديا منهجيا كما قد يَصنّف أمام واضعوا دراسة السياسة الخارجية للولايات.عالم القرن ال21 ينقسم إلى 4 نظم دولية قارية توجد جنبا إلى جنب وتقضي من أمريكا إتباع4مناهج لتحليل أبعادها والتعامل مع مشكلاتها وهذه النظم الأربعة ,هي:1- أوروبا الغربية ,حيث توجد أكثر من وشيجة تربط بين القيم والمثل السياسية على جانبي الأطلسي وبين أوروبا وأمريكا ,حيث تسود قيم الممارسة الديمقراطية واقتصاديات السوق وتصبح الحرب أمرا صعب اللهم عند الأطراف حيث يمكن أن تندلع شرارة الحروب والصراعات المسلحة بفعل الصراعات العرقية وحيث الاستعدادات العسكرية في أوروبا يتم اتخاذها لا من أجل الاقتتال الأوروبي بل في مواجهة اعداء خارجيين.

2- آسيا :حيث توجد دول وأقطاب يعامل بعضها البعض معاملة الخصم الاستراتيجي فهناك مثلا الصين والهند واليابان منها من يعامل الآخر على أنه يشكل تهديد حقيقيًا للأمن القومي .الحروب بين تلك القوى الآسيوية ليست أمرا حّالا ,لكن العسكرية في تزايد ومن ثم سيظل توازن القوى أمرا له أهميته للحيلولة دون اشتعال الحروب.

3- الشرق العربي :حيث الصراعات أقرب ما تكون إلى صراعات أوروبا في القرن السابع عشر بمعنى أن جذورها ليست اقتصادية كما في نصف الكرة الغربي ولا استراتيجية كما في آسيا لكنها عقائدية ودينية ومن ثم فالمطروح في صراعات الشرق العربي ليس التعامل مع الآخر بل هو وجود الآخر في الأصل وفي الأساس. واقصد الصراع العربي الاسرائيلي الذي لن ينتهي حتى لو تم اقرار السلام بين الدول العربية واسرائيل.وسيفضي إلى زوال اسرائيل ,لكن مع نهايات القرن او في القرن الرابع الميلادي. ريثما ترسخ الولايات المتحدة أقدامها في الحزام الأوراسي, حيث استثماراتها القوقازية تبلغ اكثر من ال200 مليار دولار مقابل 40 مليار لاسرائيل. وتلك البلاد كانت بلاد المتهودين الخزر. ويمكن ان يكون موقف الاسرائيليين العودة الى ارض الخزر التي تؤمن لهم حياة افضل ورخاء افضل وارحب مما يحدث من احتلال اراضي فلسطينية وعربية,وهذا موجود في عقلية السياسي والمستثمر الاسرائيلي. 4- أفريقيا : أوضاعها لا تشكل سابقة يمكن الركون أو الإحالة إليها في تاريخ وتجربة أوروبا والغرب والقارة هي من الإتساع وبعد الشقة من أطرافها لدرجة

يتعذر معها الحديث عن توازن قوى على صعيدها. وقد كان هناك صراع قوي ثنائي بين أمريكا والإتحاد السوفييتي اتخذ من أفريقيا ساحة له. ولكن هذا الصراع ما لبث أن انتهى بعد إنتهاء الحرب الباردة وعاد بين الصين وامريكا ودول اخري اسيوية واوربية وافريقية. مع ذلك فالصراعات الداخلية والحروب الأهلية لن تنتهي في أفريقيا خاصة وأن الحدود التي سبق رسمها لتسهيل الحكم الامبريالي للقارة أصبحت بعد الاستقلال خطوطا تفصل القبائل والموارد والإمكانات والتضاريس الطبيعية مما لايزال يعد مثارا للصراعات والاقتتال الوحشي الذي يصل إلى حد الإبادة الجماعية في بعض الاحيان.

وخطورة هذه الحروب الأهلية في أفريقيا أنها تنتقل بفيروس العدوى لتصبح صراعات دولية مما يرتب على ضمير العالم عبء العمل على إخمادها والأخذ بيد أفريقيا إلى حيث الديمقراطية والنمو .إزاء هذه الأوضاع.ناهيك عن المشاكل المستجدة التي لحقت بكيان الدولة القومية التي طالما عرفناها كما في البوسنة مثلا العولمة التي إما تؤدي إلى تفكك الدولة القومية التقليدية إلى كيانات عرقية أو إلى النقيض وهو استيعاب الدولة القومية ضمن كيانات إقليمية أقوى وأشمل كما في الإتحاد الأوروبي.

وفي ظل هذه التعقيدات غير المسبوقة مصر ليست مؤهله كما ينبغي لكي تؤدي دورها القيادي المطلوب على مستوى العالم, السبب يرجع إلى عوامل ومؤسسات شتى تشارك في صوغ ورسم وتشكيل ومتابعة السياسة الخارجية لمصر وفي مقدمة هذه المؤسسات.يأتي البرلمان الذي يجنح أعضاؤه إلى تغليب المصالح الضيقة لدوائرهم الانتخابية على المصالح العليا التي تفرض تلبيتها السياسة الخارجية المصرية.

على مدار نصف القرن الماضي، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ظلت المحالفة الأطلسية التي تضم أمريكا وأوروبا الغربية في اطار الناتو مؤسسة فاعلة وقادرة على التأثير.السبب التعددية والممارسات والحوار السياسي الذي جعل الناتو هو حجر الزاوية في الشراكة بين أمريكا وحلفائها وخاصة في اطار السياسة الخارجية.

ليس معنى هذا ان الشراكة الأطلسية سمن على عسل في كل الأوقات .وكم يسود الاختلاف والتناقض أحيانا علاقات هؤلاء الحلفاء وكم تفرقت بهم السبل والآراء والمواقف والاتجاهات.فخلال العدوان الثلاثي 1956 نأت ادارة ايزنهاور بنفسها عن حلفائها البريطانين والذين تحالفوا مع اسرائيل لشن العدوان الثلاثي على مصر.

وفي القرن الحالي ترتفع الأصوات في أوروبا الغربية داعية الى أن يكون الاتحاد الأوروبي قطبا للتوازن مع الولايات المتحدة وليس قطبا متكاملا معه. والسمة البارزة التي تميز القوة العسكرية الجديدة للاتحاد الأوروبي خلال القرن، هي القوة التي ستخرج الى حيز الوجود.والتي تتمثل في خلق قدرة عسكرية تستطيع أن تعمل خارج اطار حلف الناتو نفسه. فتوحدت المانيا أدى الى ظهور الهوية الشخصية الأوروبية بوصفها كيانا مستقلا

وحقيقة سياسية متبلورة منفصلة عن أمريكا ونفوذها وسطوتها. وهذا امر طبيعي لان الهدف من تجسيد الشخصية الأوروبية الموحدة هو تخفيف سيطرة أمريكا وتقليل سطوتها.

لكن امريكا لن تقبل بسهولة فستتدعي ان كلا من الكيانين الأوروبي والأمريكي كلا منهما لا يزال بحاجة حيوية الى الآخر. لن تعدو أوروبا أن تكون مجرد شبه جزيرة تشكل امتدادا لكيان قاري ضخم شاسع مترامي الأطراف اسمه أوراسيا.الأوراسيا بكل مشاكلها وتعقيداتها ومواريثها التاريخية. وغالبا ستسعي روسيا إلى ضم بعض الدول السابقة التي كانت عضو في الاتحاد السوفيتي.وهذا يمكن ان يمثل كيان شاسع المساحة وسوق ديموغرافي كبير وقوي يحقق توازن مع الاوربي والامريكي والصيني,والمصري(اذا اتحدت دول متجاورة مع مصر بدايةً في شكل سوق اقتصادي).

اما منظمة الأمم المتحدة سوف تلعب دورا أكبر في اطار السياسة الخارجية لعدة دول منها ألمانيا والصين وروسيا, بل وسيكون هذا الدور، في بعض الحالات، أكبر وأوسع من دور حلف الناتو ذاته. استمرار سياسة بريطانيا في الممالأة والذيلية إزاء واشنطن ستجعلها تخسر كثيراً مما يسهم في تفوق دول عديدة عليها في السياسة الخارجية والاقتصاد والقوة الناعمة..الخ خاصة ألمانيا وربما فرنسا من أوروبا والبرازيل ومصر والارجنتين من خارج القارة.

امريكا غير أوروبا سوف تعاني مغبة التحجيم ,فقد لا تعدوا أن تكون جزيرة جزيرة واقعة بين محيطين يكاد وضعها إزاء قارة أوراسيا السالفة الذكر يشبه وضع بريطانيا إزاء قارة أوروبا في القرن التاسع عشر .سوف يتعين عليها وقتئذ أن تلتمس تحقيق توازن في القوى وأن تكيف نفسها وفكرها وسلوكياتها على اداء دور أصغر من حجمها واشد تواضعا مما درجت عليه لاسيما وأن الخصم الروسي لم يعد كما تصوروا القوم جثة هامدة ولا كيانا استبدت به العلل وفقد قدرة الحركة. الروسي يتحرك ويتطلع الى استعادة دور له يتفق مع حجمه الجغرافي وتراثه السياسي وبعضه منسوب الى الحقبة السوفييتية ومن الطبيعي أن ينقب عن أخطاء

أمريكا وعثرات سياستها ويفيد من هذا كله في تكتيل التأييد وتجميع الأصدقاء وتحقيق المصالح.فالكرملين الروسي لم يعد يحكمه قيادات مأفونة فاسدة كما في عهد يلتسين بل تتحكم بمقاليده قيادة محنكة ومتطلعة الى أن تلعب بلادها دورا في الطليعة أو قرب الطليعة من أقدار العالم .وهي في الحقيقة بدات مع قيادة فلاديمير بوتين.

وفي الدول العربية والاسلامية أن ننهج نفس السبيل ومهما اختلفت المسالك ومهما كانت صداقاتنا مع أوروبا وأمريكا علينا أن نضع الشأن الروسي في بؤرة اهتمام سياساتنا الداخلية والخارجية على السواء .ان القدرة التاريخية لدولنا العربية خاصة مصر وروسيا

على التحمل والصمود بوجه الغزاة الخارجين .كان هذا دأب معتاد مع الغزاة. فداب روسيا مع نابليون عام 1812 ومع هتلر عام 1943 بل كانت روسيا ومصر هما الصخرة التي انكسرت فوقها أحلام الغزو والتوسع الامبريالي. واذكر بكلمات الرئيس الروسي بوتين ان التراث الامبراطور علينا أن نعرفه ونعرف تاريخنا جيداً وأن نستخلص منه الدروس ونتذكر الذين أسسوا دولنا في الشرق ودعوا الى صون كرامتها وجعلوا منها كيانا عظيما ودولة منيعة وقوية.

انني ادعو إلى كيان اقتصادي قوي شمال افريقي امريكي جنوبي واسيوي عربي.هذا الكيان يواجه فكرة قيام دول حلف الناتو الأوروبية- جميع مؤسسات الاتحاد الأوروبي- ودول أمريكا الشمالية أمريكا وكندا والمكسيك.والاسيان في آسيا.هذا بالاضافة إلى كيان منظمة التعاون الاسلامي التي يجب ان تتجه لما يشبه الاتحاد، فمع نهاية القرن الرابع سيكون المسلمون قادة العالم ديموغرافيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا.وستكون بوادر ذلك بأن يصبح اغلبية سكان اكبر عشر دول اوربية مسلمون,وذلك في الفترة من 2040 -2060.

نصف الكرة الغربي وبالذات قارة أمريكا الجنوبية ستكون ردت الولايات المتحدة إلى الخلف فكولومبيا ما زالت تشكل شوكة شديدة الإيلام في خاصرة الولايات المتحدة ,فهل من مخرج امريكي من الفوضى السائدة ؟.

لن يعيد امريكا إلى النصاب امام العالم الا العودة الصريحة للسياسية الخارجية إلى منطق الاعتدال انطلاقا من التوافق، فالسياسية الخارجية الأمريكية صبغت في المرحلة الأخيرة بتوجه متشدد من داخل الحزب الجمهوري نفسه. واتّخذت القرارات على خليفة النظرة البروتستانتية الأصولية وبقراءة من المحافظين الجدد.علي الامريكان أن يتشاور بكثافة مع الحكومات الأجنبية. وألا يتصرفو على قاعدة أن من ليس معهم فهو أوتوماتيكيا ضدنهم. إن هذه المقارنة التي تلغي مساحة التوافق في العلاقات الدولية هى تدمير للذات.

التعددية القطبية والسيطرة

يزخر تاريخ السياسة الدولية الحديث، والذي يبدأ من ١٥٠٠ بأنقاض جيوسياسية لدول راهنت على الزعامة كإمبراطورية هابسبورغ تحت حكم شارل الخامس، فرنسا تحت حكم لويس الرابع عشر ونابوليون،بريطانيا الفكتورية، ألمانيا الهتلرية .والدرس التاريخي من هذا واضح وضوحًا كافيًا فالدول التي تراهن على الزعامة تسقط كلها من دون استثناء . والسؤال المهم الذي يطرح نفسه , لماذا تسقط ؟ والجواب ليس سرّاً عند الذين يدرسون السياسة الدولية حين تصبح دولة ما قوية أكثر مما ينبغي تهدد أمن الدول الأخرى.تظل الدول يقظة حين يتعلق الأمر بالحفاظ على أمنها لأنها تريد المحافظة على بقائها دولا تؤدي أدوارها بصورة مستقلة .فإذا واجهت زعيمًا متحديًا أقامت" توازنًا "ضده .أي أنها تبني قوتها العسكرية الخاصة وتقيم، إذا لزم الأمر، تحالفات لخلق وزن جيوسياسي مقابل الدولة الطامحة إلى الزعامة. ومن المفيد إلى حد ما أن تكون الدولة قوية .لكن ليس من صالح الدولة أن تصبح قوية أكثر مما ينبغي،لأنها عندئذٍ تُرعب الآخرين.

إن سقوط الزعماء بلا استثناء يبرهن على حقيقة متناقضة من حقائق السياسة الدولية,حيث إذا ربحت دولة ما أكثر مما ينبغي فإنها تخسر تماما مثل كوب ماء عندما يمتلئ فان الزيادة تسقط خارجه وهذه الزيادة تكون ضده اي تنخر فيه بالاضافة إلى تناقص ما بداخل الكوب نفسه مع مرور الزمن. إذا كان هذا هو مصير من يسعى إلى الزعامة فلماذا يعتقد منظرو العلاقات الدولية الأمريكيون،والأهم منهم صانعو السياسة الأمريكية، أن الولايات المتحدة يمكن أن تنجح حيث أخفق الآخرون؟. هناك ثلاثة أسباب, أولا، يحتج هؤلاء بأن الآخرين لا يوازنون قوة أمريكا الساحقة كما هي.ويؤكدون أن الدول تقيم توازنًا ضد الدول التي تستخدم أسلوب التهديد وأن الولايات المتحدة كزعيم سليم، لا تفعل ذلك.

ثانيًا، يعتقد العلماء وصانعو السياسة أن الولايات المتحدة تحسب حسابًا لمصالح الدول الأخرى، لهذا ترغب هذه الدول في التحالف معها بدلا من إقامة توازن ضدها .ثالثًا جاذبية قيم أمريكا الديمقراطية الليبرالية وثقافتها تبرر لها ممارسة" القوة الناعمة "قوة أمريكا الناعمة وقوة الزعامة /الهيمنة يسيطر على عقول العاملين في سياسة الولايات المتحدة الخارجية الاعتقاد بأن الديمقراطية الليبرالية تهب شرعية للزعامة الأمريكية .

وصرح ناطق سياسي للبنتاجون في عهد إدارة بوش قائلا" إن اعتقادنا الأساسي بالديمقراطية وحقوق الإنسان يجعل الأمم الأخرى تثق بأن قوتنا العسكرية الضخمة لا تهدد من يطمحون إلى التقدم الديمقراطي السلمي,وهذا امر غير منطقي بالمرة فهو اعتقاد شخصي خاطئ. وهناك فترتان تميزتا بالقطبية الأحادية في ١٦٦٠ كان يعترف بأن فرنسا هي القوة العظمى الوحيدة في أوروبا .لكن في ١٧١٣ أقامت إنجلترا والنمسا نفسيهما

دولتين عظيمتين كرد مباشر على قوة فرنسا .وفي منتصف القرن التاسع عشر انقضت الفترة التي كانت فيها بريطانيا الفيكتورية قطبًا أحاديًا وهذا بنهوض كل من ألمانيا والولايات المتحدة واليابان إلى وضع الدول العظيمة .وفي كل من هذه الدول كان الخوف من القوة البريطانية هو الحافز إلى تحولها إلى دولة عظيمة.وليس هناك إطلاقًا سبب قاهر للاعتقاد بأن الولايات المتحدة اليوم سوف تُستثنى من هذا المصير.

ففي السنوات العشر أو العشرين القادمة سوف تكون الهيمنة الأمريكية حتمًا حافزًا على ظهور الصين وألمانيا واليابان وربما تعود روسيا إلى الظهور كدول عظيمة قادرة على العمل كقوة توازي قوة الولايات المتحدة .وإذا عدنا إلى السؤال الذي طرحناه من الناحية المجردة من المفيد للولايات المتحدة أن تكون زعيمًا لو أنها نجحت في أداء هذا الدور بشكل يخدم البشرية جميعا وليس من خلال الهيمنة والحروب ,فالمشكلة هي أن الزعامة أو الهيمنة لم تكن قَط استراتيجية رابحة في السياسة الدولية الحديثة، وليس من المتوقع أن تكون ناجحة بالنسبة للولايات

المتحدة، لأن استراتيجية الهيمنة تنطوي على عيب يتمثل في أن افتراضاتها عن استمرار الزعامة الأمريكية في عالم وحيد القطب ليست صحيحة فكلمة الزعامة او الهيمنة زادتها خطأ.

لم تحل أمريكا طبعًا المشكلة لأن هناك في الوقت الحاضر قلقًا واسعًا من أنه إذا ما انسحبت الولايات المتحدة عسكريًا من أوروبا في المستقبل، فإن الأوربيين سينقلبون إلى عاداتهم الجيو سياسية القديمة وستنهار التبعية والاعتماد الاقتصادي والثقافي..الخ على الولايات المتحدة, وهذا المثل يوضح نقطة مهمة تقتضي استراتيجية الهيمنة أن تقيم الولايات المتحدة بيئة أمن دولية تؤدي إلى الاعتماد المتبادل .وهذه مسؤولية ثقيلة وكثيرًا ما تكون خطرة .ففي أحسن الأحوال تضطر متطلبات الاعتماد الاقتصادي لاستراتيجية الولايات المتحدة إلى تحمل التزامات أمن ؛ وفي أسوأ الأحوال يمكن أن تؤدي تلك الالتزامات إلى الحرب .فهناك حالتان، إحداهما تاريخية والأخرى راهنة، توضحان كيف أن الاعتماد الاقتصادي بدلاً من زيادة أمن أمريكا، يمكن أن تكون له عواقب استراتيجية معاكسة .والحالتان هما دور أمريكا في الهند الصينية من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٤، وتدخلها في البوسنة.

كانت ضرورات الاستراتيجية الأمريكية في أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات أيام الحرب الباردةتقضي بعودة العافية إلى الاقتصاد الياباني الأمر الذي كان صانعو سياسية الولايات المتحدة يعتقدون أنه يعتمد على دخول اليابان أسواق التصدير والمواد الخام في جنوبي شرقي آسيا .وفهمت إدارتا الرئيسان ترومان وأيزنهاور أنه لكي تنجح هذه الاستراتيجية يجب على الولايات المتحدة أن تضمن أمن اليابان الاقتصادي والعسكري .

هذه الصلة بين الأمن والاعتماد الاقتصادي - ولا سيما مصلحة أمريكا الاستراتيجية في الدفاع عن دخول اليابان اقتصاديًا إلى جنوبي شرقي آسيا-هذه الصلة ساعدت على تعميق تو رط أمريكا في الهند الصينية.

أصبحت الهند الصينية، بصرف النظر عن عوزها إلى الأهمية الحقيقية الاستراتيجية والاقتصادية.هدفًا مركزيًا لسياسة الولايات المتحدة بسبب هموم" نظرية الدومينو ." كانت الولايات المتحدة تنظر إلى الهند الصينية كجدار النار لتحول بين أكثر أجزاء المنطقة حيوية اقتصاديًا، ولا سيما ملايو وأندونيسيا، والسقوط تحت سيطرة الشيوعية . كانت واشنطن قلقة من أن سوء الأحوال الاقتصادية في بلدان (الدومينو) المقهورة سيكون له عواقب جيوسياسية، إذا انقطعت صلات اليابان بجنوبي شرقي آسيا، لأن ما ينشأ عن ذلك من صعوبات اقتصادية سيؤدي إلى عدم الاستقرار في اليابان، وتكون النتيجة خروج اليابان من فلك الولايات المتحدة وبهذه الصورة تصبح معرضة للاختراق السوفييتي.

إن العلاقة بين التوجه الجيوسياسي الياباني وعودة عافيتها الاقتصادية ودخولها إلى جنوبي شرقي آسيا _ أي الاعتقاد بوجود اعتماد اقتصادي واستراتيجي بين القلب والأطراف _ هذه العلقمة كانت عاملا مساعدًا لكي تقدم أمريكا دعمًا لفرنسا في أثناء حرب الهند الصينية الأولى، ولتساند أيضًا، بعد١٩٥٤, دولة في جنوبي فيتنام .وإذا عدنا إلى التفكير في المرحلة التي سبقت ذلك نجد أن الولايات المتحدة اجتازت العتبة الخطيرة في الطريق إلى الحرب الفيتنامية في أوائل الخمسينات حين استنتجت واشنطن أن متطلبات الاعتماد الاستراتيجي ولا سيما أمن اليابان ورفاهها، وأمن جنوبي شرقي آسيا على العموم كانت تحتم أن يمتد الاحتواء إلى تلك المنطقة.

ليست الهيمنة الخيار الاستراتيجي الكبير الوحيد المتوافر للويات المتحدة .

والأمر الأهم أن الهيمنة ليست هي الخيار الواقعي المتوافر للولايات المتحدة .والحقيقة أن الواقعيين حين يتعلق الأمر بالاستراتيجية الكبرى منقسمون إلى معسكرين .فهم يختلفون حول ما إذا كانت الزعامة أم توازن القوى- وهما نموذجا الاستقرار الدولي اللذان يمكن أخذهما من التاريخ -هو الذي يقوي الأمن الأمريكي في أحسن التقديرات.فالذين يؤيدون الهيمنة راهنوا على الزعامة أما المعسكر الآخر فيعتقد أن الولايات المتحدة تحصل على الأمن أكثر إذا هي استغلت حركية توازن القوى في عالم متعدد الأقطاب آخذٍ بالظهور أي عالم تلحق فيه الصين والهند وألمانيا، وربما روسيا، بالولايات المتحدة في صفوف الدول الكبرى.

ويعتقد أنصار توازن استراتيجية القوة أن الزعامة غير مستقرة بذاتها، ولهذا ليست

استراتيجية رابحة .ويعتقدون أيضًا أن الولايات المتحدة تنقصها الموارد اللازمة للإبقاء على هيمنتها.

إن توازن القوى كبديل للهيمنة هو الاستراتيجية الكبرى للتوازن في المناطق خارج الحدود الساحلية.والنموذج التاريخي لاستراتيجية كهذه هو بريطانيا حين كانت في ذروة قوتها .فبانعزال بريطانيا عن الصراعات الأوربية بفضل وضعها الجغرافي المميز وطبعًا بفضل سيطرة الأسطول الملكي على البحار،كانت في الغالب قادرة على البقاء بعيدة عن حروب أوروبا .كانت بريطانيا، حتى إذا اضطرت للتدخل، تستطيع في العادة أن تحد من مدى تورطها، وتحمل حليفاتها معظم نفقات الحرب وأخطارها .كانت بريطانيا بموقعها الآمن خلف القنال الإنجليزي تستطيع في معظم الوقت زيادة قوتها إلى الحد الأقصى مقارنة بالدول الأوربية الكبرى من دون أن تفعل شيئًا أكثر من مراقبة الأوربيين وهم يقتتلون فيما بينهم وبذلك يضعفون أنفسهم بالنسبة لبريطانيا في هذه العملية وبالنسبة لدول الشرق العربي والدول الاسلامية مع امريكا.لم تتمكن بريطانيا في نهاية الأمر من الاستمرار في هذه الاستراتيجية، لا لعيب في مفهوم التوازن في المناطق خارج الحدود الساحلية بل نتيجة لعوامل مادية كانت في نهاية الأمر خارجة عن سيطرة بريطانيا .فقد كسفت بريطانيا مع الزمن من قبل دول أكبر منها وأقوى ولا سيما الولايات المتحدة وألمانيا .والحقيقة أن المرء حين يرى كم كانت شحيحة موارد بريطانيا، حتى في ذروة قوتها يتضح له

أنها تمكنت من القيام بدور الزعيم لأنها كانت قادرة على القيام بدور المحافظ على التوازن خارج حدودها، وعلى اغتنام الفرص لكي تدفع منافسيها إلى الاقتتال فيما بينهم . قلما كانت بريطانيا تحتاج إلى إقامة توازن قوى لأنه كانت للأوربيين، حتى من دون تحريض بريطانيا أسباب كثيرة للتنافس فيما بينهم.

وموقع الولايات المتحدة أفضل جدًا مما كان عليه موقع بريطانيا لكي تنجح في إقامة توازن قوى خارج حدودها، وهذا لسببين, إن هامش القوة لدى الولايات المتحدة بالنسبة للدولة العظيمة الأخرى أعظم جدًا مما كان عليه هامش القوة لدى بريطانيا ويمكن أن يظل كذلك .كما أن الولايات المتحدة تتمتع بدرجة من المناعة ضد تهديد خارجي أعلى مما كانت تتمتع به بريطانيا.

إن المبدأ الذي تنطوي عليه استراتيجية توازن القوى خارج الحدود هو أن محافظة الولايات المتحدة على الأمن، وسيطرتها على النظام السياسي الدولي ستصبحان بصورة متزايدة أصعب بالنسبة للولايات المتحدة وأشد خطرًا وأكثر كلفة .ومقابل استراتيجية الهيمنة يعمد مبدأ التوازن خارج الحدود إلى تحديد مصالح الولايات المتحدة بدقة وهي الدفاع عن وحدة الأراضي الأمريكية والحيلولة دون ظهور زعامة أي ظهور دولة قوية

كألمانيا والصين. إذا أقامت الولايات المتحدة التوازن خارج حدودها فإنها تستطيع أن تتخلى عن التزاماتها العسكرية في أوروبا واليابان وجنوبي كوريا. وأهم أهداف استراتيجية التوازن خارج الحدود أن تتنحى الولايات المتحدة عن

الحرب الممكنة في المستقبل بين الدول العظمي، وأن تعلي إلى أقصى حد وضع قوتها النسبية في النظام العالمي.

ويرفض مبدأ التوازن خارج الحدود التزام استراتيجية الهيمنة بالاعتماد الاقتصادي المتبادل لأن للاعتماد عواقبه الاستراتيجية السلبية. والتوازن خارج الحدود ينفر أيضًا من أي طموح إلى إدامة زعامة الولايات المتحدة وينبذ الادعاءات الإيديولوجية المغروسة في استراتيجية الهيمنة.

وإذا قامت الولايات المتحدة بدور الموازن خارج الحدود يمكن أن توجه إليها ظنون قوية لدى انهماكها في أنواع فعاليات مثل تشجيع الديمقراطية بإصرار في البلاد الأخرى؛ والإسهام في عمليات فرض السلام؛ ونجدة الدول الفاشلة مثل الصومال وهاييتي؛ واستخدام القوة العسكرية في التدخل لغاية إنسانية .فلابد أن ينظر بعين الشك إلى الولايات المتحدة لدى تورطها في هذه الأنواع من الأفعال الخارجية لأنها قلما تؤثر في المصالح الجيوستراتيجية والأمنية التي تؤلف قلب استراتيجية التوازن خارج الحدود للولايات المتحدة.

يعتمد التوازن خارج الحدود على الافتراضات الآتية :استراتيجيات توازن القوة أفضل من استراتيجيات الزعامة؛ الاعتماد الاقتصادي خطر وليس متعة بالنسبة لدولة عظيمة مثل الولايات المتحدة؛ مصداقية التزامات الردع الموسع الأمريكية سوف تتراجع كثيرًا في السنوات القادمة؛ يجب ألا تتحمل استراتيجية الولايات المتحدة أعباء القلق على المصداقية، والحزم، والسمعة؛ وللجغرافيا مضامين مهمة بالنسبة للاستراتيجية الكبرى؛ خطر ظهور منافس أوربي او آسيوي وهو خطر لن تستطيع استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى الافتراض أن دولا أخرى يمكن أن توازن ضدها.

إن الأخذ باستراتيجية كبرى بديلة ينسحب إلى المستقبل, فعلى الرغم من إمكان الحفاظ على الزعامة الأمريكية فترة تمتد عشر سنوات أخرى، لا يمكن الحفاظ عليها كثيرًا بعد ذلك .لأن التبدل الذي أخذ يطرأ على توزيع القوة في النظام الدولي -وخصوصًا التقهقر النسبي في قوة الولايات المتحدة وما يقابله من نهوض القوى العظيمة الجديدة _ هذا التبدل سيجعل من غير الممكن الدفاع عن استراتيجية الهيمنة .فهذه الاستراتيجية تتضعضع مع الزمن، لأن مصداقية استراتيجية الردع الموسع الأمريكية آخذة في التآكل بسرعة .وسترتفع مع الزمن أخطار استراتيجية الهيمنة وكلفاتها إلى مستويات لا يمكن القبول بها.

وليس امام الولايات المتحدة الا ان تفكر في استراتيجية كبرى بديلة من أجل المستقبل قبل أن تسبقها الأحداث. كما يجب عليها الحكم على الاستراتيجيات الكبرى بمقدار ما تقدمه من الأمن؛ وبإمكان الدوام عليها؛ وبتكلفتها؛وبدرجة الخطر الذي تولده؛ وبآثارها الداخلية المحسوسة وغير المحسوسة .ويجب على كل مناظرة جدية تجري حول استراتيجية الولايات المتحدة الكبرى أن تستخدم هذه المعايير لتقويم المزايا النسبية لكل من الاستراتيجية الكبرى الراهنة والاستراتيجيات المنافسة، وإن الوقت الذي لا تستطيع فيه استراتيجية الهيمنة أن تجتاز هذه الاختبارات يقترب بسرعة.

إن القول بأن أيام الزعامة الأمريكية غدت معدودة سوف يقابل بعدم التصديق، من دون شك، من جانب أنصار الاستراتيجية الكبرى الراهنة، وليس هذا بمستغرب .فبعد أن حقق دعاة الهيمنة مطامح الزعامة عقب انهيار الاتحاد السوفييتي يريدون أن يبُقوا العالم على ما هو عليه .إن منظِّرِي الاستراتيجية الكبرى الأمريكيين يرون آفاق التبدل في السياسة الدولية مثلما كان رئيس الوزراء البريطاني اللورد ساليسبري يراها في نهاية القرن التاسع عشر .قال اللورد ساليسبري" إذا حدث شيء مهما كان فسيكون أسوأ، ولهذا تقضي مصلحة بريطانيا بقدر المستطاع ألا يحدث شيء مهما كان.

لكن انهيار الاتحاد السوفييتي هو الذي قضى على أسس استراتيجية الهيمنة .فقد كان في وسع الولايات المتحدة أن تكون زعيمة لأن التهديد السوفييتي جعل الآخرين يقبلون بالتفوق الأمريكي لأنه أفضل في نظر البعض من السيطرة السوفييتية .وكان بإمكان الولايات المتحدة التمتع بالاستقرار في عهد القطبية الثنائية وبالقدرة على التنبؤ لسبب وحيد وهو آثار القطبية الثنائية ذاتها. ولولا الحرب الباردة لما كان في وسع الولايات المتحدة الاحتفاظ بهيمنتها واستقرارها في الحرب الباردة.

إن السياسة الدولية متحركة لا ساكنة .وكما قال بول كينيدي" لم يهيأ لأي مجتمع أن يبقى وحده إلى الأبد في مقدمة كل المجتمعات الأخرى "والظروف التي جعلت الهيمنة الأمريكية ممكنة آخذة في التغير بسرعة .لا ترتكبوا أي خطأ ففي وقت ما في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين لن تبقى استراتيجية أمريكا الكبرى هى الهيمنة .

اجتماع أضداد أم تدويل الأقليات؟

هيمنة الدول بعضها على بعض في القرن ال19 مرتبطة بالاحتلال، ومن ثم القوة العسكرية، ثم تحولت في القرن ال20 الى الهيمنة الاقتصادية، وهى الآن في القرن ال21 تكون من خلال المعلوماتية والثقافة. ولم تعد الثقافة تعني الفنون والآداب فقط، بل تعتمد على تعريف عالم الانثروبولوجيا ادوارد تايلور بأنها كل مركب يتكون من المعرفة واللغة والمعتقدات والفنون والاخلاق والعادات والتقاليد والقانون..إلخ.

وفي العالم حوالي 3 الاف ثقافة و6 الاف لغة يتحدث 96% من سكان الارض منها 4% فقط.واذا كانت الجماعات القليلة تتخلي عن ثقافتها الموروثة بالتدريج لكي تنضم إلى ثقافة امم اقوي،الا ان ساسة الدول يركزون في القرن ال21 بصفة خاصة على الاقليات وحقوقها في التعددية الثقافة وما يتفرع عنها من حقوق.فتؤثر في مفهوم العدالة والمساواة ومن ثم تطبيق الديموقراطية بشكل صحيح وفي ذات الوقت سهولة اثارة القلاقل والتدخل في شئون الدول.ومنذ عشرينيات القرن الماضي شهدنا وجود العلاقات بين الدول والاقليات،خاصة بعد ضعف النماذج القديمة للدولة القومية ذات النسيج المتماثل والمنسجم.كما زادت المنازعات حولها وراحت تحل محلها نماذج التعددية الثقافية للدولة والمواطنة.وبالتالي حق قبول استقلال الاراضي (حق تقرير المصير) واللغة للاقليات القومية والاعتراف بمطالب البلاد وحقها في الحكم الذاتي بالنسبة للشعوب الاصلية.وللحقيقة ليست الامور وردية كذلك بل سهولة تقسيم الدول واثارة النعرات الطائفية،ورغم ذلك يشهد القرن ال21 اندماج دول قليلاً واتحاد دول عديدة كالعرب ودول سوفيتية سابقة.

ونظرا لقضايا الاقليات فمن حق الدول والمنظمات الدولية والمحلية في الدول الاخري وفي ذات الدولة تقدم العون والدعم والمهارات الفنية،والضغط على الدولة وربما عقابها.ببساطة تدويل علاقات الاقلية بالدولة واطار جديد مختلف عن القديم بحجة اصلاحه.هنا تصبح الفكرة عالمية او كونية بالاضافة إلى التكيف مع الاختلاف والتنوع.وشهدت بدايات القرن ال21 تكثيف جهود وتنمية المعايير الدولية لحقوق الاقليات على مختلف الاصعدة.وتبنت الامم المتحدة عام 1992 اعلان بشأن حقوق الاشخاص الذين ينتمون إلى اقليات قومية او عرقية او لغوية او دينية.كما طورت اليونسكو ومنظمة العمل الدولية والبنك الدولي معاييرها بشأن حقوق الاقليات وحقوق الشعوب الاصلية.

كان يهدف الغرلب من تاسيس الامم المتحدة اشاعة المثل العليا الكلية لعصر التنوير الاوربي،لكنها الآن تدافع عن الاحكام العرقية المبتسرة،معتقدة ان الشعوب والامم والثقافات لها حق تجاوز حقوق الانسان،وترفض جماعة التعددية الثقافية القيم

الليبرالية باعتبارها عنصرية.في حين انها تناصر الشوفينية الضيقة لكل ثقافة للأقلية على حد قول فينكلكروت.لكن البعض اشار لاساءة فينكلكروت لفهم دوافع المنظمات الدولية للاهتمام بهذا المجال.وهذا على اساس التعددية الثقافية الليبرالية التي طورتها النظريات السياسية الغربية وحدها بالطبع.فالدول غير المستقرة سياسيا بعضها يحتاج إلى توافر الديموقراطية قبل ان يكون هناك اي معني للدفع نحو التطبيق الشامل للتعددية الثقافية.ومشكلة الصراع العرقي والحاجة إلى العثور على طرق التعايش العرقي غالبا ما تكون اكثر ضراوة في البلدان ذات الديموقراطيات الضعيفة.فهل الهدف هنا صياغة قواعد تطبق عالم يتحقق فيه مستوي معين من الديموقراطية ام الهدف هو كبح جماح الصراع العرقي او حله في الدول ذات المستويات المتفاوتة من الديموقراطية؟.هذه الطريقة التي جُمعت بها هذه المثل ليست متماسكة وقد تكون غير منتجة الايجابية التي يتم تصديرها على اساسها،بل تكون مبعث مشكلات لدول الجنوب او الشرق بصفة خاصة.ويعجز المجتمع الدولي عن مواجهة مشكلتي الفئات والظروف.والمعضلة الاكثر عمق هي العلاقة بين العدالة والامن والتي تجعل السياسات العرقية كثيرا جدا مبعث قوة مزعزعة للاستقرار،وبالتالي اضعاف الديموقراطية والتنمية،وهنا يتوجب احتوائها.فهل الهدف هو ان نفتح المجال لسياسات التعددية الثقافية الديموقراطية ام ان الهدف هو كبت واحتواء الحراك العرقي المزعزع للاستقرار؟.في كلا الحالتين النتائج مسيئة للعدالة والامن،وهنا المفارقة.

الواضح من بدايات القرن ال21 حتى عشرينياته ان الوضع القائم غير قابل للاستمرار بهذا الشكل على الاقل.والواقع ان المثالب قد ظهرت بالفعل ونموذجها كان العرق الشقيق وتناحر ابناءه.

وفي الواقع المنظمات الدولية كمتحدث باسم المجتمع الدولي وبلسانه،يثير مخاوف اخلاقية وقانونية وسياسية،حيث تعطي لنفسها تفويض لوضع معايير دولية.كما ان مصطلح المجتمع الدولي اسم على غير مسمي،بقدر ما ستحضر صورة عن عالم تسوده الصداقة بين الدول بناء على الاحترام المتبادل والقيم المشتركة.والواقع ان نظام العالم يتسم بانقسامات ايديولوجية وبعلاقات الشك وانعدام الثقة والخصومة المتبادلة،ان لم يكن استغلال،مدعومة بواسطة التفاوت الخطير من حيث القوة والتاثير.وقد يزعم قادة الامم المتحدة انهم يتحدثون بلسان (نحن الشعب) ويعكسون اجماع شعوب العالم ومجتمعاته،غير ان الاغلبية العظمي من شعوب العالم ليس لها سوي القليل وربما لاشئ في تشكيل سياسات الامم المتحدة.تعكس الامم المتحدة وانشطتها وخططها اللاتماثل في القوي الدولية،ميزة آراء ومصالح الغرب،ولا شك في ان ذلك صحيح في مجال التعددية الثقافية.ولو استبدلنا مصطلح المجتمع الدولي بمصطلح القوي الغربية لما تغير

شئ في الاصطلاح.للاسف هذه المنظمات اساس ووسيلة لتقدم المصالح السياسية الجغرافية للدول الغربية،وليست آليات لتوحيد وتنمية القيم المشتركة لشعوب العالم.ومن ثم نشر التعددية الثقافية هو جزء من دهاء العقلية الاستعمارية او الاحتلال.قواني التعددية الثقافية لم تجمع عليها كل الدول الغربية ذاتها،ولم تحظ باجماع دولي اصيل.كما ان تشجيع التعددية الثقافية او الاقليات لا تعكس قيم المجتمع الدولي المتحد،بل ربما تم تفصيلها لخطط هذه المؤسسات الداخلية في المنظمة.

نحن لا نعترض على حقوق اقلية او تعددية ثقافية ولكننا نهتم بالحفاظ على الدولة وقوامها وعدم اثارة النزاعات وعدم الاستقرار،كما ان التعددية الثقافية يجب ان تركز على ثقافة الدولة الغالبة مع عدم التخلي عن الثقافات والاقل من الاصلية او الرئيسية للدولة،كل هذا في اطار ثقافة عالمية تحترم ثقافات الدول المحلية.

استيراد التوجيه (لا فرق بين خصم وصديق)

فتحت عملية اغتيال الجاسوس الروسي المنشق الكسندر ليتفينينكو في لندن بمادة "البولونيوم210" المشعة، في أول عملية تستخدم فيها هذه المادة، التي تبلغ قدرة ذرة واحدة منها على الفتك بجسم من يتعرض لها 250 ضعف تأثير مادة "السيانيد السامة"، ملف "حرب الجواسيس" من جديد ولكن هذه المرة في القرن الـ21.وفي الوقت الذي تحدث البعض فيه عن احتمال انتحار ليتفينينكو وتوريط بوتين على سبيل الانتقام، كشفت الأزمة عما هو أخطر من ذلك، وهو احتمالات تورط الروس في السوق النووية السوداء، ومعها احتمالات وصول مادة نووية مثل " البلوتنيوم 210 " لأيدي جماعات إرهابية.

وبعد نهاية الحرب الباردة باتت الجاسوسية عملية أكثر تعقيداً من ذي قبل، بل وأصبح من الصعب للغاية كشفها. وبحلول الألفية الثالثة، راح العالم يشهد نوعاً جديداً من التجسس تمتزج فيه عبقرية العلماء في القرن الواحد العشرين من خلال ما يقدمونه من تقنيات متطورة بعبقرية جواسيس القرن بما يتمتعون به من قدرة على الاختراق، واحترافية في التخفي، والأخطر تواجدهم في مواقع شديدة الحساسية، تجعل ما يقدمونه من أسرار يسيل له لعاب موكليهم، في الوقت الذي تضرب هذه الأسرار أمنهم القومي في الصميم!

والجواسيس الذين سقطوا في القرن الواحد والعشرين بعد أن تم نزع أقنعتهم وتحديد هوياتهم.هم ليسوا كجواسيس الماضي ولكنهم أخطر وأكثر ذكاء وقدرة على الاختراق والتغلغل وانتزاع المعلومات.

رغم وجود أكثر الأقمار الاصطناعية والمراقبة الإلكترونية تطوراً في هذا القرن إلا أنها لم تستطع أن تحل محل العميل الموجود في المكان المناسب القادر على الوصول إلى أدق المعلومات والأسرار الحساسة والمحمية جيداً. كما شهد القرن الحالي أنواعاً جديدة من الجواسيس مثل " جواسيس القرارات السياسية "، "جواسيس التكنولوجيا "، و" وجواسيس الإنترنت " و" جواسيس البنوك " وغيرهم، مع بقاء الأسلحة التقليدية للتجسس كالمال والجنس!

وتكمن المعضلة في أن معظم الجواسيس، الذين سقطوا في بداية هذا القرن، لم يتم اكتشافهم إلا بعد سنوات طويلة من عملهم الشيطاني، وتمريرهم أخطر وأدق الأسرار للأعداء، وغالباً ما تم اكتشافهم نتيجة ارتكابهم أخطاء غير مقصودة، رغم حرصهم الشديد، أو وشاية قدمها جاسوس منافس صديق، حيث ان الكثير من عمليات التجسس تمضي دون اكتشاف.

و معضلة أخرى تتعلق بالكشف عن الجواسيس - إذا حدث - وهي الصدمة التي تسببها لأنظمة الحكم، التي تبدو أمام شعبها في وضعية من قصر في حماية الوطن، أو وضعية السذج الذين لا يستطيعون معرفة الخائن من المخلص في أجهزتهم، عندما يكون الجاسوس من بين عناصرها أو أفراد إحدى إداراتها!

وقبل استعراض أخطر شبكات الجاسوسية في القرن الحادي والعشرين يتعين علينا أن نتوقف عند الظروف والملابسات التي غيرت من المفهوم التقليدي للجاسوسية، والذي شهدته الألفية الثانية، وصاحب العالم خلال القرن العشرين، ومن ثم نتعرف على الأشكال الجديدة التي اتخذتها الجاسوسية في هذا القرن.

صعود تيار المحافظين الجدد بزعامة بوش وأحداث 11 سبتمبر وضعت الأساس لبداية ملتهبة للقرن ال21.

وحددت هذه البداية الملتهبة بشكل كبير صورة العالم فيما بعد. وتمثلت في ثلاثة أحداث رئيسية هى سر كل ما تواجهه البشرية. الحدث الأول هو صعود تيار المحافظين الجدد (السلفيون الجدد) إلى السلطة في أمريكا بزعامة جورج بوش الابن، ومعه أجندة خارجية تقوم على أساسين هما وجوب هيمنة أمريكا على العالم بالقوة المسلحة، واعتبار إسرائيل هى أمريكا، ومن ثم النظر إلى جيرانها العرب ومعهم إيران على أنهم أعداء أمريكا كما هم أعداء إسرائيل، والعمل على تغيير خريطة الشرق العربي وشمال افريقيا، لتحويل هؤلاء الجيران إلى كيانات ضعيفة مفتتة تخضع لما يمليه عليها السيد الأمريكي، وحليفه الإسرائيلي.

الحدث الثاني فهو هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، التى أعطت هذا التيار ما كان ينتظره لكي يبرر ما قد أعده مسبقاً لتنفيذ أجندته، بمعنى أن هذه الهجمات الإرهابية منحت بوش وصقوره الذريعة والحجة، وأطلقت يدهم لفعل كل ما يحلو لهم، مستغلين وقوف العالم كله معهم عقب الهجمات، فراحوا يستغلون هذا التعاطف أسوأ استغلال!

أما الحدث الثالث المرتبط بفكرة إعلان الحرب على الإرهاب، وهو كلمة حق بمرور الوقت ثبت أن الأمريكيين أرادوا من ورائها باطلاً!

هذه الأحداث الثلاثة الرئيسية كانت وراء حربين كبيرتين شهدتهما السنوات الأولى في القرن الواحد والعشرين هما الحرب على أفغانستان ,ثم الحرب على العراق. ولكن بالنسبة لحرب العراق كان الأمر مختلفاً تماماً فقد فطن العالم إلى أن القضية ليست الحرب على الإرهاب - كما يروج بوش وصقوره – وإنما مخطط معد مسبقاً، ويحاول واضعوه جر العالم للاشتراك في مؤامرتهم ضد عرب الشرق العربي والمسلمين، لاحتلال بلادهم والسيطرة على ثرواتهم، واخضاعهم لإرادة أمريكا وإسرائيل. ومن خلال هذين الحدثين الخطيرين تغير مفهوم الجاسوسية تماماً لكي يتوافق مع عالم متغير فظهر ما يمكن أن

نسميهم بـ " جواسيس القرارات السياسية " وهم عملاء كل مهمتهم التلصص لمعرفة ما اتخذه أو سوف يتخذه أطراف الأزمات والحروب من قرارات. وهذا النوع من الجواسيس فرضته المرحلة التي يمر بها العالم، فقد كان من الطبيعي – وسط هذه الأجواء ومع افتراض لا أخلاقية الأطراف وانتهازيتها - معرفة ما سيتخذه الرئيس الأمريكي الذي يعد العدة لحروبه، وكان من الطبيعي التجسس على محادثاته السرية مع شريكه في حروبه – آنذاك - رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، وكان من الطبيعي أن يتجسس بوش وبلير على مشاورات واتصالات كوفي آنان الأمين العام للأمم المتحدة، كما كان من الطبيعي التجسس على أعضاء مجلس الأمن للتدخل بسرعة حال تحسسهم رفض دولهم موافقتها على الحرب لتغيير قراراتهم.

وشهد هذا النوع من الجاسوسية ظاهرة جديدة، تتمثل في تدخل الرؤساء بأنفسهم، وليست أجهزة استخباراتهم، لإعطاء أوامر مباشرة بالتجسس،كما في حالة بلير وأنان أو بمحاولتهم بأنفسهم تجنيد الجواسيس كما حاول الرئيس الأمريكي جورج بوش تجنيد الطبيبة الأمريكية من أصل عراقي سوسن الحداد، التي تعمل بمستشفى كليفلاند للتجسس على صدام حسين قبيل غزو العراق!

و يمكن أن نضمن حديثنا عن جواسيس القرارات السياسية نوعاً آخر ارتبط بها، ولكنه سبق هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 بقليل –وهو " جواسيس الشفرات الرئاسية " الذين تم الكشف عنهم بعد الهجمات وقيل إنهم سرقوا شفرات الرئاسة الأمريكية وتفاوضوا مع بوش يوم 11 سبتمبر، بعد أن تمكنوا من اختراق اتصالاته الخاصة السرية وبعثوا إليه برسالة كلامية !

و لأن الحرب على الإرهاب استهدفت البلدان الاسلامية بصفة خاصة، لتنفيذ أجندة المحافظين الجدد، ومخططاتهم المعادية لبلاد المسلمين، والمعدة من قبل دخولهم البيت الأبيض، فقد شهدت هذه الحرب نوعاً جديداً من الجاسوسية يمكن تسميته بـ " جواسيس الحركات الدينية" .

بالطبع كان هذا النوع من التجسس موجوداً من قبل ولكنه تبلور كظاهرة بعد هجمات سبتمبر، ليرتبط به نوع آخر جديد من الجاسوسية هو " التجسس على المصارف العالمية " و" حسابات من هم من اصل عربي او من اصل دول اسلامية ". وهنا أصبح الهدف من التجسس ليس مكافحة الإرهاب، وإنما هو تجسس عام على الدول العربية والإسلامية تحت دعوى الحرب على الإرهاب!و في إطار نفس هذه الحرب ظهر مصطلح جديد في عالم الجاسوسية هو " جواسيس القاعدة " كعمر ناصري. ووسط هذه المعمعة لم يغب عن بال إسرائيل دخول الساحة من خلال " الموساد ". ولم تتجسس فقط على الأطراف التقليدية، وإنما راحت تتجسس على أمريكا نفسها، فسرق عميلها الكولونيل الأمريكي

لاري فرانكلين توجيهات بوش بخط يده وسلمها لها. كما اشتركت إسرائيل وأمريكا في التجسس على حليفتهما كندا. ومن هنا ظهر نوع جديد من الجاسوسية في هذا القرن يمكن أن أسميه بـ " التجسس على الأصدقاء ". ويبين هذا كيف أصبحت الجاسوسية في هذا القرن لا تفرق بين عدو وصديق.

ولأن هذا القرن قد شهد في ربعه الاول " البحث المجنون عن السلاح النووي " وما ارتبط به من " سوق النووي السوداء " التي افتتحها العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان، حيث كان يبيع الأسرار والتصميمات النووية لمن يدفع، وفي مقدمة زبائنه كوريا الشمالية وإيران، فقد عاصرنا في السنوات الأولى من هذا القرن نوعاً جديداً من الجاسوسية " جواسيس النووي "، ارتبط بأزمتين عالميين من العيار الثقيل إحداهما تتعلق بكوريا النووية، وانتهت عام 2007 بإعلان بيونجيانج وقف برنامجها النووي، بعد أن لبت واشنطون كل شروطها صاغرة، بضخ مساعدات منتظمة وتعهد بعدم الاعتداء. وبقيت أزمة إيران قائمة.

وفي أزمة إيران، ووسط التربص الأمريكي بها، والذي ارتفعت حدة وتيرته مع وصول بوش للسلطة، ورغبته في قلب نظام الحكم في إيران، ولو بإعلان الحرب عليها، ظهر نوع جديد من الجواسيس يمكن تسميتهم بـ " أوراق الضغط " وهم عبارة عن أفراد يتم اتهامهم بالجاسوسية، لاستخدامهم كأسرى أو سجناء في صفقات. وربما تكون هالة اسفندياري الأمريكية من أصل إيراني نموذجاً لهذا النوع. ولأن سنوات هذا القرن الأولى قد شهدت الانتشار الرهيب لاستخدام الكمبيوتر، وشبكة الإنترنت، فقد ظهر ما عرف بـ " جواسيس الإنترنت" . وبسبب الصراعات المحمومة التي شهدها هذا القرن للسيطرة الاقتصادية على العالم وخاصة بين الصين والولايات المتحدة، فقد نشط " جواسيس الاقتصاد " في هذه الألفية بدرجة غير مسبوقة. ظاهرة أخرى شهدها هذا القرن وهى الإعلان عن مقتل العملاء والجواسيس كما فعلت وكالة المخابرات الأمريكية " سي. آي. إيه " لأول مرة، حيث جرت العادة على أن تتكتم الأجهزة الاستخباراتية هذه الأنباء. وتسعى الإستخبارات دائماً لصيد ضعاف النفوس من البشر، وتجنيدهم للعمل لحسابها، وتستخدم كثير من الوسائل المتنوعة، تتراوح بين المُباشرة الواضحة،والإلتفاف بأساليب المُخادعة، وإستغلال المُناسبات التاريخية والإجتماعية، والأحداث الثقافية، لتحقيق أهدافها، وهى تعتمد دائماً على عُنصر سيكولوجى غاية فى الأهمية، وهو مُخاطبة الإحتياجات الإنسانية. ولا تعمل أجهزة الإستخبارات دائماً بالأساليب التقليدية التى كثيراً ما نشاهدها فى الأفلام السينمائية والمُسلسلات التلفزيونية، حيث تدير أعمالها تحت أغطية كثير من المؤسسات، البحثية والدراسات الإجتماعية والإقتصادية والإعلامية وغيرها الكثير.كما ان المؤسسات الدولية التى تمنح الجوائز العالمية ليست هى الأخرى بمنأى عن مُمارسة

الأعمال المشبوهه، التى غالباً ما يكون ظاهرها ناصع البياض والطهر، قريباً للمثالية فى أحوال كثيرة، الا ان البعض منها يكون لها " أهداف غير نبيلة "، وهو التعبير الراقى الناعم القريب من لغة الدبلوماسية.

لم تمحى من ذاكرة البشرية ان أكبر جائزة عالمية تحمل اسم صاحب صناعات المتفجرات والمفرقعات، فمن المفارقات ان جوائز الأدب والسلام تمنح باسمه، ولا تزال نتاج " الكيميائي السويدي الفريد نوبل " حتى اليوم وبعد مرور اكثر من قرن من الزمان، هى أعمال قتل ودمار، أما عن الإنتقادات من كل حدب وصوب فلها كثير من الأسباب، منها انه تسبب فى قتل شقيقه الأصغر وأربعة آخرين، أثناء إجراء بعض من تجاربه على المتفجرات والمفرقعات، فليس من المقبول انسانياً ان تكون نتيجة استثمار الشر توجه لعمل الخير ومكافئة الغير ,لذلك ادعو ان تكون قيمتها كاملة من المنبع نتاج اعمال الخير.تعمل أيضاً بعض الدول على نقل ولاء أنواع بعينها، ويتم ذلك بأساليب تدريجية قد تكون عن طريق المنح الدراسية المجانية، أو تمويل مشروعات ثقافية أو فنية، أو إستضافة جماعات بعينها فى رحلات بالدعوة المدفوعة لزيارة بلادهم، وهى تنتقى بالطبع شباب يكون لهم ميول وأهواء غير مألوفة، أو غير تقليدية فى بلادهم الأصلية، تضعهم فى بداية الأمر تحت المنظار، وتسلط عليهم الأضواء إعلامياً فى بعض الحالات، لكى تكون الأرضية التمهيدية الأولى هى إنبهار من يقع عليهم الإختيار، ضماناً لأن تكون النتيجة هى قبولهم التعاون مع سفارات هذه الدول، التى تعلن من خلال التمثيل الإعلامى أو الثقافى، انها تدعم حُرية الرأى وحقوق الإنسان والديمقراطية، وهى عناصر ملفات يبدو ظاهرها نموذجى ومثالى، لكن ليس باطنها دائماً يتوافق مع ظاهرها. وقد تدفقت على البعض مناصب وتدريس في جامعات وجوائز كثيرة ,ولو نظرنا لانجاز هؤلاء وللزمن القصير لحصولهم على تلك الجوائز، نجد انه امر يدعو للدهشة، وكأنهم الملهمون الوحيدون للثورات العربية، الأمر الذى يتنافى مع الواقع التاريخى للثورات، وما سبقها من إرهاصات وحراك إجتماعى من احتجاجات وإضرابات ومصابين وشهداء. العديد من الجوائز للاسف هى اغطية ذهبية لنقل الولاء، وتقديم الرشاوى المالية تحت اسم الجوائز التقديرية، فان كانت هذه الجوائز تمنح لدُعاة سلام، ومطالبين بالحُرية والديمقراطية ونبذ أعمال العنف، فهل يستطيع من ينال هذه الجوائز ان يدين أعمال القتل والعنف والاحتلال الاسرائيلى لأراضى فلسطينيين ؟وكيف نقبل أموالا ملوثة بدماء القتلي؟ وكيف تقبل جوائز من يُصدر الأسلحة والذخيرة واللقتل المتظاهرين، وآخرين تمنح لهم جوائز باسم الثوار ضحايا النضال والثورات.وكشفت مسؤولة المخابرات الامريكية فرانسيس ستونورساوندرز النقاب عن مسؤولية هذه المخابرات في تأسيس منظمة الثقافة الحرة. وربما أتى هذا الكشف منسجما" مع مبدأ اخراج الوثائق التي يمر

عليها 30 عاما" توضع بعدها في تناول الجمهور. وجاء هذا الكشف عير كتاب لساوندرز حمل عنوان " المخابرات في سوق الثقافة - من يدفع للمزمرين ؟.

وتكشف المؤلفة دور المخابرات في اختراق الاوساط الثقافية العالمية وتجنيدها لخدمة هذه المخابرات بصورة موارية وغير مباشرة. وهي تورد قائمة طويلة من الأسماء المعروفة في عالم الثقافة في انحاء العالم بمن فيهم المثقفون العرب الذين تعاملوا مع هذه المنظمة. التي راحت تنشيء الفروع ومن ثم فروع الفروع. حتى أمكن الإستغناء عن المنظمة الأم والاعتماد على تفرعاتها السرطانية. وهذه المؤسسات تجد تربة خصبة في الدول الفقيرة التي لا تخصص ميزانيات كافية للثقافة وللبحوث العلمية والدراسات. الأمر الذي يسهل تغلغها في أوساط مثقفي وباحثي تلك الدول. لكن الحصول على تمويل هذه المؤسسات يشترط خضوع النشاط لواحد من الشروط التالية:

1. أن يعتمد كليا" على المعايير والمقاييس المستوردة من الخارج. وهذا الاعتماد كفيل بتحويل هذه الدراسات الى مجموعة تهم معلبة وجاهزة ومسبقة النتائج ضد الدول الفقيرة التي تجري فيها الدراسات.

2. فئة البحوث التي تسرب معلومات يفترض حظر تداولها باعتبارها من الاسرار المؤجلة الاعلان. بحيث يتم تسريب هذه المعلومات الى المؤسسات الاجنبية في غفلة من الدوائر الرسمية عن أهمية هذه المعلومات.

3. أن تصب هذه الدراسات والنشاطات في دعم الحملات التي تقودها هذه المؤسسات بصورة مباشرة. مثال ذلك أن تدس هذه المؤسسات أنفها في مواضيع ذات طابع ثقافي - اجتماعي يعتبر من أسرار المخدع. التي لايجوز لغريب الاطلاع عليها. ضمن هذه الفئات تنشط شخصيات ثقافية وعلمية وهيئات عربية لتتفنن في لي عنق الحقيقة لتلائم نتائجها مع النتائج الموضوعة لها مسبقا". ولعله من الملفت أن أيا" من الدراسات المشبوهة التمويل لاتخالف هذه النتائج المعلبة. في حين تخالفها غالبية غير الممولة من الدراسات. وهذا ما يغذي الشكوك ببراءة هذه المؤسسات والعاملين معها. خاصة وأننا لانزال نشهد بروزا" مفاجئا" لشخصيات تتحول الى الشهرة بسحر ساحر بما يعيد طرح السؤال: "من يدفع للمزمرين؟" ومن يسوق هؤلاء ويزمر لهم؟. غالبية هؤلاء أصبحوا مدركين للعبة واعين لأخطارها لكنهم يستمرون فيها لمكاسب فردية. في حين تقول ساوندرز أن برتراند راسل استقال من رئاسة المنظمة عندما تأكد من خلفيتها المشبوهة.

في المقابل برزت على الساحة الثقافية فئة من المثقفين الرافضين لهذا النوع من الجاسوسية. وطرح هؤلاء شعار يصف المتعاونين مع المؤسسات المشبوهة بانهم " عملاء لكن جواسيس!".

الفصل السابع

استراتيجيات التنين المتعاظم

انسداد التاريخ أو الصراع المديد

مع امتداد ازمة آسيا الاقتصادية الى أوروبا وبلدان أمريكا اللاتينية، بل وإلى وول ستريت ومين ستريت والولايات المتحدة فإن الصين بذل جهد مضني لا يكل في سبيل البقاء على الطريق في اتجاه النمو وتحديث اقتصادها.وتتابعت الاحداث ,فظهرت اليابان عاجزة عن تشكيل الحكومة ,ناهيك عن اصدار تشريع ذي قيمة يصحح اوضاع المصارف فيها.عُزل سوهارتو في اندونسيا وقدمت ماليزيا مهاتير محمد للمحاكمة وغرق بيل كلينتون في وحل فضيحة جنسية وظهر بوريس يلتسن عاجز عن الحكم واقتراع الناخبين في المانيا ضد هيلموت كول ومع هذا وغيره نجد نقاد سياسة كما في مجلة نيويورك تايمز يخلصون إلى ان فريق القيادة بالصين برئاسة جيانج زيمين ومعه رئيس الوزراء جو رونجي يبدون في صورة نظام الحكم الاكثر استقرار واتساق في العالم.

والملاحظ ان فائض تجارة الصين مع الولايات المتحدة يتزايد ليصل إلى مستويات سياسية خطيرة حتى ون لم تحدث سوي اضرار اقتصادية حقيقية ضئيلة.وصدرت عن الصين سلسلة مراسيم وقائية تثير غضب رجال الاعمال الامريكيين ,وهي لماذا يضعون العراقيل في طريق الشرركات الاجنبية لادارة اعمالهم في الصين ,في نفس اللحظة التي هم في امس الحاجة إلى استثمار اجنبي جديد؟يبدون ان هذه اجراءات لها اثرها في السلام السياسي الداخلي بالصين ,لذلك نتوقع ان يستمر هذا الاتجاه وقد ينطوي على اثارة توترات في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين.

امريكا لن تقف مكتوفت الايدي امام قيام صين قوية مستقلة وناجحة اقتصاديا,لذلك ستعمد الولايات المتحدة إلى تقويضها واعاقة نموها ومحاولة تدمير جهود التطوير واحتواء الصين عسكرياً واستراتيجيا,وكلما ضعفت روسيا سهل على الولايات المتحدة اتخاذ الصين عدو وبالتالي لابد ان تستجيب الصين على نحو ملائم وربما بالطريقة نفسها وهنا يتحول الامر إلى صدام ناجم عن هذا.

وعلى النقيض ترى مدرسة فكرية متنامية ومؤثرة بين استراتيجيين السياسة الامريكية تؤكد ان الصين قررت ان تصبح عدو الولايات المتحدة وان تهدد السلطة الامريكية الكوكبية وان الولايات المتحدة ليس امامها خيار سوي ان تستجيب بالطريقة ذاتها وتصبح عدوانية مع الصين وتستعد للقرن ال21 وقرن النزاع والصدام.

ان حافز الصينيين للتحرك في اتجاه الحداثة والاسواق والديمقراطية بدا حافز اصرار.بدت تجربة الصين كأنها تصحيح للرؤية الامريكية عن عالم ما بعد الحرب الباردة ,نظرا لان الصينيين شانهم شان اي مجتمع آخر يتطلعون إلى السلع الاستهلاكية الامريكية واسلوب الحياة الامريكي,الا انهم على استعداد لعمل ما يتعين عليهم من

جانبهم للتلاؤم مع النظام العالمي الخاضع للنفوذ الامريكي او الذي اثمر لأولئك الذين التزموا قواعده.

لم يكن هناك نقص في الخبرات واصحابها ليذكرونا بان عولمة مشروعات الاعمال والاقتصادات هو الاتجاه المحدد للمستقبل.هكذا نري السرعة الصينية التي تتحول بها إلى عامل رئيسي في مشروعات الاعمال الدولية.السياسة والايديولوجيا والنزعة القومية والقوة العسكرية هي قوي ذات سطوة بلغت ذروتها خلال النصف الثاني من القرن العشرين.وبات لزاما ان تنحسر وتتراجع ولو قليلا إلى ما وراء المسرح ,لكي نجد في الصدارة منطق القرن ال21 عن النزعة الاستهلاكية والاسواق والتكنولوجيا والمعلوماتية والاقتصاد الكوكبي القائم على المعرفة.

المناقشة الاقتصادية حلت محل النزاع العسكري واصبحت هي الصيغة الاساسية للتنافس بين القوي العظمي والكبري ايضا.ستبدو الحروب الساخنة والباردة شئ من تراث الماضي وبالتالي مشكلة الصين نسترجعها إلى ان تكون مشكلة اقتصادية اكثر منها سياسية او عسكرية.

لا يزال الصينيون يصفون انفسهم بانهم شيوعيون ولا يزال الحزب الشيوعي يحكم الصين بقبضة من حديد ظوولكن سيواجه بصعوبات في مواجهة معدلات النمو الاقتصادي التي تزيد عن ثلاثة او اربعة امثالها في الولايات المتحدة وسيواجه باقتصاد راسمالي صرف.جاك ويلش رئيس مجلس ادارة شركة جنرال إليكتريك,وهي اكبر شركة راسمالية في سوق الاسهم,اذ اشار إلى ان سوق الصين ستصبح مركز الجذب لشركته في ضوء استراتيجية النمو المرسومة لها خلال القرن ال21.روبرت إلن رئيس مجلس ادارة اه تي اند تي,وهي من اكبر الشركات الامريكية,اذ اوضح انه على مدي الاربعين عام القادمة ستكون الصين السوق التي تشهد نصف النمو العالمي في مجال مشروعات او اعمال خطوط وتحويلات الهاتف..بعد الصين ستصبح جميع الفرص الاخري ضعيفة.ويري ويليام وارويك مدير شركة اه تي اند تي بالصين ان شركات الهاتف العالمية ستحقق عوائد من الصين تفوق كثيرا عوائدها من سوقها المحلية.

اقتصاد الولايات المتحدة يمكن ان يحظي بدفعة قوية تحفزه للنمو بفضل استثمارات وتجارة الولايات المتحدة مع الصين ,وإلتقاء الغرب مع آسيا التي تشكل الصين قوة الدافع لها سوف يفضي إلى حالة ربح متبادل لجميع الاطراف.

ما يجب على الصين ان تخلق لنفسها اطارها الاساسي الاقتصادي والسياسي الذي يحتل موقع الصدارة بالاقتصاد الاجتماعي والديمقراطية الاجتماعية وهو الاقرب للقيم الاسيوية والغربية.اكبر خطأ وقع فيه جورباتشوف في الاتحاد السوفيتي انه سمح بالحرية السياسية قبل ان يجدد الاقتصاد وهذا ما اكده هسياو دنج

اي ياتي التحديث الاقتصادي اولا ثم الاصلاح السياسي.هذا بانسبة للحالة السوفيتية والصينية وهو ما نراه في اقتصاد الصين الذي يبلغ ثلاثة امثاله بعد 2014 بينما نجد مجموع اجمالي الناتج المحلي لجمهوريات الاتحاد السوفيتي السبابق قد انخفض لاكثر من النصف.

لا بد من واقعية تحدد من اين تتحرك الصين والي اين تتجه؟.فمخاطر الصين على الولايات المتحدة ليس على الجوانب الاقتصادية فقط ,فهناك وجهة نظر امريكية تشير إلى ان الصين باعت معدات نووية إلى باكستان وصواريخ بعيدة المدي لايران وانها احتلت جزر متنازع عليها في بحر الصين وان مصانع الصين تحوز بصورة غير مشروعة اجهزة فيديو واقراص مدمجة امريكية مهربة.وان شركات الصين عمدت إلى الحصول على تكنولوجيا مزدوجة الاستعمال من الولايات ابلمتحدة تحت غطاء انها للاستخدام المدني ثم تسليمها مباشرة إلى المؤسسة العسكرية,بالاضافة إلى اصوات تنادي ان يتم اعتبار واشنطن عدو وتحث المواطنين على رفض كل ما هو امريكي.لكن ان صح هذا فمعناه ان هناك فارق بين الاعتراف بسوء سلوك بعض الشركات الصينية والاعتقاد بانها تمثل خطر وهو ما يقوله الصحفي بصحيفة نيويورك تايمز ستيفن ايرلانجر.حذار مما تراودك الرغبة فيه اذ ربما يصبح حقيقة.

الصين تصبح اليوم اكثر ديمقراطية من اي وقت مضي في تاريخها على مدي خمسة الاف عام ,كذلك سوقها اكثر انفتاح للتجارة والاستثمار من بعض بلدان الاقليم.والصين على مدي عشرين عام مضت ,هي فترة استثنائية في تاريخها فقد سجلت نجاحات هامة في التنمية والتغيير والتحديث بل تجاهد في حذر وبتمهل لتدخل تحت هالة الضوء الغربي للديمقراطية والاسواق.ولكن بعد هذا كله تعامل وشنطن بكين معاملة تنطوي على قدر من الامتهان اكثر من السابق وقتما كانت بكين غير ديمقراطية خلال السبعينيات.وتدرج واشنطن بكين ضمن حوارات المستوي الادني للقيادات وحقوق الانسان.

وفي الربع الاول من القرن ال21 معظم الدول النامية سيكون اقتصادها بطئ النمو وزيادة سكانية سريعة.سيصبح اقل من 1 بين كل اربعة من السكان يعيشون حياة اقتصادية موسرة ,مما يجعل اغنياء العالم اقلية كبيرة - مثلما كان في القرون السابقة — يحاصرها محيط من المعدمين.لكن اغناء الصين وغير ها كالبرازيل والهند..الخ ودمجهم في النظام العالمي سيؤدي إلى زيادة تلقائية في عدد الموسرين ليصل إلى ما يحاول الاقتراب من نصف سكان العالم ,مما يجعل مثل هذه الدول مثال يحتذي لشعوب البلدان الاخري.

في الحقية لا يوجد بلد آخر مثل الصين يفرض على جدول الاعمال الامريكي — اطول فترات القرن ال21 — مثل هذه المسائل المهمة في مجالات الاعمال والاقتصاد والسياسة

والاستراتيجية.ويصل الاغواء إلى حد الخطر,حيث يمكن ان تكون الشركات التي مقرها امريكا شريكا للصين في الاستثمار وتحديث الاقتصاد اذ ان الصينيين معجبون ببراعة الامريكان في مجال الاقتصاد فهم اكثر حسم من الاوربيين وايسر من اليابانيين.من هنا اي شبح لحرب باردة ستؤدي إلى تقييد قدرة الامريكان على الاستثمار ورؤوس الاموال فضلا عن الفرص التي يسيل لها اللعاب,والتي حان الوقت لقطافها.

ان نشوب حرب باردة حقيقية مع الصين انما يعني على الاقل مزيد من النفقات الدفاعية للانفاق على قوات امريكية مرابطة في الخارج.ويعني تعطل جانب ضخم من الاقتصاد والتجارة وازمة مع حلفاء امريكا في اسيا,وقدر اكبر بكثير من النزاعات داخل مجلس الامن وبرما يعني مزيد من الانتشار النووي.وانه يعني عالم اكثر خطر وتعقد واقل قدرة على التنبؤ بمستقبله. ثم ما المانع من تهيؤ المسار بشكل ايجابي بتحقيق منافع متبادلة للجميع وليس بينهما فقط خلال القرن ال21؟.

الصناعات الفتاكة والقبول الشامل

علي مدي اعوام تسبق علاقة الامريكان بالصينيين قبل قيام ميلاد الولايات المتحدة ,كانت التجارة مع الصين عبر السفن الشراعية التي تزخر بها البحار,فالشاي الصيني والخزف والحرير والاثاث كانوا الفاكهة التي يسيل لعاب الامريكيين من ابناء جيل جورج واشنطن.واليوم وغد السلع الصينية تملا الارفف الامريكية لان تجارة الصين تسير في اتجاه واحد.

منذ ستينيات القرن الثامن عشر بدا القلق يساور رجال الاعمال وواضعي الاستراتيجية الاستعمارية البريطانية في شان تزايد العجز التجاري مع الصين.لقد كانت شهية العالم إلى السلع الصينية هائلة. الامبراطور الصيني قيانلونج رفض السماح بدخول كميات كبيرة من واردات السلع الاجنبية إلى الصين.استشاط التجار الاجانب غضب بسبب القيود,حيث يتعين عليهم الالتزام باجراءات صارمة لتسير تجارتهم مع الوسطاء الصينيين.كان لزاما عليهم ان يدفعوا مقابل مشترياتهم فضة ,وحيث انهم لم يبيعوا شئ بصعوبة للصينيين ,فقد ظهرت مشكلة ميزان المدفوعات الذي ارتفع سريعا واصبح مصدر ازعاج للحكومة البريطانية.وكان احد الحلول المقدمة هو محاولة اقناع الامبراطور بان يفتح ابواب الصين للتجارة الحرة.واختير لورد جورج ما كارتني للسفر إلى الصين والتحدث باسم الملك جورج الثالث لاداء هذه المهمة عام 1793.سبق لما كارتني النجاح في تحقيق اهداف لندن في مواجهة تحديات الثقافات الاجنبية.حاول ان يجعل المطالب البريطانية اكثر استساغة وقبول فاحضر معه تشكيلة كبيرة من السلع المتميزة,بريطانية الصنع,لتقديمهاهدايا كما احضر علماء وفنانين ولغويين,اراد بهذا ان يعرض على الامبراطور الصيني عجائب العالم الحديث حينها,والتي يمكن ان تكون من منتجات الصين اذا قبل عدد محدود من المقترحات كحقوق بريطانيا للاقامة الدبلوماسية وفتح عدد من الموانئ الجديدة للتجارة الدولية.كان امبراطور الصين في الثمانين من العمر,لكنه عرف انه سيدخل في صفقة مع الشيطان,بل ربما يؤدي إلى تدمير النظام الامبراطوري الصيني.عاد ما كارتني للملك برسالة مفادها ان الصين ليست في حاجة لمصنواعات بلدكم..انها اشبه بسلع تسلية للاطفال.كان معتقدا ان الصين ستري النور عاجلا او آجلاً.وما اشبه اليوم بالبارحة من دعاوي الامريكان للصينيين بالتعاون.

لكن التجار البريطانيون استطاعوا حل مشكلة العجز التجاري بدخول الافيون إلى الصين من اراضي الهند الخاضعة للاستعمار البريطاني,فتدفقت انهار الفضة إلى بريطانيا مما اشعل حجم ازمة اقتصادية في الصين,حيث وجهة تجارة الافيون ضربة قاسمة للنظام الامبراطوري الصيني,بل كانت سبب في تعجيل انهياره.فما ترتب على ذلك الا حرب الافيون عام 1839- 1842 فاحتل البريطانيون شنغهاي فما كان من الامبراطور الا

الاذعان للسلام,لكنه بطعم الذل.وتم ما اراد البريطانيون بل والتخلي عن جزيرة هونج كونج.لكن حرب الافيون تستطيع من خلالها تحديد الغربي في ذهنية الصينيين.
وفي اواخر القرن ال19 شن الامريكان حرب على الصينيين لارغامهم على فتح الباب للتجارة الخارجية والتي تبعها الاحتلال الياباني خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين.تعلم الامريكان من المبشرين الذين ارسلوهم للصين بعد الاتفاقية التي تسمح بدخولهم ان يعنو بمسالة تخلف الصين وفقرها الشديد.وخلال العقدين الخامس والسادس من القرن ال20 عمدت واشنطن إلى عزل الصين وقلب نظامها الحاكم,كما حاربت لابقاء الصين خارج الامم المتحدة.واذا كانت الصين غير موجودة بشكل جادي في نظر الخارجية الامريكية خلال خمسينيات القرن ال20 ,فانها كانت موجودة بشكل قوي في نظر البنتاجون.لقد كانت الصين مسرح رئيسي للحرب العالمية الثانية,كما ان حربي فيتنام وكوريا تعتبران حربين امريكيتين مع الصين. ومع نهاية فوضي الستينيات من القرن ال20 بدا تفكير مختلف بعض الشئ تجاه الصين بتكوين علاقات افضل وهذا اشبه بفكر النزعة المثالية اليسارية في ثلاثينيات القرن نفسه ,فقد نزع هؤلاء إلى التماس شئ افضل في اهداف ثورة الصين وتجاربها الدرامية ,كما انه لم يعد مستساغ ان تغفل امريكا وجود الصين ,خاصة ان حرب فيتنام الكريهة اثارت الشكوك في صواب السياسة الامريكية تجاه اسيا عامة.واضاف إلى اصحاب هذه الفكرة او المدرسة مدرسة اخري تقول ان فكرة وجود كتلة شيوعية واحدة مترابطة ,انما هي اسطورة وان الانقسام بين الصين والسوفييت حقيقة ومن ثم بات ممكن اللعب بورقة الصين في المعركة العالمية التي تخوضها امريكا ضد الاتحاد السوفيتي.وبعد الثورة الصينية الثقافية التي قدمت للعالم صورة طوباوية وروح عن المساواة الراديكالية.اتضح تماما ان فكرة الامريكان عن الصين كانت خطا وغير متوقعة,حيث اصبحت الصين شئ آخر غير الصور التي صورها المبشرون وغيرهم عنها.فقد ظلت بكين طوال الخمسينيات والستينيات توجه خطابات شديدة اللهجة ضد كل ما هو من الماضي واجنبي خاصة كل ما هو امريكي وسوفيتي ايضا خاصة ان السوفيت ساندوا المعارضة في بداية الثورة الثقافية الصينية.فاصبح ماو على يقين ان الاتحاد السوفيتي يحاصر الصين عسكريا ويهدف إلى تحطيم ثورتها.وصل عدد الفرق السوفيتية على الحدود إلى 33 فرقة عام 1971 بعد ان كانت 21 عام 1969 ثم زادت إلى 45 فرقة عام 1973.مما جعل الولايات المتحدة تفكر جديا في التقارب مع الصين ورحب ماو بزيارة ريتشارد نيكسون إلى الصين سواء اكان زائر ام رئيس.وفي الحقيقة كان لزيارة هنري كيسنجر عبقري الجغرافيا السياسية حينها سرا من باكستان إلى بكين دور كبير في توضيح مدي التطاحن الصيني السوفيتي.كانت فرصة سانحة للولايات المتحدة اللعب بورقة الصين ووقف المد السوفيتي الصاعد والتوسع على الصعيد

الدولي.كانت الولايات المتحدة تمنع سفر الامريكان للصين حتى السبعينات, لكن فجاة ككرة الطاولة وفي دبلوماسية سافر فريق من لاعبي كرة الطاولة في جولة لليابان عام 1971 وتلقي دعوة شفهية لزيارة الصين ,ثم سافر في اليوم التالي فريق صيني لامريكا.بهذا تم تحطيم جدار العزلة الفاصل بين الدولتين منذ 1949.وفي 1972 زار نيكسون وكيسنجر الصين والتقيا ماو تس تونج قائد الحزب الشيوعي وشو آين لاي رئيس الوزراء.

احتلت الصدارة في هذه اللعبة شديدة العمق قضايا الخطر السوفيتي مثل الصواريخ النووية وتوزيع القوات العسكرية والحروب بالوكالة ابتداء من فيتنام وحتي افغانستان.اذن المنطق الاستراتيجي للتقارب هوالتصدي للاتحاد السوفيتي.كما رحبت الولايات المتحدة بعضوية الصين ومن ثم استانفت بلدان عديدة تابعة علاقاتها مع بكين ,وتدنت امريكا عن موضوع تايوان قليلا حتى وصلت العلاقات إلى تطبيع كامل عام 1979.نلاحظ فكر الصينيين هذه المرة تجاه امريكا وفكر امبراطورها تجاه البريطانيين السالف الذكر,اي انهم استفادوا مما سبق ووظفوا العرض الامريكي.

بعد وفاة شو آين في يناير 1976 ومن بعده ماو تسي في سبتمبر من نفس العام اثار موتهما شكوك ومؤثرات سياسية.وبدات قيادة الصين في مسارها الجديد ليعكس اتجاه سياسات الماضي اللاعقلانية وتطبيق نظام اقتصادي رشيد من اجل تحديث الصين.ادي هذا إلى دعم العلاقات الصينية الامريكية,فلم تعد الصين مجرد شريك في حلف استراتيجي ضد السوفييت وفتقف الصين مع الولايات المتحدة في انتقادها ضد السوفييت عندما غزوا افغانستان وغزو فيتنام وكمبوديا,بل وايضا في الانقلاب على نهج ماو وتقديم فرص مغرية للاستثمار الامريكي.

قام دنج في 1979 بزيارة إلى امريكا مارس فيها كل شئ يحبه حتى انه حث وسائل الاعلام الصينية ان ترسل إلى الوطن صور توضح مدي التقدم التكنولوجي الامريكي وضخامة المباني وارتفاع مستوي معيشة العمال الامريكيين.ارضي هذا غرور الامريكيين فها هو شيوعي صيني بدا يفهم انجازات النظام الراس مالي الامريكي ورغب في محاكاته.هذا عكس تصرف الامبراطور الصيني فيما سبق مع البريطانيين.كان دنج يري انها فرصة لاستخدام الانجازات الامريكية لمصلحته,ويحفذ بها حركة الاصلاح الاقتصادي الصيني ويري شعبه الوقت الذي اضاعوه في الصراعات الداخلية ,وبالتالي عليهم ان يعملوا على التحديث والاستثمار ونقل التكنولوجيا وربما تعاون عسكري واستراتيجي رفيع المستوي.

دخل دنج في غزو لفيتنام عام 1979 للمناطق الشمالية تحديدا ,ساعده الامريكان لكي يفتح جبهة ثانية ضد القوات السوفيتية.لكنهم لم يدركوا انه دخل الحرب دفاعا عن النفس – ضد التمييز العرقي للصينيين-.هكذا نري ان الرؤساء الامريكان ابتداء من نيكسون حتى اوباما يؤمنون بفكرة تعزيز العلاقات الدافئة مع بكين ضماناً كورقة لعب

ضد الروس واعتبار هذه العلاقة عنصر رئيسي لسياسة استراتيجية.وهو ما استغلته الصين جيدا حتى اصبحت روسيا هي الورقة التي تلعب بها امام الامريكان او اللعبة التي تليهيهم وتشغلهم بها,وهو ما سيستمر لسنوات في القرن ال21.

مظاهرات الطلاب الدامية في 1989 كانت بالنسبة للحزب الشيوعي وماذال انه لو لم يتحرك الجيش ضد الطلاب لحسم الامر بالعنف لتعرضت الصين لعدم الاستقرار ولانتهي الامر بها إلى مصير الاتحاد السوفيتي ذاته. وفي الرابع من يونيو وسقوط جدار برلين في نوفمبر 1989 بات واضح انتهاء الحرب الباردة بين السوفيت والامريكان.وبات ان الورقة الصينية لم تعد ذات قيمة كما كانت.ماذا تفعل الصين وروسيا ؟.

الحل الافضل العودة للتدفئة في علاقاتهما فقط تفكك الاتحاد السوفيتي وقويت الصين لتحل محل قوته,انه قمة الذكاء الانساني والغرور الامريكي ان تستغل ورقة يدرك الاخر انك ورقة مستغلة ضده دون ان تواجهه وتنال كل وسائل القوة ممن يريد ان يسقطه ويستغلك في ذات الوقت.عادت قوة العلاقات الروسية الصينية التي تنغصت منذ اواخر الخمسينيات.ومثلما لم تعد امريكا لورقة الصين ضد روسيا لم تعد الصين إلى ورقة امريكية ضد الروس- لا حظ الفارق هنا-.فتح الصينيون الباب على مصراعية للصينيين الذي وراء البحار من هونج كونج وماكاو وتايوان وحتي جنوب اسيا,وهذا في ظل الحصار الامريكي للصين.ولك ان تؤكد لي ان هؤلاء ابناء واحفاد ولاجئين من ماو وثورته ,لكنهم يؤمنون بالاستقرار ومتعاطفون مع ارض الماضي ومصالحهم معها ,كما انهم ضد كل ما هو امريكي وهذا لم يدركه ساستها وسيؤثر سلبا بشكل اكبر في المستقبل.والاهم ان الصناعات انتقلت من دول شرق اسيا وجنوبها إلى الصين واضحت هذه الدول مجرد تجار ومسوقين لها.

السنوات الاولي من التسعينيات كانت كل شركة امريكية او غربية تسابق لتقتنص حصة من السوق وكانت الشؤكات الصينية قادرة على اقامة اكثر من 100 الف مشروع مشترك مع شركاء اجانب.وخلال 1993 فقط افرغ المستثمرون الاجانب اكثر من 20 بليون دولار داخل الصين وتضاعف الرقم خلال عام 1994 ,واصبحت الشركات الصينية في سوق الاسهم الامريكية نفسها هي الاكثر ربح.

اجبرت الشركات الامريكية سياسييها على اقامة علاقات سياسية طيبة مع الصين وهذا ذكاء آخر يضاف للصينيين يحتاج للتدريس في الجامعات ولسنوات.وهذه معضلة هامة ستلازم مستقبل العلاقات بين البلدين.ولنا ان ندرك فلسفة الراس مالية التي تخدم عليها السياسة الامريكية فلماذا لا تستخدمها الصين في تطويع السياسة الامريكية تجاهها ,وربما يمكنها اسقاطها او الاسهام فيه على الاقل مستقبلا ان ارادة طبقا لهذا التنظير.

ان كلمة انفصام او شيزوفرينيا لا تنطوي على مبالغة للتعبير عن هذه الظاهرة,فمثلما ان واشنطن بدأت فترة اعترفت فيها بانها بصدد اقامة علاقات وثيقة مع الصين.كذلك فان مجتمع الاعمال يؤكد على واشنطن العمل على تشجيع حدوث تغيير في الصين.بحيث تتوافر للشؤكات الامريكية فرص اكبر لاداء دور يدر ربح اوفر.

وتجاه ارتفاع وانخفاض الفتور الامريكي كثيرا في سنوات كثيرة قادمة سيتصرف الصينيون بان الولايات المتحدة تمارس ضغوط مبالغ فيها بدءا من حقوق الانسان والاقتصاد..الخ لائ شئ كل هذا؟.

ولم تجد ادارة بيل كلينتون نظرة في مطلع التسعينيات من القرن ال20 إلى ما يجري في الصين من منظور مغاير ,ذا تحولت في نظرهم قصة النمو المذهل إلى شئ جديد ونذير شؤم بميلاد قوة عظمي جديدة.في 1993 كانت الصين تحقق درجات انتعاش اقتصادي عالية.اصبح النمو السريع سمة للاقتصاد الصيني,اذ تجاوز معدل نمو اجمالي الناتج المحلي 12%.وعندما يفكر المرء في القاعدة الكثيفة للصين,ثم يجدها تتضاعف بمعدل نمو سنوي 10% او اكثر,فانه يستنتج بسهولة ان الصين سوف تصبح سريعاً اقوي اقتصاد في العالم,بحيث يتضاءل بجوارها الناتج الامريكي.وهذه نفس النتيجة تقريبا التي توصل اليها البنك الدولي.بسبب هذا الامر ووفق هذا التصور تغيرت علاقة الولايات المتحدة بالصين.

والملاحظ ان صعود غالبية القوي العظمي على مدي القرون الخمسة الاخيرة كان نتيجة حروب وثورات وادي هذا إلى اعادة تنظيم شامل للثروة والقوي على النطاق الكوكبي.ولكن صعود الصين بوجه خاص يمثل ظاهرة غير مسبوقة وبالتالي وضع سياسة ناجحة للصين ليس بالامر اليسير.

فهمت ادارة كلينتون وبوش واوباما شئ من هذا على الاقل.بدت سياستهم تجاهها مشوشة للابقاء على الطفل الصغيرة داخل النظام العالمي ,اذ بدون ذلك يسود الخوف من نمو الطفل سريعاً ليبلغ اشده ويتجاوز وزنه الحد ويفسد عليها هيمنتها ,حيث يفرض شروطه ويجلس حيثما يريد.

مع تزايد الحملات العدوانية بدا كل جانب مهما يري انه لا يفعل الا ما يقتضيه الواجب.رد فعل ازاء الاستفزازات للآخر وسلوكه السئ,وينظم الاستعراض الملائم للقوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية،ليرسم خط في الرمال.

في عام 2000 استخدمة امريكا ملفات حقوق الانسان المعتادة الاستخدام ضدها لتحول بين بكين والاوليمبياد.وبذلك تعرقل تقدم الصين إلى العالم ولو بشئ بسيط.كانت الصين وما تذال تواقه للمحافل الدولية فاستضافة مؤتمر الامم المتحدة المعني بشئون المرأة في عام 1995,لكنه في الحقيقة ووجه بتظاهرات ولقاءات غير رسمية موازية

للاجتماع الرسمي.كانت هيلاري كلينتون تنوي ذكر انتهاكات حقوق الانسان في الصين,لكن هذا اعتبره الامريكان فج وينم عن اهانة متعمدة في مؤتمر يقام في الارض الصينية.عرقلت الصين وحلفاء لها اوربيون دخول الصين في عضوية منظمة التجارة العالمية.وهنا نسال ما هو نوع منظمة التجارة العالمية في القرن ال21,التي لا تضم الصين بين اعضائها ؟ النتائج واضحة وستكون اكثر وضوح.

العلاقات الصينية الامريكية في حالة سقوط وكل منهما ينظر للاخر بنظرة ريبة وشك.وما يضع الملح فوق الجروح مسألة تايون والجزر المتنازع عليها.وستظل قضية تايوان المحك للتعبير عن قوة النزعة القومية والوطنية والقوة العسكرية في بكين.اكبر خطا بشان تايوان من جانب الصين انها لم تستغل العلاقات الدافئة اثناء وجود الاتحاد السوفيتي وارجأتها لما بعد او على الاقل لم تستخدم شئ منها.

معضلات السيطرة الماركسية الجديدة وتداعياتها

اذا ما تهيأت الفرصة للصينيين الحصول الكافي من اللحوم مثل الامريكيين ربما يحدث عجز في المراعي اللازمة على كوكب الارض لتلبية حاجات البشر.

واذا اكل الصينيين اسماك بقدر ما يأكله الياباني فان الصين سوف تستهلك ما يعادل ,من حيث الحجم اجمالي الصيد من الاسماك على نطاق الكوكب.ويستطيع المرء ان يمضي اكثر امثلة عديدة للطرق التي ستؤثر بها الصين في بقية البشر في العالم.

بيد اننا لسنا مع اولئك الذين يرون ان الصين ضخمة اكثر من اللازم,وان مستقبلها سوف يهز العالم ,وان النجاح الكامل او الفشل الكامل للاقتصاد العالمي معلقون بطبية تطورها.ثورة الالكترونيات الرقمية والمجتمع الناضج سوف تكون لهما اهمية حاسمة في اقتصاد القرن ال21.

اصبح العجز التجاري الامريكي مع الصين واضح جدا.كما ان كميات كبيرة من الصناعات كثيفة العمالة انتقلت كاملة بالفعل إلى الصين كلعب الاطفال والمنسوجات واللدائن والالكترونيات الاستهلاكية والعدد اليدوية..الخ.

أصبح للصين قدرة على تخريج علماء في مختلف المجالات ,مما دعي الشركات إلى الذهاب للصين لانتاج ما تريد بعلماء وايدي عاملة ارخص من نظيرتها الغربية.واستطاعت الصين ان تصبح ثاني او ثالث اكبر دولة لديها احتياطي عملات اجنبية.واستطاعت الصين شراء معظم الدين الامريكي اي انها تقوم نيابة عن الحكومة الامريكية بعملية الادخار,كما استطاعت ايضا غزو الاسواق الامريكية المحلية بمنتجاتها المختلفة.هكذا ندرك ان هناك شئ ما يحدث بشكل قوي في جوانب اخري من العالم.

ويري البنتاجون ان الصين تنفق ما بين 24 إلى 36 بليون دولار على الجيش سنويا ,وتمثل 16% من ميزانية الصين الكلية.لكنها مقارنة بميزانية الجيش الامريكي تبدو كشظية,اذ تبلغ حوالي السُبع.ويتصور بعض العسكريين الامريكيين ان الصين لديها خطة للهيمنة على الممرات البحرية في اسيا,وان بكين قد تسد الطريق على تدفق النفط إلى اليابان وغيرها من الدول مستقبلا.و حوالي 40% من دخلها القومي منصرف إلى التجارة العالمية ,هذا قد يعزها إلى تطوير اسطولها الحربي,خاصة انها مرشحة قوة عظمي ايضا.وهو ما بداته بالفعل في تطوير حاملات طائرات ,رغم ان تطوير حاملة طائرات يستغرق بين 10 -15 سنة ,لكن الصين اقتصرت الوقت باجهزة احدث ساعدت على ضيق الوقت الذي يستغرقه تطوير حاملات الطائرات.ورغم ذلك اود التاكيد على ان ما تفعله الصين حتى 2025 لا يقارن بما تفعله الولايات المتحدة عسكريا,لكن رؤوس الصين النووية موجهة مباشرة صوب الولايات المتحدة ,وهي الحيدة في العالم الموجهة صوب واشنطن.وللحقيقة هناك فترة طويلة تتعدي 20 عام لتصبح الصين الثانية عسكريا بعد

الولايات المتحدة.وخلال هذه الفترة تكون الولايات المتحدة قد تقدمت في التكنولوجيا العسكرية عليها.

وفي السنوات الاخيرة ثمة نمط سلوك افزع المفكرين في مختلف انحاء العالم ,وهو بيع الصين لباكستان معدات ومواد ذات علاقة بالاسلحة النووية وساعدت ايران على تطوير مفاعل نووي وباعت لها مكونات للحرب الكيماوية ,وقامت بمجموعة من الاخطاء الاقتصادية تجاه الولايات المتحدة ابتداء من تنامي فائض تجاري ضخم مع واشنطن ,وتشغيل مصانع مملوكة للدولة. كما ان الصين تاجر سلاح كبير,وبعض اسلحتها منافسة لدرجة كبيرة في الاسواق العالمية,علاوة على ان بعض اهدافها السياسية الخارجية يمكن تعزيزها عن طريق مبيعات السلاح,خاصة للانظمة التي تراها واشنطن خطيرة.وبالمقارنة بالولايات المتحدة تعتبر تاجر سلاح صغير اذ يبلغ اجمالي مبيعاتها 20% من صادرات السلاح الامريكية.

وتري بكين باكستان من اهم بلدان العالم ,حيث تعتبرها الثقل الاستراتيجي المقابل للهند وتراها حلقة وصل بينها وبين الدول الاسلامية والعربية الخصبة في الشرق العربي وشمال افريقيا.وقلعة ضد نفوذ الدب الروسي في اقصي الغرب الاسيوي.

ورغم ما يقول الامريكيين على الصينيين,فان بكين خرجت بلد خرج للنور من موقع العزلة الدبلوماسية منذ اكثر من 30 سنة ,الي موقع العضو النشط والمسئول في الامم المتحدة.والملاحظ ان الصين عند التصويت داخل مجلس الامن نادراً ما استخدمت حق النقض(الفيتو).ويشهد الواقع انها ساندت الولايات المتحدة اكثر من معارضتها لها,وامتنعت سياسيا عن التصويت اكثر مما استخدمت حق الاعتراض.

والصين عضو في اكثر من 50 منظمة حكومية دولية واكثر من الف منظمة غير حكومية. ويعتقد بعض الباحثين الامريكيين ان اي دولة تصبح ديمقراطية عندما يبلغ مستوي الدخل السنوي للفرد ما بين خمسة الاف وثمانية الاف دولار,وهذا يكفل استدامة النظام الديمقراطي واستقرار دولته.وتوقع باحث امريكي يدعي ربن ان الصين ستبلغ هذا وتصبح ديمقراطية بحلول عام 2015 ,لكني اظنه افرط في التفاؤل ,فستستغرق زمنا اطول.

الافراط في توقع صعود الصين ليس كامل لان الصين قد تتعرض لهزات اقتصادية واخري نوبات فساد في الشركات المملوكة للدولة فهو غذاء الام لقتصاديات السوق وثالثة لهوة الاتساع بين الفقراء والاغنياء من جانب والحضر والريف من جانب آخر,وبين الساحل والداخل من جانب ثالث واتساع عدد المتقاعدين من 30 مليون إلى 120 مليون عام 2025.والاهم حزب ليس هناك بديل عنه اذا ما حدث انهيار ما.وسوف تحتاج الصين إلى 300 مليون طن من الحبوب بحلول عام 2030,وهو طلب يتجاوز ما يمكن ان توفره اسواق العالمالمتاحة للتصدير,وربما يتسبب هذا في مجاعات لدول اخري من

العالم.ولكن يمكن مواجهة ذلك بزيادة المنتجات الزراعية في ظل غزو الصحراء بالتكنولوجيا الحديثة.فكر محليا واعمل كوكبيا,فنهر اليانجتسي ليس نهر المسيسبي.
منظومات الصين والغرب ستظل على مدي عقود عديدة قادمة اكثر ادراك للخلافات بينهما من ادراكها لاوجه التماثل,والتغيير على مدي اجيال سوف يحتاج إلى عدة اجيال.ولعل الافضل ان نصل إلى فهم الواقع بدلا من ان نظل غارقين في الحلم الامريكي عن الصين التي ستتطور على الصورة الامريكية وشاكلتها.الواقعية هي الاساس للحيلولة دون تصاعد عمليات سوء الفهم والتصورات الخاطئة والتوقعات البائسة,وجميعها لن تؤدي إلى شئ سوي تفاقم النزاع بين القوتين العالميتين مستقبلاً.

التشابك الدينامي

المعروف ان ماوتسي تونج ,وشواين لاي.و جودي وزلائهم من الثوريين الذين قادوا تاسيس جمهورية الصين الشعبية في 1949,يعتبرون الجيل الاول من القادة.وبدا هؤلاء الاباء بناء الحزب وتاسيس جيش,وشاركوا في المسيرة الكبري وحضروا اجتماعات ميدان آن مين في اكتوبر 1949عندما اعلن ماو انتصار الثورة بكلماته المشهورة (الآن تقف الصين شامخة).هؤلاء الرجال مثلهم مثل قادة اقوياء في عصرهم – روزفلت وديجول وتشرشل- تميزوا بالقوة والشخصية الزعيمة الجذابة(الكاريزمة).كانوا اكبر من صعاب الحياة,حنّكتهم المعارك وصهرتهم الحرب والثورة.كانوا ذروة القوم المحدثين,ركزوا اهتمامهم على رؤي وآمال عظيمة هدفها التقدم بمصالح امتهم.

كذلك كان ماو ومعاصروه مثل نظرائهم من قادة الغرب في الحرب العالمية الثانية يستمدون من نجاحهم في قيادة شعوبهم,من اجل تحديد خيرات الحقبة الحديثة وخلاص البلاد.ووضع دنج هسياو بنفسه ضمن الجيل الثاني من قادة الصين رغم انه شارك الجيل الاول في العمل والخبرة.ويرجع هذا إلى وازع الاحترام لماو.اصبح بهذه الصورة اول زعيم صيني جمع بين الوضع التاريخي المواتي والعقل المنفتح تماما للتامل الجاد في كيفية فتح ابواب الصين للعالم وللحداثة.

جيانج زيمين واقرانه من الجيل الثالث ربما شاركوا في ثورة بكين 1949,ولكن فقط كطلاب او فتيان,انهم ليسوا ابطال حرب,بل من بقوا بعد جولات التطهير المتعاقبة,وصراعات الحزب الداخلية.يتمتعون بالقدر اللازم من التعليم الاساسي والمهارات.كثير منهم مثل جيانج,مهندسون تخرجوا في الجامعة,لكنهم على عكس دنج الذي سافر إلى فرنسا شاب ثوري يطلب العلم,واحتفظ في ذاكرته بعد ذلك إلى الابد يفهم حقائق عديدة عن العالم الخارجي,بينما الخبرة الاولية العالمية لدي قادة الجيل الثالث كانت ثقافتهم سوفيتية.

الجيل الرابع هو الجيل الذي يتولي الآن (من 2000 إلى 2030) ادارة البنوك والمؤسسات المالية ويشغل مناصب المحافظين وعُمد المدن.وينتشر ابناء هذا الجيل في مختلف مراكز الفكر والوزارات والشركات الصينية الجديدة في الداخل والخارج.هؤلاء في العقد الرابع او الخامس من العمر,ومن المقدر ان يشغلوا مناصب رئاسية في هيكل السلطة خلال الفترة من 2015 إلى 2030.ينزعون إلى الاعتقاد بان الاصلاح السياسي امر حاسم من اجل مستقبل الصين,بيد انهم يعرفون ايضا ويفهمون اسباب التدرج في العمل السياسي,حيث انهم شباب تصدروا صفوف الثورة الثقافية,بعد ان راوا الصين كيف اصبحت في حالة من الفوضي,انهم يخشون ان تخفق الصين اذا لم يحدث تغيير.اغلبهم اكمل دراسته في جامعات غربية كبري,عندما تيسر لهم ذلك.واحتضن كثير

منهم الحركة الديمقراطية في اواخر الثمانينيات.لكنهم يتصفون بثنائية مثيرة للانتباه,انهم يتمنون ان يروا الصين بلد حديث مزدهر واكثر ديمقراطية.ولكن على الرغم من انهم كشفوا في الماضي عن شجاعتهم ,فانهم يعتقدون انهم لا يزالون في انتظار ان تواتيهم فرصتهم.انهم مقتنعون بانه حين يصل جيلهم من نهاية المطاف إلى ركائز السلطة السياسية القومية وفانهم سيبداون حقيقة الاصلاح والتقدم الذهبية خلال القرن ال21.لكن ربما يفتقدون صبرهم واعصابهم,وهم في انتظار فرصتهمووبقعون تحت سطوة انماط ومعتقدات قيادة اكثر تقليدية.انتقال السلطة من الجيل الثالث إلى الرابع سوف تشبه إلى حد كبير الخبرة الامريكية خلال السنوات الاخيرة من نهايات القرن ال20 وبدايات القرن ال21 عندما خبأ ضوء جيل ريجان وبوش الاب,وظهر جيل جديد يمثله كلينتون.وفي نهاية المطاف لم نر شئ يمثل تحول برنامجي واسع.هكذا ربما يعود الجيل الصيني الرابع مثل كلينتون إلى المركز التقليدي حال توليهم السلطة.

الجيل الخامس سوف يعلو على هذه العيوب التي ستشوب طابع الاجيال.ويكون القوة الدافعة التي تغير الصين عمليا,وتحولها إلى امة حديثة بالكامل.سيصوغ هذا الجيل منظومة القيم التي تصالح بين الدوافع المختلفة.فتكون صينية وحديثة في آن واحد.ومن ثم تستحدث مؤسسات اقتصادية سياسية تمزج بنجاح التراث الاسيوي والتراث الغربي.ولكن الجيل الخامس لن يبدا تولي امور السلطة الا بعد 25 عام او كثر.وهذا مؤشر واضح يكشف لنا المدي الزمني الغريب تاريخيا لحدوث التحول النهائي للصين.

الصين لكي تضع رؤية جديدة محددة المعالم عن المستقبل ستضطر إلى الدخول في مواجهة مباشرة مع الماضي الموروث عن فكر ماو والشيوعية.وهذا من شانه ان يطرح عن اسئلة جديدة عن المشروعية الضعيفة لقادة اليوم ,وقد كانوا تلاميذ ماو.ان الغوص والتنقيب في سجلات ماضي الحزب الشيوعي تحت قيادة ماو ,للكشف عن المعني الحقيقي لمعتقدات واهداف الحزب المقررة آن ذاك,سوف يؤديان إلى كشف النقاب عن فلسفته ومظاهره وتناقضها باضطراد مع متطلبات الصين الراهنة والمستقبلية.لذلك فان اغفال مجموع الاثار المتبقية عن الشيوعية والتي تشكل ركيزة الفكر السياسي الصيني,ايسر كثيرا من محاولة ازالتها.

واذا كان لا بد من اجراء عملية استئصال جراحية لجوهر الفكر المادي في التاريخ السياسي الصيني,اذا لابد من ان تحل محله رؤية جديدة مميزة ومحددة.هذا من شانه ان يركز الانتباه على السياسة,ويستثير حتما من جديد حجج الثمانينيات التي تقول ان من دون اصلاح النظام السياسي الصيني وتطبيق ديمقراطية جماهيرية.فان الصين لن تنجح. والاصلاح السياسي سوف يبدا بالتخلص من اجزاء كثيرة من البرنامج التقليدي للحزب الشيوعيوتحل محلها برامج جديدة متميزة تحقق حاجات الصين التنموية

والديمقراطية.سوف يكون اقرب لمنهج نظام السوق الاجتماعية الكونفوشية.قد يتم تغيير كلمة الشيوعي باخري تعبر عن القومية والتنمية الاقتصادية.سوف يكون لاحزاب اخري صوت اقوي,وستكون الانتخابات المباشرة هي السائدة لتشمل مستويات اكثر من السياسة المحلية.وفي البرلمان سيتحقق مزيد من الاستقلال عن قيادة الحزب.بالضافة إلى وجود جماعات مصالح عديدة ومشروعات اعمال لها مصالحها وشئونها الخاصة ولها مطالب متزايدة تلفت الانظار.و قد تتحول الصين إلى غير مركزية لتكون سلطة الاقاليم والمحليات من اهم جوانب صيغ الاصلاح السياسي.

و في عام 2030 ستصبح الصين اضخم اقتصاد لامة واحدة في العالم,كما تصبح السوق الاسيوية حولها من اكبر الاسواق.

تنامي القوة العسكرية

الميزانية العسكرية الصينية تضاعفت أربع مرات تقريبا من حوالي 64 مليار يوان 1995 إلى248 مليار يوان عام 2005، وفي عام2005، زادت الميزانية العسكرية الصينية بنسبة 17% ، وحسب المعطيات الرسمية، أنفقت الصين 9و29مليار دولار على قطاعها العسكري، والى جانب ذلك، بما أن جزء هام من ميزانيات عدد من الوزارات تتضمن نفقات ذات صلة بالقطاع العسكري، يقدر خبراء غربيون ان النمو العسكري الصيني حجم الإنفاق العسكري الصيني بين 35 ملياردولار و90 ملياردولار، ورغم أن هذه المعطيات تكشف الفجوة الواسعة التي تفصل الصين عن الولايات المتحدة التي أنفقت 7و501مليار دولار على قطاعها العسكري عام2006أي ما يعادل تقريبا نصف النفقات العسكرية كل دول العالم مجتمعة،إلا

أن هناك العديد من الاعتبارات التي تجعل دلالات هذه الأرقام مسألة نسبية فقط أهمها توفر الصين على عمالة رخيصة وعدم تدخل الصين في المسائل العسكرية خارج أراضيها. وتمتلك الصين أحد اكبر الجيوش البرية في العالم، ورغم أن الجيش الصيني انهي في ديسمبر 2005 من حلقة تقليص عدد العاملين في القطاع العسكري بما يقارب 200 ألف عسكري إلا أن حجم الجيش الصيني يبقى ضخما، وحسب الإحصاءات الرسمية، لدى الصين اكثر من 3و2مليون عسكري، وبإضافة الشرطة المسلحة الشعبية شبه العسكرية التي تضم اكثر من 5و1مليون فرد، والقوات الاحتياطية البالغ عددها 800 ألف فرد، ترفع الصورة الكلية للوحدات العاملة الاحتياطية والشبه عسكرية إلى نحو 6و4مليون فرد، وفي سنة 2004 أوردت وكالة المخابرات الصينية في ورقتها البيضاء أن الصين بإمكانها بلوغ سقف 10 مليون عسكري نظامي.

وتمتلك الصين قوة بحرية قوامها 75 قطعة قتالية كبرى، حوالي 55 غواصة هجومية، و50 بارجة ثقيلة ومتوسطة، أزيد من 45 مركب لخفر السواحل مجهزة بالصواريخ، وهي بصدد نمو سريع بفعل دخول قطع محلية جديدة وإبرام صفقات خارجية مهمة. عام 2005 هو جزء من SOVREMNNY II استلام الصيني للمدمرة الصاروخية الروسية مشروع صيني ضخم لتحديث قطاعاتها العسكرية المختلفة لتواكب نموها الاقتصادي ومصالحها الإستراتيجية المتنامية، وقد استلمت المدمرة الثانية في 2006 حسب، وهذه المدمرة مهيأة خصيصا لصواريخ كروز المضادة للسفن التي *Soveremenny* والمضللة لأجهزة الرادار، وتشمل تحسينات نوعية على النموذج الصيني(ASCMs) تم شراؤها من روسيا.

في هذا الإطار، تواصل الصين بناء غواصاتها الذاتية التي تعمل بمحركات الدييزل، *Song-Class*.وفي عام 2004 أطلقت الصين غواصة جديدة بمحرك دييزل صنف*yuan*,والصين استلمت ثماني غواصات *KILO-Class*من روسيا لتدعيم كما، SSN.27Bالتي تم شرائها سابقا، وهي مزودة بطوربيدات حديثة وتوجيه لاسلكي وصواريخ.

ومنذ أن أصبحت قوة نووية عام 1964، تبنت الصين برنامجا نوويا مختلفا عن ذلك الذي اتبعته القوتين العظمتين أثناء الحرب الباردة.وهو النهج الذي جسده شعار *No First Use*‘فترة قصيرة من تجربتها النووية الأولى، وكانت الصين تساند دوما الدعوات الدولية لوقف سباق التسلح النووي، لكن وجود الصين كهدف للتخويف النووي في الحرب الكورية، ثم أثناء أزمات مضيق تايوان.وخلال التراع الصيني– السوفيتي1968-1969 جعل القادة الصينيين على معرفة مسبقة بالتهديدات النووية، وهو ما جعل الصين تضع مسالة الردع النووي والقدرة على الضربة الثانية هدف

حيويا ولتحقيق مقولة ماو1959" سوف يكون لزاما علينا بناء غواصات نووية حتى وان تطلب الأمر منا 10 آلاف سنة. وتوجد الآن 3 أنماط من الصواريخ العابرة للقارات في الجرد الصيني قادرة على ضرب الولايات المتحدة وروسا ومعظم دول العالم انطلاقا من البر الصيني، صنفين يعملان بالوقود السائل وهماCSS4 ، وصنف آخر يعمل بالوقود الجاف،DF-5.

عموما معظم النقاشات والتحاليل بخصوص صعود الصين تنصب على مظاهر القوة الاقتصادية والعسكرية المتصاعدة، مع أن العناصر" اللينة او الناعمة "للقوة الثقافة، الأيديولوجيا، والدبلوماسية هي وحدات أساسية في تحديد مكانة القوى الكبرى.

واهم ما تقوم به الولايات المتحدة تجاهها معظم فترات القرن ال21 هو الحفاظ على الوضع القائم وتتضمن هذه الإستراتيجية مواصلة السياسات الحالية في الترويج لاقتصاد السوق، تمكين العولمة،وتشجيع الديمقراطية، زفي نفس الوقت إظهار قوة عسكرية كافية للحفاظ على السلم في الإقليم، ويبدوا أن السياسة الخارجية الأمريكية الحالية تجاه نمو الصين تجمع بين" المثالية" و"الواقعية". فالبنتاجون يترع إلى اعتبار الصين تهديد واقعي للمصالح الأمريكية، ويحضر مختلف السيناريوهات بما في ذلك للحالة" الأسوأ."

السياسات الخارجية الأمريكية الأخرى تجاه الصين تبدوا مثالية في غالبها، فهي تهددف إلى تسويق القيم الأمريكية كالديمقراطية واقتصاد السوق الرأسمالي وحقوق الإنسان في السوق، واغلب هذه السياسات إضافة جديدة لأطروحة السلام الديمقراطي Globalization-Peace Hypothesis مبنية على أطروحة السلام-العولمتي,حيث عولمة الاقتصادية الزراعية يقود إلى نمو طبقة متوسطة حضرية في الغالب والى طلب

داخلي اكبر للديمقراطية والتمثيل الحكومي، الأطروحة تفترض أن هذه الحكومات الديمقراطية لا تحارب بعضها البعض، ومن ثم فان جهود توطيد دعائم ديمقراطية نهائية يقود إلى علاقات اكثر سلما مع الدول الأخرى، وفي هذا الإطار يمكن تفسير السياسات بفكرة اسقاط الدول من الداخل او فكرة عولمة الديمقراطية بمطالب اقاليم وجماعات وفقراء وحريات وديمقراطية..الخ. ولا استبعد دخول الصين في حرب اقليمية مع تايوان او اليابان. وقد تبدأ باستخدام أسلوب التخويف *Blockade*السيناريو القهري وهو حصار الصين الاقتصاد التايواني وجعله هدفا لها وتحاول تحطيمه، ومع ذلك هناك شك كبير في قدرة الصين على عزل تايوان عن العالم الخارجي، وعما إذا كان بإمكان الصين إقناع اغلب السفن التجارية بعدم المخاطرة بالإبحار نحو تايوان. الحصار البحري قد يأخذ أشكالا عديدة، لكن بالنسبة للصين المقترب الأقل مغامرة هو إدخال عامل المغامرة إلى كل الرحلات البحرية من والى تايوان بإغراق مناسبتي لسفن الشحن باستخدام الغواصات أو الألغام البحرية، وقد تعزز الصين هذا الحصارهجمات جوية، وفي بدئها لحصار على تايوان، هناك ثلاث عناصر مهمة تعمل لمصلحة الصين، احتواء تايوان على خط ساحلي واحد وموانئ مكشوفة، افتقار تايوان للمصادر الطبيعية مقارنة بالصين مما يجعلها اكثر معاناة من الحصار واعتماد الاقتصاد التايواني على التجارة من الناتج الداخلي للبلد، وأخيرا امتلاك تايوان لعدد قليل من الغواصات أو الطائرات التي تجعلها تكسر الحصار.و بإمكان تايوان تخفيف آثار الحصار الصيني من خلال تغيير مسار السفن, الأمر الذي يدفع الصين إلى محاولة نقل الهجوم إلى محيط مفتوح وبعيد عن البر الصيني، ويصبح بإمكان السفن التايوانية المضادة للغواصات من العمل خارج مدى اغلب الطائرات الصينية والاستناد إلى الغطاء البر التايواني، كما أن القدرات الجوية التايوانية ستكون في موقع جيد للدفاع عن السفن في شرق الجزيرة ضد أي طائرة صينية متعقبة. تايوان تبقى مع ذلك معرضة للخطر خصوصا في حالة استخدام الصين للألغام البحرية، والنتيجة في كل الأحوال هي أن تايوان قد لا تكون قادرة بمفردها على كسر هذا الحصار، وستكون في حاجة ماسة لدعم مادي أمريكي خصوصا للغواصات والطائرات ونظم التنصت تحت الماء.

الفصل الثامن

حكومة كوكبية واحدة

خرئط موازين القوى

يقول المفكر الأمريكي جوزيف ناي ان مستقبل القوة ينتقل عبر طريقين، الأول من الغرب إلى الشرق، والثاني من الدولة إلى الجهات الفاعلة غير الرسمية. هذان الملمحان لانتقال القوة في القرن الـ 21.

أفضل طريقة لاستيعاب انتقال القوة داخل الدولة إلى الفاعلين غير الرسميين، هي التفكير في طبيعة "ثورة المعلومات" التي شهدناها خلال آخر ثلاثين أو أربعين عاما الماضية. فقد انخفضت تكاليف "الحوسبة"، والاعتماد على الكمبيوتر، وبالتالي أصبح في مقدرة الجهات الفاعلة ذات الإمكانيات المتواضعة في استغلال تلك الثورة لخدمة أغراضها.

و يضرب ناي مثالا يشرح فيه تأثير ذلك بقوله "عندما كنت في إدارة الرئيس الأسبق جيمي كارتر، كنا نتعامل مع سياسات منع الانتشار النووي، وكان أحد أسرارنا الضخمة أننا كنا قادرين على تصوير أي مكان على سطح الأرض بوضوح متر واحد، وكلفنا هذا بلايين الدولارات. أما الآن، فيمكنك الدخول على محرك البحث "جوجل" على الإنترنت والحصول على صور أفضل مجانا".

هذا التطور الهائل الذي أحدثته تكنولوجيا المعلومات لا يعني أن مفهوم الدولة القومية سينهار، ولكن يعني أن الحكومات أصبحت اشبه بممثل على خشبة المسرح التي ازدحمت بهؤلاء الذين أصبحوا قادرين على التمثيل. وبعض هؤلاء الممثلين جيدون، مثل منظمات "أوكسفام" الإغاثية، والبعض الآخر سيئ مثل "تنظيم القاعدة.

فتنظيم القاعدة في 2001 قتل من الأمريكيين أكثر مما استطاعت أن تقتلهم القوات اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية عام 1941، مما يعني "خصخصة الحرب"، وهو المفهوم الأكثر حداثة في عالم السياسات.

واعتدنا سماع أن الشرق الأوسط ليس فيه خيار وسط بين الحكم الاستبدادي والتطرف الديني، ولكني أعتقد أن ثورة المعلومات خلقت جيلا وسطا جديدا كما رأنا في ميدان التحرير بالقاهرة، وما فعلته التكنولوجيا المتطورة مثل تويتر والفيس بوك، حيث مكنتهم من التغلب على مشاكل العمل الجماعي والتنسيق فيما بينهم".

أيضا، يمكننا التفكير في "ويكليكيس"، فإن سرقة الوثائق السرية من الحكومة ليست أمرا جديدا، فربما يكون هذا النوع من السرقات قديما قدم الحكومات ذاتها، أو قدم عمليات التجسس. لكن ما أحدثه ويكليكس هو جمع مستودع كامل من البرقيات السرية لوزارة الخارجية الأمريكية، ووضعها على قرص صلب مثل الذي توضع عليه أغاني نجمة البوب الأمريكية ليدي جاجا، ونشره على الفور بكل أنحاء العالم كان هو الأمر الجديد والمختلف.

وهناك مثال آخر، يتعلق برسم كاريكاتيري في مجلة نيويوركر منذ نحو عقد تقريبا، وكانت صورة لكمبيوتر ولكلبين يجلسان أمامه، ويلتفت أحد الكلبين للآخر قائلا " لاتقلق"، على الإنترنت لا أحد يعرف أنك كلب.

هذا الرسم الكاريكاتيري لم يكن فقط فكاهة رائعة، وإنما كان له بعد سياسي، وهو أنك لا تعرف على الإنترنت من هو الذي يهاجمك. وهذا المثال يتضح أكثر فيما حدث عبر " ستكسنت"، وهو فيروس أصاب بعض أجهزة الطرد المركزية في البرنامج الإيراني النووي، مما أدى إلى تدمير بعضها، ولم يعرف أحد حتى الآن مصدر ذلك الفيروس. وبالتالي فخلال عام أو عامين، ستكون هناك " ستكسنت" موجهة إلى لندن أو الجزء الجنوبي في أمريكا، ولا نعرف من الذي هاجمنا، فربما تكون حكومة أخرى أو بعض المتطرفين أو عصابة إجرامية أو الإرهاب الإلكتروني.الأمثلة السابقة هي وسيلة لفهم كيف أدى ظهور مجموعات وأشخاص يستطيعون القيام بتغيرات كبيرة في عالم السياسة والقوة في هذا القرن.

وانتقال القوة من الغرب إلى الشرق، وأفضل طريقة لفهم هذا التحول هي تخيل صورة العالم في عام 1800، حيث كانت تمتلك آسيا أكثر من نصف سكان العالم ونصف إنتاجه المحلي. ولكن لو نظرنا للصورة نفسها في عام 1900، فسنجد أنه لا يزال نصف سكان العالم بآسيا، ولكنها تملك فقط 20% من إنتاج العالم، وهذا بسبب الثورة الصناعية في أوروبا وأمريكا الشمالية.

ولكن ما يشهده هذا القرن هو عودة آسيا للمعدلات الطبيعية (تقريباً نصف سكان العالم ونصف إنتاجه)، ولهذا نطلق على هذا القرن لقب "عودة الانتعاش" إلى آسيا. وهذا الانتعاش بدأ باليابان مرورا بكوريا، ثم إلى دول جنوب شرق آسيا، بداية من سنغافورة وماليزيا, ويتركز الآن في الصين، وعلي نحو متزايد يتركز في الهند التي ارتفعت معدلات نموها.

الولايات المتحدة تنحدر، والصين تزدهر، وكثير من الناس يقولون إنها وصفة محفوفة بالمخاطر. أنصار هذا الرأي يرجعون في التفسير إلى "الحرب البيلوبونسية"، عندما كان "المجتمع اليوناني" مجزأ في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث صعود أثينا، والقلق الذي أحدثته في أسبرطة، الأمر الذي أدى لنشوب الحروب بينهما. وكذلك اشتعلت الحرب العالمية الأولى، حيث كان النظام الأوروبي مجزأ، وقامت الحرب بسبب ازدهار القوة في ألمانيا، والقلق الذي خلقته في بريطانيا، وبالتالي صعود الصين قد يخلق انفجارا مشابها.

لكني ارى تلك الاستعارات التاريخية سيئة لعدة أسباب, أولها أنه لا اعتقد أن الولايات المتحدة تنحدر. وفي هذا الشأن, فدورة حياة الدول تختلف عن حياة الإنسان، وهذه الدورة غير معروفة، فروما استمرت ثلاثة قرون ونصف قرن من أوج القوة حتى الانحدار

النهائي. لكن هذا يقودني إلى مفتاح آخر لفهم قصة انتقال القوة في القرن الـ21 لرواية انحدار أمريكا وصعود الصين.

إن هناك خلطا بين شيئين مختلفين للغاية، وهما " الانخفاض النسبي والانحدار المطلق". ففي الأخير، تفقد الدولة مواردها وقدرتها، مثلما حدث لـ "روما القديمة". أما الولايات المتحدة، فلا يمكن تطبيق صورة الانحدار المطلق لروما عليها، وإنما يمكن القول إنها تمر بحالة من "الانخفاض النسبي". فالاقتصاد الأمريكي يتراجع، والتكنولوجيا والتجارة الأمريكية لا تزال موجودة اي اقصد انها ستصبح في مصاف الدول الكبري.

ونهوض القوى الأخرى، كالصين والبرازيل والهند، ليس معناه إلغاء قوة الولايات المتحدة، ولكن خفضها نسبيا. فالصين قد لا تتفوق على الولايات المتحدة في الطاقة بصفة عامة.

فلو أنك تملك 1,3 مليار نسمة ومعدل النمو يقرب الـ10 %، فسيحدث ذلك عاجلا أم آجلا، ولكن إجمالي حجم الاقتصاد ليس بالضرورة أن يكون مؤشرا جيدا لتطور الاقتصاد أو إجمالي قوت الصين الاقتصادية، لأنها عادة تقاس بمتوسط دخل الفرد. ورغم أن الصين تسعى لزيادة قوتها " الصلبة" خاصة العسكرية والاقتصادية، فإنها تسعى لزيادة قوتها الناعمة حتى تمنع التحالفات ضدها. لذلك، فإن بكين تنفق البلايين على معاهد كونفوشيوس، وتحاول إنشاء فضائيات جديدة. لكن المشكلة أن الصين تجهل أن الصفقة الرابحة للقوة الناعمة تؤسسها قوة المجتمع المدني وليس الإجراءات الحكومية. فلو نظرت إلى القوة الناعمة الأمريكية فستراها تنشأ من الجامعات والمؤسسات البحثية والفكرية وهوليوود، بالإضافة للسياسات الحكومية، في حين أن الصين لا تستطيع إطلاق عنان مجتمعها المدني بسبب نظام الحكم. رقعة الشطرنج ثلاثية الأبعاد,وفى البعد الأول، تبدو الولايات المتحدة مهيمنة عسكريا. وستظل كذلك لعقد أو اثنين، أما البعد الثاني، فيشير إلى أن العالم متعدد الأقطاب اقتصاديا، حيث توجد القوى الأوروبية والأمريكية والصينية.

أما البعد الثالث، فيتعلق بالعلاقات العابرة للقومية التي ساعدت على انتشار القوة خاصة لجهة الفاعلين غير الرسميين. وثمة تحديات ضخمة تواجه العالم بفعل انتشار القوة في الجهات غير الرسمية مثل الإرهاب الالكتروني والتغيرات المناخية والأوبئة وغيرها.و الحل الافضل للتعامل مع تلك المشكلات هو تنظيم شبكات للتعاون على مستوى العالم. وهذا يعني أن علينا التفكير في القوة مع الآخرين، وليس فقط عليهم.

مشروعات الهزيمة والتعثر للأمام

داخل دوائر القرار الأمريكي وداخل مجلس الأمن القومي يسود الاعتقاد بأن الحل الوحيد لتحويل سكان المنطقة إلى الحضارة يكمن في إدماج إسرائيل في هذه المنطقة. وبالتالي فإن بديل بالنسبة لهم يعنى ابتلاع كل من إيران وتركيا لأكبر قدر ممكن لهما من الأراضي العربية. كما سيعني اندلاع النّزاعات الدموية بين العرب أنفسهم وبهذا فإن إسرائيل لن تكون بحاجة للتورط عسكرياً كي تشهد نِهاية دول المنطقة. بل وينوه بعض الامريكيين إلى احتمال مساعدة إسرائيل لَلعرب من أجل حمايتهم من دول الجوار(وكأن الجوار صهاينة واسرائيل دولة اسلامية) بل إن بعضهم يراهن بأن الحلف العربي –الإسرائيلي في مواجهة هذه الدول هو أمر واقع في حال قدوم السلام. لكن هذه التسوية تقتضي تفهم الخوف الإسرائيلي من التفوق الديموغرافي العربي. وبالتالي الخضوع لشروطها التي قد تبدو مبالغة إذا لم ننظر لعنصر الخوف. وهذا المنطق يتجاهل وجود الشعوب العربية والاسلامة وحكامها ومنظملتها والخطوط الحمراء. التي ساهمت في الحد من قدرة إسرائيل على استخدام قوتها العسكرية ومن قدرة الولايات المتحدة على التحرك بحرية في المنطقة. وأيضاً على إجراء تغييرات في جغرافية المنطقة وإذا كان بعضهم يضيف التسامح الأمريكي في توزيع عائدات النفط والذي حوّل قلة قليلة جداً من العرب إلى أثرياء فإن هذا التسامح كان مفروضاً.

والسيطرة الاقتصادية والعسكرية كانا الدافع الأمريكي الرئيسي لعاصفة الصحراء (حرب الخليج واحتلال العراق) ونحن نعيش ما خلفته هذه الحرب من فوضى عربية استراتيجية - شاملة ومن تجلياتها :

1- الولايات المتحدة باتت تملك القدرة على التهديد المباشر لأنظمة الحكم في المنطقة. وتحت وطأة هذا التهديد تم اقتياد الدول العربية إلى مؤتمر مدريد واستدراجها إلى ملحقاته. وإذا أردنا أن نكون أكثر ديبلوماسية فإننا نختصر القول بأن أنظمة الحكم العربية تأمركت بعد عاصفة الصحراء.

2- عدم تنفيذ قرارات إعلان دمشق بِما يعكس عدم جدية النظر لأي تكامل عربي.

3-التوتر داخل التجمعات العربية القائمة بما يقطع الطريق أمام أية جهود عربية جامعة ويبقي على قابلية الخلافات العربية – العربية للإنفجار.

4- تطبيق سياسة الحصار الاقتصادي الأمريكية على عدة دول مع عدم وجود موقف عربي جامع حول هذه الحصارات.

5-العجز عن عقد قمة عربية ناجعة وناجزة بالرغم من الزلازل العاصفة التي تتعرض لها المنطقة.

6- بروز خلافات جديدة تستند إلى مبدأ علاقة الأخ الغني بالأخ الفقير،وهي خلافات تجذر الشقاق العربي وتنقله من حيز السياسة إلى مستوى التعصب القُطري الذي يحول الخلاف من السياسي إلى الفردي.

7- تحول الدول العربية الغنية إلى دول مدينة بما يعكس تسرب ثروات هذه الدول وفقدانها لوضعها كعمق استراتيجي – اقتصادي عربي وإسلامي.

هذه الفوضى جعلتنا عاجزين عن التوجه في الزمان والمكان ومعه العجز عن تحديد موقفنا من الآخرين وأيضاً من بعضنا البعض وهذا هو الأخطر.

8- تنعكس الفوضى الاستراتيجية الأمريكية على العالم ومنه دول المنطقة بحيث يرتبط بمستقبل هذه الدول بقدرة الولايات المتحدة على تكوين إطار استراتيجي جديد لمصالحها في المنطقة. ولعله من الممكن اعتبار الشرق الأوسط أحد أوضح مناطق العالم في الرؤية الاستراتيجية الأمريكية.

1- مصر : إن رغبة الولايات المتحدة بخفض معوناتِها تنعكس على مصر بصورة أساسية إذ تأتي مصر في المرتبة الثانية (بعد إسرائيل) في قائمة المعونات الأمريكية وبالنظر إلى الفوضى العالمية فإن التوجيه الأفضل لمصر هو باتجاه الدول العربية والافريقية كي تعيد استغلالَها لثرواتها النفطية والخروج من الفقر.

وهكذا بات من الطبيعي أن تتجه مصر باتجاه هذه الدول التي تستعيد غناها لتتحول إلى أسواق غنية مفتوحة في وجه الإقتصاد المصري. وهذا الإنفتاح كفيل بحل أزمات مصر الإقتصادية وجعلها اقتصاد قوي وكبير. كما ان الولايات المتحدة تبحث عن قائد يعود بقوة لمكانته بيثن الدول العربية وهي مصر وال قيادات كبيرة للقارة الافريقية وكبديل عن محاولات دخول اثيوبيا وغيرها على الخط. ومع هذه العودة يتم اتباع إقتصاديات كل من جنوب السودان والسودان والصومال لمصر. فهذه الدول الثلاث تملك ثروات من اليورانيوم (المحظر الإعلان عن وجوده عداك عن استغلاله). والولايات المتحدة لن تترك هذا اليورانيوم تابعاً لمنطقة النفوذ الأوروبي،وبالتالي يسهل استغلاله كورقة هامة.

2- تركيا: كانت دائماً بمنْزلة الصديق المزعج للولايات المتحدة فأهميته تجعلها تتمسك به ومشاكله ونزاعاته تنفرها منه وتجعلها تتحمل التبعات والأعباء. فتركيا تعاني من جملة مشاكل داخلية بينها الأقليات العرقية (الأكراد) والدينية والمذهبية. إضافة إلى تناقض التوجهات الاجتماعية التركية وتوزعها ما بين قومية طورانية وإسلامية ويسارية وعلمانية. وذلك يحتاج ضبط الوضع الداخلي التركي إلى رقابة عسكرية مباشرة واستعداد دائم لتدخل العسكر في الحكم.

أما على الصعيد الخارجي فإن لتركيا مشاكل جدية مع كافة جيرانها (اليونان وإيران وسوريا والعراق وحتى دول بحر قزوين). ويضاف إلى هذه المشاكل عجز تركيا عن الإيفاء بشروط

الإنضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة مع ما يعكسه هذا العجز من رفض أوروبي جماعي يحرج الولايات المتحدة.

في المقابل فإن تركيا خاضعة منذ بداية عهد أتاتورك خضوعاً كلياً للتوجهات الغربية وتالياً الأمريكية وهي بذلك تقدم نموذجاً للدولة التابعة لكنه نموذج سيء ومنفر. لأنه لا يشجع بقية الدول على حذو حذوها. فقد انتهجت تركيا سياسة علمانية بحتة (بقوة الجيش أحياناً) وتخلت عن جهاز قيمها لصالح القيم الليبيرالية الأمريكية. لغاية استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني. ومع ذلك فقد عجزت عن تحقيق تنمية صحيحة.الولايات المتحدة تفكر في الخلاص من هذا الصديق المزعج أو تكتفي باحتوائه جزئياً لخفض سقف طموحاته ؟.

من هنا نجد أن من مصلحة الحلف العالمي الجديد الإبقاء على تركيا أسيرة تناقضات وباحثة عن حلول لأزماتها وذلك بحيث يسهل توظيفها لمصلحة الحلف ولخدمة استراتيجياته المستقبلية. وبمعنى آخر فإن من مصلحة الحلف وضع تركيا في حالة الحرب الباردة مع جيرانها مما يجعلها بحاجة دائمة لتدخل الحلف ووساطته ودعمه. وبما يحد من جموحها في آن معاً.

3- إسرائيل : عندما تكون في حالة عداء مع العرب فإنها تكون صاحبة حقوق والتزامات أمريكية غير قابلة للجدل. وبالنسبة لإسرائيل التفكير في سلام عربي – إسرائيلي هو مجرد سراب. ففي المرحلة الراهنة لا يوجد لدى إسرائيل أي سبب يدفعها لاستعجال أي حل نهائي لصراعها مع العرب. وأن كانت الفوضى العربية خلال العقد الثاني من القرن شديدة الإغراء بالنسبة لَها. وهي تستغلها من أجل تسويات مؤقتة تحقق لها الأهداف الإستراتيجية التالية:

أ-الأمن الإسرائيلي : حيث قوة الردع العسكري تضمن أمن إسرائيل في وجه الحروب مع الجيوش العربية. ويبقى الأمن الإسرائيلي في مواجهة الحركات ذات الطابع الفدائي،وهذا يقتضي تحقيق تسوية تلزم الدول العربية بعدم احتضان هذه الحركات (حتى لا تجد لها مقراً للإنطلاق)

ب-حرق الأوراق العربية : بمعنى تسجيل اختراقات في المواقف العربية المبدئية تجاه إسرائيل. وهذه الورقة فائقة الأهمية بالنسبة لإسرائيل لأنها تفتح أمامها أبواب اختراقات إسرائيلية اقتصادية وثقافية.

ج- وهذه الأوراق قد لا تبدو بالأهمية الحقيقية لها. إلا أن العارفين ببواطن الأمور يدركون أن مثل هذه المواقف هي من معايير التوجه القليلة الباقية لدى الرأي العام العربي وعليه فإنّ التسوية مع العرب تتيح لإسرائيل حرق هذه الأوراق العربية. مِما قد يحول الرأي العام العربي إلى ما يشبه الفوضى الكلية.

ج- تشجيع الفوضى الديموغرافية : استناداً إلى تاريخ الشتات اليهودي هنالك قناعة إسرائيلية راسخة مفادها قدرة الفيتو الصهيوني في بلدان العالم على تحقيق مكاسب تفوق حجمه بأضعاف مضاعفة. لذلك فإن إسرائيل مستعدة دائماً للتورط في مناطق الفوضى الديموغرافية. كونها تحسن جني مكاسب هذه الفوضى. ومن هنا عملها الدائب على إثارة مشاكل الإقليات في كل بقاع العالم. أما في الداخل الإسرائيلي فإن بناء المستوطنات هو أداة الفوضى الديمغرافية التي قامت إسرائيل على أساسها على أن تشجيع إسرائيل لِهذه الفوضى لا يقف عند حدود بناء المستوطنات بل يتعداه إلى سلسلة من التحركات الفوضوية في هذا الإتجاه منها :

1-استغلال اي تسوية من أجل مطالبة إسرائيل (بوصفها ممثلة لحقوق اليهود في العالم او اعتراف بها كدولة يهودية) بحقوق اليهود في الدول العربية واول من تبدأ بهم مصر والسعودية.

2-تسجيل اختراقات عربية بتحريك اليهود العرب تمهيداً لإعادة تصديرهم (ربما كانت بداية إعادة التصدير تبدأ باليهود الإيرانيين).

3- إغراء الأقليات المتواجدة في الدول العربية لفتح وتعميق قنوات اتصالها بإسرائيل وذلك وفق النموذج الأمريكي –الكردي (يحول الأقلية إلى مجرد ورقة للضغط).

4-تحقيق اختراقات عربية عبر المنظمات الدولية وعبر مؤسسات المجتمع المدني (خصوصاً المعتمدة منها على التمويل الأجنبي).

د- الهروب من السلام : إن الثمن المطلوب دفعه من قبل إسرائيل لتحقيق السلام يعتبر زهيداً بالقياس مع الثمن الذي كان مطلوباً خلال الحرب الباردة. لكن الصهاينة متخصصون في لعبة العرض والطلب. وعليه فإنّهم يجدون هذا الثمن باهظ. وهم يدركون أن تحقيق التسويات يؤمن لَهم غاية الأمن الإسرائيلي ويدفع العرب باتجاه ترتيب أوضاعهم الداخلية ونسيان سيرورة السلام بِما يتيح لإسرائيل انتظار الظروف الملائمة وتحديد الوقت المناسب لإنهاء مفعول التسويات والعمل على استبدالها إما بتسويات أخرى أو ربّما بسلام شبه تلقائي وشبه مجاني ولعل ما يسمى بتفاهم نيسان (عقب عملية عناقيد الغضب في لبنان) خير نموذج للسلوك الإسرائيلي

ه –مستقبل إسرائيل في المنطقة :لم يتخلى الإسرائيليون عن حلمهم الأسطوري بتحقيق إسرائيل الكبرى، لكنّهم يقدمون عليه حلماً أكثر واقعية هو حلم تحويل إسرائيل إلى دولة كبرى حيث تمكن العرب بالرّغم من ظروفهم السلبية وضعفهم العسكري من الحؤول دون تحقيق هذا الحلم لغاية حيث لا يزال الإقتصاد الإسرائيلي اقتصاد معونات وإسرائيل تريد استغلال الفوضى العالمية للخروج من هذه الوضعية. هذا الخروج الذي يقتضي إلصاق المصالح الإسرائيلية بالأمريكية (تتجه التوظيفات والاستثمارات اليهودية

بذات اتجاه الاستثمار الأمريكي حيث تتركز في منطقة القوقاز) بما يجعل إسرائيل مستفيدة من أي استراتيجية يمكن للولايات المتحدة اعتمادها خصوصاً وإن البوادر تشير إلى الرغبة الأمريكية بتخطي المفهوم الجغرافي للشرق الأوسط عن طريق إلصاق مناطق النفوذ الأمريكية الجديدة فيه وعن طريق فصله عن شمال أفريقيا الذي اعتبر لفترة طويلة امتداداً استراتيجياً للشرق الأوسط.

هذا التصور يحقق لإسرائيل مكاسب عديدة وفي طليعتها نهاية السيطرة العربية (اقتصادياً وديموغرافياً وثقافياً) على الشرق الأوسط. وهذا من شأنه أن يساعد إسرائيل على اختراق حاجز العزلة العربي القائم في وجهها منذ إعلانِها. وهكذا فإن السعي الإسرائيلي يتجه باتجاه المحاصصة مع النفوذ الأمريكي حيث إسرائيل شريكة في الحرب الباردة وفي المخاطرة بالاستثمار وبالتالي فإنّها تستمر في دور الشريك الاستراتيجي للولايات المتحدة هذه الشراكة التي تؤمّن لَها التغذية من الدماء الأمريكية. سواء عن طريق المعونات أو عن طريق تقاسم الأسواق الجديدة.

4- العراق : يشكل العراق لغزاً عصياً على الفهم الأميركي. فالولايات المتحدة لا تجرؤ على تحميل مواطنيها أعباءً ضريبية جديدة لعدم ثقتها باستعداد المواطن للتخلي عن جزء من رفاهيته. مع التأكد على أن أزمة إقتصادية أمريكية جدية يمكنها أن تؤدي إلى الانهيار الأمريكي. أما بالنسبة لإسرائيل فإن أزمة شبيهة من شأنها أن تخلق موجة هجرة معاكسة (من إسرائيل إلى الخارج) تزداد حدّتها بازدياد حدة الأزمة. وإن كانت تؤجّله إلى ما بعد المتغيرات التي تشهدها دول المنطقة. وهي متغيرات لا تقف عند حدوث المستجدات المرافقة للأوضاع الجديدة بل تتعداها إلى تغيرات جذرية في علاقة دول المنطقة بعضها بالبعض الآخرحيث الحلف التركي – الإسرائيلي سيجد إنعكاسه ورد فعله الطبيعي في حلف يقابله في المنطقة (على أن لا يتعارض هذا الحلف الجديد أو يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة). فإذا ما تأمنت عضوية العراق في الحلف الجديد فان ذلك يكون أحد السيناريوهات المقبولة. فإذا ما تعذر ذلك أمكن لقمة عربية تسهل عودة العراق وإخراجه من الحصار.

وان القاعدة العربية تتألم لما يجري للشعب العراقي ونص دراسة أجراها الدكتور الكويتي عويد سلطان المشعان وعرضها في مؤتمر عقد في الكويت في أبريل العام 1994تؤكد أن المواطن الكويتي لا يزال يستشعر مشاعر الاخوة والتعاطف مع المواطن العراقي بغض النظر عن أية اعتبارات سياسية. في المقابل علينا أن لا نتوقع أن تكون عودة العراق مجانية

5- السعودية: المراجعة المتأنية لمواقف المملكة تبين أن السعوديين لَم يَتَخَلّوا يوماً عن مسؤولياتِهم تجاه القضايا العربية. ومواقفهم تنطلق من مبادئ ثابتة تشكل استراتيجية

بحد ذاتِها. فموقفهم من الإتحاد السوفيتي لَم يكن موقفاً سياسياً أو تكتيكياً بَل كان موقفاً مبدئِياً قوامه رفض الشيوعية والتصدي لَها. ولَم تكن الولايات المتحدة بعيدة عن توريط السعودية والعراق والمنطقة كلَها في الحرب مع إيران. بل إنّه من المستبعد تبرأة الولايات المتحدة من مسؤولية تمديد أمد هذه الحرب التي شهدت نِهاية غير مكتملة بِما يوحي بأنّ حرب الخليج الثانية إنّما جاءت تَتِمّة لَها. وبات من المعروف اليوم جهود السعودية للحيلولة دون اندلاع هذه الحرب وللتوفيق بين العراق والكويت. وندرك أن نجاح هذه الجهود كان مَمنوعاً أمريكياً ومع ذلك فقد بَقِيَ اللوم للسعودية بالسّماح بتواجد أجنبي في الأراضي المقدسة، لكن هذا اللوم يفقد حدّته عندما نَرى الإتحاد الأوروبي ينساق للتورط في كوسوفو مع ما في هذا التورط من أخطار تهدد بلدانه في اقتصاديتها واستقرارها وأيضاً في إجبارها على تعديل استراتيجياتِها. وهذا الموقف لَم يكن سوى تكراراً لانسياق هذه الدول إلى حرب الخليج الثانية، مِمّا يعني بأن للشراكة الإستراتيجية حدودها أمريكياً. ويجيء الإعلان الأمريكي عن صدام الحضارات بفرعية الصيني والإسلامي. فنجد أنّ السعودية تحولت إلى رمز مهدد للمصالح الأمريكية وإلى متصادم معها. إذ أن إيران في وضع احتواء أمريكي يجعلها عاجزة عن تهديد هذه المصالح إلا عبر النافذة السعودية التي تبقى المعنية بطرح صدام الحضارات مع أن السعودية لم تظهر يوماً في موقف المتصادم مع الحضارات فهي تعاملت مع المسيحيين واليهود (العرب والأجانب) من منطلق إسلامي بحت باعتبارهم "أهل كتاب". بل إنّها قدّمت لبعضهم دعماً حيوياً لإستمراريتهم. وهذا أمر يدعونا إلى تحري سبب إلصاق هذه التَهمة بالسعودية تحديداً حيث نَجد قدرة سعودية فائقة على الخوض في بِحار المتغيرات العالمية والإنسانية العاصفة. تمكنت السعودية ومصر والامارات والكويت من تخريج جيش من رجال الأعمال العرب الذين يجيدون اللعبة بحيث دخلوا بِمهارة في نادي الأفراد المؤثرين في تحديد اتجاهات المصالح. وعلى صعيد السياسة العالمية دخلت السعودية كعنصر مقرر وذو نفوذ إلى مسرح السياسة العالمية فاكتسبت موقعها السياسي المميز الذي يجعلها مرجعاً لا يمكن تجاوزه في المسائل العربية. وهذا الوزن السياسي المتصاعد جعل الولايات المتحدة عاجزة عن تخطي الرؤية السياسية السعودية أو تجاهلها.

6- الولايات المتحدة : يمكن التأريخ لاستراتيجية أمريكية جديدة ابتداءً من احتفال الحلف الأطلسي بيوبيله الذهبي. الذي ترافق مع إعلان أهداف استراتيجية جديدة له. حيث تمكن قراءة هذه التغيرات على النحو التالي :

أ- تخلي الولايات المتحدة عن الآحادية القطبية بضم الشركاء الأوروبيين والاعتراف لَهم بمناطق مصالح سواء داخل أوروبا أو في شمال أفريقيا. ب -عودة إلى المفهوم

الاستعماري القاضي بتقاسم مناطق النفوذ حيث أعلن الأوروبيون قبل سنوات عن رغبتهم بإنشاء قوة أوروبية للتدخل السريع في شمال أفريقيا. وجاءت المباديء الأطلسية الجديدة تلبي الرغبة في مقابل تحديد مناطق نفوذ أميركي في الشّرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوروبا.

ج- اعتماد مبدأ ترك المشاكل الصعبة للوقت والتصدي للمشاكل الأقل صعوبة حيث ترك الأطلسي فراغاً جغرافيّاً أهم مناطقه الشرق الأقصى والإقرار الأطلسي بِهذا الفراغ يعني التراجع عن العالمية وربّما عن العولمة إذا نحن أمعنّا النّظر في العلاقة بين العولمة وبين الأمركة.

ج - استدراج دول الفراغ الجغرافي (آسيا وأفريقيا) وتشجيع القوية منها على الدخول في لعبة شرطي المنطقة أو في لعبة الأحلاف بِما يعتبر تكريساً لمناطق نفوذ الأطلسي ويعطل دور الأمم المتحدة فيها.

د - الالتفاف على احتمالات نشوء الأحلاف الغاطسة (أي الأحلاف التي تقوم ثم ينفرط عقدها في مراحل تاريخية معينة بحيث تتوقع نظريات الاستقراء التاريخي المستقبلية قيام هذه الأحلاف من جديد في ظروف ملائمة وأخطر هذه الأحلاف الحلف الروسي – الصيني – الأوراسي. وهو الحلف الذي يشكل تَهديداً جدّياً، في حال قيامه لمصالح الأطلسي.

هـ-تفسر لنا النقطة السابقة أسباب السماح بمشاركة روسية محدودة في قوة حفظ السلام في كوسوفو. والتخلص السريع من رئيس الوزراء الروسي بريماكوف لأنّه صاحب أحلام من هذا النّوع وإنهاء بعض الأدوار الوظيفية لما أصطلح على تسميته بـ الإتحاد الأوروبي وبناء عليه فإننا نستنتج بأن الرؤية الاستراتيجية – الأمريكية للشرق الأوسط ا تتلخص بالنقاط التالية :

1.تأمين استمرارية السيطرة (المدعومة عسكرياً) على النفط العربي الخليجي.

2.ربط رفع الحصار عن إيران بتأمين المصالح الأمريكية فيها حتى ولو أدى ذلك إلى تغيير النّظام.

3.محاولات فرض تسوية تستجيب لدواعي الأمن الإسرائيلي مع إعطاء فرصة زمنية كافية لإسرائيل لانتظار المتغيرات الإقليمية القادمة التي قد تتيح لإسرائيل فرض حل نهائي مناسب لَها في صراعها مع العرب.

4.إبقاء تركيا مشغولة بأزماتِها وربّما توريطها في أزمات جديدة بِما يمنعها من المطالبة بحصص أكبر في منطقة القوقاز أو في البلقان وربّما تسمح الظروف بتعويضها عن ذلك بغض النّظر الأمريكي عن أطماعها في شمال العراق وسوريا.

5.التفرغ الأمريكي لاستثمار ثروات دول بحر قزوين (آسيا الوسطى) بِما يدعم الحزام الأوراسي الإستراتيجي لمجابهة أي تحرك صيني مستقبلي.
6.تأجيل الإهتمام بحقول اليورانيوم الصومالي والسوداني (والمصري) إلى مرحلة لاحقة حيث لا داعي للتعجل في كشف ثروات جديدة في المنطقة.
7.بناءً على ما تقدم يصبح من الأسهل على الولايات المتحدة تغيير الحدود الجغرافية الراهنة للشرق الأوسط، وذلك على صعيدين
- الخارجي : بضم الإمتدادات التركية (دول القوقاز والبلقان) إليه مع تثبيت عضوية أفغانستان وباكستان فيه ثم لاحقاً إضافة مصر والسودان والصومال إليه.
- الداخلي : التدخل لمنع التفكك العنقودي لدول المنطقة مع تشجيع انفجار المشاكل الأقليات فيها.
8.إيجاد مخرجٍ مقبول للمسألة العراقية من شأنه أن يخفي الوجه البشع للولايات المتحدة في ممارساتِها السياسية والأخلاقية والعسكرية على هذا البلد.
والقرن ال21 قد يشهد براكين الصراع المزروعة في طول أوروبا وعرضها , سواء منها إيرلندا وشمال إيطاليا , وإختلاف موقف السويسريين العرقي من إتفاقية اللغات), أو البراكين التي تبدو خامدة بصورة مستترة دون نفي إحتمالات تفجرها مستقبلا(بلجيكا وإسبانيا). كما ان المطلع على فوارق الدخل الفردي بين أوروبا الغربية والشرقية لا يستطيع ان يجعلها تمر في العقل دون احداثيات وتاثيرات اجتماعية ونتوءات تولد صراعات مختلفة. فالسكان المميزين في العالم أغنياء يسكنون في البلدان مراكز القوة (بين الباسيفيكي واوروبا). وهؤلاء يعشقون التجوال وفي الأماكن التي تؤمن لهم حرياتهم متيحة لهم ممارسة طموحاتهم وجشعهم. وبسبب هذا التجوال.فإنهم اشبه ب "البدوي الجديد". فهم برأي أتالي بدو رحل من نوع جديد لا تتحكم الإنتماءات بتحركاتهم, وإنما تتحكم فيها مصالحهم , وهم يضطرون في تجوالهم هذا , لإستخدام تكنولوجيا فائقة التطور. هذا ويرى أتالي أن ثقافة الإنتقاء, التي إرتبطت بمنطق السوق , سوف تدعم الإنسان في إكتساب مقدار من الذاتية (التفرد) , وحكم نفسه بنفسه. حتى تصبح قدرته على إمتلاك الأشياء الجديدة. رمز للحرية والقوة.

اسقاط الحضارات

بعد خروج انجلترا وفرنسا من الحرب العالمية الاولي عظمتين وتلاهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعد خروجهما من الحرب العالمية الثانية،ثم سقوط الكتلة الاشتراكية تربعت قوة الولايات المتحدة على العالم،ولما كان راي اغلب صناع القرار بتفردها والاصرار عليه دون السماح لمنافس كانت ميزانيتها العسكرية تعادل اكثرمن مجموع ميزانية ال22 دولة التالية لها عالمياً.كما راي هؤلاء انه عليها الا تعتد بالمنظمات الدولية فيما يعوق مصالحها،بل استخدامها كلما امكن في هذا الاطار.لكن مع انهيار الكتلة الاشتراكية من الغرب ادرك الغرب ان الوهن قادم وبدا يدب،فبدأ اعداد صراع جديد من خلال التحرش واسقاط الحضارات الاخري. وعلينا ندرك ان اتخاذ قواعد الحروب والصراعات تخرج خاسرين ضعاف ومستسلمين برضاهم او رغم عنهم وغانمين يسيطرون ويتحكمون في المهزوم.وعندما يتم السيطرة عليه وتوجيهه وبالتالي استهلاكه يتم التوجه لحضارة اخري ذات خيرات.وهكذا تجدد الحضارة دمائها ولا تسقط مثلما سقطت الحضارات السابقة. وبعد الكتلة الشرقية تم التوجه لبقايا الاشتراكيين في الغرب وهي يوغسلافيا وبقاياها حتى لاتعود مرة اخري ثم تشيكوسلوفاكيا.وتم التوجه للحضارة الاسلامية بالجماعات والارهاب التي تم استخدامها ضد الاتحاد السوفيتي.كما كانت هناك محاولات احتلال واستعمار مباشر في نهايات القرون المختلفة بعد الدولة العثمانية إلى استقلال هذه الدول في النصف الاخير من القرن ال20.ولكل عصر ادواته وتكتيكاته فنهايات القرن ال20 وبدايات القرن ال21 تم استخدام الحروب بالوكالة والجماعات وحروب اللاعنف ورجال اعمال..الخ. وهذه الطرق كانت موجودة لكنها استخدمت بنطاق اوسع.نلاحظ ان الفكر نفسه يحمل الخطأ بداخله،حيث ان فكرة الرأس مالية هي ذاتها الانا الاوحد،قلة تملك وتتحكم فيمن يحكم واكثرية شغيلة وعمال ومنهمكون في ظروف مختلفة.وكلما اغتنت الراسمالية تطلب المزيد،محيط من عدم الشبع والاحساس الانساني والاخلاقي في بعض الاحيان.وللاسف تم توظيف مفكرين وكتاب وعلماء في انتاج الاسلحة وتحديثها وملئ عقول الناس بالفكر الاستهلاكي والترويج لديمومة الراس مالية وتصنيف العالم لدول مارقة ودول طائعة وصراع حضاري..الخ وللاسف ان هؤلاء اغلبهم من اصل حضارات تم الفتك بها واغتيالها.اي يتم استخدامهم في الفتك بأصولهم وتاريخه الحقيقي،وبالتالي لامانع من انكار تاريخ الانسانية نفسه واستخدامه كوسيلة او اداة.صراع حضارات يعني تصارع البشر والفتك بهم خاصة المختلفين عنهم.لم ارد الرفض بقدر ما اردت دعوتهم للافاقة وتوضيح تصرف القوة. فدولة مثل العراق متخذ القرار الامريكي يراها معادية وصدام حين شرير والدولة الامريكية تري تأمين مصالحها بتأمين النفط والطاقة، والمؤسسات او الشركات تري ضرورة سيطرتها على النفط والاستثمار فيه وفي تجارته. كم

يموت ؟ وماذا يحدث للعراق ؟ والمنطقة والعالم..الخ كلها امور ثانوية معمول حسابها في نفس الاطارت السابقة ايضاً.اي التخلص من صدام ويصبح عبرة لغيره واحتلال العراق وتحكم شركات امريكية في النفط وتهميش دور الامم المتحدة واعطائها دور ثانوي..الخ.

واذا نظرنا لدول العالم من حيث السوك السياسي نجدها اما مستقلة عن القرار الامريكي مثل روسيا والصين ودول تابعة ككوريا الجنوبية وانجلترا ودول عربية ودول ترفض الفكر الامريكي التي يطلق عليها ساسة امريكا دول محور الشر ككوريا الشمالية وكانت كوبا.والعالم كله يدور في فلك دول المركز أو مجموعة الدول الكبرى.

مستقبل المنظمات الدولية (البريكس والأمم المتحدة)

إن مفهوم "البريكس" الذي اطلقته شركة غولدمان ساكس الامريكية في بداية القرن ال21 كان مفهوماً استثمارياً فقط حينئذ. في حين يرى العالم في الوقت الحالي ظهورا متزايدا لدول البريكس على المسرح الدولي، ومزيدا من التعاون البيني. والآن أصبحت القضايا الدولية الهامة على غرار الأزمة المالية، واصلاح المؤسسات المالية الدولية، والتغير المناخي والأمن الغذائي، مسائل لايمكن معالجتها دون مشاركة دول البريكس. ويمكننا أن نحلل ظاهرة دول البريكس من المجالات الثلاث التالية:

أولا، يجب أن ننظر لنمو دول البريكس من خلال الزاوية التاريخية المناسبة. اذ ان هذه الدول لم تشهد نموا سريعا إلا خلال العقد السابق، وهذا ليس بمعزل عن تزايد نسق العولمة والإستراتيجيات التي وضعتها الأسواق الناشئة لتعديل نموها ودخول منظومة الإقتصاد العالمي. وبعد اندلاع الأزمة المالية العالمية، أصبحت مكانة دول البريكس في البنية الدولية أكثر وضوحا، والقاطرة الرئيسية لإنتعاش ونمو الإقتصاد العالمي. في الأثناء، مازالت دول البريكس إلى حد الآن في مرحلة تراكم النمو، ولكي تتمكن من زيادة نموها تواجه ضرورة تغيير نمط النمو وتحويل الإقتصاد والحد من إستهلاك الموارد والإضرار بالمناخ، كما تواجه سرعة نسق التمدن والتهرم السكاني، إلخ. واذا لم تنجح دول البريكس في تذليل هذه التحديات فإنه من الممكن أن تقع في "مأزق المداخيل المتوسطة" أو "مأزق التحول"، الأمر الذي سيضع حدا لوتيرة نموها السريع.

ثانيا، يجب التعامل مع نمو دول البريكس بنظرة جدلية. حيث من الواجب النظر إلى الحجم الإقتصادي الإجمالي للنمو السريع الذي تشهده دول البريكس، لكن من الواجب أيضا النظر إلى الضعف النسبي لنصيب الفرد في دول البريكس. على مدى السنوات العشر الماضية كانت الصين، البرازيل، روسيا والهند ضمن أكبر 10 اقتصادات عالمية، ووفقا لمعدل النمو الحالي فإن الحجم الإجمالي لإقتصاد دول البريكس سيصل إلى مستوى الحجم الإقتصادي لمجموعة السبع خلال وقت قصير. في المقابل، سيبقى نصيب الفرد في دول البريكس متخلفا كثيرا عن نظيره في الدول المتقدمة، ووفقا لإحصاءات غولدمان ساكس، فإن معدل الدخل الفردي في الدول المتقدمة في عام 2010 قدر بـ 39500 دولار، في حين كان الدخل الفردي في دول البريكس كالتالي: البرازيل 10700 دولار، روسيا 10400 دولار، جنوب افريقيا 6090 دولار، الصين 4400 دولار، الهند 1400 دولار. ووفقا لمعايير البنك الدولي لتقسيم الدول الفقيرة والغنية، فإن جميع دول البريكس ينتمون لصنف الدول متوسطة الدخل، وأقل من معيار الدول ذات الدخل الفردي العالي الذي يحدده البنك الدولي بـ 12276 دولار في السنة.

ثالثا، يجب النظر إلى مشاركة دول البريكس في الشؤون الدولية من زاوية النمو. مكّن

النمو السريع الذي حققته دول البريكس من توفر لها أسس مادية للمشاركة في الشؤون الدولية. كما وفّر فرصة جيدة لإصلاح المنظومة الدولية ودمقرطة العلاقات الدولية. من جهة ثانية مكن دخول دول البريكس إلى مجموعة العشرين ومشاركتها في الإدارة الإقتصادية والمالية العالمية، ودفعها للإصلاحات في البنك الدولي وصندوق النقد من رفع تمثيلية الدول الناشئة والدول النامية. ومنذ عام 2009 أصبحت هناك قمة سنوية تجمع دول البريكس وتختتم بإعلان موحد، تترجم من خلال موقف دول البريكس من القضايا الدولية الهامة. وبذلك إنتقلت مجموعة البريكس من المفهوم الإستثماري إلى واقع السياسة الدولية، وأصبح التعاون والتنسيق بينها في هذا المجال يعد تقدما تاريخيا. ورغم أن دول البريكس لاتمتلك تجربة طويلة في المشاركة في القضايا الدولية مثل الدول المتقدمة، ورغم أن تأسيس الثقة المتبادلة وتعميق التعاون بين أعضاء المجموعة مازال في حاجة إلى مزيد التأقلم والتمحيص طويل المدى، لكن بفضل النمو المستمر لنفوذ دول البريكس وعلاقات التعاون المتينة المتنامية بإستمرار، فإن رغبتهم في المشاركة في الشؤون الدولية حتما ستتزايد باستمرار.

في قمة العام الماضي التي عقدت في منتجع سانيا جنوب الصين، أسفر إجتماع قادة دول البريكس على اصدار مخطط تحرك مفصل للتعاون بين أعضاء المجموعة، شمل 10 مجالات منها الإقتصاد والمال والتجارة والصناعة، والصحة، والثقافة. وقد حققت دول البريكس خطوات هامة في التعاون في هذه المجالات. ويمكن القول أن مستقبل دول مجموعة البريكس لايدعو إلا إلى التفاؤل.

وفي منتصف القرن الواحد والعشرين غالباص سيشهد ذروة بريكس كأغنى كتلة اقتصادية في العالم،ولعل وهذا ما يقلق الولايات المتحدة الامريكية كثيراً. لقد اختلفت بريكس عن كل من منظمة الأسيان التي تجمع بلدان جنوب شرق آسيا، واليوربيان (= الاتحاد الاوروبي) الذي ولد من خلال استراتيجية اقتصادية (السوق الاوربية المشتركة) ولكن تغلبت عليه القوة السياسية. أما النافتا من امريكا الشمالية والمكسيك فهي تسجل تحوّلات لها خصوصيتها الأمريكية.وعليه، فان مجموعة بريكس ما هي الا تشكيل ناد اقتصادي يمر عبر كل العالم، وقد سجّل تقدما يذكر في اجتماع القمة عام 2008. بتحول مثل هذه البلدان الى اوضاع جديدة، وستكون .كما يأمل بعض الدارسين .من بين الدول المسيطرة اقتصاديا عند العام 2050، خصوصا وانها تشتمل على اكثر من 25 % من أرض العالم. و40% من سكان العالم. ان الصين هي الاكثر حركة ونشاطا من بين الاربعة المؤلفة لهذا النادي الذي سيكون اكبر كيان اقتصادي في التاريخ، وان الولايات المتحدة الأمريكية تدرك ادراكاً عميقاً أن هذه التشكيلة ستكون الأكبر والأوسع نمواً في الأسواق الجديدة التي خلقتها ظاهرة العولمة. ويؤكد غولدمان ساكس، أن لهذه الدول

الأربعة امكانات اقتصادية هائلة لم تستثمر بعد، وما يميزها ان تشكيلتها ليست سياسية كالاتحاد الاوربي، او امريكية تعاونية صرفة كالنافتا، ولا اقليمية تجارية خاصة كالاسيان. بل انها انتاجية وتكاملية وانها في طريقها كي تغدو كاليابان وألمانيا. ان ندوة علمية ترعى شؤون المستقبل في كندا قد خرجت باستنتاجات مذهلة تقول ان الحلم في بريكس يسير بسرعة كبيرة نحو العام 2050، ومن اكبر الاحتمالات انها ستغّير نظمها السياسية بتبني الرأسمالية العالمية طريقا لها لا رجعة فيه ابداً. اذ ستكون الصين والهند اهم بلدين عالميين يورّدان سلعا مصنعّة وخدمات الى كل العالم، في حين ان البرازيل وروسيا ستهيمنان على توريد المواد الخام، وسيتشكّل تعاون واضح من اجل السيطرة على السوق وتغدو جماعة بريكس كتلة قوية لاستبعاد مجموعة الثمانية التي لها سيطرتها اليوم.ان الصين ستكون لها قوتها التصنيعية المنتجة، اما الهند،فسوف تسجل خطوات في انتاج الخدمات على مستوى العالم. وتبقى البرازيل مسيطرة على فول الصويا والحديد الخام. في حين ان روسيا الهائلة ستكون معينا للنفط والغاز الطبيعي. ان ثمة آراء خطيرة تسجّل هنا حول نجاح التحولات في هذه الدول الاربع مع تحديات كبرى في دواخلها يعمل ابناؤها على الاستجابة لها.. وقد نجحت بعد نهاية الحرب الباردة، لتبدأ اصلاحات سياسية واقتصادية والسعي للدخول في الاقتصاد العالمي.. ان جيلا جديدا قد تربّى على التعليم، والاستثمار الاجنبي، والاستهلاك المحلي، وتنظيم المشروعات المحلية والعملاقة. وتقول التقديرات بأن الهند لديها القدرة على النمو الأسرع بين البلدان على امتداد زمن قادم يقّدر ما بين 30 — 50 سنة. ان التقارير التي نشرت حتى اليوم منذ العام 2004، تؤكد ارتفاع نسبة المدخولات لهذه الدول في تزايد مع تفوق الثروة السكانية، وستنمو الطبقة الوسطي في مجتمعاتها حتى العام 2025 مع توازن النمو، وبالرغم من ان الثروات ستزداد في العالم الاكثر تقدما، الا ان تشكيلة بيركس لها تفكير من نوع آخر، اذ تقف عاجزة امام مساواة الانسان في مستويات الدخل مع البلدان المتقدمة الأقل سكاناً. ولكن هناك خطوات عملاقة في التقدم، فالهند مثلا هي الاسرع نموا في المناطق الحضرية في العالم، اذ سينتقل بحدود 700 مليون شخص الى المدن بحلول عام 2025، وهذا يتطلب ثورة في منجزات البنية التحتية.

وهكذا، فأن بريكس تعمل اليوم على اعادة تركيب المجتمعات من جديد وبشكل اوسع على غرار مجموعة الآسيان. كما ان الجيل الجديد في بريكس امتلك الوعي لتوسع الرأسمالية في هذه البلدان، وقد بدأت هذه الإقتصاديات بانفتاحها الخصب ذات الوجه "شبه" الإنساني تتعاظم في الأنظمة المقفلة سابقا كالصين أو في التجارب شبه الديمقراطية كالبرازيل. ويواجه الديمقراطيون الاجتماعيون "اليساريون" الذين كانوا

يهيمنون على عدد من الحركات الاجتماعية، لا سيما في روسيا، مشاكل مماثلة. واليوم باتوا يستلهمون محاولات "الإصلاح" في أماكن مثل البرازيل. كما نلاحظ في بعض دول البريكس المناهضة للولايات المتحدة والاتحاد الأوربي في مسلسل منظمة التجارة العالمية. وتزداد حدة التناقض بحكم أن النمر الجريح واقع تحت الضغط، ليس فقط من جانب الجنوب، بل وأيضاً من جانب الاتحاد الأوروبي وربما أيضاً من جانب الصين التي أصبحت طبقتها الحاكمة مقتنعة إلى حد بعيد بأنها كانت امام طريقين قبل عشرين سنة، لو سلكت الاول لاصبحت اليوم تعاني كروسيا.. ولكنها اختارت طريقها الثاني الذي سيوصلها الى الذروة في منتصف هذا القرن.

هنا، أسأل سؤالاً واحداً : أين هي دول ومجتمعات الشرق العربي برمته ؟ ثمة تجارب رائعة لمجتمعات تسعى بسرعة من أجل اللحاق بهذا العالم المتنافس.

أما منظمة الأمم المتحدة فهي تمر بأزمة خطيرة، ولكن يجب أن نقول انه منذ إنشاء الأمم المتحدة، مرت بأزمات متعددة، واستطاعت أن تتغلب على هذه الأزمات، فالمتفائل يرى أن الأمم المتحدة سوف تستطيع أن تتغلب على الأزمات التي تتعرض لها، بينما المتشائم يرى أنها فقدت مكانتها،بل وصلت لما هو أخطر من ذلك فقدت ثقة المجتمع الدولي بهاوبالتالي لابد من تطويرها أو وجود منظمة جديدة تحل محلها،وبآليات مختلفة تماماً أي تتواكب مع مقتضيات عصرها.ولكن بعيداً عن التفاؤل والتشائم نحن أمام واقع ومعطيات ووضع دولي جديد، الأمم المتحدة معظم الأزمات التي مرت بها سواء فيما يتعلق بأزمات مثل التدخل الأمريكي في فيتنام أو التدخل السوفيتي في بلجراد أو غيرها من الأمور الأخرى.

والحقيقة أن هناك الأزمات تختلف بعضها بالبعض الآخر فالأزمة التي تقع في سنة في القرن ال20 تقع في وضع دولي يختلف عن الأزمة التي تقع في القرن ال21 فهي في وضع دولي آخر، على الأقل تقع في ظل نظام أحادي القطبية وتحول للتعددية.و يجب ألا ننسى أن السياسة الأمريكية الجديدة تختلف عن السياسة الأمريكية التي ساهمت على إنشاء الأمم المتحدة، تختلف عن السياسة التي تمسك بها الرئيس (ويلسون)، والتي ساهمت في إنشاء عصبة الأمم. والاختلاف أن هناك تيار قوي في العالم والولايات المتحدة نفسها يؤمن بالتعددية، يرى أن الولايات المتحدة ليست لها مصلحة أن تلعب دور شرطي العالم، ولها مصلحة أن تتعاون مع الدول الأخرى.لكن التيار الغالب في الولايات المتحدة لا ينظر إلا لركوب قلب العالم وهو ما يهوي به وبالعالم في حروب وصراعات عديدة.ولكن ظهور دول كبرى أخرى، على سبيل المثال الصين أو روسيا أو الوحدة الأوروبية التي يمكنها أن تنقلب إلى قوة كبرى، فإذن قد تصبح الهند دولة كبرى أيضاً أو حتى ظهور تيارات قوية داخل الولايات المتحدة نفسها سيؤثر في اتجاه آخر.

يجب ألا ننسى انه في سنة 1941 كانت القوات الألمانية على أبواب موسكو، وفي أقل من عشر سنوات موسكو استطاعت أن تصل إلى القمر وأصبحت دولة عظمي.وللأسف الدول الصغيرة والنامية ليس لها أي سلاح دبلوماسي غير المنظمات الدولية،وليس أمامها إلا أن تتجه للتنمية والتحول الديموقراطي والتعاون الإقليمي ومنظماته.

ومهما كان تقويم الأمم المتحدة ودورها سلبياً، لكن غيابها لن يجلب السلام إلى العالم وسيكون أكثر فداحة وسلبية وفوضى، الأمر الذي يستوجب تطوير فكرة التدخل لأغراض إنسانية وإبعادها عن فكرة التوظيف السياسي والحلول العسكرية والمعايير المزدوجة والانتقائية في التعامل. من جهة أخرى، فالأمم المتحدة رغم ضعفها ومشكلاتها وتبعية جهازها السياسي غالباً، فإنها مازالت تملك قدرات فريدة في حشد القوى وتعبئة الطاقات وتنسيق وتنظيم الجهود والفاعليات لعمل الحكومات والمنظمات الدولية، خصوصاً في قضايا مثل اللاجئين في العالم (نحو 26 مليون لاجئ ونازح) وبرنامج الغذاء العالمي للأطفال وقضايا الصحة العامة ومكافحة الأوبئة مثل انفلونزا الطيور أخيراً وأبحاث ومعالجات مرض الأيدز (نقص المناعة) والاحتباس الحراري (رغم قلّة التخصصات في هذه المجالات).

لكن الأمم المتحدة التي لم تنجح في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين وحل المشاكل بالطرق السلمية ونبذ استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية، وهي أبرز أهدافها ومقاصدها.

المجتمع المدني والقانون الدولي في الحكومة العالمية

النظام العالمي الجديد ابن شرعي للثورة العلمية والتقنية الجديدة حتى أن البعض أصبح يشير للقرن الحادي والعشرين بوصفه مقدمة عصر "جيو معلومات" ، وهم يضيفون إلى ذلك أن ما شهدته الحياة الإنسانية خلال العقود الثلاثة الأخيرة فاق ما حدث على الأرض منذ ظهور الإنسان.ومن اجل تفعيل اسلوب الحكم العالمي يتوجب الامر اشراك المجتمع المدني العالمي في صنع واتخاذ القرار.غير ان ما يتوقع ان يواجه اسلوب الحكم العالمي او الحكومة العالمية كتحدد,يكمن في كيفية توفير السبل والآليات التي تمكن المجتمع المدني العالمي من تشكيل هيكلته التنظيمية.وتجسيداً للفكرة الحيوية في المجتمع المدني العالمي في مواجهة الهياكل الرسمية الداخلية والمنظمات الحكومية الدولية,برزت اكثر من 1000 منظمة غير حكومية على مستوي المجموعة الاوربية ,يتمحور نشاطها في الدول النامية ,فالمجتمع المدني بمعية هذه المنظمات غير الحكومية,يعمل جنباً إلى جنب في سبيل تكريس الحكومة العالمية ,التي يعدها البعض الهدف الاسمي للاتجاه المعياري,وذلك من خلال دعم المجتمع المدني العالمي للقانون الدولي الانساني وتطور حقوق الانسان في العلاقات الدولية,وبحثه في آليات وميكانيزمات كفيلة بحماية ضحايا النزاعات المسلحة,وهي كلها تصب في قالب الاخلاقية العالمية المرتبط اساسا باهداف وخصائص الاتجاه المعياري للعلاقات الدولية,بل تذهب الاتجاهات المؤسساتية إلى وصف السياسة الدولية بالفوضوية,نظرا لافتقارها إلى حكومة عالمية.

بالموازاة نجد ان هناك عدة قواعد قانونية جديدة افرزتها ظاهرة العولمة لتتماشي واهداف العولمة التوسعية,وتجعل من القانون يُنعت بالهش او المرن.اذ سرعان ما نجد مآلها للتقنين في اتفاقيات دولية تصبح نافذة ومعمول بها حسب رغبة القوي الكبري.وهنا يكمن الخطر الاكبر لتاثير العولمة على القانون الدولي كموضوع رئيسي للاتجاه المعياري في شقه القانوني.فالقانون الدولي اصبح يمثل البنية الضعيفة للعلاقات الدولية,لانه قانون من صنع الاقوياء,ويستخدم فقط لخدمة مصالح هؤلاء على حساب الضعفاء.مما ينتج عن ذلك اتساع الهوة بين الدول القوية والدول الضعيفة,وزيادة استغلال الانسان لاخيه الانسان.وهذا يعني ان التحكم الرئيسي في العلاقات الدولية هو المصلحة الوطنية للدول القوية وتحت غطاء ما يطلق عليه الشرعية الدولية.

ويكون القانون الدولي – بهذه الصورة- قد فقد فعاليته وبات مفتقر إلى حد ادني من الهيبة والقوة الذاتية تضمن احترام قواعده واسسه وصيانة احكامه.فما تشاهده في عالم القرن ال21 في الحقيقة تجاوز صارخ في معظمه للشرعية الدولية التي مصدرها قواعد ومبادئ القانون الدولي.ويبرز ذلك في ممارسة الولايات المتحدة 2000-2008 لسياسة

التهديد باستخدام القوة ضد الشعوب والدول التي تسعي لبناء مستقبلها ,وفقا لمبدأ استقلالية قراراتها,وتدعيمها لاسرائيل ضد الدول العربية,ولا سيما فلسطين.بل اصبح الفقه الدولي الامريكي يقر باخفاق النظام القانوني الذي اقامته الامم المتحدة في حظر استعمال القوة في العلاقات الدولية,مؤسسا لاقراره لهذا الفشل بعدم كفاية او عدم فعالية هذا النظام القانوني في التصدي للدول ما تسميها بالمارقة او التي تنتهك حقوق الانسان..الخ.

عناصر اعادة ترتيب وتوزيع القوة في النظام الدولي في القرن ال21 تبني اساسا على القوتين الاقتصادية والتكنولوجية,بدلا من القوة العسكرية لادارة العلاقات الدولية ,حيث حدث تراجع الاخيرة مقابل تعاظم القوة الاقتصادية, وتنامي للقوة التكنولوجية.وهذا مع تداخلها وتشابكها وتكاملها احيانا وتلازمها.اننا نجد عمليا ان من يملك اي نوع من هذه القوي يوصف بالقوي والمتقدم.اما الذي يفتقدها فيوصف بالضعيف والمتخلف.فهي حكر قوي على الدول الكبري التي تتغني بحقوق الانسان والديمقراطية والحرية والعدالة والمساواة.ولكنها لا تطبقها على ارض الواقع بالشكل المطلوب لان ما يهمها في هذا الاطار سوي تحقيق مصالحها المادية وتعظيم قوتها,ولا تبالي بأنسنة العلاقات الدولية.

سوف تتحول كثير من الدول إلى الديمقراطية وستحاول دول اخري وكبري احتوائها.حوار الحضارات لن تتم ترجمته بشكل ملحوظ الا في نهايات القرن ال21 بسبب رفضها من طرف الغرب والدول القوية التي تريد الحفاظ على الوضع القائم.وهو وضع يتميز باستخدام القوة ليس إلا.ولا يمكن ان تتحقق حكومة عالمية واحدة في ظل التصادم بين الحضارات الانسانية,ولا سيما الغربية والاسلامية.ولا يمكن تحقيق سلام شامل في ظل هذه الصراعات الحضارية المتضاربة,فمنطق القوة يظل المنطق الغالب والسائد في النظام الدولي خلال القرن ال21.امكانية قيام حكومة عالمية واحدة تمثل للطثيرين تهديد للتطلعات القومية للدول والعائلات والقبائل والعشائر خاصة التي تتمتع بالثروة والنفوذ.ولن تقبل بها الا اذا وجدت ضما نات تحافظ على الاقل لشئ مما تمتلك.كما ان قم النظام الدولي ومبادئه وآلياته مفروضة من قبل الدول الكبري المشَكلة له والمهيمنة عليه,والتي توظفها بما يتناسب ومصالحها وسياساتها الوطنية.لذلك تلجا هذه القوي إلى استخدام القوة في تعاطيها مع المشكلات الولية.الامر الذي يتنافي واسس المشاركة والتعامل الدوليين وقيم العدل ودمقرطة العلاقات الدولية.وهي اسس وقيم ينبغي ان يتأسس عليها النظام الدولي خلال القرن الجاري.

الصراع العالمي سيتحول من صراع بين الشرق والغرب إلى صراع الشمال والجنوب.فالنظام الدولي يكمن في اعادة توزيع الادوار بين دول الشمال لضمان وتامين

مصالحها وزيادة بسط نفوذها وهيمنتها على دول الجنوب.دول الجنوب ترحب بالتعاون والتكامل الحقيقيين مع دول الشمال.ولكن دول الشمال تريدها ان تلعب دور التابع.فمشروع الشراكة الاورو متوسطية في جوهره سياسة تكريس تبعية دول الجنوب لدول الشمال اكثر منه سياسة تقوم على التعاون المتبادل.وفي ظل هذا الوضع فان علاقات التبعية ستتعمق اكثر نتيجة للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة والاوضاع الامنية غير المستقرة.عذا ادي إلى تقسيم العالم إلى دول ديمقراطية واخري غير ديمقراطية فنتج عنها علاقات هيمنة واستغلال وعدم استقرار في الدول غير الديمقراطية.

وتشكيل التوحيد العالمي يجد تطبيقات زاسعة له في الدول المتقدمة لانه فرضية وثيقة الصلة بعنصر الثقة بين الحاكم والمحكوم.وهنا يكمن سر نجاح التجارب التكاملية في الدول المتقدمة,ومن ثمهناك تجربة الاتحاد الاوربي وتكتل النافتا.بينما التجارب التكاملية في الدول النامية سرعان ما يكون مآلها الفشل نتيجة لفقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم.وهي ناتجة عن طبيعة الانظمة السياسية المتسلطة في هذه الدول.بصرف النظر عن نوع نظامها ملكي او رئاسي او برلماني.لكني اراها ستتعزز بعد منتصف القرن.مبدا التسييس التدريجي هو الغالب في تجارب التوحد ,والتحاد الاوربي نموذج تطبيقي واضح.فقد بدا بالجانب الاقتصادي لينتقل بعد ذلك إلى المجال السياسي من خلال توحيده العملة وتشكيله البرلمان الاوربي وصياغة دستور اوربي موحد قبل نهايات ذات القرن.

وللحقيقة ان المجتمع الدولي يميل خلال القرن إلى التكامل المؤسسي والتنظيمي اكثر منه نحو التكامل الاقليمي,فلدينا عدة منظمات منها منظمة التجارة العالمية.لكن الولاء ولو التام لا يمس سيادة الاطراف المشاركة في العملية التكاملية.والنماذج التكاملية ذات طابع جغرافي واقتصادي مثل الاسيان والاتحاد الافريقي والكومسيا والبريكس على التوالي وهو الناتج عن تراجع العاملين الايديولوجي والعسكري.والتكامل في جانب ليس معناه ضرورة تكامل الجوانب الاخري.

الاتجاه السلوكي اصبح اشبه بالدعاية للقيم الليبرالية.بل جعل السلوكيون القيم الديمقراطية والليبرالية في شكل قوانين على شاكلة القوانين العلمية في الطبيعيات.فقد وصف ديفيد ايستون القيم الليبرالية بانها قيم انسانية متحضرة من هنا يجد الاتجاه السلوكي مكانته في عالم القرن ال21 فيما يخص التحولات على مستوي المنظومة القيمية للنظام الدولي.وعدد كبير من السلوكيين يفضلون السلوك الامريكي ويدعون ان يكون هو السائد في القرن الحالي وهذا ما دعي له فوكوياما.هذا يعني ان تلك القيم خطابها ايديولوجي يعمل على خدمة الديمقراطية الامريكية خصوصا,والديمقراطية

الليبرالية عموما.السلوكية هنا لا تقدم سوي حلول جزئية حول كيفية معالجة القيم في السياسة العالمية.وما اره ان العالم سيسوده الديمقراطية الاجتماعية او الشعبية وليس الليبرالية الغربية,وهذا ليس معناه غيابها,وانما انحسارها.لقد تركت الثورة التكنولوجية وتحديدا المعلوماتية وتدفقها وانتشارها في بقاع العالم صدي كبير على عملية صنع القرار السياسي.وهو النموذج الذي يمثل احد اهم وابرز النماذج النظرية للاتجاه السلوكي.والقرار السياسي الناجح هو القرار الذي يكون مزود بزخم هائل من المعلومات المفيدة والصحيحة من القنوات المعلوماتية والاعلامية المختلفة.

وادعاء السلوكيين بان انشطة السياسة كعادة التحليل السياسي تسير بانتظام على شاكلة الظواهر الطبيعية امر فيه مغالطات وبعيد عن الموضوعية.سيبقي الاتجاه السلوكي الغربي عموما والامريكي خاصة خطاب ايديولوجي.لكن مع بعد منتصف القرن سيحاول الامريكان والغربيون تطويره ليقترب من سلوك الديمقراطية الاجتماعية اي يبتعد كثيرا عن الديمقراطية الليبرالية.وهذا بعد محاولات مضنية لتطوير الليبرالية الغربية وفشلهم نتيجة عدم مناسبتها لعصر التكنولوجيا والمعلوماتية.كما ان اتجاه التكامل الدولي بمختلف تياراته اتجاه مرن يفسح المجال امام نماذج تكاملية اخري,خاصة انه عالم القوي الاقتصادية وتكتلاتها الكبري.نظريات العلاقات الدولية لن تختفي بل يحدث لبعضها تطوير وانحسار للبعض الاخر.

الفصل التاسع

توازنات الدمار

الدروع الصاروخية

بدأت أزمة الدرع الصاروخية الأمريكية في مارس 2007 عندما أعلنت عن خطط لبنائها في بولندا والتشيك ,وهما دولتان سابقتان في حلف وارسو.وحسب الامريكان الهدف من النظام الصاروخي حماية أوروبا وامريكا من هجوم صاروخي نووي محتمل من ايران وكوريا الشمالية (حتي الاطفال لا يصدقون ذلك).رات روسيا انه موجه ضدها,فقامت بتجربة صاروخ عابر للقارات (بعيد المدي) من طراز ار اس 24.وحذر فلا ديمير بوتن الولايات المتحدة من ان هذه التوترات يمكن ان تحول أوروبا إلى برميل من البودرة,كما قال انه اذا قامت امريكا ببناء الدروع الصاروخية فان روسيا ستقوم بتوجيه صواريخها صوب بولندا والتشيك.رد بوش عليه قائلا "اذا كنت مهتم بتفادي الحرب العالمية الثالثة ,فيجدر بك ان تهتم بمنعهم من الحصول على العلم والمعرفة اللازمين والضرورين لصنع سلاح نووي" ويقصد بها ايران والدول الاسلامية تحديداً.

وفي 14 اغسطس اتفقت امريكا وبولندا على نشر 10 قواعد اعتراضية صاروخية ذات مرحلتين,وقات بنشر بطريات باتريوت في بولندا ايضاً.واعلنت الولايات المتحدة انها ستدافع عن بولندا لانها عضو في حلف الناتو.نشر الاتحاد الفيدرالي في 5نوفمبر 2008 صواريخ اسكندر في لينجراد قرب الحدود مع بولندا,لتعطيل الدرع الصاروخية الامريكية.في 17 سبتمبر 2009 النت امريكا انها تنوي وقف مشروع الدرع الصاروخية,لكن بولندا ضغطت,فتم الاتفاق على اعتماد مشروع معاد تصنيعه من خلال استعمال انترسيبتور3 متحركة,بحلول 2018.واعتماد هذا النظام كجزء من منظومة اغيسيس للدفاع البالستي في البحر المتوسط المستحدث على السفن الخاصة لهذا الدرع في 2011.وعلي أوروبا الوسطي في 2015 ,فيما النظام الاكثر تطور في 2018,ونظام آخر قادر على اسقاط الصواريخ العابرة للقارات بحلول 2020.

وهناك تقارير تشير إلى ان ايران تسعي لامتلاك صواريخ عابرة للقارات,وانه بحلول 2015 سوف تمتلك هذه القدرة.كما ان ايران تستطيع اطلاق اقمار صناعية,وفعلته من قبل.وهذا لان هناك تقارب تقني بين الصواريخ البالستية وتكنولوجيا الفضاء.هذا يعطي رسالة بان من يستطيع ايصال شحنات إلى الفضاء يستطيع بعدد من التعديلات ايصال رؤوس متفجرة إلى اي مكان في العالم.

وهناك سيناريو حرب محدودة او نزاع عسكري امريكي روسي في الغالب,ينتهي بحل دبلوماسي على الارجح.وهذا السيناريو يشير إلى تقوية بناء الدرع الصاروخة,فيما يصر الروس على رفضها.تبدأ امريكا في بناء منشآت تخص الدرع الصاروخية, فيقوم الروس بنشر صواريخهم على الحدود مع بولندا.وتشتد الازمة بين البلدين والعالم يقف حذر مما

قد يحدث اذا تطور النزاع أكثر.الاقتصاد العالمي في خطر وبعض الاسعار ترتفع والغاز الروسي المصدر لأوروبا في خطر.

التهديدات المتبادلة تشتعل فيما تعتبر روسيا الامر تصعيد امريكي وتحاول الحفاظ على هيبتها العسكرية فتقوم هي الاخري بالتصعيد عسكرياً,وتهدد بضرب منشآت الدرع الصاروخية في حال اكتمالها.فتقوم الولايات المتحدة بتوسيع النزاع,كون مافعلته تحدٍ.وتعتبر الولايات المتحدة التهديدات الروسية بدون وجه حق,وتكرر ان هدفها حماية اراضيها وأوروبا من الصواريخ,فيما تكتمل بناء الدرع الصاروخية وتعد بولندا مجدداً بانها ستدافع عنها. تقوم روسيا بخطوة مدروسة بقصف منشآت الدرع الصاروخية في بولندا بصواريخ اسكندر المنشورة على الحدود,فتدمرها معلنة عن عملية القصف,معتبرة ان المشكلة انتهت ولن تهاجم بولندا.فترفض الولايات المتحدة التصرف الروسي,وتقوم بالرد من خلال قصف منصات الاطلاق الروسية,وهو رد محدود من جانب امريكا لتفادي الدخول في حرب مع روسيا كون الاوضاع في العالم لا تسمح بذلك من جهة وبسبب ادراك امريكا ان روسيا ليست بالخصم السهل.فهم اكملوا الدرع الصاروخية معتبرين ان روسيا لت تُصعّد الازمة.روسيا من جهتها لا تستطيع فعل شئ حيال ما فعله الامريكان,لان هيبتها على المحك. وفي خضم الصراع تتدخل دول كبرى كمحاولة منها نزع فتيل الازمة ومنع اشتعال أوروبا في حرب يمكن ان تكون الحرب العالمية الثالثة ولكني ارجح ميل الدول الاوربية لصالح الولايات المتحدة.وتعي دول أوروبا قوة روسيا,وامكانية قيامها بالرد على الدول التي وافقت على اتفاقية الدرع الصاروخية كنوع من الانتقام,حلف الناتو في حذر وأكرانيا على اهبة الاستعداد خاصة بعد خروج القرم وضمها لروسيا وهو ما قد تستخدمه الولايات المتحدة كورقة لاستنزاف روسيا عسكريا واقتصادي.

أما الصين ,وهى حليف لروسيا فتعي خطورة الموقف ,لكنها لا تريد الدخول في حرب إلى جانب روسيا من جهة ولا تريد الوقوف على الحياد من جهة اخري كون علاقتها مع روسيا ستصبح على المحك من جانب ثاني ومن الجانب الثالث اذا ما انتصرت الولايات المتحدة فالمؤكد الدور قادم على الصين وهو الهدف الرئيسي واهم انتصارات القرن ال21 التي تحققها بعد اسقاط الاتحاد السوفيتي في القرن الماضي وهنا تستطيع فعلا ان تجعل القرن قرن امريكي. الكل في ترقب لما سيحدث فيما تقوم به الصين وبريطانيا وفرنس ودول اخري مستمرة في محادثات مع روسيا وامريكا لمنع الوضع من التازم والتعقيد والوصول لحل.تنجح التحركات والمساعي الدولية في اقناع البلدين بان تطور الازمة يعني اشتعال حرب عالمية جديدة,فيما يتفق الطرفان على انهاء الازمة وحلها بشكل دبلوماسي. وإن لم يتم ذلك فيسكون بمثابة حرب شاملة وهو ما استبعده. وفي اطار

التوازنات العسكرية الدولية فان الحرب الكلاسيكية بين امريكا وروسيا فالمنتصر غالبا امريكا,اما الحرب النووية بينهما فالاثنتين تخسران.وفي حال نشوب حرب كلاسيكية بين امريكا وايران فالمنتصر ايران لذلك تلجأ امريكا للتحالفات الدولية كالناتو والقوات الدولية,بينما الحرب بين ايران واسرائيل(بسبب الاسلحة النووية) في شكلها الكلاسيكي فالمنتصر ايران ايضا.و اذا نشبت حرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية فالمنتصر كوريا الجنوبية,بينما لو نشبت من امريكا ضد كوريا الشمالية فالمنتصر كوريا الشمالية ,بل ستحرج امريكا بشكل كبير ,لذلك ستلجأ امريكا لما يسمي بحلف الناتو أو أي غطاء ذو مسمى دولي.

القوة والضعف في جيوش العالم

أهم عوامل القوة والضعف تتلخص في القدرات الجوية والبرية (خاصة القدرة الهجومية الدفاعية),اضافة إلى المخابرات والتجسس والذكاء الانساني والتكنولوجي والقيم المعنوية والقوة الاقتصادية والمالية.

1- القدرة البرية :وفيها امريكا تحتل المرتبة الاولي ,حيث لديها اقوي المدرعات والآليات في العالم,لكنها ليست متفوقة بشكل كلي على الرغم من ان جيشها يتمتع باعلي نسبة الية جندي مقاتل عالمياً.

وعنصر عدم التوازن في عدد الآليات مقابل الدول الأخري سببه بشكل أساسي ما يقارب المائتين والخمسين الف من عربات الهامفر الخفيفة.وعلي صعيد الدبابات والاليات فان الجيش يتميز بامتلاك احدث الاليات وافضل الانظمة الالكترونية التي تجهز وتشغل هذه الاليات ,لكن حتى اقوي الدبابات الامريكية وككل الدبابات الحديثة يمكن ان يتم تدميرها بصاروخ مضاد للدروع ,وبالتالي فان هذه نقطة ضعف تسجل على الأمريكيين.

الجنود الأمريكيين افضل الجنود تدريبا في العالم ,ومسلحون باحدث المعدات والأسلحة والرشاشات ,بالإضافة إلى الاجهزة الالكترونية وغيرها.

ويضاف إلى خبرت هؤلاء الجنود التدريب العملي المكتسب على حرب الشوارع والعصابات- وهي ميزة اكتسبوها من الحرب على العراق وافغانستان وحروب سابقة- والي وجود اليات دعم لوجستي واسعة تؤمن الراحة وبعض معايير الرفاهية للجنود وهم في خضم المعركة,مما يزيد من قدرتهم العسكرية وفعاليتهم القتالية.

ويمتلك الجيش الامريكي احدث نظم المدفعية والالكترونية الفائقة التطور والتي تسمح له باستهداف المدافع المعادية وايقاع قوة تدميرية هائلة على مختلف الاهداف,لكن الاعداد متواضعة نسبيا بالنسبة لروسيا كمثال,مما يجعلها تشكل احد عناصر الضعف.لكنهم يعتمدون بشكل عام على سلاح الجو اكثر من المدفعية لقصف الاهداف الارضية,مايعني ان القدرة النارية على مهاجمة الاهداف الارضية تقل بشكل كبير اذا ما تم اخراج سلاح الجو من المعركة.اضافة لكلفة الطلعات الجوية مقابل القصف المدفعي,وهذا يحد من أداء الجنود ايضاً.

اما على مستوي الاتصال,فان الانظمة الامريكية هي الاحدث في العالم بلا منازع,بل ذات مستوي يسمح للجيش بالتواصل مع الجنود في اي مكان ,وبالتالي تامين الدعم الكامل لهم. الجيش الامريكي هو الاكثر تنسيقا في العالم بين القوي المسلحة في الاوضاع العسكرية والمعارك..هذه القدرات البرية توفر قدرة برية قوية ,لكنها ليست الافضل عالميا,اذ يمكن ان تدمر اليات الخصم بشكل محدود مقارنة بنظيرتها الروسية.وهذا يرجع ايضا إلى قلة اعتماد الجيش الامريكي على دفاعات ضد الدروع,حيث يمكنها تامين

المراحل الاولي واعداد الجنود والاحتياط في الحروب.وهذا اهم قوة اساسية في القوات البرية الامريكية.

اذا الجيش الروسي هو اقوي جيش بري في العالم من حيث المدرعات,فهو يمتلك احدث واكبر عدد من الدبابات والمدرعات.وتساوي مدرعاته قدرة المدرعات الامريكية وكذلك جنود الجيش الروسي يوازون جنود الجيش الامريكي من حيث الحجم بشكل تقريبي.لكن الجنود الروس لا يتمتعون بخبرة الجنود الامريكيين خاصة في المستوي القتالي والتدريبي.اضافة إلى عدم تمرس قادة الجيش الروسي بالنسبة لقادة الجيش الامريكي وخبرتهم الواسعة في حروب العصابات كمثال.ومن حيث جنود الاحتياط لا يستطيع الروس نشر اعداد اكبر من اعداد الجنود الاحتياط الامريكان.

اما الاتصالات فان الجيش الامريكي يتفوق رغم تفوق الروس في استمرار عطاء الجندي الروسي عن نظيره الامريكي وتفوق الامريكان هذا يرجع إلى امتلاكهم للانظمة الالكترونية الاحدث في العالم,لكن الروس يمتلكون قدرة تدميرية ساحقة في مجال الدروع وتسليح عدد اكبر من الدفاعات الارضية.اضافة إلى القدرة الكبيرة على نشر وحدات الجنود من المختصين بالدفاع ضد المدرعات.كما ان الروس يتفوقون على الامريكان في عدد المدفعية وقدرتها التدميرية.اذا القوة البرية الروسية اقوي من الامريكية من حيث العدد الذي يساهم بشكل كبير في الحسم,لكن الخبرة العسكرية الامريكية ارجح.

واذا نظرنا لمقارنة سريعة بين الجيشين المصري والاسرائيلي,فنجد ان الجيش المصري أول وأقدم جيش نظامي في العالم تأسس قبل 7000 سنة فقد وجد في مصر أحد أقدم الجيوش النظامية في العالم.

وقد كان ذلك بعد توحيد الملك مينا لمصر حوالي عام 3200 ق.م. فقبل ذلك العام كان لكل إقليم من الأقاليم المصرية جيش خاص به يحميه، ولكن بعد توحيد مصر أصبح جيش موحد تحت إمرة ملك مصر.

ويتفوق الجيش المصري على الاسرائيلي في كل شئ من حيث العدد والعتاد وحداثة التجهيزات وتحمل الصعاب والاستمرار في القتال(وهاتان ميزتان على كل جيوش العالم وهو ما يصنف المقاتل البري المصري في الترتيب الاول عالميا) ما عدا حداثة سلاح الطيران التي يتفوق فيها الجيش الاسرائيلي.والجيش المصري يتميز عموما بضخامته كما يعد من اقوي جيوش العالم من حيث التعبئة والقدرة على نشر آلاف من الجنود في غضون فترة بسيطة.ومن حيث التدريب فهم مدربون بشكل عال جداً,وهناك مصادر تشير إلى انهم من افضل جنود العالم تدريب في بعض التخصصات.وفي مجال المدرعات والدبابات فان الجيش الاسرائيلي يمتلك عدد متواضع مقابل الاعداد الضخمة التي

يمتلكها المصريون.ويتميز الجيش المصري بالقدرة على نشر الجنود المتخصصين في تدمير الاليات باعداد كبيرة مما يجعلها نقطة قوة بديلة وواضحة.

ويتميز الجيش المصري بمستوي عال جدًّا في التنسيق بين الوحدات (اللواءات) ويستخدم انظمة الكترونية حديثة تشير مصادر إلى عدم اختراقها بنسبة تقرتب من 99%. وقد وضح تماماً ضعف الجيش الاسرائيلي في اكتوبر 1973 وامام حزب الله في لبنان وهو ما يوضح ضعف الجيش الاسرائيلي في مواجهة تكتيكات مختلفة وغير تقليدية وعدم قدرته على التأقلم.

2- القدرات الجوية:يعتبر الجيش الامريكي الاول عالميا وبلا منازع فسلاح الجو الامريكي يمتلك افضل انواع الطائرات واحدثها,وباعداد تفوق اي دولة واعتقد ان هذا سيستمر على الاقل حتى 2035.

وطائرات الرابتور التي يمتلكها سلاح الجو الامريكي هي احد الامثلة على تفوقه ,وتستطيع هذه الطائرات اختراق افضل الدفاعات الجوية والانظمة المختلفة للرادارات ,كما انها قادرة على مواجهة الخصم وتدميرها ,لذلك هناك تفوق جوي واضح للامريكان بالمقارنة باي دولة في هذا المجال.

الطائرات الروسية تقترب امريكا وتوازي معظمها ,لكن طائرات الرابتور لا يوجد حتى الان ما يماثلها واعتقد حتى عام 2020.ويستطيع سلاح الجو الامريكي القيام بالاف الضربات الجوية وتقديم دعم جوي مستمر دون توقف ,بالاضاف إلى القيام بانزال معظم الاسلحة الخفيفة والثقيلة ايضا,وحتي حمل طائرات إلى مواقع محددة.ويتمتع طياريها بالمهارة في مجال المناورة القدرة على اصابة الاهداف,كما يعد الطيار الامريكي من افضل طياري العالم.

ورغم تفوق الامريكان البالغ الا ان معظم الطائرات لا تستطيع مواجهة الدفاعات الروسية كونها الاحدث في العالم.لكن للحقيقة اقول ان الدفاعات الروسية لم يتم اختبارها بشكل قوي.الا ان التجارب تشير إلى ان سي 400 وهو احدث الدفاعات الجوية الروسية يستطيع اسقاط الرابتورالمتطورة.ومواجهة الطائرات الاعتراضية الروسية والدفاعات الجوية لن يكون سهل ,وذلك مشابه للوضع في امريكا ,حيث ان الروس لا يستطيعون فعل ذلك فوق الاراضي الامريكية نتيجة تطور مستوي دفاعات الجو الامريكية ايضاً.وعلي مستوي الدفاعات الجوية فان المجال الجوي الامريكي

محمي بشكل كلي وما من طائرة موجودة ومعروفة تستطيع تخطي هذه الدفاعات.هذا يمثل قدرة اعتراضية لا مثيل لها في العالم بسبب الدفاعات الجوية من جانب والاعداد الكبيرة والتنوعة من الجانب الآخر.

اما روسيا فسلاح جوها هو الثاني من حيث عدد الطائرات وقدرتها وحداثتها وتنوعها ايضاً.ويمتلك الروس طائرات نفاثة حديثة جدا ,وهم غالبا ما يستعرضون طائرات نفاثة محددة لاظهار التفوق التكنولوجي,إما بسبب نقص التمويل وعدم القدرة على بناء اعداد كبيرة وإما لكون الروس يتبعون استراتيجية لا تفرض عليهم بناء طائرة مقابل طائرة مع الامريكان ,وذلك معروف على المستوي العسكري الدولي.

واذا ماقامت نعركة جوية تقليدية فان المنتصر هم الامريكان بسبب تفوقهم بالعدد والقدرات الجوية,ولكن لا بد من الالتفات إلى ان عنصر التفوق سببه الرابتور الامريكية واعدادها.ولكن لدي الروس طائرات نفاثة تفوق الرابتور على حد قول الروس او تساويها,لكنهم قاموا بتصنيع عدد قليل منها.ولدي الامريكان اعداد طائرات ضخمة لا توازيها روسيا رغم الاف الطائرات التي لديها.وعلي صعيد الدفاع الجوي فان روسيا تمتلك احدث انظمة الدفاع الجوي في العالم وهي قادرة على تدمير جميع انواع الطائرات الموجودة,وعلي الجانب الاخر سلاح الجو الامريكي قادر على تنفيذ ضربات جوية وباعداد كبيرة وبالتالي يستطيع اختراق الدفاعات الروسية.وسلاح الجو الروسي يستطيع تقديم الدعم اللوجستي والنقل من عتاد واسلحة واليات..الخ. على الرغم من تفوق الامريكان في المجال اللوجستي.

اما سلاح الجو المصري فهو ثاني اقوي اسلحة الجو في الشرق الاوسط وهو سلاح متطور,حيث تمتلك مصر طائرات حديثة مابين مشتراه من امريكا ومن روسيا وغيرهما اضافة إلى المصنعة محليا.لكنها محدودة مقارنة بسلاح الجو الاسرائيلي وهي عقبة امام سيطرة سلاح الجو المصري في تقدمه على خصومه ,لكن الطيار المصري ذو عزم وصبر ومهارة يتفوق بهم على نظيره الاسرائيلي رغم تدريبه الجيد واستخدامه الاحدث.وهذا ما يجعل قدرة الطائرة اف 16 بطيار مصري تعادل قدرة طائرة اف 18 بطيار اسرائيلي.وعلي صعيد الدفاعات الجوية فان مصر تمتلك العديد من انظمة الدفاع الجوي الحديثة المستوردة والمصنعة محليا.ومعظمها قادرة على اعتراض الاهداف الجوية وتدميرها بشكل دقيق.وتستطيع مصر من خلال الرادارات والدفاعات الجوية ان تحمي مجالها الجوي بشكل قوي,علي الرغم من ان الاسرائيليين والامريكان يدعون انهم قادرون على اختراق الدفاعات الجوية.وهذا غير صحيح,فقد فشلت الدفاعات الاسرائيلية او ما يسمي بالقفبة الحديدية عدة مرات وامام جماعات كحزب الله وغيره.وهذا ما يجعل دفاعاتها تخرج غالبا من المعادلات.وهو ما يعني تدمير الاسطول الجوي المحدود بشكل متسارع وبضربات جوية او صاروخية للمطارات تكون محدودة. وتتسلم اسرائيل أحدث الطائرات" اف" من الولايات المتحدة كل عام تقريبًا ,وهي احدث طائرات امريكية من الأجيال المختلفة للطائرات يمكنها تفادي الرادار.

3- القدرات البحرية:تشمل الدفاعات البحرية على اختلاف انواعها والقطع البحرية المختلفة من غواصات وحاملات طائرات وفرقاطات وزوارق صاروخية وغيرها.

ولدي امريكا اسطول بحري هو الاول عالميا ,حيث يتميز بالضخامة في اعداد السفن وعدد من احدث حاملات الطائرات وستخدام احدث انظمة التكنولوجيا والدفاعات وعدد كبير من الغواصات النووية. ويعتمد الجيش الامريكي على سلاح البحر بشكل كبير,حيث يعد الذراع الامريكية في العالم,فالهجوم وحملات الجيش الامريكي غالبا تشن من خلال القطع البحرية خاصة حاملات الطائرات,كما يقوم سلاح البحر بنشر المارينز ونقل المعدات المؤن والاسلحة والعتاد والاليات,اضاف إلى سائر المتعلقات اللوجستية وغيرها من خلال القطع البحرية والناقلات.

اما الدفاعات الصاروخية المضادة فهي الاحدث في العالم ,حيث تستطيع تدمير سفن الخصم وتفادي الصواريخ المعادية والتشويش عليها إلى حد ما,ناهيك عن الصواريخ الروسية المضادة للسفن ,فوابل من هذه الصواريخ قد يجعل حاملة الطائرات الامريكية عاجزة ويؤدي إلى تدميرها كلياً.هذا مايوضح اهمية الصواريخ المضادة للسفن وعجز الاخيرة عن مواجهة هذا الخطر بشكل فاعل.ويؤمن سلاح البحر الامريكي قدرة انتشار واسعة جدا للقوات المسلحة الامريكية وسرعة عالية وقوة تدميرية هائلة تقدمها حاملات الطائرات والغواصات والمدمرات الامريكية وغيرها من السفن الهجومية.

روسيا لديها عدد كبير من القطع البحرية المتطورة.لكنها في الحقيقة توازي 75% من القدرة البحرية الامريكية تقريباً.واذا ادخلنا الصواريخ الروسية المضادة للسفن والتي تعد الاحدث في العالم,فان الصورة تصبح مختلفة ووتبيت البحرية الروسية قادرة على مواجهة اي بحرية في العالم.ويمكن تسليح مئات الزوارق السريعة بهذه الصواريخ.وبذلك تصبح قوة دفاعية وهجومية ذات تاثير كبير في تحقيق الانتصار والمناورة وتدمير سفن الخصم وربما في فترة وجيزة.

ويعطي هذا للبحرية الروسية قدرة دفاعية عالية جدا.والغواصات الروسية المحملة بالصواريخ عابرة للقارات تجوب البحار كما الغواصات الامريكية اضافة إلى انها ذات قدرة نووية ايضا.وهو مايضيف إلى عناصر القوة الروسية مقارنة مع الامريكية خاصة قدرة المدمرات الروسية العالية جدا.

والبحرية الروسية ذات انتشار محدود عالميا مقارنة بنظيرتها الامريكة ,ورغم ذلك هي قادرة على نشر الجنود ونقل المؤن والعتاد والاسلحة والاليات وغيرها.لكن بوتيرة اقل تسارع من سلاح البحر الامريكي.بشكل عام الروس يتفوقون في الناحية الدفاعية الا انهم لا يوازون القدرة الهجومية التقليدية الامريكية.

مصر تمتلك اكبر اسطول بحري في الشرق الاوسط وهي متفوقة على كل افريقيا واسيا بعد الصين ستصبح الرابعة عالميًّا على الأقل. ومصر لديها قدرة هجومية عالية,وفي صلب دفاعاتها تاتي الصواريخ المضادة للسفن والغواصات وباعداد كبيرة.هذه القدرة الدفاعية تؤمن لها ميزة اعتراضية ودفاعية وقدرة على تدمير القطع البحرية المعادية.لكن اهم نقطة هي قيام مصر بشراء حاملتي طائرات على الاقل.ولا مقارنة لا لاسرائيل او غيرها مع مصر هنا فاذا ما اضفنا تكتيكات هجومية وزوارق سريعة فانها تصبح مهيبة بقدر اكبر القطع البحرية مهابة,فقد يمكنها شل اقوي الاساطيل الامريكية.لكن الدفاعات الاسرائيلية هي ذات قدرة الدفاعات الامريكية تقريباً لكنها قليلة عدد وعتاد وجنود وضباط.ومقارنة بمصر لا تعادل النصف، وهو ما يعني هشاشة وعجز البحرية الاسرائيلية امام مصر في اي حرب مقبلة.

4- الروح المعنوية والعقيدة القتالية: تحدد هذه اصفات قدرة القادة فكريا على قيادة الحرب وابتداع الحلول.ووتتوقف ايضا على المستوي الفكري للجنود ومعنوياتهم العالية التي تزيد من قدراتهم على القتال او العكس ,وهو ما يعني انخفاض المعدل القتالي العام. فالجيش الامريكي هو اكثر جيش خاض حروب في العالم الحديث من الحربين العالميتين الاولي والثانية.ويتميز قادة هذا الجيش بالذكاء والقدرة على التحليل العسكري والجيو ستراتيجي والجيوسياسي والاستفادة من الاوضاع المحيطة.وهذا ما فعله اللواء بترايوس الذي استفاد من الخلافات الطائفية لصالحه في العراق,بل وحصن قواته في معظم الاحيان من الاعتداءات خلال اسلوب يعتمد على الفتنة او ما شاكلها.لكن الحروب التي خاضتها امريكا في السنوات الاخيرة كانت مع خصوم ضعفاء ورغم ذلك تكبدوا خسائر كبيرة ,لذلك لجأو إلى دخول الحروب مع جيوش متعددة وتحت مسمي الشرعية الدولية.وللحقيقة كثيرا ما قام القادة العسكريون في السنوات الاولي من القرن ال21 بتحذير القادة السياسيين من مغبة الحروب وكان اخرها التدخل في سوريا عسكريا.بل استخدموا نوع جديد هو الحرب بالوكالة.

وتتسم الخطط العسكرية الامريكية بالتنسيق لكنها ضعيفة الدقة ,ومسخّر الجيش موارد مالية كبيرة خاصة القادة.اما الجنودفمعنوياتهم متوسطة لانهم من مستوي رفاه وكون الحروب خارج الاراضي الامريكية وبسبب غياب اجندة واضحة في اغلب هذه الحروب,اضافة إلى عمليات انتحار وفضائح مختلفة ولو لا التفوق الواضح في الالة العسكرية والطبية والتقديمات المالية لما تعدت معنويات الجندي نسبة المقبول.

اما الجيش الروسي فعدم خوضه حروب بعد الحرب الباردة واثر على معنوياته,لكن بعد عملية اعادة الهيكلة والاصلاح التي تمت مؤخرا رفعت من حالته المعنوية خاصة الطبية والمالية مستوي المعيشة والالة العسكرية الحديثة بالطبع.ومعنوياتهم الهجومية تفوق

نظيرتها الامريكية قليلا فالمقاتل الشرقي او جندي دول الجنوب اقوي واشرس واكثر صبر من نظيره الشمالي والغربي.

القادة العسكريين لا يتمتعون بالموارد المتاحة والاجواء والظروف التي لدي نظرائهم من الامريكان.قادة متميزون ذوي قدرات تكتيكية عالية لكن اقل من نظرائهم الامريكان.

وبالنسبة لمصر فقادتها يتمتعون بقدرات فكرية وتكتيكية واستراتيجية عالية ولديهم اعلي معنويات جنود في العالم رغم ضعف الامكانيات المالية. ويتميزون بدقة التنفيذ وسرعته واداءه كما ينبغي وهو ما يجعله يفوق الجنود الامريكان والروس الذين يتفوقون عليه في الالة العسكرية الحديثة. ويميز القادة المصريون بقدرة دفاعية وبرية متميزة تستطيع توفير الملايين من الدولارات.كما تتفرد مصر بقدرتها على حسم المهام بشكل سريع وبنتائج ممتازة وهذا لا يتوافر الا في جيش الهند. كما ان قوة التدخل السريع في الجيش المصري لا توجد الا في الجيش الروسي والامريكي، وهذه القوة مجهزة بشكل كبير للتدخل داخليا وخارجيا.والجيش المصري صاحب اكبر معنويات عالميا نظراً للمخاطر التي تواجهها مصر ودورها في الاقليم المشتعل وثقافة الشعب المصري ويكفي ان الجندي المصري هو الوحيد الذي يعتبر نفسه شهيد ومصر تنتصر او يعيش ومصر تنتصر. والجيش المصري في المركز السادس عالميا من حيث قوة الدبابات والثالث عالميا بعد روسيا وامريكا وقبل الصين والهند من حيث مركبات القتال المدرعة والسابع عالميا من حيث امتلاك مدفعية ذاتية الحركة والثامن عالميا من حيث امتلاك مدافع مجرورة والثالث عالميا بعد روسيا والصين من حيث امتلاك المدفعية الصاروخية والثامن عالميا من حيث عدد الطائرات الحربية بطائرة مختلفة الانواع والمركز الثامن عالميا من حيث الطائرات المقاتلة والاعتراضية والخامس عالميا من حيث امتلاك طائرات هجومية والثامن عشر عالميا من حيث امتلاك طائرات النقل العسكري والثالث عالميا من حيث امتلاك طائرات التدريب بعد امريكا واليابان ووالرابع عالميا كاكبر قوة بحرية في العالم ،كما تمتلك مصر أكبر حجم من صواريخ أرض – أرض بعد الصين وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وهذا يشير إلى تفاني المصريين المطلق في الخدمة الوطنية والتزامهم بعقائدهم الدينية والعسكرية.ويزيد هذا الامر من قوتهم بشكل كبير ويجعلهم ثابتون لا يقهرون على ارض المعركة.ويمكن اعتبار الكره الذي يكنه هؤلاء لاعدائهم الحقيقيون عامل اضافي يزيد من معدل معنوياتهم.

وعلي العكس العسكريون الاسرائيليون فهم من اضعف القادة والجنود في العالم,حيث لا يعرفون تقدير الامور بشكل جيد ولا يستطيعون التوافق مع المستجدات العسكرية على ارض المعركة ولا يستغلون الظروف العسكرية بشكل مفيد.ولا يدركون تداعيات ذلك

ولا امكانية استفادية خصومهم من ذلك,ويكفي انهم يهربون ويهابون المعركة وكم راينا ذلك امام حزب الله وحرب اكتوبر والانتفاضات الفلسطينية. كما ان تواجدهم في اقليم لا يمكن قيام بقعة غير عربية خالصة فيه ,اي انهم سيظلون مهددون على الدوام وفي مرمي الخطر الدائم.ورغم الالة العسكرية الحديثة التي تمنحها لهم امريكا لما كان لهم جيش يمكن ذكره في عداد الجيوش. بالاضافة إلى ان سياسة الاحتلال واغتصاب الاراضي والتوسع لم تحل مشكلة "اليهودي التائه" وبالاخص "عقدة الغيتو" في نفسه المريضة. للاسف تم وضع مجموعة من الصهاينة لتكريس حياتهم من اجل دول اخري وحماية مصالحها نيابة عنها في المنطقة العربية لا يجدي شئ سوي نهاية هؤلاء،كيف يعيش انسان في مكان ليس له شئ سوي عراك الاخرين ومن اجل العيش معهم في ارضهم التي يريد سلبها ؟.

5- القدرات المخابراتية والتجسس: وهما القدرة على مهرفة الخصم اكثر مما يعرف عنك ,ومن خلالهما تاتي القدرة على اخفاء اكبر قدر ممكن من المعلومات عن الدولة. والكثير من الاعمال التخريبية المنظمة هي من اساليب عمل هذه الاجهزة المخابراتية في السيطرة على البلاد.واتساع دائرة عمل هذه الاجهزة وقدرتها على اخفاء الادلة على ارتكابها واثر وجودها يظهر القدرة الفعلية لها.وتحظي الاقمار الصناعية المدنية والعسكرية المتمركزة في الفضاء قدرة تجسسية ذات فاعلية كبيرة,وعلي مدار الساعة تمكّن المخابرات من مراقبة اي نقطة على الارض بدقة وسرعة فائقتين.اضافة إلى المراقبة المستمرة لعدد ضخم وغير معروف من الاشخاص ومتابعة الاتصالات في العالم.وللحقيقة اجهزة الاتصالات الحديثة سهلة عملية مراقبة ومتابعة اي شخص في العالم,وعند وضع الشرائح الذكية في بطاقات الهوية وجوازات السفر خلال النصف الاول من القرن ال21 ستتمكن اجهزة مخابرات العالم الحديثة من معرفة اي شخص في الارض وسوف تذداد هذه الميزة عند وضع شريحة في ذراع كل انسان على الارض مما يجعلنا نستطيع معرفة كل ما يقوم به الانسان ثانية بثانية,وهذا سيتم خلال نهاية الالفية الثالثة وبداية الالفية الرابعة.

والولايات المتحدة لديها اقوي انظمة المخابرات في العالم واكبر عدد من شبكات التجسس المنتشرة وبدقة وحسب العوامل الاستراتيجية والمصالح اللازمة لذلك. وتنتشر المخابرات الامريكية في معظم دول العالم وتحظي باكبر ميزانية مالية بالنسبة لباقي انظمة المخابرات في العالم.وقدرة المخابرات الامريكية على التاثير في الانظمة والدول واضحة نتيجة سيطرتها على عدد كبير من دول العالم في أوروبا واسيا واستراليا وافريقيا,اضافة إلى سيطرتها على الكثيرين من القادة العسكريين والسياسيين.

ولدي المخابرات الامريكية سلسلة سجون سرية تخفي فيها عدد من المطلوبين او المختطفين,إن صح التعبير وذلك بشكل سري.ونقاط الضعف البارزة في فشل اجهزة المخابرات الامريكية في اختراق اجهزة دول تتمتع باجهزة مخابراتية فاعلة كمصر وايران وكوريا الشمالية وروسيا والصين.وهذا من نواح عدة منها الفشل في تنظيم عمليات اغتيال واسعة ومنظمة للقادة والمسئولين لدي هؤلاء,اضاف إلى الفشل في الكثير من التحليلات التي سجلتها المخابرات عبر الزمن.طائرات التجسس هي احد عناصر القوة في المخابرات الامريكية تعطيها ميزة عن غيرها من مخابرات العالم ,لكنها لن تستمر هذه الميزة اكثر من الربع الاول من القرن ال21 وستلاحقها العديد من مخابرات العالم لتحصل عليها.كما ان هذه الطائرات لا تستطيع التحليق فوق كل دول العالم خاصة روسيا وكوريا الشمالية.فروسيا لديها اقوي انظمة الدفاع الجوي في العالم والتي تستطيع كشف هذه الطائرات.واري ان القوة الحقيقية للولايات المتحدة مخابراتها وليس جيشها اضافة إلى مفكريها ودراسة صناعة القرار ,لكن يضعفها وجود اليهود في صنع القرار مما يجعلهم يفكرون في اسرائيل في نفس اللحظة التي تطرح فيها المعلومة وقبل تحليلها واتخاذ القرار بشانها وهذه ازدواجية في المواطنة تتشابه مع معضلة المنتمين لجماعات دينية ولائهم للجماعة(اسرائيل في حالة الامريكي) قبل ولائهم لدولهم.وحتي اكون منصف ليس كل اليهود خطر على امريكا وامنها القومي ومصالحها لنهم سيكونون او مسمار يدق في اضعافها.

اما روسيا فلديها جهاز مخابرات غاية في التميز,حيث اثبتت قدراتها مرارا في مواجهة المخابرات الامريكية من خلال الحصول على معلومات صنع القنبلة النووية التي من خلالها استطاع الاتحاد السوفيتي تسريع صنع قنبلته النووية الاولي.غير ان قدرات المخابرات الروسية انخفضت بشكل كبير بعد الحرب الباردة على مختلف الاصعدة سواء من حيث الانتشار والتاثير العالمي. وعلي صعيد الامن الوطني والقدرة على تغطية البلادفانها واسعة واستطاعة كشف مخابرات الخصوم واعتقال الجواسيس فهي عديدة بالنسبة للامن الوطني الروسي,لكنه اقل حماية من الامريكي.

وفي الحقيقة لا مجال للمقارنة بالمخابرات الامريكية التي تفوقها خاصة في الميزانية والتقنية الاحدث.فلا يستطيع احد ان يتناسي ان منبع الانترنت ومصادر تقويته لها صلات بشكل ما بالمخابرات الامريكية إن صح التعبير.

وعلي صعيد اقيلم الشرق العربي وافريقيا فمصر لديها اهم جهاز مخابرات واستطيع ان اجزم انه الرابع او الثالث عالميا.ورغم ان الترديد في وسائل الاعلام بقدرات المخابرات الاسرائيلية ليل نهار لكنها بدون عملائها في امريكا لا تتواجد في عالم المخابراتية الحديثة,بل هو المشكلات لدول الاقليم علما بان دول الاقليم معظم مخابراتها تعرف ما

يقوم به جميع الذين يعيشون في فلسطين والاراضي المحتلة من قبلها.وانتصارات المخابرات المصرية على الاسرائيلية التي لا اول لها ولا نهاية خير شاهد.اضافة إلى افشال العديد من المخططات والمشاريع المخابراتية الدولية ضد الاقليم العربي والاسلامي,واهمها ثورة 30 يونيو التي اطاحت بمشروع تقسيم الاقليم ثم مواجهة في حرب ضد الصين والروس(حرب شرقية شرقية او جنوبية جنوبية بالوكالة). كما ان المخابرات المصرية تكشف بشكل كبير وسريع المئات من شبكات التجسس المعادية فقد فشلت اغلب المحاولات الامريكية كمثال وكل المحاولات الاسرائيلية.لكني لا انكر انه تمت عمليات اغتيال لعلماء ومفكرين وعرب وهو ما يعني ان هناك اخطاء في الحماية والقدرة على المواكبة للاحدث من التكنولوجيا.

7-القدرات الاقتصادية:وهي قدرة الدولة على الصمود واستمرار الحرب والدرجة التي يتاثر بها الارتباط ما بين الاقتصاد والعمليات العسكرية والقدرة على تصنيع الاسلحة والمتطلبات العسكرية وضخ الاموال لصالح العمل العسكري.

وتعد الولايات المتحدة هي الاولي عالميا بدون منازع,حيث ان ميزانيتها العسكرية تفوق تلك الروسية والصينية بأضعاف,ولديها القدرة على التصنيع والتطوير والتحديث المستمر للعتاد العسكري دون توقف.وقد كان اهم اسباب فوز الحلفاء في الحرب العالمية الثانية هو القدرة المستمرة على تقديم الدعم وخطوط التصنيع للقطع العسكرية دون توقف.فقد كان كل دبابة يتم تدميرها مقابلها يتم اخرج عدد من الدبابات من المصانع –كمثال. ويستطيع الاقتصاد الامريكي الاستمرار لفترة طويلة نتيجة لسيطرته على الاقتصاد العالمي وتاثيره عليه,اضافة إلى ان الدور الامريكي هو عملة الاحتياط العالمي حالياً.

ميزانية روسيا العسكرية متواضعة مقارنة بنظيرتها الامريكية الضخمة,وفي الحرب فان قدرة روسيا على ضخ المال لصالح الاعمال العسكرية اقل من القدرة الامريكية.وفي حال نشوب اي حرب تقليدية بين البلدين تستطيع امريكا تصنيع المعدات العسكرية بشكل اكثر استمرار واسرع,خاصة في ظل تحكمها في العالم وبمعظم ثرواته,ولا تستطيع روسيا مجاراتها رغم انخفاض تكاليف التصنيع العسكري لديها.كما ان حلفاء امريكا الاوربيون من اغني الدول في العالم ويتحكمون في ثروات هائلة,فضلا عن القدرة الاقتصادية الامريكية التي تفوق الروسية بعشرات الاضعاف.لكن في حال عدم دخول روسيا حرب مع الولايات المتحدة او غيرها ستقوي وستقترب من القوة الامريكية العسكرية والاقتصادية لتقلل الفارق ليصبح ضئيل وقد يتلاشي.

لدي مصر قدرة مالية متوسطة من حيث الميزانية العسكرية مقارنة بنظيراتها الغربية,لكن ابرز عوامل قدرتها المالية الانخفاض في تكاليف الانتاج العسكري بسبب قيام الصناعات العسكرية على عسكريين واخصائيين وجنود من الجيش الذين يتقاضون رواتب

متواضعة,كما ان معظم المواد الاولية المستخدمة محلية وبالتالي انخفاض التكلفة العامة,وهو ما لا يعني بالضرورة الضعف العسكري.

وعلي صعيد الاستمرار في الحرب فمصر من اقوي دول العالم من حيث قدرة الجبهة الداخلية على تحمل الاوضاع الاقتصادية الصعبة.وقدرة مصر على تامين الاموال اللازمة واسعة وبفوائد اقل من تلك الامريكية مثلا.وقدرة مصر من ناحية الاستمرار الاقتصادي في الحرب عالية وقدرتها على إلحاق الخسائر الاقتصادية بالخصم اعلي مما يجعلها متفوقة في مجال حرب استنزاف اموال الخصم وهو ما يجعلها اقوي منه في هذا المجال.ومصر لديها دول عربية واسلامية شقيقة وصداقات لا اول لها ولا اخر,ويمكنها استخدام جميع اسلحة الدول العربية والاسلامية ضد الخصم في حال دخولها حرب.

الميزانية الاسرائيلية العسكرية مهما كان قيمتها المعلنة لا توازي تواجدها في اقليم هي الوحيدة الضامرة (الشاذة) فيه.واستمرارها في الحرب ليس له سوي سبيل وحيد تعتمد عليه هو الولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت عالة عليها وعلة في نقاط ضعفها وضعف اي دولة تساندها.واعداد جنود اسرائيل ضئيل جدا مقارنة بمصر التي تفوقها عشرات بل مئات الاضعاف.الاقتصاد الاسرائيلي هش نتيجة لصغرة وصغر الدولة ووجودها في الاقليم العربي والاسلامي,واذا ما قامت حرب بينها وبين اي دولة يمكن حصارها من جميع الجهات وبسهولة,كما ان قلة الموارد البالغة تجعلها اشبه بمقشة في وجه اعاصير عاتية ضخمة.واقصد ان وجودها في الاقليم مجرد وجود لجماعة لاستخدامهم في الضغط على دولة من دول الاقليم وليس كدولة بالمعني العلمي الصحيح. ويمكن لدولة كالسعودية او العراق او سوريا كمثال ان تصلي بمواطنيها في القدس خلال ساعات معدودة,فمظاهرة واحدة من مليونيات العرب في الثورات يمكنها دك اي قوة واي عدد من الالات والعتاد العسكري.

إن وجود مصر قوية في الاقليم يجعل الاقليم والعالم في حال اتذان دائم وان اهتز لفترة وجيزة يمكن اعادته من خلالها ايضاً.كما ان اتحاد عربي في شرق عربي خالص يمكن ان يجعل من الدول العربية قوة كبيرة تساهم مع الامريكية والصينية والاوربية وتفوق الاسترالية والكندية وهذا قرن الكيانات الكبيرة التي يمكنها ان تجعل العالم اكثر سلام من القرون السابقة.

الفصل العاشر

الحلبة العامة لقوى الخير والشر

أخلاقيات النجاة والخدع

المخابرات لفظ يطلق مؤسسة تحرك العالم بواسطة القوة التي تتمتع بها والاعمال الخارقة التي تنفذها ضد الدول والحكومات والاشخاص لاضعافها واثارة المشكلات فيها واحيانا قلبها وخرق نظامها وتبديله بنظام يناسبها.

وفي القديم كان الحكام يستمدون قوتهم في السيطرة على الشعوب من التشبه بالاساطير ثم الكائنات المتوحشة ثم الالهة ثم تطور الامر فاصبح من الله سبحانه وتعالي ومع تطور العلوم السياسية اصبحت القوة تاتي من الشعوب ومع تداخل العلوم السياسية والعسكرية والتقنية اصبحت القوة تاتي من المخابرات بمختلف اشكالها واقسامها وانواعها وادوارها.

وشعار المخابرات الدائم هو الفصل بين السلوك والاخلاق الشخصية عند القيام بأفعال,مهما كانت هذه الافعال دنيئة.واهم من سينخرطون في المخابرات والجاسوسية ضد بلدانهم خلال هذا القرن هم الاشخاص غير الراضين عن نظام بلدهم وهؤلاء يتفانون في الخدمة ويظهرون حقدهم على النظام فيما يقدمونه من خدمات للبلد الاخر.وهو عكس المتعاملون بدافع مالي اذ كثيرا ما يبتعدون وينغمسون في لعب تجارية تعرضهم للطرد واحيانا للتصفية الجسدية.

وفي البلدان الفقيرة والنامية يتم اختيار العملاء غالبا من العسكريين والمقربين منهم ,حيث يتحكمون في مقدرت بلدانهم ومؤهلون لذلك.

والمخابرات الامريكية تركز على تغيير البنية النفسية والفكرية للعميل وتلجا غالبا لتصفيته في نهاية المطاف بعكس المخابرات الانجليزية والفرنسية والالمانية الذين يركزون على تنفيذ المهام وليس شخصية العميل,حيث ان الامريكان لديهم اموال طائلة واحد اهم قواهم الحقيقية تكمن في مخابراتهم.

ومما لا شك فيه ان مختلف المهام التجسسية تهدف إلى خدمة مخططات الدولة وفق مصالحها وسياستها.وهذا الهدف البعيد هو استهداف دولة معينة لاخضاعها بعد اضعافها معنويا واضطراب استقرارها الاقتصادي واثارة التوترات والسياسية فيها,وهو ما يعرف في الجاسوسية بانهاك الخصم لا انهائه.وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه دون حد ادني من القدرات والامكانيات,حيث تتمثل مسالة تقوية هذه القدرات والامكانيات بواسطة المعلومات والقيام بتحريكها وهذا يكون الشق الاكبر من اعمال التجسس.وتشكل المخابرات جهاز مزدوج الصفة فمن ناحية تقوم بجمع المعلومات والاحتراز والتحضير الوقائي ومن ناحية اخري انها رادع من جهة تنفيذ الضربات الهازة للنظام المضاد.

وتقوم المخابرات الحديثة بعدة اعمال منها تقديم المشورة السياسية لنظام دولة ما سواء بشكل مباشر او غير مباشر,وتقدم معونات مالية للافراد على شكل مغريات كبيرة وقد تم

تطويرها مؤخرا لتصبح في شكل جوائز ومنح دراسية وعلمية ومراكز مرموقة في شركات عالمية..الخ.كما تقوم بالدعاية الخفية وممارسة دور اقتصادي مؤثر.وايضا القيام باعمال تزعزع النظام- اشبه بالعسكرية غالبا- واستعمال مواد كيماوية من قبل عملاء محليين في الغالب.وقد قامت اسرائيل بوضع نسبة بسيطة من الزئبق في البرتقال المصدر من فلسطين لزعزعة ثقة المواطنين الفلسطينيين ثم سمعنا عن وضع مواد كيماوية في الحليب والماء في مدارس البنات بفلسطين لكي يصبن بالعقم.وقد قدمت الدول العربية للامم المتحدة شكوي بهذا الخصوص.كما قامت المخابرات الامريكية بوضع بوضع مادة غير سامة في السكر الكوبي بهدف تحطيم النظام الكوبي.والدول الكبري تعرف ان الدول الفقيرة والنامية منها يتوفر فيها النشاط السري باعتبار ان حكومات هذه الدول اقل تنظيم وقوة وبينها وبين الدواخل صرارعات عديدة وتمتن معارضتها بكل ما ياتي من الخارج.فيمكن وضع مبالغ مالية ضئيلة تحت تصرف احدها يكون لها فعل السحر الذي قد يتحول إلى تغيير الولاءات السياسية وخريطة التحالف.ومخابرت امريكا والاتحاد السوفيتي السابق ملؤا الدنيا بهذه الاساليب خاصة في افريقيا واسيا وامريكا الجنوبية.وتتدخل المخابرات خاصة مخابرات الولايات المتحدة في انتخابات اغلب الدول النامية وامورها الداخلية,ولولا تحضير الامكانيات من قبل العملاء الداخليين(سايقا) لما جاءت الضربة محكمة وقوية.واخطر ما سيواجه الدول هو العصابات والجماعات التي تنفذ ما تريده المخابرات وهي بديل الحروب العسكرية التقليدية(حرب بالوكالة).او تنظيم حركات تطالب بالديمقراطية من خلال التظاهرات والتغيير السلمي او حرب اللاعنف,علما بان الديمقراطية الغربية – الليبرالية- لا تصلح الا للغرب فقط لان الجنوب ثقافته تقوم على الشقين المادي والروحي بعكس الغرب المادي فقط.

وبالنسبة للولايات المتحدة فهي معرضة لاكبر اخطار الجاسوسية العالمية مثلما لديها اقوي المخابرات العالمية.فقد سمحت الصهاينة ان يطبعوا على قلب نظامها ومؤسساتها والسيطرة على مواردها التجارية والاقتصادية وبذلك يؤلفون حكومة فوق الحكومة اي ان السرطان لا ينمو ويعيش الا على ظهر سرطان اخر ولا يستطيعون ان يعيشوا ويرتقوا ال على ظهور بعضهم البعض.

ويقول الرئيس الامريكي فرانكلين(احذركم انكم اذا لم تطردوا اليهود من بلادكم نهائيا فستكون العاقبة وخيمة جدا وتنزل عليكم لعنة ابنائكم واحفادكم,فاليهود من شانهم اينما ساروا وحلو لا يتوقفون عن اللدغ...لذلك يجب ان نضع في صلب دستورنا مادة متنع اليهود من دخول هذه البلاد..) ربما اغلب كلامه صحيح فقد اواهم العرب واذوهم في الشرق واواهم العرب في الغرب فاذوهم واواهم الغرب فاذوهم واواهم الامريكان وسيدمرونهم إن لم يفيقوا.

وليس امام الدول النامية الا ان تلملم مراكز المعلومات والدراسات والبحوث الرسمية والاهلية لتكون مجدية وحتي لا تستخدم ضدها.كما يجب على سفاراتها عدم نقل المعلومات الغير عميقة والسطحية وبدون تحليل او استنباط ,فموظف السفارة لم يعد مجرد موظف عادي بل دوره هو جمع اكبر واهم المعلومات التي يمكن استخدامها في خدمة الامن القومي.لولا ذلك لما تمكن جاسوس اسرائيلي من زيارة مصر والاردن وسوريا ولبنان باسم روبرت جيري وهو يحمل جواز سفر غير اسرائيلي.وفي ذات الاطار يجب التعاون الاعلامي والمخابراتي بين الدول العربية والاسلامية.وهذا ما يحدث خلال هذا القرن ان تكون القوة اقليمية في اغلب الامور المخابراتية والاقتصادية والامنية..الخ.

والمخابرات الاسرائيلية ليست بالذكاء كما يعتقد البعض فكل عملها تقريبا لا يخدم اسرائيل على المدي البعيد (الاستراتيجي) بل يزيد من العداء تجاهها وتجاه الامريكان,فدورهم اشبه باشخاص يعرفون نهايتهم الحتمية لكنهم يحاولون الهرب منها بمشكلة وعقدة اكبر.وكم وقعت في عدة اخطاء كانت تظنها خير لها ولا ادري كيف يكون الخير من الشر. فالمخابرات المصرية تحديدا لها انتصارات كبيرة على مخابراتها منذ القرن الماضي فقد اكتشفت المخابرات المصرية عملاء اسرائيل قبل القيام بتفجيرات وتخريب بعد ثورة 1952 مما جعلها اكبر فضيحة لاسرائيل ادت لاستقالة لا فون واحرج بن جريون رئيس الوزراء الاسرائيلي,ثم تلاها الفشل في حرب 1973 قبل اوثناء وبعد الحرب مع مصر التي هزمت اسرائيل في 6 ساعات.

كما قامت المخابرات الاسرائيلية باغراق السفينة ليبرتي في 1967 رغم معرفتها انها امريكية ,لكنهم اعتبروها تحد لهم في المنطقة.بعدها بايام يندمون ويعتذرون للامريكان اضافة لتقديم التعويضات السخية للتكفير عن الفعل المشين هذا.

كما ملأت اسرائيل سجونها بالمواطنين الفلسطينيين ظنا انها ستكبح جماح النضال,لكنهم فوجئو ان حسابات النضال والوطنية لا تخضع لحسابات التخويف والقهر والتي يستخدمونها بل تزيدهم اصرار وتثبيت وتزيد المواطن الاسرائيلي خوف ومحاولة في الهروب والعيش في أوروبا او امريكا.

ولولا الصدفة لنجح اعضاء المقاومة العربية اليهودية في قلب نظام الحكم باسرائيل في 25 يناير 1973 وقاموا بمحاكمة ال26 عضو.

وتعتبر المخابرات المصرية الاولي عالميا في مساعدة عملائها في حال كشفهم او القبض عليهم فقضية جان بيير خبير الذرة بمفاعلات اسرائيل خير دليل ,حيث تم القبض عليه وعندما علمت المخابرات المصرية قامت بابلاغه انها ستقوم بتهريبه من السجن لكنه رفض لاعتقاده ان الرئيس الاسرائيلي سيعفو عنه.علي العكس تماما المخابرات الامريكية

التي غالبا ما تقوم بتصفية العميل بعد انتهاء المهمة ونظيرتها الغربية التي لا تعطيه فرصة الا العيش في الكهوف والجبال بعد نجاح مهمته.

لكن الكثيرين من العرب يخدعون بالكلمات المغلفة بالعاطفة والتدين وهاتان نقطتا ضعف الثقافة الشرقية عموما مثلما المادة والمتعة نقطتا ضعف الحضارة الغربية.ففي الشرق كتب لورانس المحبب للكثيرين والملقب بلورانس العرب إلى المخابرات البريطانية عام 1916 (اننا كبريطانيين اذا تصرفنا مع العرب كما يجب فاننا سنتمكن من تفتيتهم وتجزئتهم إلى امارات صغيرة شبيهة بالموزاييك السياسي تغار من بعضها وتحارب بعضها وتبقي عاجزة عن التكاتف والوحدة وفوق ذلك كله كان لورانس يعلم باتفاقية سايكس بيكو).

القدرة والحاجة والارتواء

الوسائل الحديثة من الاعلام والاتصال والانترنت ان لم توظف بشكل صحيح ومفيد للبشرية يجعلها تصبح ادوات قمع رمزي وتعبير عن مصالح شبكات بعينها. فليس من الجادي ان نفكر في السياسة دون ان نتحلي بتفكير السياسيين،علي حد قول بوردو،فلايمكن فهم حدث سياسي ما دون تحليل بنيته وظروفه التاريخية وابعاده المختلفة والآليات التي تحكمه ونعمل وفقاً لها.ففهم الواقع وتحليله يسهلان الاسهام في تغييره.الاعمال الفكرية والبحثية العلمية يجب ان تصل إلى تجريم من يقوم بها حتى لو لم ينبه إلى نتائجها السلبية والخطيرة على الانسانية.فعالم البيولوجيا الذي يعمل في بحوث تسيطر عليها مصالح السوق والشركات متعددة الجنسيات والتي يمكن ان يكون لها نتائج اجتماعية خطيرة يصبح شريك في جريمة ضد الانسانية.هذا ادعي من تحول العالم إلى الخلل والفوضي والانحراف عن النظام الطبيعي الذي خلقه الله تعالي. ولم تعد الاشكال القديمة للنضال الاجتماعي والسياساسي قادرة وحدها على مواجهة التوحش في مختلف المجالات وتزاوجه مع التكنولوجيا الحديثة وعالم المال.فالاحزاب والتنظيمات السياسية الحلقية الاميبية لم تعد قدرة على مسايرة وقيادة التغيرات اللازمة للخروج من التخلف في الدول الفقيرة والتخلص من من ركام الضعف والتوجه إلى معادلة جديدة للتخلص من النظم والفكر القديم والانطلاق إلى بناء المستقبل، والوقت لم يفت طالما بدأنا في اي مكان وزمان.مثل هذا الفكر يخرجنا من البؤس الذي ننظر به إلى انفسنا وللعالم.وان لم نتحرك فنحن نجني قاصدين على انفسنا وعلي ابنائنا وعلي الاجيال القادمة وبلادنا واقليمها والانسانية جميعاً.انك لست حر مالم تضر،لانك يجب ان تفعل ما يجب ان تقوم به تجاه نفسك وتجاه مجتمعك وتجاه الانسانية انت مواطن في عالم اذا لم تعمل او اصابك الكسل فانت غير منتج وبالتالي انت تضر بنفسك وبالجميع لانك ببساطة اصبحت عالة عليهم،وهذه العالة سوف تدفع بك إلى فعل السلبيات طالما تعيش الفوضوية والبعد عن النظام في كون كل ميسر لما خلق له.انت لم تخلق من طين حتى لا تفعل شئ او للهباء،فالطين الذي خلقت منه له دور في الحياة.اذا نحن من حقنا ان نعاقبك.هذه ابسط امور نطالبك بها،حيث مطلوب من كل انسان معرفة نفسه وتميزه عن الاخرين ويبرع ويبدع فيه.تفوق فالجوائز تنتظرك وتقف امامك،هؤلاء المتميزون استخدموا الصعاب اداة حتى يكونوا هكذا.

وما تقوم به هيئات دولية كصندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التعاون والتنمية في فرض برامج اقتصادية تتمثل في خفض الايدي العاملة وخفض الانفاق العام وما يطلق عليه مرونة العمل وهو ما يجعل الليبرالية الغربية تتحول إلى برنامج سياسي يستند على نظرية اقتصادية.نظرية اشبه بلعبة من العاب الخيال المستند على التجريد بشكل

كبير.فكيف – كمثال- نتبر التعليم كسلعة قائم على التنافس وهو ما يناهض المنطق الاجتماعي القائم على العدالة.انه فكر مفرغ من البعد الاجتماعي.انه اشبه بالخطاب السائد في مستشفيات الامراض العقلية،قوي وهو ليس قوي إلا لانه يهيمن على القوي الاخري في عالم تحكمه علاقات قوي،تفرض عليه ان يكون بهذا الشكل.وهو ما يجعلني اقول انه يستند في قوته على الذين يعبر عن مصالحهم.

ومع مرور الوقت سوف تنتهي مثل هذه الافكار والاسواق لانها ستقودنا إلى الهاوية بهذا الشكل.وانها لتناقض هائل مع الواقع.كيف لمجتمع يعاني اقتصاديا واجتماعيا اخفض النفقات واسرح العمال ؟في هذه الحالة يتم دعوة الثورات والانتفاضات والاضطرابات من اجل تحقيق اهداف من نوع ما.فلماذا لا تجلب مثل هذه المؤسسات مستثمرين وشركات لانقاذ البلد طالما يصل إلى يصل اليه حتى تهدف إلى مساعدته،ثم لماذا وقفت مكتوفة الايدي حتى وصل إلى ذلك ؟ ثم هل في هذا شئ من الانسانية.وهل من العدل ان تكون هيئات دولية يقودها اشخاص ينظر اليهم باحترام يعملون ضد بشر لصالح بشر تحتي مسميات وغطاءات مادية من اجل المتع والرفاه.هل هذا انبل ما يبغيه الشخص الذي ينظر اليه الناس باحترام وقبلوا ان يكون عضو او يقود ممثلا عنهم مثل هذه الهيئات والشركات والحكومات والمنظمات.سيكون مثل هؤلاء او ابنائهم او احفادهم ضحايا العنصرية والعنف الناعم.ق القارات

وعلي الرغم من كل ما يحدث العبور نحو التحررية يكتمل بطرق غير محسوسة وربما غير مدركة فالفالج الذي يهز القارات تظهر تاثيراته على المدي الطويل.

تظهر مجموعات في مختلف المجالات يضعون كفائتهم في خدمة الحركات المناهضة لليبرالية الجديدة لتكون بمثابة اسلحة فكرية وعلمية تسمح لهم بفهم مشكلات الناس والعالم.

ان التكنولوجيا تستخدم كادوات يتم ضبط المجتمعات واستخدامها وتحريكها من خلالها.اي انه يكثر التلاعب والتاثير في عقول البعض.انها ادوات تخضع لادوات ضبط وتحكم تهدف إلى توجيه الناس والعالم نحو استراتيجيات محددة للتحكم في التروس والحركات والعقول المختلفة.فيمكنني ان اعرف شخصيتك من صفحة فيسبوك بتتبع ما تكتبه وتتناوله من موضوعات وافكار وصور..الخ.هنا يمكنني ان اجعلك كآلة يمكن التحكم في اغلب حياتها.الالة عبارة عن نظام تم تصميمه وضبطه لاداء وظائف معينة،بهذا المعني نتحدث عن النظام الاجتماعي والنظام السياسي..الخ.لكن من الذي يفق وراء ذلك كله ؟.انهم اشخاص يطبقون خطط واستراتيجيات.وهؤلاء جزء صغير من مجموعات اخري تعمل في نفس الاطار والاستراتيجية ولكن في مجال اخر.الكل يعمل وفق استراتيجيات تخدم منطق نظام ما ومجموعات معينة.وكل نظام يتصارع او يتوادد

مع اخر للسيطرة عليك وعلي الدوة وعلي العالم.فمتي تكون انت فاعل؟(عن الشباب اتحدث).

العلم والتكنولوجيا كثيرا ما يكونان محايدان لكن الاستخدامات والتطبيقات غير محايدة.كثيرا ما يروج لصراع الحضارات ونهاية التاريخ..الخ.لكن المهش ان هذه المقولات التي يروج لها من انهيار سور برلين وحتي احتلال العراق.هي تعبر عن ايديولوجيا تدعي السيادة والانتصار على الايديولوجيات الاخري.ايديولوجيا تعبر عن عنصرية تمثل تهديد حقيقي للانجازات التي حققتها الانسانية من فكر وفنون وعلوم عبر مسيرة طويلة.

القرن يشهد الايديولوجيا الناعمة من خلال وسائل الاعلام والاتصال والانترنت.جرعات تتغلغل في عقول البشر من مشاهدين وقراء ومستمعين ومستخدمين. بلا ضجيج وحروب تقليدية وهو عكس ما كان يتم في الماضي.

من يملك يسيطر ويتحكم هكذا كان عبر العصور.السادة والعبيد،السادة قلة يملكون حت العبيد والعبيد اغلبية مطلقة لا تملك حتى نفسها.وبالتالي يسيطرون على كل شئ ويتحكمون فيه ويفرضون وجهة نظرهم.منطق غريب،كيف بعبيد اغلبية مستكينة لقلة قليلة العدد على الاقل،حيث يمكنهم فرض قوتهم للتوزيع العادل للثروة،والا هم يستحقون العقاب على جبنهم وتخاذلهم ضد انفسهم وضد الحرية.انهم قد يقتلون بشر بسبب هذا الخوف والجبن.وهو ما لن يحدث في القرن ال21،القوة الديموغرافية تتحرك لفرض المساواة العدالة.والدولة التي تدير الامور نيابة او بديل عن الملاك والراس مالية الموحشة تضعف لان الدولة ببساطة نحن.

لكن الدول ان لم تملك التكنولوجيا والمعلومات لن تستطيع انتاج ونشر المعلومات وبالتالي لن تفرض رؤيتها.

ونحن كبشر نقبل بالاشتراك في قناة او وسيلة ما دون ان ندرك انها ستستخدم في تجيهنا،هل هذا فكر ناضج،كيف ادفع المال من اجل التحكم في؟. إليس المنطقي ان يتم دفع المال لي حتى اقبل او ارفض هذا الفكر؟.لا ألوم فئة بعينها كالصحافة والاعلام فهم يعملون في اطار عام يتم توجيههم بحجج عديدة كالمواطن والمشاهد والقيم,ويقومون باستخدام ممارسة الجرائم والعنف والجنس..الخ في شكل موضوعات وبرامج ودراما.والادهي ان يقال لك سنقدم لكم اشياء خارقة للعادة اي الفياضانات والاغتيالات والحرائق والزينوفوبيا(العداء والخوف من الآخر او الاجانب)..الخ اذا العادي بالنسبة لهؤلاء والذي تقدمه قنوات ووسائل اتصالات اخري بشع ايضا ويقولون ايضا انهم سيقدمون شئ فوق العادي(رسم ما هو ردئ بشكل جيد)عند فلوبير.وهؤلاء الصحفيين والاعلاميين المختلفين في السن والجنس والتعليم والعمر وطبيعة النشرة والبرنامج والموضوع يعيشون في عالم منقسم ففي داخله كل انواع الخلافات والازمات

والمنافسات والصراعات والمعارضات.اقصد انه انتاج غير متجانس عكس ما نتصور.نحن نمدهم بالمعلومات ونتوقع منهم ان يمدون بالمعلومات الصحيحة،كيف ونحن نصوغها حسب توجهاتنا ورؤانا وكذلك صحفهم وقنواتهم.اتذكر في اكثر من 5 قنوات كبيرة في اقليمنا والعالم وجدت المعدين ومقدمي البرامج يقولون لي (تحب تتكلم في ايه ؟)أفر هاربا.. حسب الموضوع المطروح والذي طلبتوني من اجله فوافقت،هذه الاجابة حتى لا امدهم بمعلومات وموضوعات تجعلهم يستخدمونها ويوظفونها،بالضافة إلى العلاقة السلبية بين الفكر والعجالة،والايجابية بالنسبة للتاثير وللتوجيه في ذات الوقت بالنسبة لاغلب جمهور القناة او الصحيفة.وعدد آخر من مقدمي البرامج اشعر انه يمارس الاعلام على غرار حلبة المصارعة الحرة،بحيث يواجهني بوحشية وشراسة تارة ويتحرش بعقلي اخري،هؤلاء يشبهون الضيف بسمكة داخل الماء او خارجه وعليهم اصطياده ليكون في استراتيجيتهم وضمن ادواتهم.مجال خاضع للمسيطر وليس المساواة والرأي والرأي الآخر كما يُدعي،بل لضحد وهزيمة الراي الآخر وبعثرته.

جميع السلع تقريباً هكذا.كلها تسوق بشكل جيد وتتربع على عرش جذب الناس وتتصدر النشرات،توجيه وعنف رمزي.والاكثر منها الموظفون في صناعات الاسلحة ومخترعيها ومبتكريها.لكم الله.وللاسف كل هذا تتم المبالغة فيه باحدث الوسائل العصرية.

الإستثمار الأمني والجيوش البديلة

بينما أبحث عما بعد القاعدة والجماعات الإرهابية عمومًا قرأت عن مجموعات من العسكريين الغربيين المتقاعدين ممن يبيعون خدماتيم العسكرية، وفي هذه الأثناء جاءتني دعوة لحضورالإحتفال الأول بمناسبة خروج الإحتلال الأمريكي من العراق بعد جرب الخليج، وبعد الحفل بيوم قيل انه يوجد في العراق مايربو عن ٢٠ ألف مرتزق أجنبي تحت مسميات مختلفة كقوات خاصة وقوات التدريب والتأهيل" قوات للحماية بومعظمها تدير بأشكال مباشرة وغير مباشرة لتصبح جيوش بديلة للجيش الأمريكي النظاميوهن، بل هناك ميزانية تقدر بنحو ثلاثة مليارات دولار سوف تحصل عليها شركات خاصة متعددة الجنسيات. كما اكتشفت ان مصر فيها عدد من شركات الأمن متعددة الجنسيات منها ما هى أمريكية وما هى فرنسية.

ووفق كتاب المرتزقة جيوش الظل لباسل يوسف توجد ثلاثمائة ألف منظمة، وتم عمل تشريعات وقوانين لتصبح شركات أمن دولية تخضع لقوانين تشبه قوانين الشركات بعسكريين وشرطيين سابقين. وجاء استخدام الإدارة الأمريكية لجمل مثل الدولة المارقة عام ١٩٩٠ وفق ما عبر عنه الأميركي مايكل كلير بصناعة الأعداء في التسعينيات واتهم البنتاغون باختراع فكرة الدول المارقة ودول محور الشر لتسويغ استمرار سياسة الحرب الباردة باسم المصلحة القومية. وعندما تولى ديك تشيني منصب نائب الرئيس الأميركي في إدارة بوش، انهالت العقود على الشركة هاليبرتون فتم التعاقد معها لتأهيل صناعة النفط بسبعة مليارات دولار، وبنت معسكر اعتقال في خليج جوانتانامو الكوبي بما قيمته ٣٧ مليون دولار. وتصف ذي إيكونومست العراق تحت حكم بريمر بأنه حلم رأسمالي، كما يشبه الكثير من السياسيين العراق بإناء عسل ضخم يجذب شركات النفط والرأسماليين المغامرين. ويعود تاريخ التعاون بين المخابرات المركزية الأمريكية والشركات الأمنية الخاصة إلى حرب فيتنام، ويعد دونالد رمسفيلد ودفيد بترايوس وديك تشيني رواد تطوير وبناء شركات الخدمات العسكرية والأمنية لسد الفجوة بين قرار دخول أمريكا صراعات مسلحة في العديد من مناطق العالم الساخنة وقرار تقليص حجم الجيش الأميركي من ١,٢ مليون جندي عام ١٩٨٩ إلى ٤,١ مليون عام ٢٠٠٤، قامت هذه الشركات بسد ما يواجه الجيش الأميركي من تناقص في أعداد المتطوعين في وقت تواجه فيه بلادهم حربين في أفغانستان والعراق.

وذكرت مجلة إيكونومست أن شركات الأمن الخاصة تحتل المرتبة الثالثة في خانة المساهمين الكبار في دعم الجهود العسكرية الأمريكية والبريطانية في العراق. وأدت الحرب على الإرهاب وخوض حربين في أفغانستان والعراق إلى مضاعفة تعاون الإدارة الأميركية مع شركات الأمن للقيام بأعمال من الباطن تحت مسمى متعاقدون من القطاع

الخاص. ومن الشركات الأمريكية العاملة في العراق- اي بي آر -وهى تابعة لشركة هاليبورتون، وديان كورب التي تتولي حراسة الرئيس الأفغاني حامد كرزاي، وشركة بلاك ووتر التي توفر الحماية لعدد من الدبلوماسيين الأمريكيين ومرافقيهم ووفرت الحماية لبول بريمر وزلماي خليل زاده وجون نجروبونتي. ويقدر عدد العاملين في العراق عن طريق شركات بريطانية حوالي ٣٠ ألف، وهوثاني أكبر قوة عسكرية بعد الجيش الأمريكي، وأكبر من القوة العسكرية البريطانية ذاتها. ومن الشركات البريطانية العاملة في العراق عمليات الأمن الأوروبي والمنظمة الاستشارية للرقابة على الأخطار وأجيس وإيرنيس وهارت جروب. وتقدر الأمم المتحدة عدد العاملين في هذه الشركات من جنوب أفريقيا في العراق بما بين ٥ و١٠ آلاف، وهي بذلك من أكبر الدول المصدرة للعاملين في شركات الأمن الخاصة بعد أمريكا وبريطانيا. بل فيها مثل هذه الشركات. وفي ظل الرأسمالية هل يمكن ان تتطور شركات الأمن الدولية فتقدم خدماتها في مجالات مثل قلب نظام حكم ما أو حماية رئيس الدولة أو القيام بحرب أو صراعات صغيرة من الباطن ضد دولة مجاورة أو داخل الدولة ذاتها. أي يمكن ان تصبح هناك شركات تخوض الحروب نيابة على الدول تحت زعم أن القطاع الخاص شريك في الأرباح فلابد أن يكون أيضا شريك في المخاطر. لأول مرة في تاريخ الدولة القومية تتنازل الحكومات طواعية عن واحد من أهم حقوق الدولة وهو احتكار استخدام القوة بشكل شرعي وإعطائو لهذه الشركات أو استبدال الجنود في أي مكان في العالم بمدنيين يملكون بنادق مؤجرة ولا يخضعون لأي من الإجراءات العقابية وفق المعايير العسكرية المعروفة. ولكن ظهور شركات الأمن الخاصة خطوة في طريق هدم بناء الدولة الحديثة حيث مر هذا البناء من الدولة الحارسة إلى الدولة المتدخمة إلى الدولة الحارسة مرة أخرى التي تقتصر ميمتيا على حفظ النظام العام والأمن العام إلى الدولة ذات الدور المحدود. وقد بدأت مرحلة انسحاب الدولة من كافة الأنشطة الاقتصادية ليقتصر دوربا على ميام الأمن والحراسة، ثم بدأت مرحلة خصخصة الأمن وعرضه في الأسواق مثل بقية السلع المادية، لتنتهي بذلك الدولة كنظام سياسي قطعت البشرية زمن طويل لبنائه. وتدر هذه الصناعة العسكرية ربح سنوي يقدر ب 100 مليار دولار، وهذا من عمليات عسكرية في حوالي 50 دولة، حتى أصبح من الصعب بمكان على الجيش الأمريكي حاليا أن يشن حربا بدون المجوء إلى هذه الشركات. كما تؤدي هذه الشركات بعض الوظائف الأخرى كتقديم الدعم الموجستي للانتشار العسكري وصيانة نظم الأسلحة وحماية المباني وجمع المعمومات العسكرية وتحليلها واحتجاز واستجواب السجناء وفي بعض الحالات المشاركة في القتال.

الفصل الحادي عشر

فنون القتال والسلام والجيوش الذكية

معادلات الصراع والسلام

يجري حشد بيادق الدفاع في لوحة الشطرنج الخلفية للسياسة العليا (المنظومة الدبلوماسية والعمل المؤسساتي) باستخدام استراتيجية "الاقتراب غير المباشر" وتعشيقها مع بيادق المناورة (التحالفات الدولية والإقليمية وفق تقاطع المصالح) واستخدام فعال للقوة الناعمة ومفاصل الحرب الدبلوماسية لحشد التأثير, عبر عملاء التأثير المنتشرين في أروقة ومفاصل المنظمات الأممية ذات الاختصاص, لتسويق الأهداف والغايات السياسية للحرب القذرة بمنظر زاهي يستند على مصطلحات الخطاب المزدوج والتي اعتادت تلك المؤسسات على تسويقها وأبرزها الخير المطلق والشر والإرهاب,الديموقراطية, حقوق الإنسان..الخ,وتشرع المنظومات القانونية الأممية الحرب باستخدام بنود القانون الدولي بشكل مجتزأ وفق معايير مزدوجة تتواءم مع فلسفة "استراتيجية البركان-volcano strategy - الحرب القذرة dirty war دون الأخذ بنظر الاعتبار حجم الدمار والضحايا التي ستخلفها الحرب, كما أن الحرب الاقتصادية احد تلك المحاور التي تستخدم لحصار الدول والشعوب المستهدفة. ويجري استخدام استراتيجية الاقتراب المباشر من خلال حشد بيادق الهجوم في لوحة الشطرنج العليا للسياسة وتستخدم استراتيجيا وتكتيكيا عناصر القوة الصلبة عبر المناورات العسكرية, وافتعال الأزمات,وإذكاء النزاعات الطائفية والعرقية المسلحة, وشن الحملات العسكرية المحدودة, والتصعيد لحافة الحرب, والغزوات ضمن استراتيجية الاقتراب المباشر لتحقيق المكاسب السياسية بعد محاصرة وانهيار الهدف المراد اخضاعة واستدراجه للحرب وتحقيق حالة الإعياء والملل والاستنزاف والاستهلاك في صفوف القوات المسلحة للخصم,باستخدام استراتيجية "الاقتراب غير المباشر" مع الحفاظ على توازن القضايا العسكرية التقليدية الأخرى بين الدول وفقا للمصالح المتبادلة وباستخدام "استراتيجية الرعب" مع ضرورة الحفاظ على ديمومة القوة العسكرية النوعية وعلى سبيل المثال القوات المسلحة الأمريكية هي الأولى في العالم, وتحتكر الميادين الذكية والنووية والفضائية والمعلوماتية,وهذا هدفا استراتيجيا عسكريا وسياسيا بل وتحديدا عسكريا ذو منحى سياسي استراتيجي يتوجب تحقيقه بغض النظر عن حجم الضحايا في الجانب الآخر, ويعتبر هذا أمر لا أخلاقيا وبعيدا عن منظومة القيم الإنسانية الدولية وأخلاقيات المهنة العسكرية ،ولكنه مطلب استراتيجي ضمن فلسفة "استراتيجية البركان- volcano strategy - الحرب القذرة dirty war". وتستند "استراتيجية البركان- volcano strategy - الحرب القذرة" dirty war بشكل محوري على المنظومة الإعلامية الضخمة والتي توجه البوصلة السياسية والفكرية للرأي

العام في قبول فكرة العدو المقبل(صناعة العدو),وأصبحت الاستراتيجية الإعلامية كونها احد الاستراتيجيات التخصصية تهدف إلى تحقيق الأهداف والغايات المخصصة في الاستراتيجية العليا/ الشاملة,وتشارك في جميع الحروب القذرة وتبرزها وكأنها حرب إنقاذ وتظهرها بالمظهر الزاهي في اكبر عملية تضليل مصنعة ومنحوتة في الأروقة والمؤسسات الإعلامية ذات الاختصاص, ويجري توظيف الخبرات الواسعة في مجال التلاعب والتضليل والتزييف والخداع والتأثير, وتسندها بالعمق بقوة ما يسمى "سينما الأمن القومي" التي تنحت الخصم وترسخه في عقول الرأي العام وتغزو القلوب وتسخرها لشرعنة الحروب دون إظهار الجانب الأخر من الصورة الذي يتعرض للابادة البشرية تحت وطأة الأسلحة المدمرة الفتاكة والتي تظهرها وسائل الإعلام بمنظر زاهي, أصبح الإعلام صفحة محورية ورئيسية في الصراع والحرب, ويلعب الإعلام دوراً مهماً في خفض الروح المعنوية للخصم، وإفقاده الثقة في نظامه السياسي وقواته المسلحة، وبث التفرقة في صفوفه، ويأتي ذلك من خلال تناول الإعلام الدعاية السوداء والرمادية والبيضاء عن القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية وتوجيه الأفكار بشكل غير مباشر لتحقيق أهداف استراتيجية مباشرة. وتعتمد فلسفة"استراتيجية البركان أو الحرب القذرة "على الصفحة المخابراتية من خلال الخداع والتمويه، والإحباط، والتشتيت والتفتيت وتحقيق انهيار الهدف بأسلوب غير مباشر، " وضع السم في العسل"، وعلى أن تبدأ بكسب الثقة والاحترام المتبادل، ثم تجزئة القضية وتفتيتها إلى أجزاء أو مراحل، ثم اتخاذ الأسلوب المناسب بعدها، مثل "الإغراء، وإخفاء قضايا وإبراز أخرى أو إغراق المشهد بفوضى المواقف، والتشويه والتضليل، وقلب الحقائق، والمناورة بالمواقف وأن لكل شئ ثمناً، وهناك ثمن لكل شيء، والحلول الوسط، وإجهاض المبادرات والمطالب المقدمة" وإثارة المشاكل والفتنة الطائفية، أو الصراعات الحزبية، أو الصراع الطبقي بين الأغنياء والفقراء، واستغلال الخلاف لصنع الصراع. وتستهدف "استراتيجية البركان- volcano strategy - الحرب القذرة dirty war"البنية التحتية الاجتماعية للهدف المراد إخضاعه أو تدميره,عبر إثارة الفتن وإذكاء الاحتراب العرقي والطائفي من خلال تصنيع ورش ومنظومات بوشاح عرقي وطائفي وديني وأخر حزبي لتكون أدوات صراع واحتراب معدة لهذا الغرض, وباستخدام خطاب منحوت بعناية في دهاليز المؤسسات المخابراتية والإعلامية ومكاتب العلاقات العامة لهيكلة العقول وإثارة نزعة الاحتراب المسلح, ليمزق النسيج الاجتماعي وإلغاء منظومة القييم الوطنية والدينية والأخلاقية, ويجري ذلك قبل وبعد الحرب, وتدخل ضمن فلسفة استراتيجية "الاقتراب غير المباشر"وتستخدم كذلك "حرب

الأشباح" بشكل واسع قبل وأثناء وبعد الحرب وفي الغالب تستهدف الجهد المدني لإحداث التأثير وتوظيف رد الفعل واستثماره بما يتواءم مع عناصر الحرب الأخرى. أو باستخدام تكتيك "فرق تسد" بمنحى ديني وطائفي وعرقي لتفتيت المجتمع باستخدام الحرب الديموغرافية العرقية والطائفية وإذكاء النزاعات المختلفة عبر الطابور الخامس والأفواج الشبحية وألوية العمليات النفسية بأسلوب التقطيع الناعم والقاسي. وتنتهج فلسفة"استراتيجية البركان - الحرب القذرة " تقسيم إدارة الحرب إلى عدة مراحل متداخلة، تشمل خطة الخداع الاستراتيجي قبل الاشتباك ولها منظومات وأدوات واسعة, وكذلك استخدام تقطيع الأوصال عسكريا باستهداف كافة المرافق الخدمية الإنسانية ضمن فلسفة "الصادم والمريع",وقطع الاتصالات والمواصلات الجسور والطرق الرئيسية لقطع طرق الإمداد المختلفة عبر الحملات الجوية والصاروخية التجريدية المركزة وتشمل أهداف مثل, الصناعات الحيوية، والبنية التحتية، والتجمعات السكانية، وأخيراً القوات المسلحة ومراكز القيادة. وتعتمد فلسفة الحرب على أهمية الأسلحة الدقيقة الموجهة، ونظم الحصول على المعلومات والاستشعار عن بعد، وأهمية استغلال التطور التكنولوجي في نظم التسليح ونظم المعلومات والفضاء الخارجي، لتوسيع طبيعة ورقعة الحرب في مسرح العمليات, ويجري أيضا الهيمنة على الفضاء وتطوير قائمة الأهداف المنتخبة كوسيلة للرعب، ويتم أيضا إجراء سلسلة من التحركات للقوات ضمن أعمال المناورة وخطة الخداع الاستراتيجي مستغلاً القابلية على الحركة والقدرات المتطورة،والسعي المستمر لإجبار الخصم على التوقف في رقع منتخبة معزولة وفي ظروف غير مناسبة له ضمن فلسفة التجزئة وعزل وتطويق القوات, وتتبعها عمليات تثبيت وتشتيت تمهيدا لشن الهجوم الرئيسي. تستخدم"استراتيجية البركان - الحرب القذرة" ضمن تركيبتها الحربية استراتيجية "الحرب المزدوجة" شكلين مختلفين من الحروب، شكلاً خاصاً بالموجة الثانية بما تحمله من أسلحة تقليدية وبما تحدثه من خسائر مدمرة واسعة، وشكلاً آخر خاصاً بالموجة الثالثة بما تحمله من أسلحة ذكية ذات قدرات إصابة دقيقة للأهداف عن بعد وأكثر تدمير، إضافة إلى استخدام نظم متقدمة للاستطلاع والمخابرات، واستخدام مركز للبعد الفضائي، ونظم التسليح الحديثة, والتركيز على الاستخدام الفعال للحرب الإلكترونية البرية والبحرية والمحمولة جواً لتقطيع الأوصال وفقدان القيادة والسيطرة وحجب القوات الجوية للخصم، ووسائل دفاعه الجوي، ومراكز الاتصالات.الخ. وتستخدم "استراتيجية البركان - الحرب القذرة " ضمن تركيبتها حرب المعلومات في كافة المفاصل السياسية والمخابراتية والحربية والاستخبارتية واللوجستية,

وأبرزها في المراحل التمهيدية التي تؤسس قاعدة المعلومات الواسعة عن الهدف الاستراتيجي والأهداف التكتيكية الأخرى, ويجري تطوير وتحديث أنظمة المعلومات باستمرار عبر منظومات عملاقة , شركات, مؤسسات, أنظمة, طواقم,أجهزة ومعدات..الخ ,وتعتمد قدرة المعلومات على استعمال الأسلحة وأجهزة الاستشعار والمنصات والأنظمة العسكرية الأخرى معا وتوفير عناصر تجمع بين الذكاء والقوة في منظومة القيادة والسيطرة والاتصالات والحوسبة والاستخبارات والمراقبة والاستطلاع (C4ISR), ويستطيع الجانب الذي يتفوق في امتلاك المنظومات أو كما يعرف اليوم "ثورة المعلومات" أن يقتفي اثر كل تحركات الخصم وان يرى قواته ويهاجمها وان يحدد بوصلة الصراع, وتعمل تقنية المعلومات على استئصال علاقة التناسب العكسي بين المدى والدقة وصولا إلى القوة التدميرية, حيث تتمكن هذه القوة عند جمعها من العثور على قطعات الخصم, وتتبعها وسرعة تدميرها, وكذلك سرعة تدمير بنيته التحتية العسكرية والمدنية, وتستطيع الوحدات البرية الصغيرة والخفيفة بترسانتها الكبيرة من الذخائر الدقيقة التوجيه(الذكية) والمحمولة على منصات بعيدة أن توجه هجمات مركزة ثقيلة باستعمال تكتيك "الحشد", الذي سيؤمن سرعة الانتشار وتقليل الترهل اللوجستي, وزيادة القوة التدميرية الذي تقدمه تقنية المعلومات مما توسع نطاق قوته وإمكانية في توجيه الضربات تؤمن التفوق في المسافة والاتجاه, وتجريد الخصم من قدرته على استخدام الدفاعات, لتحقيق نصر سريع وحاسم وبأقل خسائر ممكنة, إضافة إلى تنفيذ العمليات التكتيكية من مسافات استراتيجية, وتسعى الدول لامتلاك هذه القدرة بما يؤهلها لفرض إرادتها السياسية والعسكرية وتحقيق أهدافها الاستراتيجية والهيمنة على مسرح الصراع الدولي.و تستخدم الحرب النفسية والدعاية ضمن الهيكلية الرئيسية لـ"استراتيجية البركان - الحرب القذرة " ويعد الغرض الأساسي من استخدام الدعاية بأنواعها ومستوياتها المختلفة للتأثير على الخصم وتدميره وانتزاع إرادته، وهي أحد الطرق الرئيسية التي يستغلها المخطط في تنفيذ الحملات النفسية الساندة لخطط العمليات العسكرية، لغرض التأثير في أراء وانفعالات واتجاهات الخصم في سلوك أفراد القوات المعادية في المقام الأول، وباستخدام الوسائل المختلفة، (مقروءة. مسموعة .مرئية)، لإقناع الهدف المخاطب وتوجيهه أو الإيحاء له بإتباع سلوك محدد يخدم هدف المخطط وعادة ما يكون خفض الروح المعنوية وتحطيم إرادته القتالية (إقناعه بعدم جدوى المقاومة) , والتأثير المباشر على الشعب والمجتمع قبل وأثناء الحرب، وإفقاد القوات المسلحة الرغبة في القتال، وذلك من خلال خطة إستراتيجية للحرب النفسية دقيقة

تستخدم فيها كافة الوسائل المتاحة والملحقة والتابعة لتحقيق ذلك.وهناك عدد أخر من العناصر الثانوية التي تدخل ضمن الهيكلية الاستراتيجية لمفاهيم وتطبيقات "استراتيجية البركان - الحرب القذرة " مثل:- توليف وتوظيف القدرة المكتسبة, الحركة,الإزالة , تنظيف المخلفات,توزيع وتبادل الأدوار,الحوافز,التعايش ألظرفي..الخ, وليمكن التكهن كيف ستكون شكل الحرب في ظل التطور المستمر وسباق التسلح أو كيفية صناعة الاستراتيجيات العسكرية في ظل استمرار التطور التكنولوجي العالمي، لذا لم يستقر في الأذهان حتى الآن سيناريوهات للحروب القادمة, وهناك حروب غير مباشرة تحقق نتائج مباشرة على سبيل المثال:- حرب القيادة والسيطرة .C2W, حرب الاستطلاع .IBW, الحرب الإلكترونية .EW, العمليات النفسية .Psyops, حرب التحكم الآلي .Cyber War, الحرب في مجال الفضاء الخارجي, الحرب من الداخل .Warfar Inside ,أو مهاجمة برامج النظم الآلية, وهناك حروب من نوع أخر مثل حرب العقائد والأفكار, الحرب البيئية، وحروب أسلحة البيئة المتطورة، التي تحقق إحداث زلازل وبراكين، وأعاصير، أو تغير طبيعة الأحوال الجوية، أو إرسال الحشرات المعدلة جنسياً لتدمير محصول زراعي معين,حرب الأوبئة, حرب المياه, حرب الطاقة والتي تؤدى إلى تلويث وقود الدبابات والعربات؛ لشل قدرتها على الحركة، وهو ما أطلق عليه الأسلحة المضادة للجر والحركة أو باستخدام مواد أخرى تؤدى إلى هشاشة المعدن والتي بنثرها على أي منشأة أو معدة معدنية تجعلها هشة، قابلة للكسر، وغير صالحة للاستخدام أو "الحرمان من الاستخدام". وتستنزف تطبيقات "استراتيجية البركان - الحرب القذرة " البنية التحتية للشعوب والمجتمعات والدول التي لا تمتلك القوة أو فقدت خيار القوة بإرادتها أو أجبرت على ذلك, ومن البديهي أن القوة هي المعيار الأساسي في معادلة الصراع والحرب والسلام , وأحيانا القوة تصنع السلام.

فنون الحرب العامة

الانتصار في جميع المعارك هو كسر مقاومة الخصم وتكبيده خسائر،لكن ليس بادته،وفن الحرب التي وضعت قديما 5 عوامل رئيسية –كما وضعها سون تزو- يجب على متحري ميادين المعارك ان يأخذوها في الاعتبار ويضعوها في الحسبان.اولها الانسجام بين الحاكم/القائد والمحكومين بان يكون كل همه قوة اقتصادية وثقافية واجتماعية متماسكة وعسكرية ومخابراتية وعيش في سلام محلي واقليمي ودولي،وثانيها طبيعة ميدان المعركة من مناخ وتوقيت وفصول السنة،ثالثها طبية الارض،رابعها الحالة المعنوية والنفسية للجيش،خامسها طريقة تنظيم الجيش ولوجستياته وانفاقه،واضيف اليها سادساً الهدف ومدة المعركة سواء هجوم او دفاع،ومتي يدافع الجيش وكيف يهاجم؟،ومدة المعركة هل سنة ام عدة سنوات ومدي توقع استمرارها،سابعاًدور الضغط السياسي والجغرافي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي،وثامناً دراسة الخصم جيداً ومن مختلف الزوايا والجوانب محليا/في بلده وخارجيا على مستوي الاقليم والعالم،تاسعاً دراسة ابعاد الحرب والتهيئة لها محليا واقليميا ودولياًخاصة من سيقف معنا ومن يقف مع الخصم وكيف سنكتسب مساندة وتعاطف الراي العام المحلي والعالمي؟،عاشراً دراسة نتائج الحرب محليا خاصة حالة الجيش والشعب والاقتصاد وخارجيا بشكل شامل ومتكامل في حال الانتصار او الهزيمة،ثم ماذا سيتم بعدها خلال السنوات العشر التالية لها.وبالطبع يضاف اليهم الخداع والسرية خاصة من حيث المكان والزمان والاسلحة والتدريب والحنكة والمخابرات. ومن أقرب الأمثلة على ذلك ما جرى في حرب الـ73 من استغلال الجيش المصري لفترة الإستنزاف بينه وبين الاسرائيليين وبناء جو روتيني يومي دون ابداء أي مظاهر خارجية لاشعال الجبهة بحرب جديدة واغتر الاسرائيليين بتلك المظاهر ولم يظهر لديهم تغييرات قُبيل يوم الحرب لأي نوايا أخرى سواء بنقل وحدات جديدة أو منع اجازات المجندين المصرين أو أية تحركات فدفعهم للراحة والاحتفال بيوم عيدهم وكانت فاجعتهم.

و اتبع الأمريكان نفس الأسلوب في حربهم ضد العراق حين الغزو الامريكي البريطاني للعراق استمر الحشد ونقل المعدات الحربية للخليج العربي وبحر العرب بشكل مستمر وبنفس الوقت أراد الأمريكان خداع العراقيين عبر ارسال وفود للحوار وعبر التصريح في الإعلام تارة بأنه لا هجوم ومرة أخرى بالهجوم لخلق جو روتيني حتى حانة ساعة الصفر

لاحتلال العراق. يجب التركيز في الهجوم على سحق الخصم وتكبيده اكبر كم وعدد من الخسائر لانه سيفيق ويحاول استعادة الامور،من هنا التركيز في الهجوم على الاهداف الرئيسية للحرب واضعاف ادوات هجومه ودفاعه.ومع دراسة الحالة النفسية لجيش الخصم وقادته يتم التحرك فاذا كان القادة انفعاليون وجب مضايقتهم وانهاك طاقتهم الفكرية والخططية والراحة في السلم والحرب والفصل بينهم قدر الامكان سواء من خلال وسائل الاتصال او الاعلام..الخ.يجب التركيز على عدم اطالة امد الحرب لانه يواكبها خراب للمنتصر والمهزوم مع اختلاف الدرجة بالطبع،وهذا يعادل اتخاذ قرار الحرب لانه لا يتخذ الا بعد استنفاذ كل الوسائل السلمية امام الجميع داخليا وخارجياً،مع اعداد الكل للحرب ايضا في ذات الوقت. واعلي دراجات براعة العسكريين تعطيل خطط الخصم وعدم اتصال قواته ببعضها البعض وبالتالي تشتيتها وعزلها عن بعضها وعن قياداتها. الحرب بين دولة ودولة اشبه بحرب بالوكالة بين دول اقليمية او دول كبرى وبالتالي عليك طلب كل العون لك في الحرب من المستفيدين وتحذير وتنفيذ قرارات ممن يساندوك ضد من يقف ضد او يساند الخصم.كما ان السلام في الاقليم والعالم لا يحل الا بحل قضيتك التي خضت الحرب من اجلها.ضع في الحسابات كل الامور خاصة التفاوض وآخر ما هو متاح لك فيه وعواقب استخدام اسلحة بعينها كالنووية والكيميائية..الخ. المواطن المرفه وبالتالي الجندي المرفه ضعيف القتال والمبادرة والاستمرارية والحالة المعنوية لذلك يجب ان نعمل على صنع مواطنين يصلحون لدولة بعينها في مكانها وزمانها وظروفها المختلفة.ويجب انهاء نزعة الرفاه والمتع الزائدة واستبدالها بالجد والاجتهاد والكفاح والعمل والمزيد من النجاحظ،فلا نهاية للنجاح او القمة فعند الوصول اليهما توجد منطقة الحفاظ عليهما وعند منطقة الحفاظ عليهما توجد المنافسة مع من وصولو اليهما..الخ،والرفاه الحقيقي في جنة الخلد. يجب اعداد موارد الدولة والدول التي ستساعد للحرب لضعفي المدة المتوقعة لانه بعد اندلاع الحرب سترتفع الاسعار داخليا وهو ما يوجب في ذات الوقت ارتفاعها اقليميا وعالميا حتى يتحرك الكل لصالحك.كما يجب القيام بكل ما في وسع المخابرات العامة للدولة من احداث مشكلات داخلية في الدولة العدو خاصة في المصانع والشركات..الخ. يجب الا ننسي انه لا يجوز اخلقيا ولا انسانيا الاقتراب من المدنيين والاطفال والعجائز ومناطق الصحة والعلاج والاسعاف حتى لو كانت في منطقة الحرب،كما يجب معاملة الاسري

معاملة آدمية/انسانية. بعد انطلاق الحرب قبل فوات نصف ساعة الساعة تصدر بشائر النصر صوت وصورة خاصة اسر جنود وقادة وضرب عربات والسيطرة على اسلحة وهي امثلة لاقل تقدير.ووضع اعلامنا على ما تم اكتسابه من الخصم. ونري اهمية مواجهة الخصم من الخلف بوسيلة ما تجعله يرتعد،بالاضافة لضربات العمق التي تجعل الشعب يضغط على قياداته.والنصر السريع في حال مواجهة خصم قوي هو استغلال نقاط ضعفه واخطاءه بعد اكتشافها مبكراً وهذا يتطلب ابلاغ القائد لقادته اتخاذ قرار الهجوم بشكل اكبر ام لا، كما يجب على المقاتل والقائد الحفاظ على مقاتليه بشكل فائق فاي خطأ صغير يعرض الجندي والجميع للموت.فالمقاتل يدخل حرب دون تاكيد النصر وانما يحارب من اجل النصر فالعدو يريد النصر ولن يستسلم،اي ان الحرب للمقاتل اما النصر والحياة بكرامة واما النصر والموت بشموخ.وهو سيجنيه بعد الحرب هو بنفسه او ابناءه واحفاده وبلده في حال موته او حياته.ورؤية التقدم في الحرب ليست دلالة على الانتصار فهي تشبه رؤية الشمس او سماع الرعد،وهذا يوجب على المقاتل والقائد عدم التسرع والاستعجال فالنصر له اوانه والهزيمة ايضا.فلا نتخطي حدود المعتاد فقد يكون فخ وخدعة،فالاخطاء تعجل بالهزيمة،وتوظيفها عندما تقع من الخصم تعجل بالنصر عليه.والهجوم لا بد ان يكون باوامر القادة،لانه بحساب.وعلي المقاتل ان يؤدي دوره ويتحكم في نفسه ويقوده قائده اما التخطيط وكيفية التحركات ومتي واين..الخ فهذه في يد المخططين. وللتأكيد على كفاءة الجيوش ووحداتها لابد من اجراء تدريبات ومناورات داخلية واقليمية ومع جيوش ودول اخري خاصة القريبة الشبه بالخصوم المحتملين،وايضا مع جيوش متوقع معاونتها لجيشنا في حال نشوب حرب ضد خصم ما.والتدريبات والمناورات يجب ان تتم على 3 طرق:1-في كيفية تحقيق النصر والحفاظ عليه،2-كيفية الدفاع وتحقيق النصر،3- في حال تعادل او توازن المعركة مع جيش الخصم.كما ان ظروف المعارك المتوقعة يجب ان تدرس سواء المكان والزمان والظروف البيئية والطبيعية والمحلية والعالمية..الخ.من هنا تتضح نقاط الضعف والقوة في الجيشين المتحاربين والجيوش الاخري في العالم.ولا يجب ان ننسي تدريب الجيش على حرب الجماعات وشركات الامن والشوارع فهي اشهر ما يكون في القرن ال21. تحركات الجيش تكون افراد ومجموعات صغير لان تصويب الهدف تجاههم في القرن ال21 اسهل وادق،وعملية تفاديه اصعب.والمعركة لم تصبح ماجهة رجل لرجل او جيش لجيش

فقط،بل اصبحت خطط وتكتيكات وتدريب وتعويد المقاتلين وتفكير شامل ومتكامل لجيشنا ولخصومنا،فقديما كان يتم احتلال الدول لكنها تحصل على الاستقلال ولا يتوقف مواطنيها عن الدفاع عن بلادهم،والان دراسة الشعوب انثروبولوجيا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا..الخ.يضيف من قوتنا للثلث على الاقل.فالدول الغربية خاصة أوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا واوستراليا ليس امامها لتعويض ضعف تحمل المقاتل سوي الاسلحة الحديثة خاصة الطيران،بينما دول الشرق العربي فتستطيع ضحد اي خصم في قتال الميادين خاصة في البر.ويجب هندسة الجيش افراد وقيادات وجموع بمعني قياس قدرات كل مقاتل ومداها الزمني واضافتها لباقي الجيش،من هنا يسهل حساب قوة جيش الخصم افراد وجموع واسلحة بالارقام. وفي الجيش لانريد افراد او ضباط يدخلونه،بل نريد صناعة افراد واشخاص ينفذون المهام المطلوبة لتحقيق النصر على اعداء محتملين بعينهم.كما نريد اعلام وتركيز ضد الجيش وقادة الدولة الخصم لا الشعب،فهذا يعطي جوانب اخلاقية اقوي،وفي المقابل اظهار جرائم الجيش الخصم وقادته تجاهنا وتجاه الاقليم والعالم.يجب ان نراعي الاحمال او اجهاد المقاتلين من افراد وضباط وتوفير كل ما يلزمهم فعقولهم فقط تنصب على المعركة والتحرك في اطار ما هو مخطط له استراتيجيا.والمؤن والاغذية يتناولها المقاتلين بداية من عسكري وانتهاء بالقيادات العليا حتى لو كانوا خارج مسرح العمليات التدريبية او الحربية.واقصد ربط الجنود بقادتهم وحسن معاملتهم،قبل اعطائهم الاوامر لتنفيذها بشكل صارم(طاعة الجنود للقائد = ثقة الجنود في القائد)،وبالتالي انظر لجنودك بعين بلادك لانهم يمثلون انتصارها او هزيمتها فتبسط معهم – ليس بشكل زائد لنه يسرق حضورك منهم-،ولكن لا تؤمن انت او هم الا بالقتال من اجل النصر باقناع ومنطقية.والمهم جدا ان تتحرك وتقرر وتمتلك من خلال جهل وغياب جواسيس الجميع ما عدا قادة الجيش.اما جواسيسك من رجالك ومواطني واعلام ومنشقو الخصم،فهم اهم من ثلث اعداد جيش كامل،خاصة حسن استخدامهم في المعلومات وبث الاشاعات والمشكلات في جيش ودولة الخصم وعلاقتها بدول اخري. اول من يكافأ الجنود والقادة ومن ساهمو من الشعب باموال وشهداء..الخ،وتكون المكافآت مادية ومعنوية،ولوجستية دائمة كانشاء جمعية او وزارة او بنك لشهداء الحرب والمقاتلين.

الجيش الذكي

إن الضحايا يدرجون تحت بند "الخسائر والأضرار المصاحبة للعمليات" ولذا أطلق الباحث تسمية "استراتيجية البركان - الحرب القذرة على الحروب المعاصرة (الحرب غير المقيدة) التي فتكت بالبشرية وتسير بشعوبها إلى الفناء. يستوجب لتحقيق دينامكية الحروب المعاصرة, وجود قيادات عسكرية حرفية متطورة ومرنة قادرة على تهيئة المتطلبات الأساسية للحرب والقدرة على اتخاذ القرار الصائب لتحقيق غايات الحرب, وفي الغالب ينتخب القادة السياسيين والعسكريين الأهداف والغايات الاستراتيجية للحرب لتحقيق "الإنجاز الرئيسي" والذي يخضع لمعايير الربح والخسارة والكلفة والتأثير وكذلك لإعادة التقييم المستمر ولمقاييس النجاح والفشل، ولتحقيق ذلك يتطلب وجود قوات مسلحة مدربة ذات مرونة عالية لها قابلية الحركة ويفترض إنها من الحداثة تنتهج فلسفة نظرية "الجيش الذكي "ويتميز الجيش الصغير الذكي بالقدرات الجوية والصاروخية الذكية, وخفة الحركة والقدرة على نقل المتفجرات جوا وبكافة الوسائل (مكننة الحرب) والهيمنة على الفضاء وباستخدام منظومة المعلومات المتطورة(ثورة المعلومات) التي تؤمن الإسناد ألمعلوماتي المباشر واللحظي لميدان المعركة ومسح دقيق لمسارح الحركات الأخرى الغرض منه تامين تنقل آمن للقوات الحربية إلى الهدف بأقل الخسائر وبأسرع وقت لتحقيق الانهيار الادراكي لقوات الخصم, مع تامين القدرات اللوجستية التي تلبي المتطلبات الحربية للقوات المسلحة في مسارح الحركات,ناهيك عن ضمان جاهزية قدرة الردع الاستراتيجي(النووية,البايولوجية,الكيماوية..الخ),وعلى سبيل المثال يمكن قياس ذلك من الناحية التقنية على القوة الحربية الأمريكية, خصوصا أن الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بتفوُّق نووي ولديها سلاح جوي متطور ومتفوق عالميا وقوات بحرية قوية، وتسعى لممارسة النفوذ العسكري حول العالم عبر شبكة قواعدها وأساطيلها المنتشرة, وتفوُّق في استغلال التطبيقات العسكرية للتقنيات المتقدمة في مجالي الاتصالات والمعلومات، وتمتلك قدرة على التنسيق ومعالجة المعلومات المتاحة عن مسرح العمليات، وكذلك القدرة على تدمير أهداف محددة عن بعد.أصبح "الفن الإستراتيجي " أكثر اتساعاً وشمولاً، ليشمل المجالات التخصصية السياسية ,العسكرية ,الاقتصادية ,الاجتماعية ،الإعلامية..الخ, وظهرت مستويات مختلفة للإستراتيجية تنفرد بمصطلحات تخصصية ترتبط بالإستراتيجية الشاملة/ القومية/ العليا، أو سياسة الأمن

القومي للدولة، والسياسات والإستراتيجيات التخصصية متعددة ومنها الإستراتيجية العسكرية, ومع ظهور المتغيرات العالمية في ساحة الصراع، ودخول العالم في حرب الهيمنة على الذرة والفضاء الخارجي والمعلومات وحرب الموارد والطاقة، ظهرت أساليب إستراتيجية جديدة مثل إستراتيجية الردع، الردع الشامل والانتقام الجسيم،الرعب, الحصر والاحتواء، الرد المرن، الردع والدفاع الوقائي، الحرب الشاملة، القضمات،الحروب الاستباقية الخ. وتغيرت نظريات الإستراتيجية العسكرية بتطور الأفكار الإستراتيجية بما يتناسب مع متغيرات الصراع, ولا يزال البعض من مفاصلها يستند على نظريات الإستراتيجية العسكرية التقليدية وخبرة الحروب السابقة رغم تغيير المعطيات. ومن البديهي أنه لكل دولة إستراتيجية عسكرية موائمة لسياستها وأهدافها وغاياتها القومية. وفي مطلع القرن الحادي والعشرين ساد فكر عسكري حديث ينتهج خصخصة الحرب يغلب عليه منحى شمولية الحرب"الحرب الحرة غير المقيدة" وتوسيع مسارح الحركات لتشمل المجتمعات والشعوب دون تمييز, باستخدام أسلحة الحرب الحديثة والمتطورة تكنولوجيا والتي تلقي بظلالها على الفكر الإستراتيجي العسكري وتفقده القييم العسكرية التقليدية وتهشم شرف الجندية الذي طالما اتسمت به القيم العسكرية في العالم. وصناعة الاستراتيجية الأمريكية كونها الدولة المحورية في العالم ولاعب جيواستراتيجي مؤثر في مسرح الصراع الدولي, وتملك القدرة العسكرية. وقد استخدمت عناصر الحرب القذرة بشكل واسع ومركز ومنظم مطلع القرن الحالي,لذا ليس هناك استراتيجية أمريكية واحدة شاملة ولكن هناك مجموعة من النظم الاستراتيجية , واستراتيجية عليا تتصف بالثبات النسبي, واستراتيجيات وسيطة أقل ثباتا وأكثر تعرضا للمراجعة والتقييم, وخطط أساسية وبديلة, ويضطلع بوضع الاستراتيجيات منظومة واسعة , تتكون من دوائر القرار الملحقة بالبيت الأبيض ,ومستشارية الأمن القومي ,وزارتي الدفاع والخارجية, ودوائر أوسع تتضمن مراكز البحوث الاستراتيجية والسياسية والجامعات والمنتديات المشتركة (تضم مدراء شركات ومسئولين كبار سابقين ومسئولين حاليين وأكاديميين)، ويعمل ذلك الجهاز الضخم بتناسق وفعالية رصينة باستخدام أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا المعلومات والعلوم السياسية العسكرية والاجتماعية والإنسانية لرسم الملامح الاستراتيجية للسياسة الأمريكية. تعتبر الحروب الاستباقية احد محاور الحرب القذرة وعلى سبيل المثال انتهجت الولايات المتحدة الأمريكية "استراتيجية الحروب الاستباقية"

لحرق واختزال مراحل "استراتيجية الوصول" إلى الشرق الأوسط ومنابع النفط عبر استراتيجيات وسيطة مركبة,خصوصا بعد اختفاء التهديد السوفيتي وانفرادها بالعالم كقوة عسكرية كبرى "القطب الصلب الأوحد في العالم",وكانت قد تمكنت من حشد مايقارب33دولة في حرب الخليج الثانية عام 1991ضد العراق , وحققت في حينها المرحلة الثانية من "استراتيجية الوصول" إلى المنطقة والهيمنة على منابع النفط وتعزيز قواعدها العسكرية في الخليج تمهيدا لغلق المنطقة عسكريا خصوصا بعد غزو العراق عام2003 وحرق المحور الجيوسياسي الأهم في الدول العربية, وهناك وثائق سرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية قدمها "جيمس شلينزنجر" وزير الدفاع الأمريكي في السبعينيات وهي من اخطر الوثائق التي تشير إلى الاستراتيجية الأمريكية العليا توضح عدد من الاستراتيجيات التخصصية تجاه الدول العربية بصورة عامة وتشمل الوثائق:- خطط تامين منابع النفط- استراتيجية استخدام القوات المسلحة- حجم القوات المقترحة لإدارة العمليات العسكرية في الخليج والهيمنة على منابع النفط- إيجاد السبل والمبررات لتواجد القوات العسكرية الأمريكية في منطقة الخليج والشرق الأوسط, وتفتيت دول الطوق العربي وإخراج العرب كلاعب جيواستراتيجي من معادلة الصراع في العالم. والقيم الاستراتيجية الحربية الجديدة تتطابق مع التطبيقات الحربية المعاصرة بـ "استراتيجية البركان- الحرب القذرة " مستوحيا الظاهرة الطبيعية للبركان بدء من مرحلة الهيجان مرورا بقذف الحمم وانتهاء بـ"ثورة البركان " التي تجتاح كل شيء حي, وتجعل من الأرض الصالحة ارض مدمرة ومهدمة ومحترقة غير صالحة للحياة, وهذا يتطابق مع واقع الأحداث للحروب المعاصرة وأثارها المدمرة على الدول والشعوب. والعناصر الاستراتيجية الحربية تشكل في حشدها وتلاحكها وتأثيراتها ونتائجها ما يشابه "ثورة البركان " مع الفرق أن البركان ظاهرة طبيعية والحرب صناعة بشرية وكلاهما يخلف دمار كاسح, كما أن القيم الحربية الحديثة تعزز شهوة القتل السادي وتجعل من الشعب الأعزل وقود للحرب وحقل تجارب لشركات السلاح , وبذلك تسقط المهنية والحرفية العسكرية في فخ السقوط الأخلاقي والإنساني واغتيال قييم الجندية ومنهجيتها العسكرية التي يفترض أنها تنصر الضعفاء وتحمي الشعوب من التهديد وتحقق الاستقرار النفسي. خصوصاً أن إدراك حجم التعشيق للمخططات والاستراتيجيات تصنع مع سبق الإصرار والترصد عبر منظومات وأنظمة وشركات تشترك في تهيئة البيئة والمناخ

المناسب للحروب القذرة،وبالتالي تؤدي إلى فناء الدول والشعوب الضعيفة. وتشير تعاليم الدين الإسلامي وفي عصر النهضة الفكرية إلى مفاهيم أساسية عامة تحقق إمكانية الوصول إلى القوانين الحاكمة لشتى ظواهر الحياة الاجتماعية والنشاط البشري وحالة الحرب والسلم ,وتقر جميع الأديان بقدسية الإنسان في نصوص الكتب السماوية والتشريعات الوضعية ,على العكس من ذلك انطلق عدد من دعاة "صدام الحضارات" وسماسرة الأفكار والأيديولوجيات لإعلان حرب التبشير الديني من على ظهور الدبابات وباستخدام استراتيجيات مركبة لإذكاء احتراب الأفكار والعقائد والأديان والحضارات وبمنحى اقتصادي, واستخدم جنرالات الحرب مفاهيم حربية معاكسة تماما نابعة من أيديولوجية دينية متشددة, أبرزها احترابا ودموية في هذا العقد أفكار التشدد الديني والتي جعلت الإنسان والمجتمعات والشعوب وقود الحرب سواء باستخدام فلسفة "الصادم والمريع"والقتل الشامل القاسي باستخدام القدرات الذكية والفضائية والنووية المحدودة لتحقيق حالة الانهيار الادراكي للشعوب والمجتمعات وتفتيت البني التحتية الاجتماعية عبر الحروب الأهلية.

قتال الجبال والغابات

قتال الجبال وقتال الغابات والقتال داخل المدن وسواها بعيدة عن الأضواء، وليس لها نصيب كبير من الألق والشهرة، حتى كأن فن الحرب قد أسقط من حسابه مثل هذه الأعمال القتالية رغم أهميتها وصعوباتها وما تحققه من نتائج قد تكون قريبة من تخوم المعركة الحاسمة، أو قد تكون أكبر من نتائج تلك المعركة الحاسمة. استطاع قادة الحرب إحراز قصب السبق قبل زمن طويل من تعامل علماء الطبوغرافيا والجيواستراتيجيا مع الجبال فهم - بحكم معاناتهم القاسية، ومن خلال خبراتهم المكتسبة والمتراكمة استطاعوا التمييز الواضح بين الجبال،و من طبيعة الأمور أن تتباين طرق التعامل مع الجبال في الأعمال القتالية بحسب خصائص تلك الجبال ومميزاتها الطبيعية والصناعية وما يتوافر لها من المحاسن والمساوئ للأعمال القتالية الهجومية أو الدفاعية الثابتة أو التأخيرية (المؤقتة). ولكن،هناك قواسم مشتركة أو مبادئ عامة تنطبق على معظم الأعمال القتالية في الجبال، ومن أكثرها أهمية بحسب تجارب الحروب، ما يلي:

1- خداع النظر وصعوبات التقدير، إذ من المعروف أن الأجسام تبدو أصغر حجماً وأكثر بعداً عند النظر من الأسفل إلى الأعلى، فيما تكون الأمور مناقضة لذلك عند النظر من الأعلى إلى الأسفل. ويصبح من الصعب على سبيل المثال إحكام الأسلحة ذات الرمي المستقيم عند التعامل مع أهداف متباعدة بالعمق (وحتى الأسلحة الفردية عندما تكون الأهداف بعيدة نسبياً). ويمكن على كل حال الحصول على نوع من الدقة في تقدير المسافات بالاعتماد على وسائل للمقارنة (شواخص ومؤشرات أو باللجوء إلى التقنية (مقدرات المسافات والمناظير المجهزة بالأشعة الليزرية أو الأشعة تحت الحمراء للرؤيا الليلية وسواها).

2- ضيق أفق الرصد، ووفرة المباغتات، حيث تتوافر في المناطق الجبلية، حتى ما كان منها من نوع التلال والهضاب، ثنايا كثيرة وتعرجات مختلفة، وتباين كبير بين المنحدرات مما يسمح للقوات المنتشرة في الجبال، والتي تتقن أعمال الإخفاء والتمويه واستثمار الطبيعة الطبوغرافية للأرض، أن تظهر في الوقت المناسب لتوجه ضرباتها القاتلة والمدمرة لقوات الخصم. وقد تتمكن القوات المتقدمة في الجبال من تنظيم شبكاتها الاستطلاعية بشكل محكم، وقد تنجح في توسيع أفق الرصد قدر استطاعتها لضمان أمن القوات، ولكن يبقى هناك مجال واسع في الأعمال القتالية الجبلية لتحقيق أنواع كثيرة من المباغتات.

3- صعوبة اختيار محاور العمليات، ذلك أن المسالك والدروب عبر شعاب الجبال ووديانها عادة ما تتشكل عبر أزمنة متطاولة، فيفرض على الإنسان المقاتل استخدام ما هو

متوافر من الطرق والمسالك، والعمل على تحسينها وتطويرها من أجل تلبية متطلبات التحركات العسكرية الكبيرة والكثيفة. ولقد أصبحت الوسائل الهندسية المتوافرة (الجرافات والحفارات وآلات التسوية..إلخ) قادرة على تقديم المساعدات الضرورية لشق الطرق، وصنع محاور جديدة للعمليات، ولكن ذلك يحتاج إلى مزيد من الوقت، وهو ما يتناقض مع متطلبات الحركة (السرية والكتمان) كما أن التزام القوات بمحاور محددة تفرضها الطبيعة الجبلية، تجعل هذه المحاور هي الأكثر عرضة للتهديد والخطر، لأنها تستقطب إليها جهود القوات المتصارعة على مسرح العمليات.

4- صعوبة الأعمال القتالية الجبلية، فالأعمال الهجومية في الجبال تحتاج لإعداد خاص. وتدريب شاق نظراً لما يفرضه التحرّك في الجبال والمناورة من جهد كبير كما أن الأعمال الدفاعية تحتاج بدورها للتكيّف مع احتمالات نقص المياه والموارد الغذائية، علاوة على تبدلات الأحوال المناخية، وأحياناً توافر الحيوانات المفترسة، مما يجعل الأعمال القتالية الجبلية مميزة بصعوباتها ومشاقها، والتي تتزايد مع تزايد حجم القوات وتنوع وحداتها المقاتلة، وما هو مقترن بالطبيعة الخاصة للجبال، ولهذا لم يكن غريباً أن يتم في الجيوش الكبرى إعداد وحدات جبلية خاصة لقتال الجبال (مثل بلاد الشمال الأوروبي).

5- ضرورة التحصين الهندسي للأرض، إذ تبدو أهمية هذا التحصين واضحة لدعم الطبيعة الحصينة للأرض، وللإفادة من ميزاتها حتى أبعد الحدود، فاستخدام الموانع الصناعية، وزرع بعض الألغام في مناطق يتم اختيارها بصورة جيدة، وإعدادها لتدمير بعض النقاط أو الحواجز التي تشكّل عند تدميرها سدوداً قوية، وكذلك إنشاء المقار الميدانية وتنظيم شبكات الخنادق وخنادق المواصلات وإقامة المستودعات في أعماق الجبال؛ كل ذلك يمكن اعتباره ضرورياً لزيادة قوة المواقع الحاكمة، وتسهيل التحرّكات والمناورات وضمان أمن القوات. ويبدو أن هذا التحصين الهندسي للأرض هو أكثر سهولة وأكبر فاعلية في الجبال منه في السهول أو على السواحل أو في أية مناطق قتالية أخرى بما في ذلك التنظيم الدفاعي على تخوم الغابات وسواها نظراً لإمكانات التحكّم بمحاور العمليات.

6- التنظيم الإداري والإمداد، فالقوات المقاتلة في الجبال قد تجد نفسها في أحيان كثيرة تحت دائرة الحصار، وفي حالة من العزلة، مما يرغمها على الصمود قدر المستطاع، وحتى أعلى درجات الصمود، مع الاستمرار في المقاومة العنيدة. وهي بالتالي تحتاج لمخزون كبير من الذخائر المتنوعة، والمواد التموينية، والمياه؛ لاسيما أن الإمداد جواً ليس مضموناً بصورة دائمة ولا ثابتة، كما أن تحرّك القوات البرية لإنقاذ القوات الواقعة تحت قبضة الحصار قد تتأخر لبعض الوقت لأسباب كثيرة تفرضها الأعمال القتالية على امتداد مسارح العمليات.

ولابد هنا من تذكّر حقيقة أن القوات الجبلية هي قوات ذات تسليح خاص، وتجهيز

يتناسب مع طبيعة الجبال.فعملية التنظيم الإداري والإمداد للقوات الجبلية هي عملية دقيقة، وذات أهمية كبيرة، إذ برهنت التجارب التاريخية منذ أقدم العصور أن الأعمال القتالية الجبلية كثيراً ما تحولت إلى كوارث ونكبات بسبب ضعف التنظيم الإداري أوغيابه. ويبقى هناك مجال رحب لمبادئ حرب الجبال وقواعدها تبعاً لخصائص الجبال ذاتها، ونقدم تجارب القلاع والتحصينات القديمة دروساً مهمة وذات قيمة ثابتة حتى في عصر ثورة المعلوماتية، فتلك القلاع والتحصينات غالباً ما كانت تحتل مواقعها فوق قمم الجبال، أو عند ذراها الاستراتيجية، أو عند الممرات الإجبارية والمواقع الحاكمة، وكانت القلاع والحصون بمثابة مدن عسكرية مجهزة بكل المتطلبات الضرورية لدفاع طويل الأمد، ولمعركة ضاربة، وليس ذلك يؤكد حقيقة التكامل بين وسائل الدفاع الطبيعية في الجبال ووسائل التحصين الصناعية وحسب، وإنما يؤكد أيضاً حقيقة العلاقة بين قتال الجبال وقيمة العامل الجيواستراتيجي المتوافر في قتال المناطق الصعبة.

وتجربة حرب البلقان في الحرب العالمية الثانية عُدّت من وجهة نظر أوروبا على الأقل من أغنى تجارب الحروب الجبلية بالدروس التطبيقية لمبادئ الحرب وقواعدها، وفي الواقع، فإن احتلال القوات الألمانية لأقطار أوروبا الغربية، قد اقترن بتنظيم المقاومة من قبل الحلفاء (بريطانيا وأمريكا وروسيا) وكانت جبال فرنسا والبلادالمنخفضة مسرحاً للأعمال القتالية الجبلية التي كانت تعتمد على العمليات الصغرى،الكمائن والإغارات والأعمال التخريبية وتوجيه الضربات باستمرار لقوات الاحتلال. وتبرز أهمية الأعمال القتالية في الجبال ودورها في استنزاف قدرة الجيوش الألمانية مادياً ومعنوياً.

غير أن حروب البلقان بقيادة المارشال جوزيف بروز تيتو قد تميزت عن بقية الأعمال القتالية الأوروبية بعدد من الخصائص، لعل من أهمها: استثمارها الرائع لطبيعة البلاد الجبلية، وتنظيم البلاد وربط بعضها ببعض بشبكة محكمة، والكفاءة العالية في اختيار الأهداف، وتنظيم الأعمال القتالية في حدود الزمن والمكان المناسبين، وهذا ما أرغم القيادة الألمانية على زج أفضل تشكيلاتها القتالية على مسرح البلقان، فساعد على تخفيف الضغط الألماني عن الجبهة الشرقية (السوفيتية) في أصعب مراحل الحرب وأشدها قسوة وعنفاً، وهو ما ساعد قيادة الحلفاء أيضاً على تنظيم عملياتهم بداية من شمال أفريقيا ونهاية بصقليا وإيطاليا. وإذا كانت تجربة حرب البلقان قد عدّت نموذجاً للحرب ضد جيوش نظامية في مناطق جبلية، فإن هذه الحرب قد تطورت عبر الصراع المسلح عندما تحولت فصائل قوات البلقان إلى جيوش نظامية أيضاً تمتلك الأسلحة الثقيلة وتخوض معاركها على جبهات واسعة؛ مما أبرز إمكانات خوض معارك الجبال في إطارحروب جيوش نظامية. وقد جاءت حروب ما بعد الحرب العالمية الثانية (والمصنفة في إطار الحروب الثورية) لتسير على هذا الاتجاه ذاته، بمعنى إطلاق شرارة الحرب بقوات

مقاومة غير نظامية، ثم التحوّل إلى حرب بجيوش نظامية تكون الجبال هي المسرح الرئيس لأعمالها القتالية. ولقد كانت الحرب الفيتنامية والحرب الجزائرية نموذجاً لهذه الحروب المتطورة. من هنا لابد من تنظيم قوات خاصة للأعمال القتالية الجبلية، حيث تتوافر الكهوف والمغائر والأنفاق والملاجئ، ويعدّ تنظيم (الجرذان الخضراء) نموذجاً لمثل هذه التنظيمات التي يمكن إعدادها تبعاً لطبيعة الجبال، فالوحدات الجبلية في النرويج والسويد مثلاً تعتمد على فرق المتزلجين، فيما تعتمد الوحدات الجبلية الروسية على وحدات المغاوير والقوات المنقولة جواً. والملامح العامة لقتال الجبال في حالات الدفاع والهجوم:

ففي حالات الدفاع: عادة ما يتم اختيار المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية مثل محاور العمليات وطرق المواصلات والمراكز ذات الأهمية الخاصة كالمصانع والمنشآت العلمية ودور الصناعة الحربية إلخ حيث تقوم القوات عندها بالاستناد إلى الموانع الجبلية القوية ويتم تحصينها هندسياً، ويكون الخط الدفاعي الأول والخطوط التالية عند خطوط تبدلالمنحدرات، مما يسمح باستثمار خصائص الأسلحة ذات الرمي المستقيم (لغمر منطقة القتل بكثافة نارية عالية).ولابد من أن يضمن مثل هذا التنظيم الدفاعي الحماية من كل الجهات (نقاط الاستناد المغلقة والمواقع الدفاعية المتباعدة) وذلك بحسب ما تفرضه طبيعة الأرض ذاتها؛ وفي مثل هذه الأحوال لا يعدّ سقوط أحد المواقع الدفاعية كارثة أو نكبة لمسرح العمليات، إذ باستطاعة بقية المواقع الدفاعية الاستمرار في المقاومة، والتعامل مع (الثغرة) التي سقطت من النطاق الدفاعي بعزلها وتطويقها وتوجيه الضربات النارية إليها حتى يتم استعادتها بالهجمات المضادة وإعادة التوازن المفقود للنطاق الدفاعي. أما في حالات الهجوم: فقد جاءت التقنية لتضمن للقوات حرية الحركة أرضاً وجواً، ولم تعد العوائق الجبلية ولا السدود والموانع والتحصينات مهما بلغت من القوة والمنعة بعيدة عن الضربات النارية، ولا قادرة على منع قوات الهجوم من الوصول إلى أهدافها مباشرة. فماذا يعني ذلك كله؟ وهل يعني أن الدفاع في الجبال والهجوم قد وصل إلى حالة الممانعة، بحيث أصبح القتال الجبلي عقيماً وغير مفيد. وحربي الشيشان الأولى والثانية، استطاعت المقاومة الشيشانية تطبيق مبادئ وأسس حرب الجبال بصورة رائعة لاستنزاف القوة العسكرية الروسية، وأمكن لها الإفادة من الظروف الدولية، ومن الظروف الداخلية الروسية (ظروف التحوّلات العالمية الكبرى) لتحقيق التوازن بين العمل العسكري والعمل السياسي، مما أرغم القيادة الروسية على بذل جهود للوصول إلى (هدنة مؤقتة) أفادت منها روسيا أكثر مما أفادت منها القيادة الشيشانية لإعادة تنظيم العمل السياسي (الدولي) والعمل العسكري. وقد كانت القيادة الشيشانيةتضع في اعتبارها احتمال غدر القيادة الروسية للاتفاقات السياسية والعسكرية

التي تم الوصول إليها، فعملت على بذل جهود كبيرة لتحصين المواقع الجبلية هندسياً، ولتنظيم الملاجئ ومراكز القيادات الميدانية ومستودعات الأسلحة والذخائر والمواد التموينية... إلخ.

وعندما بدأت حرب الشيشان الثانية، كانت القيادة الروسية قد استوعبت دروس تجربة الحرب الشيشانية الأولى، فقسمت البلاد إلى دوائر وإلى قطاعات يتم اقتحامها وإعادة الاستيلاء عليها عبر مراحل قتالية متتالية، كما أفادت القيادة الروسية أيضاً من دروس (حرب كوسوفو) لزيادة الاعتماد على التقنية الحديثة وعلى وسائط الحركة الجوية وزيادة كثافة الدعم الناري للقوات البرية. وعلى الرغم من التفوق الساحق للقوات الروسية بالقوى والوسائط القتالية، فقد استطاعت المقاومة الشيشانية الإفادة من قوة التحصينات والمواقع الجبلية، ومن الدعم الشعبي القوي، للصمود طويلاً، واستنزاف القدرة الروسية معنوياً ومادياً بدرجة كبيرة. ولقد برهنت التجربة من جديد على أهمية اقتران العمل السياسي بالعمل العسكري في هذا النوع من القتال، إذ ظهر واضحاً منذ بداية الجولة الثانية لهذه الحرب أنه من الصعب الوصول إلى نصر عسكري شيشاني، ولكن، وبالمقدار ذاته، فقد أثبت استمرار المقاومة ولو بمعدل منخفض أنه لابد في النهاية من الوصول إلى تسوية تكون نتائجها لمصلحة المقاومة ولمصلحة شعب الشيشان. وبقي للعامل الجبلي دوره الحاسم في هذا النوع من الحروب، إذ على الرغم من قدرة القوات الروسية على تحويل البلاد إلى مجموعات متناثرة من الأنقاض، فإن المقاومة الشيشانية استمرت في متابعة صراعها لبلوغ أهدافها. حرب الجبال ستبقى محتفظة بمبادئها وأسسها على الرغم من تدخّل التقنية للحد من صعوبات هذا النوع من الحروب، وعلى الرغم أيضاً من تعاظم القدرات لتجنب الأعمال القتالية في الجبال، إلا أن الجبال ستبقى محتفظة بقيمتها الاستراتيجية حتى لو انتقصت التقانة من هذه القيمة، أو استلبتها بعض أهميتها، ففي الظروف غير الطبيعية للحروب، وعندما تتفجر الأعمال القتالية بين قوى غير متكافئة ولا متوازنة، لا يكون هناك أمام الطرف الأضعف أو الأقل تسلحاً وتقنية من سبيل إلا سبيل تطوير المقاومة باستنفار كل عوامل القتال والعوامل المساعدة (جيواستراتيجياً وبشرياً وفكرياً ومناخياً.. إلخ) لزيادة الصعوبات أمام أعمال القوات المعتمدة على عوامل تفوقها المادية، ولهذا فقد عالجت المدارس العسكرية في العالم قضية الحروب المحدودة في أفق المستقبل من خلال زوايا متعددة، ربما كان في طليعتها العامل الديني أو العامل العقائدي، والقدرة على استنفار مواهب العقل والإبداع للتغلّب على نقاط الضعف الذاتية، واستلال عوامل التفوق من الخصم أو إبطالها، وذلك هو بإيجاز محور (الإرادات المتصارعة) والتي تعدّ حرب الجبال نوعاً متلاحماً بكل أنواع الحروب وفي كل أرجاء الأرض.

المراجع والمصادر

1- المراجع والمصادر العربية

* كريستوفر لين: ترجمة أديب يوسف شيش,إعادة صياغة الاستراتيجية الأمريكية الكبرى زعامة في القرن الحادي والعشرين أم توازن قوى ؟
* المشير عبدالحليم أبو غزالة : تاريخ فن الحرب- الانتصارات العربية في صدر الإسلام- ودرع وعاصفة الصحراء- الحرب العراقية الإيرانية- وانطلقت المدافع عند الظهيرة- حرب الخليج والأمن القومي العربي
* الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون: 1999 نصر بلا حرب,ترجمة المشير عبدالحليم ابو غزالة
* سونج قيانج: الصين تستطيع أن تقول لا,1996
* العقيد كينيث سي .كونز، الإبن, العقيد جلن إم .هارند: الحرب غير النظامية هي حرب, تقرير إستعراض الدفاع ٢٠٠٦ - ٢٠١٠(QDR)
* الدكتور حازم الببلاوي:النظام الاقتصادي الدولي المعاصر, من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة
* إسماعيل صبري مقلد :تحركات العملاقين على طريق الوفاق , السياسة الدولية,العدد39,يناير1975
* الدكتور ميتشيو كاكو:رؤي مستقبلية،جامعة اكسفورد،1998،ترجمة الدكتور سعد الدين خرفان،عالم المعرفة،يونيو 2001
* آن ماري سلوتر:نظام عالمي جديد،ترجمة احمد محمود،المركز القومي للترجمة،2011،ط1
* بيتر دركر:تحديات الادارة في القرن الحادي والعشرين,2000
* جيمس دوفرتي ,وروبرت بالنسغراف:النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية,ترجمة الدكتور وليد عبدالحي,كاظمة للنشر,1985
*عدد كبير من الخبراء :مركز الراصد للدراسات السياسية والإستراتيجية,الدور المرتقب للقوات الأمريكية في إفريقيا – قوات" أفريكوم"(الآثار –الإنعكاسات – الخيارات)
*الدكتور جورج قرم: في مواجهة الوحش حروب القرن الواحد والعشرين,31 يناير2011
* إتش جي ويلز :رواية العالم تحرر, 1913, رواية حرب العوالم, 1898
*الدكتورالسيد حسين:قناة السويس والطرق البديلة والمنافسة،المؤتمر الدولي للنقل البحري واللوجستيات،17-19 مايو 2013
* هرمان كان وأنطون فينر :العالم سنة ٢٠٠٠ ،معهد هدسون،1967
* دراسات مشتركة لألفن وهايدي توفلر : نحو بناء حضارة جديدة – سياسات الموجة الثالثة، صدمة المستقبل،1970،1980
* ألفن توفلر:الموجة الثالثة
* الدكتورة ميريام جروسمان:الإباحية ليست حل،ترجمة وائل الهلاوي،دار سطور،2011
*شيماء منير:تقرير عنوانه ازمة القمامة في مصر..وحلول مطروحة للتنفيذ،مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية،سبتمبر 2009
*الدكتور محمد مصطفي الخياط:الطاقة لعبة الكبار،دار سطور الجديدة،2012
* إيمان عبد العظيم :جوزيف ناي في ندوة خاصة بمركز شتهام هاوسChatham House البريطاني حول كتابه "مستقبل القوة" " The Future Of The Power"
* ألفن توفلر : كتاب صدمة المستقبل
* صفات أمين سلامة: أسلحة حروب المستقبل بين الخيال والواقع, قراءة على القحيص,صحيفة المستقبل
* أسامة غربي، الشركات الأمنية الدولية الخاصة: ظاهرة من ظواهر العولمة، جامعة المدية، بدون تاريخ.
* ألفين توفلر :سلطة المعرفة- صدمة المستقبل- الموجة الثالثة
* ألفين وهايدي توفلر : الحرب وضد الحرب، صدرت ترجمته إلى العربية عام 2000 , دار المعارف
* نيوت غنجريش :دليل المواطن للقرن الحادي والعشرين
*الدكتور كلود يونان:التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي العام،دار النهضة العربية
* صلاح الدين يوسف: الإستراتيجيات الصينية الـ36(الفنُّ السرّي للحرب)-السياسة الحربية،8 اغسطس 2011
*مستقبلنا المشترك:اعداد اللجنة العالمية للبيئة والتنمية،تأليف محمد كامل عارف،مراجعة الدكتور على حسين حجاج،عالم المعرفة،اكتوبر1989
* روبرت كاغان: العالم الذي صنعته أمريكا،2012
*سيدعوض:بحث بعنوان الجسرالقاري الاوربي-الاسيوي الثاني(طريق الحرير)،القي البحث في ندوة ببورسعيد،2000
*الدكتور طارق المجذوب: الطائرات بلا طيّار كوسيلة حرب (ملاحظات أوليّة عسكريّة – قانونيّة, مجلة الدفاع الوطني, 1 اكتوبر 2012
*الدكتور أنور عبدالملك:تغيير العالم،عالم المعرفة،نوفمبر 1985
* زبيغنيو بريجنسكي :رؤية استراتيجية: أميركا وأزمة السلطة العالمية
*بيير بورديو:التليفزيون وليات التلاعب بالعقول،ترجمة درويش الحلوجي،دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الاعلامية،2004،ط1
* عادل عبد الصادق: أمريكا وتشكيل قيادة عسكرية في الفضاء الالكتروني..هل بدأ الاستعداد لحروب المستقبل ؟, مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية,13 اغسطس 2011
*ميلتون فريدمان:الراسمالية والحرية

*نعوم تشومسكي وادوارد س هيرمن:صناعة الموافقة والرضا،1988
*malik sadame:رؤية لمستقبل الفضاء العسكري ؟ ,القسم المواضيع العسكرية العامةGeneral military subjects
* هارالد فالتسر :حروب المناخ: دار السيد للنشر, إبريل 2008
* هانس بالدويد: استراتيجية الغد,ترجمة الدكتور محمود خيري بنونه
*الدول الأكثر نفاق في السلاح:موقع قناة روسيا اليوم ووكالات الأنباء،2014
* لتحليل منظم أنظر جي .ريس، " الإمبريالية :العولمة والدولة والحرب"،الاشتراآية الأمية 2001
* توماس بيكيتي : رأس المال في القرن الحادي والعشرين،2014
*وليم هلال وكينث ب تايلور:اقتصاد القرن الحادي والعشرين،ترجمة الدكتورحسن عبدالله والدكتور عبدالوهاب حميد،المنظمة العربية للترجمة،توزيع مركز دراسات الوحدة العربية،مارس 2009،ط1
*جون بولوك وعادل درويش :حروب المياه :الصراعات القادمة في الشرق الاوسط، ترجمة عبدالحافظ عبداللطيف حمد،الناشر جولانسز،1993
*أنظر على وجه الخصوص أ .كالينيكوس وآخرون، الماركسية والإمبريالية
الجديدة، 1994؛ وجي .أشكار، " الثلاثي الاستراتيجي"، المعاد طبعه في ط.
. علي محرر، أسياد الكون ؟، 2000
*الدكتور عبدالناصر جندلي: النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغييرفي ظل تحولات عالم مابعد الحرب الباردة
* بول نيزان: كلاب الحراسة،1960
* أليكس آالينيكوس: الاستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الأمريكية, العدد 97 من إنترناشيونال سوشياليزم، 2002
* ألفين توفلر : كتاب تحول السلطة
* جوشوا جولدستن،الانتصار في الحرب على الحرب: انحسار الصراع المسلح حول العالم
*ابو بكر ناجي, ادارة التوحش,مركز الدراسات والبحوث الاسلامية
*دانييل بورشتاين,ارنيه دي كيزا: التنين الاكبر,ترجمة شوقي جلال,عالم المعرفة,يوليو 2001
*مارجريت آرشر:الثقافة والقوة
*جيل هوبارد وديفيد ميلر:مرافعات ضد مجموعة الدول الثمان،ترجمة خالد العوض،دار نشر العبيكان،2006
* جيميس بيكر: موقف بوش العسير، الفاينانشيل تايمز، 31 مارس 2001
* استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية، سبتمبر
،. www.whitehouse.gov2002،
* .أ.لايفن :الدفع للحرب، لندن ريفيو أوف بوآس، 3 أكتوبر 2002
* العقيد كينيث سي .كونز الإبن, العقيد جلن إم .هارند: الحرب غير النظامية هي حرب, تقرير إستعراض الدفاع ٢٠١٠ (QDR) ٢٠٠٦ - 2010
*توني بلير :مذهب المجتمع الدولي، خطبة في نادي شيكاغو الاقتصادي22 أبريل1999 .www.fco.gov.uk لرؤية نقدية، أنظر أ . كالينيكوس، ضد
الطريق الثالث ,كيمبريدج، 2003
*نعوم تشومسكي:السيطرة/ البقاء،دار نشر بنجوين،2004
*إمّا ميلر:مشاهدت الجنوب،دار نشر هامبتون
*فرانسيس ستونر سوندرز:الحرب الثقافية الباردة
* العلماء "يقتربون خطوة" من عباءة الإخفاء:موقع مرآت الأحداث،12 اغسطس 2008
*توم بيهان:داريو فو،المسرح الثوري،دار نشر بلوتو،1999
* هو أنطوليو ايشافاريا : حرب الجيل الرابع وأساطير أخرى
* اللواء دكتور نبيل فؤاد :الثورة التكنولوجية وحروب القرن 21 بين الواقع والخيال، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، فبراير 2003
* سي .رايس، حملة 2000 تعزيز المصلحة القومية، فورين أفيرز، يناير/فبراير
2000. على الانترنتwww.foreignpolicy2000.org :
*صلاح الدين عامر:القانون الدولي في عالم مضطرب ,مجلة السياسة الدولية, العدد153,يوليه 2003
*مارك كيرتيس:كتاب الحرمان وكتاب شبكة الخداع،دار نشر فينتاج،2003
*الدكتور عوني شاكر :الطاقة في النظام الاقتصادي العالمي الجديد، منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط - الدورة الثالثة لأساسيات صناعة النفط والغاز -٧ إبريل -٣ مايو ١٩٧٩
*سوزان جورج:عالم آخر ممكن
* انطونيو نيفري ومايكل هاردت:الامبرارطورية
* الشيخ عبدالله بن ناصر الراشد:الاسس العقائدية لاستهداف البترول،2004
*كولين ليز:السياسة التي تحركها السوق،دار نشر فيرسو،2001

*ميتشل تانزر :الاقتصاد السياسي للبترول العالمي والبلدان المتخلفة،ترجمة جمال عون،دار الحقيقة،1974
*ارنست جلنر: الفكر والتغيير،وكتاب الامم والقومية
* بيتر باير:الثوابت الدينية وتطور المجتمعات،كتاب العولمة والدين
*مجموعة من العلماء السوفييت :مشكلات التصنيع في البلدان النامية، دار التقدم-موسكو،1974
* اسامة نعمان ومنير الماوري:أسلحة تغير مفهوم القتل والأخلاق والعلاقات الدولية، صحيفة الشرق الاوسط،28 يناير 2005 العدد 9558
*قوة الانتشار السريع: مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية, 1983
* إي.لوتواك: الاستراتيجية، رسالة ماجستير بكيمبريدج،2001 لوتواك وهو واحد من المحافظين الأمريكيين اللامعين والخاصين، هو أول من طور نسخة من المفهوم في" الاستراتيجية الكبرى للإمبراطورية الرومانية) "بالتيمور،1976
*ياسر ابو شبانة:النظام الدولي الجديد,بين الواقع الحالي والتصور الاسلامي ,دار السلام للطباعة والنشر,1998
* أمين معلوف:اختلال العالم،ترجمة ميشال كرم،دار الفارابي،ط2009،1
*مايك فيذر ستون: ثقافة العولمة،ترجمة عبدالوهاب علوب،المركز القومي للترجمة ومهرجان القرءة للجميع(مكتبة الاسرة)،2005
*ريتشارد نيكسون:الحرب الحقيقية
*انطونيوفيجيلاتنتي:البحث عن اسلوب حكم عالم,مجلة السياسة الدولية,العدد153,يوليه 2003
* حسين غباش: اختلال الخليج: عن الهجرة والاستيطان والمستقبل الغامض,27 مارس 2012
*حسن فهمي :دروس للشعوب المنتجة للبترول في مجموعة البحوث والدراسات بالندوة العلمية العالمية (النفط كسلاح) التي نظمها المجلس الوطني للسلم والتضامن في القطر العراقي،١٩٧٢، الدار الوطنية للطباعة والنشر والإعلان، ١٩٧٤
* الدكتور ورويك موراي:جغرافيات العولمة،ترجمة الدكتورسعيد منتاق،عالم المعرفة،فبراير2013
*مارتن جاك:عندما تحكم الصين العالم
*الدكتور عبدالناصر جندلي:النظريات التفسيرية الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة,جامعة الحاج لخضر باتنة,مجلة الفكر العدد الخامس
*انتوني سامبسون :الشقيقات السبع :شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعته، معهد الانماء العربي،ترجمة،سامي هاشم،1974
* ادوارد تايلور:الثقافة البدائية،1871
*تاكيش واتانابا:مخطط الإمبريالية الأمريكية،الخطر وأزمة الطاقة في اليابان، مجلد ندوة بغداد العالمية الثانية،نوفمبر1974
* عمار جفال: قوي ومؤسسات العولمة,2002,العدد107
* محمد بوعشة:التكامل والتنازع في العلاقات الدولية الراهنة,دراسة المفاهيم والنظريات,دار الجيل/ دار الرواد,1999
* كلارك كر:النظرية الصناعية والانسان الصناعي،1962
* محمد عز العرب:مباراة الأمراء، السياسة الدولية،30 يوليو 2012
* ادوارد تايلور:الثقافة البدائية،1871
* مركز العاصفة لهواة الطقس: التحكم في الطقس Weather modification
*روبرت كابلان:مستقبل القوة الامريكية
*من أجل تفاصيل حول الشركات اليابانية في دولة الإمارات،الدكتور مانع سعيد العتيبة البترول واقتصاديات الإمارات العربية المتحدة وزارة الإعلام دولة الإمارات ١٩٧٧ المصالح اليابانية في الكويت نفط الكويت حقائق وأرقام، منشورات وزارة النفط 1977
* مبروك غضبان:المجتمع الدولي,الاصول والتطور والاشخاص,القسم الاول,ديوان المطبوعات الجامعية,1994
* ويل كيمليكا:أوديسا التعددية الثقافية،ترجمة الدكتور امام عبدالفتاح،عالم المعرفة،يونيو2011،وكتاب المواطنة والتعددية الثقافية،1990
* الدكتور اسماعيل صبري :ثورة المعلومات وحروب المستقبل المحتملة,مجلة آفاق المستقبل,يوليو/أغسطس/سبتمبر 2012,العدد 15
* الدكتور محمد الرميحي:النفط والعلاقات الدولية،عالم المعرفة،ابريل 1982
*جرمي ريفكن:نهاية العمل – مشاكل عظيمة
* فريد هاليداي: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية, 2008 ,دار الساقي
*علي حسين باكير: المجال الخامس.. الحروب الإلكترونية في القرن الـ21, 12 يناير 2011,مركز الجزيرة للدراسات
*بيل جيتس:المعلوماتية بعد الانترنت
*ايمن عبدالهادي: قراءة في كتاب جاك أتالي :قصة موجزة عن المستقبل.. العالم عام 2050, 11 مايو 2013
* محمد أحمد النابلسي : سيكولوجية السياسة العربية – العرب والمستقبليات، 27 ديسمبر 1994، Washington Post
*الدراسة التي قدمتها المجموعة البحثية المختصة في دراسة أسباب الحروب في جامعة هامبورغ، صحيفة Frankfurter Allgemeine Zeitung،26 يونيو1996
*سها رجب : البيئة والمحميات الطبيعية في مصر والعالم العربي، دار ايجي مصر للطباعة والنشر،2007
* عبد الرحمن تيشوري: في القرن الجديد كيف يبدو العالم سنة 2050؟,الحوار المتمدن,14 سبتمبر 2005
* خالص جلبي :العالم عام 2050: علم المستقبل والمراهنة التاريخية,1مارس 2005

*هانس بيتر مان وهارالد شومان: فخ العولمة،ترجمة الدكتور عدنان عباس علي،عالم المعرفة،اكتوبر1998
*السيد عبد الفتاح عفيفى : بحوث فى علم الاجتماع المعاصر،دار الفكر العربى، 1996
* فرانكلين دانيال: تغير العالم فى 2050
*خالد عباس : تقييم المخاطر البيئية في منطقة الشرق الأوسط، المؤتمر العلمي الدولي الرابع، الجمعية المصرية للسموم البيئية، سفاجا،2008.
*اشرف الحديدى: مبادرة جديدة للإياتا لبحث مستقبل الطيران حتى 2050, الأهرام اليومى
* محاضرة ريتشارد ديمبلبي : روح جديدة للعمل المشترك في القرن الحادي والعشرين ,كريستين لاغارد مدير عام صندوق النقد الدولي,3 فبراير 2014
* الدكتور عبد المحسن لافي الشمري:مجلس التعاون لدول الخليج وتحدي الحدة,رسالة ما جستير,جامعة الشرق الاوسط ,2012
*وليام هلال,كينث ب تايلر:اقتصاد القرن الحادي والعشرين,ترجمة الدكتور حسن عبدالله بدر,الدكتور عبدالوهاب حميد رشيد,المنظمة العربية للترجمة,مارس 2009,ط1
*كولن كامبيل وفراوكه ليزينبوركس ويورغ شيندار وفيرنر تسيتيل: نهاية عصر البترول,ترجمة الدكتور عدنان عباس علي،عالم الفكر ،سبتمبر2004
*محمود عبد القوي زهرا ن :الإسلام والبيئة، علاقة الإنسان بالتنمية البيئية في صحراء الوطن العربي، المكتبة الأكاديمية،2002
*فهد آل ثاني: دراسات في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا,تطبيقات على دول مجلس التعاون الخليجي,دار صفاء للنشر والتوزيع,2000
*جون ديول انتوني:مجلس التعاون لدول الخليج العربية على مشارف القرن الحادي والعشرين,مركز دراسات الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية,1999
* ثروت بدوي: النظم السياسية,دار النهضة العربية,1989
* طعيمة الجرف:نظرية الدولة والاسس العامة للتنظيم السياسي,مكتبة القاهرة الحديثة
* رياض نجيب: الخليج العربي ورياح التغيير,دراسة في مستقبل القومية العربية والوحدة الديمقراطية,رياض الريس للكتب والنشر,1987
*الاقتصاد السياسي لدول الخليج:التقرير الموجز رقم 3, مركز الدراسات الدولية والاقليمية ,كلية الشؤون الدولية بجامعة جورجتاون في قطر
*فاروق العادلى : المعوقات الاجتماعية للتنمية الصناعية بالتطبيق على بعض الأقطار العربية،بحوث المؤتمر الأول للاجتماعيين حول الأسس الاجتماعية للتنمية فى الوطن العربى،الجمعية الجغرافية للعلوم الاجتماعية
* مجدي كامل: حرب الجواسيس في القرن ال21, قراءة الكتاب الدكتور يحي الشاعر ,صحيفة الوسط,4 مارس 2008
* ديفيد يالوب: كيف سرقوا اللعبة ؟
* اكزافييه غيوم:العلاقات الدولية، ترجمة قاسم المقداد، دار الكتاب العربي،2001
*أحمد حمدي:«سوخوي 35» Vs «إف I35».. سباق الجو بين مصر وإسرائيل ،صحيفة المصري اليوم،14 اغسطس 2014
*أوليدوف : الوعى الاجتماعى،ترجمة ميشيل كيلو، ط 2، دار ابن خلدون،1982
* عبد الجليل زيد المرهون: الخليج وخيار التوازن الاستراتيجي، نمط المعيقات البنيوية، صحيفة الرياض،العدد 13962,الخامس عشر من سبتمبر 2006
* جيمس دورتي، روبرت بالستغراف: النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي،كاظمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى,1985
* أحمد عبد ربه:حروب الجيل الرابع.. ربع قرن من الأساطير،موقع الشروق،6 ابريل 2014
*أسماء زكى محمد : فاعلية بعض استراتيجيات التعلم البنائى الاجتماعى في
تنمية التفكير الابداعى والاتجاه نحو مادة التاريخ لدى طلاب المرحلة الثانوية، رسالة
دكتوراه، كلية البنات للأدات والعلوم التربوية جامعة عين شمس،2007
*الحوار المتمدن: حرب الافيون العالمية الاولى في القرن 21: محاولة السيطرة على العالم عبر السيطرة على سوق المخدرات،2 يوليو 2005،العدد1261
* فريد زكريا: من الثروة إلى القوة، الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، ترجمة رضا خليفة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى,1999
*الدكتور حكيمي توفيق:الحوار النيو واقعي النيو ليبرالي حول مضامين الصعود الصيني,رسالة ماجستير,2007-2008
*ألفت عيد شقير :فعالية كل من برنامج تدريبى وسمة وجهة الضبط على
إكتساب كفايات إدارة الصف لدى الطلاب المعلمية شعبة التعليم الاساسى" ، رسالة
دكتوراه، جامعة طنطا، كلية التربية،1996
*حسام الدين محمد مازن :محاضرات في أصول تعليم العلوم، كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادى،2000
* هنري كيسنجر : سياسة امريكا ودبلوماسية القرن 21, دار النشر:سيمون وسوشستر,2001
* الدكتور ابراهيم دسوقي محمود:التغيرات المناخية ومشكلات المياه بين دول حوض النيل،جامعة جنوب الوادي،2010

* محمد الخولي : عرض كتاب هل تحتاج امريكا سياسة خارجية ؟ ,تأليف الكتاب لهنري كيسنجر,صحيفة البيان الاماراتية,14 و15 يوليو2001, مواقع امازون
* الدكتور فيليب تايلور: قصف العقول, الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي,عالم المعرفة,ترجمة سامي خشبة,ابريل 2000
* احمد عبدالرحيم الخلايلة: العرب والتاثير في النظام العالمي,مجلة دراسات دولية,العدد 21,مركز الدراسات الدولية,2001
*حميد حمد السعون:فوضوية النظام العالمي الجديد واثاره على النظام الاقليمي العربي,دار الطليعة العربية للنشر والتوزيع,2001
*مظفر نذير طالب: الولايات المتحدة الامريكية والنظام الدولي الجديد الواقع والتحديات,مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي,2005,العدد61
* بريجنسكي :كتاب رقعة الشطرنج الكبرى
* هادي زعرور, توازن الرعب,شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
*عدنان خلف حميد,طارق محمد ذنون:الابعاد الدولية لمشروع الدرع الصاروخي الامريكي,نشرة اوراق سياسية,2008,العدد22
* نزار اسماعيل الحيالي:أوروبا وامريكا ,فرضية التنافس على الهيمنة,سلسلة دراسات استراتيجية,مركز الدراسات الدولية,2000
* هيرمان كان والدكتور مارتل والدكتور براون :العلم بعد مائتي عام،ترجمة شريف جلال،عالم المعرفة،يوليو1982
*سعيد الجزائري: المخابرات والعالم,ج2,مكتبة النور
*صلاح الدين حافظ:صراع القوي العظمي حول القرن الأفريقي،عالم المعرفة،يناير 1982
*كولن مويرز:الامبرياليون الجدد،ترجمة معين امام،2008،ط1,العبيكان للنشر
*الحرب اللامتماثلة: تحديات المعركة القادمة في فلسطين، مركز اللغات والترجمة،حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين,2011
* ليستر ثروه:المتطاحنون,ط2,ترجمة محمد فريد,دار الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية,1996
* تعرف بالصور.. أقوى 10 أسلحة مستقبلية في العالم: دنيا الوطن،10نوفمبر2013
*ايفو دالدر,نيكول نيسوتو,فيليب جوردن:هلال الازمات
* الدكتور عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب
* هنري كيسنجر : الزمن الأمريكي: من نيويورك إلى كابول، ترجمة محمد حسنين هيكل, المصرية للنشر العربي والدولي، يونيو 2003
*عبدي عواله جامع:أساس مشكلة القرن الأفريقي
*صامويل هيز وتوماس وليم,تولي القيادة(فن القيادة العسكرية وعملها),المؤسسة العربية للدراسات والنشر,1989,ط2
* سعد محيو: حروب القرن 21 : اللايزر، الجزئيات، ووحدات إمبراطورية "رومانية"
* اللواء وليان أودوم وروبرت دوجاريك :كتاب إمبراطورية امريكا غير المقصودة
* عصر البدائل: محاضرة بمناسبة الذكرى السنوية الحادية عشرة للمؤسسة وألقيت في الدولي الخامس لمؤسسة سياسة العلوم بالمملكة المتحدة،استراتيجية للموارد، الناشر- Eindhoven هولندا -١٨ سبتمبر ١٩٧٥
* جون جالتونج: العوالم الحقيقية
* أدمون رباط: البحر الأحمر وخليج العقبة في مفهوم القانون الدولي المتطور
*مازن بلال: الحرب غير المتوازية "الإرهاب"، مطبعة اليازجي، ط1، 2002
* سعيد ناشيد، ما بعد الحرب العالمية الرابعة، صحيفة السفير البيروتية,14 اغسطس 2010
* لجنة سياسة المواد التابعة لرئيس الولايات المتحدة تقرير بعنوان الموارد من أجل الحرية،مكتب المطبوعات الحكومية - ١٩٥٢. وبالنسبة لأرقام ١٩٧٣ أنظر بيان سيمون د.شتراوس نائب الرئيس التنفيذي، الشركة الأمريكية للصهر والتنقية،إجمالي نقص الموارد في عالم متكافل، جلسة أمام لجنة فرعية بشأن السياسة الاقتصادية الخارجية للجنة الشئون الخارجية.المؤتمر الثالث والتسعون، مايو ١٩٧٤
*ليدل هارت بازل,السيف القلم ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر,1982,ط1
* العماد حسن توركماني: الصراع المعلوماتي: السمة الأساسية لحروب المستقبل، دار الأولى، بدون تاريخ
* عبدالقادر الهواري: الأنثروبولوجيا المستقبلية: مدخل لدراسة مستقبل الشعوب
* رون طيرة: الصراع على طبيعة الحرب القادمة، مركز اللغات والترجمة، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، 2010
* نيل فيرجوسون : عالم من دون قوة ، دروية فورين بوليسي ،يوليو — اغسطس 2012
* دنيس .ل .ميدوز وآخرين: ديناميات النمو في عالم محدود،كامبريدج - ماسا :رايت الف برس،1974
* الدكتور فؤاد مرسي:الرأسمالية تجدد نفسها،عالم المعرفة،مارس 1990
* جاك أتالي: الألفية الجديدة-الرابحون والخاسرون في النظام العالمي القادم، بترجمة الدكتور حسن سعيد عبد العال،المركز القومي للبحوث
* جوزيف و .وليت :قدرة البلدان النامية على مواجهة احتياجاتها الزراعية، بحث ألقاه أمام الجمعية الاقتصادية الزراعية الكندية .كويبيك ٦ /٨ /١٩٧٤
* الدكتور مهند العزاوي: استراتيجية البركان والحرب القذرة،مركز صقر للدراسات الاستراتيجية،يناير 2009
*دونالد كاجان : منشأ الحرب وحفظ السلام
* الدكتور عبدالوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،، دار الشرق، ط1 ,1999

*لواء عدلي حسن سعيد: الأمن القومي العربي واستراتيجية تحقيقه
* إميل لوسو : نظرية الانتفاضة ،ترجمة جوزيف عبد الله ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1984
*جان بيريه,الذكاء والقيم المعنوية في الحرب,المؤسسة العربية للدراسات والنش,1986,ط2
* ناحوم جولدمان : إسرائيل إلى أين ؟، مركز الدراسات الفلسطينية ، ط1980،1
* ميخائيل ميلشتاين: تعاظم تحدي المقاومة وأثره على نظرية الأمن القومي"الإسرائيلي" معهد أبحاث الأمن القومي"الإسرائيلي"، 2010، مركز اللغات والترجمة ، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين
* سون تزو: فن الحرب ،ترجمة رؤف شبايك ،موقع شبايك ،يناير2007

2-المراجع والمصادر الأجنبية:

*David W. Tarr, American Strategy in the Nuclear Age Macmillan N.Y.1967)65-68. The Strategy of Brinkmanship in John Spanier American Foreign Policy since world war
*J.Mackintosh "Strategy and Tactics & Soviet Foreign Policy" Hugh S Waston "Neither war nor peace,
the struggle for power in the post war world"(Praeger, N.Y,1962)
*Stalinism: A pattern for the Communist Interstate System in Zbigniew K. Brwewinski. The Soviet Block Unity and Conflict(Praeger, N.Y.1961
*Robert knake, Cyber War, HarperCollins 2010 * Myriam Dunn Cavelty, CYBERWAR: CONCEPT, STATUS. QUO, AND LIMITATIONS, CSS Analysis in Security Policy, CSS ETH Zurich, No.71, April 2010, at this link:w w w.sta.ethz.ch/content/download/906/6864 /version/1/file/CSS_Analysis_71.pdf
*William J. Lynn III, Defending a New Domain: The Pentagon's Cyberstrategey, Foreign Affairs, September-October 2010
Martin C. Libicki, Cyberdeterrence and cyberwar , Rand, 2009*
*Simon Tisdall, Cyber-warfare 'is growing threat', Guardian Newspaper, 3 February 2010, at: w w w.guardian.co.uk
/technology/2010/feb/03/cyber-warfare-growing-threat
*Greg Bruno, The Evolution of Cyber Warfare, Council on Foreign Relations, 27 Feb. 2008, at: w w w.cfr.org/publication
evolution_of_cyber_warfare.html
Kahn, Herman & Anthony J. Wiener: The Year 2000, A Framework for Speculation on the Next Thirty Three Years
*John W Mellor, The New Economics of Growth. A Strategy for India and the Developing World, a Twentieth Century Fund Study (Ithaca, N.Y. Cornell University Press, 1976
*Elinor Sloan, China's Strategic Behaviour, Canadian Defence
&Foreign Affairs Institute, June, 2010, p: 8., at this link:
w w w.cdfai.org/PDF/China%20Strategic%20Behaviour.pdf
*Scott Shackelford ,A Progress Report on Combating Cyber Attacks, University of Cambridge -Department of Politics and International Studies; Indiana University, Kelley School of Business, Journal of Internet Law, November 4, 2009
*Frank Wm. Oechsli and Demographic Kirk, "Modenization and Demographic Transiyion in Latin (AMERICA AND The Caribbean", Economic Development and Cultuyal Change, April 1975

*Scott Shackelford ,A Progress Report on Combating Cyber Attacks, University of Cambridge - Department of Politics and International Studies; Indiana University, Kelley School of Business, Journal of Internet Law, November 4, 2009.

*UK cybersecurity centre starting operations in March, ZDNet UK, 13 November, 2009 ,at this link:
w w w.zdnet.co.uk/news/security-threats/2009/11/13/uk-cybersecurity-centre-starting-operations-in-march-39877965/

*Cyber Space Policy Review: Assuring a Trusted and Resilient Information and Communications Infrastructure
,The White House, at this link:
w w w.whitehouse.gov/assets/documents
/Cyberspace_Policy_Review_final.pdf

*CIA Director Leon E. Panetta Unveils Blueprint for Agency's Future
,CIA, April 26, 2010, at:
w w w.cia.gov/news-information
/press-releases-statements/press-release-2010/director-panetta-unveils-blueprint-for
-agency-future.htm

War in the fifth domain, The Economist, July 3rd, 2010*

*John p. Craven, "The City and the Sea", (Honolulu: University of Hawaii, Marine Programs, rev. Feb.12, 1975).

*Gerald K O'Neill, "The Colonization of Space", Physics Today, Sept. 1974.

*T-A-Heppenheimer, R &D Requirements for Initial Space Colonization, Astronautics and Aeronautics. Dec. 1975

Simon Kuznets, "Population and Economic Growth", Proceeding of the American Philosophical (Society, June 22, 1967

*Pentagon may apply preemptive warfare policy to the Internet,August 29th, 2010, at this link:
w w w.rawstory.com
/rs/2010/08/pentagon-weighs-applying-preemptive-warfare-tactics-internet/

*Cyberwarrior Shortage Threatens U.S. Security, NPR, July 19, 2010, at this link:
w w w.npr.org/templates
/story/story.php?storyId=128574055

*Krafft A. Ehricke, Exoindustrial Productivity: The Extra Terrestrial Imperative of Our Time, (El Segundo,

*Calif.: North America Space Operations, Rockwell Inter. Corp., May 1975).

*Robert McMillan, Was Stuxnet Built to Attack Iran's Nuclear Program
,?PCWorld, September 21, 2010, at this link:
w w w.pcworld.com/businesscenter/article/205827/was_stuxnet_built_to_attack_irans_nuclear_program.html

http://en.wikipedia.org/wiki/Weather_modification *

*Mark Clayton, Stuxnet malware is 'weapon' out to destroy... Iran's Bushehr nuclear plant?, The Christian Science Monitor, September 21, 2010, at this link:
http:/ / w w w.csmonitor.com
/USA/2010/0921
/Stuxnet-malware-is-weapon-out-to-destroy-Iran-s-Bushehr-nuclear-plant

*Mark Clayton, Stuxnet malware is 'weapon' out to destroy
...Iran's Bushehr nuclear plant?, The Christian Science Monitor, September 21, 2010, at this link:
http: //w w w.csmonitor.com
/USA/2010/0921/
Stuxnet-malware-is-weapon-out-to-destroy-Iran-s-Bushehr-nuclear-plant
*Office of the Secretary of Defense, Annual Report To Congress: Military Power of the People's Republic of China 2006, Departement of Defense
*Andrea Petrou, China and India tensions likeliest Stuxnet culprit, techeye, 11 Oct 2010 , at:
w w w.techeye.net/
security/china-and-india-tensions-likeliest-stuxnet-culprit
Addison, Craig. Silicon Shield, Irving, TX, Fusion Press, 2001 **Carolyn W. Pumphrey, The Rise of China in Asia, Strategic Studies Institute (SSI), 2002,
*Colin Elman & Miriam Fendius Elman, Progress in international relations Press, 2003. theory, Appraising the field, Cambridge: MIT
*John Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics, New York, WWW.Norton, 2001,
*John Baylis & Steve Smith, The Globalization of World Politics, An Introduction to International Relations, Oxford University Press, 3rd eddition, 2005
*Robert G. Sutter, China's rise; Implications for U.S Leadership in Asia,.14 Washington, The East-West Center, 2006
*Andrew Moravcsik, Taking Preferences Seriously: A Liberal Theory of.15International Politics, International Organization 51, 4, Autumn 1997
*Alan Collins,"state induced security dilemma; Maintaining the tragedy", Cooperation and Conflict Vol 39, 2000
*Benjamin Solomon, Kant's Perpetual peace : A New Look at this Centuries-.20Old Quest, The Online Journal of peace and Conflict Resolution, 5.1,Summer : 106-126 (2003).Bates Gill & Yanzhong Huang, Sources and limits of China's Soft power, Survival, Vol.48, No.25Summer 2006
*Clash of the Titans, Brzezinksi, Zbigniew & Mearsheimer, John J., Foreign Policy, Jan/Feb2005, Issue 146
*Drew Thompson, China's Soft Power in Africa, From the 'Beijing Consensus'
to Health Deplomacy, China Brief, Vol.05, Issue 21 (Oct 2005
*David Shambaugh, China Engage Asia: Reshaping the Regional Order, International Security, Vol.29, No.03(2004-05).

كتب للمؤلف

- حرب اللاعنف وعلاقتها بالفوضى الخلاقة، صادر عن المجلس الأعلى للثقافة -
إمبراطورية القاعدة العظمى وأخواتها، صادر عن مركز الحضارة
- سقوط إمبراطورية الغرب العظمى وصعود إمبراطورية الشرق الأعظم، الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الثورات العربية بين المصالح الأمريكية الإسرائيلية والأحلام الإيرانية القطرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة
- من التحول الديمقراطي إلى الديمقراطية الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفهرس

ببلومانيا للنشر والتوزيع



